

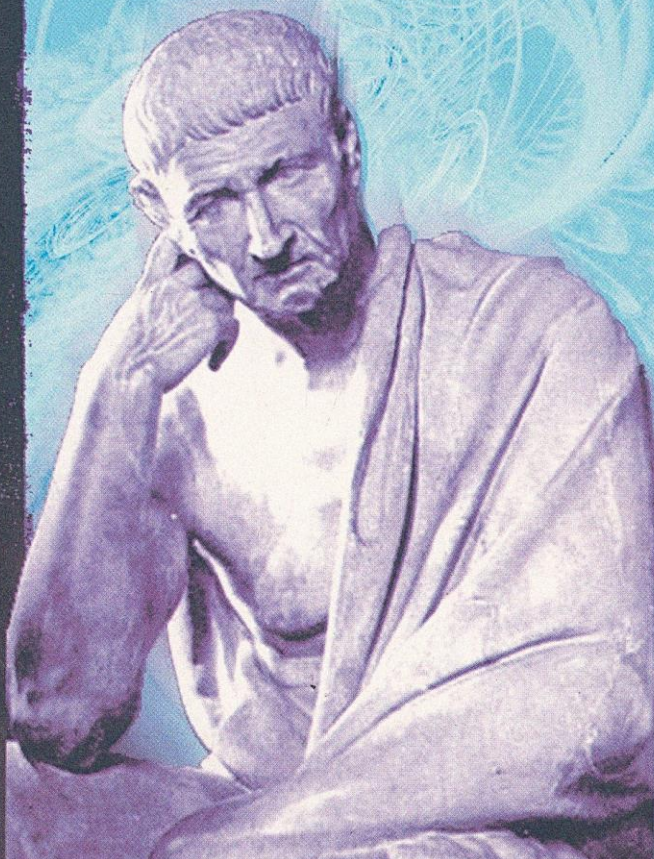
المركز القومي للترجمة

أرسطو طاليس

ميراث الترجمة

الكون والفساد

ترجمة: أحمد لطفى السيد
تقديم: مصطفى لبيب عبد الغنى



المشروع القومي للترجمة

1200

الكون والفساد

المركز القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

محرر السلسلة : طلعت الشايب

– العدد : ١٢٠٠

– الكون والفساد (من الشرق والغرب)

– أرسطوطاليس

– يارتملى سانتهلير

– أحمد لطفى السيد

– مصطفى لبيب عبد الفنى

– ٢٠٠٧

هذه ترجمة كتاب :

الكون والفساد

لأرسطوطاليس

يتلوه كتاب « فى ميليسوس وفى اكسينوفان وفى غرغياس »

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت : ٢٧٣٥٤٥٢٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com

الكون والفساد

تأليف : أرسطوطاليس

ترجمه عن الإغريقية إلى الفرنسية : بارتلمى سانتهيلير

ترجمه إلى العربية : أحمد لطفى السيد

تقديم : مصطفى لبيب عبد الغنى



٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

أرسطوطاليس ، ٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م .
الكون والفساد / تأليف : أرسطوطاليس ؛ ترجمة : أحمد لطفى
السيد ؛ تقديم : مصطفى ليبب عبد الغنى ، القاهرة : المركز القومى للترجمة ،
٢٠٠٧

٢٩٦ ص : ٢٤ سم - (المشروع القومى للترجمة)

١ - الفلسفة اليونانية

(أ) السيد ، أحمد لطفى (مترجم)

(ب) عبد الغنى ، مصطفى ليبب (مقدم)

١٨٢

(ج) العنوان

رقم الإيداع ٢٠٠٧/١٧٦٣١

الترقيم الدولى 2 - 445 - 437 - 977 I.S.B.N.

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة
للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها
فى ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

تقديم

مصطفى لييب عبد الغني

أحمد لطفى السيد علّم زاه من أعلام الاستتارة فى مصر، من بدايات القرن العشرين؛ فهو مؤسس لحزب سياسى يدافع عن قضايا الأمة وكرامتها، ومُنشئ ورئيس تحرير لجريدة رائدة من جرائد الرأي الحرّ، ومثال يُحتذى بما هو رجل إدارة وسياسة، وهو إلى جانب ذلك كلّه أديبٌ متميّز وفيلسوفٌ صادق جسّدت شخصيته هذه النعم مجتمعةً ، فكان فاتحة الخير لرفقاء درّبه وعموم مواطنيه حتى لقّبهُ المصريون عن جدارة بـ "أستاذ الجيل".

اتّصل الأستاذ بالجامعة المصرية منذ أن كانت مشروعاً يروّجُ له أهلُ الصّلاح فى مصر، وشارك فى إدارتها ثم أصبح مديراً لها وهى جامعةٌ تابعة للدولة بعد أن كانت من قبل أهليّة. ولأن العمل الجامعى - فيما يراه الأستاذ - هو فى الأساس التزامٌ قيمى وبحثٌ أكاديمى فى فروع العلم المتنوعة وليس قاصراً على إلقاء دروس للطلّاب أو مجرد الوفاء بحاجات سوق العمل، اضطلع الأستاذ فى غمرة مشاغله بعبء الترسّخ للثقافة الرفيعة ، مستهدفاً، فى الوقت نفسه ، إيقاظ الوعي وإثارة التساؤل وبناء العقلية الناقدة والسعى الدؤب إلى تكوين جيلٍ من العلماء والمفكرين؛ فأقدم على مُهمّة جليلة ذات خطرٍ تمثّلت فى نقله لتصوص الفلسفة الأرسطية فى أحدث طبعاتها الفرنسية المزيّلة بتقديمات وشروح تُسهّل على الدارسين استيعابها وتمثّل أفكارها العالية، وهى التى كان قد قدّمها فى الفرنسية، منذ أكثر من نصف قرن، الأستاذ بارتلمى سانت هيلير، الذى رأى فيه أستاذنا قُوة علمية وقُدوة عمليّة على السواء. وكان أن حظيت

ثقافتنا العربية المعاصرة بنقل كتاب " علم الأخلاق إلى نيقوماخوس " ، وكتاب "السياسة" ، وكتاب "الكون والفساد" ، وكتاب "علم الطبيعة" ، وهى نقولُ عربيةً رائعةً دقيقةً جاءت ثمرةً لجهدٍ رصين تنوءُ به العُصْبَةُ أُولو القوة، وثمرَةً إدراكٍ لقيمة الفلسفة وأثرها فى صلاح الأمم، على نحوٍ يُذَكِّرنا بجُهد المترجمين العِظام فى الحضارة الإسلامية الذين نقلوا، فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، ذخائر الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية.

* * *

فى عام ألف وتسعمائة واثنين وثلاثين ميلادية صدرت عن دار الكتب المصرية ترجمة عربية أتمها أحمد لطفى السيد لكتاب أرسطو "الكون والفساد" ، ومعها كُتِيبٌ بالغ القيمة حوى نقد أرسطو لأفكار ثلاثة من كبار فلاسفة اليونان، والكُتِيبُ موسوم "فى ميليسسيوس وفى اكسينوفان وفى عُرجياس". وكان عنوان الترجمة الفرنسية، للأصل اليونانى لهذين النصَّين اللذين ترجمهما J. Barthélemy Saint-Hilaire فى باريس عام ١٨٨٧م هو :

Traité de la Production et de la Destruction des choses" , suivi du "Traité sur Mélissus, Xénothane, et Gorgias".

وتزيد من نفاسة هذه النشرة الفرنسية المقدمة المستفيضة التى تناول فيها سانت هيلير "أصل الفلسفة الإغريقية" وأصالتها وبيان الظروف الحضارية التى أدت إلى إبداع هذا النمط المتميز من التفكير التأملى، الذى يتَّجِه فيه العقلُ اتجاهاً نزيهاً إلى العلم، والذى رعته فى مراحلهِ الأولى ثلاث مدارس خالدات ، هى : مدرسة يُونيا ، ومدرسة فيثاغورث ، ومدرسة إيليا، كما حرص المترجم على تحقيق ونقد النصِّ اليونانى للكُتِيبِ

فى ميليسىوس وفى اكسينوفان وفى غرغياس". وكانت حكمة الجمع بين هذين النصين، كما ظهر له ، هى "أنهما يُعبّران كلاهما عن أفكار من قبيل واحد : ففى أولهما يُعنى أرسطو بإيضاح كيف تكون الأشياء وكيف تنتهى، خلافاً لمذهب وحدة الوجود ، > ولا تغيّره وثباته، وهو ما عبّرت عنه المدرسة الإيلية>، وفى ثانيهما المناقشة بعينها موجهة مباشرة إلى ممثلى مدرسة إيليا : اكسينوفان مؤسسها، وميليسىوس حافظ مبادئها حتى العهد الذى قام فيه سقراط يبدّل بالتردد القديم فلسفة جديدة حاسمة تُعنى بالإنسان > وتنزل بالفلسفة من السماء إلى الأرض>. فالفكرة فى الكتابين متماثلة ولا فرق بين أحدهما وبين الآخر إلا فى الشكل فقط؛ فهنا توضيحٌ لبدأ عام، وهناك نقضٌ خاصٌ للمبدأ المناقض. ولعلّ هذا الموضوع الذى يُمثّل محورَ هذين النصين، من أهم موضوعات تاريخ العقل البشرى وأكثرها حيويةً ... وهو ليس أقلّ من أن يكون ميلاد الفلسفة فى عالمنا".

* * *

يَسْتَوْقِفُنَا فى مقدمة المترجم الفرنسى التفاته إلى المعنى الحقيقى لمذهب الوحدة فى مدرسة إيليا التى طالما حُجب من نورها وصُغّر من قدرها .. "وما الوحدة الإيلية إلا الله طلبوا معرفته يتلمسونها بين حجب الجهالة الأولى، ويدرسونها كما يمكن أن تُدرس فى تلك الأزمان : إذ العلمُ والمشاهدة العلمية لا يزالان فى بدايتهما، فلم تكن تلك الوحدة قد وصلت بعدُ إلى ما قرّره أنكساجوراس من الإدراك الإلهى > أى أن العالم يُدبّرهُ العقلُ الإلهى> ولا ما قرّره سقراط وأفلاطون من العناية الربّانية ، "غير أن تقرير تلك الوحدة مع ذلك كان الجرثومة الأولى لكل هذه المذاهب".

كما يستوقفنا أيضاً إدراك المترجم الفرنسى لمغزى استقلال الفلسفة اليونانية فى نشأتها وتطورها عن الدين، وذلك فى قوله : "إن الفلسفة الإغريقية بتمامها كانت

موضوعة فى وضع استثنائى أفادها جداً ، وهو أنها لم يكن أمامها أبداً ديانة مبنية على كتب مقدسة، وقد كان الأمر على ضد ذلك فى مصر ويهودة وفارس وفى الهند ؛ حيث لم تكن الحال قاصرة على أن الدين قد سبق الفلسفة فى تلك البلاد، كما هو الحال عادة فى كل زمان، بل إنها اعتمدت فوق ذلك على أسس معتبرة أنها إلهية، ومع ذلك أقامت قروناً طويلاً كاملة لسد الحاجات الأدبية والأخلاقية فى تلك الأمم ، وبعد ذلك خرجت الفلسفة من المحاريب... وما تُنسب أصالة الفلسفة الإغريقية التى لا تزال تدهشنا ونتعلم منها بعد خمسة وعشرين قرناً إلا إلى استقلالها المطلق. ولو أنها كانت تحت وصاية ديانة حسنة النظام أفكانت تظهر قواعدها بهذه السهولة التى ظهرت بها؟ أو كانت تحيا تلك الحياة الطيبة القوية؟ أو كانت تكد للعالم تلك الملح من التأليف وتوتى ذلك الثمر اللذيذ؟ من ذا الذى يعرف ذلك ؟ لا شك فى أن الجنس الهليني كان عجيب الاستعداد ؛ فقد نجح فى ميدان الفلسفة، كما نجح فى ميادين الأعمال الأخرى، ولكن أما كانت تنبل هذه الخواص العجيبة لو أن العُصارة التى نُغذّيها جرت فى قنوات أخرى من قبل وخصوصاً فى قنوات الديانة ! ولم يكن تاريخهم إلا لعباً تلعب به الملوك، فكانت الخواص العليا للنفس فى سعة من أن تتخذ لها نحواً جدياً آخر وتبحث عن غذاء لها أغرز مادة وأدخل فى باب الحق، بعيد عن أن أنكر نعم الديانات على الناس، وأرى أن من الخير أن تكون قد سبقت الفلسفة دائماً، وعند جميع الشعوب، ولكنى لا أستطيع أن أحجم عن القول بأنه إذا كانت ديانة الهلين أكثر جدية مما كانت عليه لأوشكت فلسفتهم وعلومهم أن تكون أقل فى الجد مما كانت عليه بكثير، وتلك خسارة لا تُعوّض على الإغريق وعلينا أيضاً ؛ لأننا نحن أبناؤهم ومظهر استمرار حياتهم.

ومع دفاع المترجم الحار عن أصالة الفلسفة اليونانية وتقردها عما وجد لدى بعض أمم الشرق من معارف لم تتمذهب ولم تتركز على مبادئ معينة ، فإن يذكر ما قام به كثير من فلاسفة اليونان من سياحات إلى الشرق وبخاصة مصر، فيقول : "إن

فيثاغورث ذهب إلى مصر كما فعل طاليس من قبل وكما فعل هيرودوت بعده بقرنٍ ، وأقام فيها ، ويُقال إنه لُقِّنَ الأسرار الخفية. وقد يمكن تصديق ذلك بسهولة، لأنَّ سولون ذهب إليها أيضاً. والظاهر يدل على أنه لم يقف عند محادثة كهنة سايس في أمر الأطلانديد.

ولئن كان أحمد لطفى السيد يرى في معرفة الماضى النسيجَ الحى للشعور الوطنى الصادق، على نحو ما عبّر عنه فى قوله : " لاتتمُّ وطنيةُ المرءِ إلا إذا عرف أمته قديمها وحديثها، فإنَّ مَنْ يجهل قديمها فهو مُدْعٍ فى حبِّها، لأنَّ مَنْ جهل شيئاً عاداه" (الجريدة : ١ ديسمبر ١٩٢١)؛ فلا ريبَ أنَّه يُقدَّر ما ذكره سانت هليز فى مقدمته وهو يتحدث عن الكتب ومواد الكتابة التى حفظت إنتاج حكماء اليونان، ويتحدث عن دور مصر الثقافى التى كان يجىء منها البردى منذ أقدم الأزمان إلى بلاد اليونان وآسيا الصغرى، فإنَّ أقدم الهجرات إنما جاءت من شواطئ النيل جالبة معها إلى الهلين فى عداد ما جلبته أسماء جميع آلهتهم... وفى تلك القرون التى نحن بصدددها كانت مصر متدخلة دائماً لمصالح شتى فى سياسة جميع الأمم المجاورة لها، وعلى الأخص سياسة المدائن الإغريقية التى على الشاطئ. ولقد كان " من السهل على مصر أن تتصور إنشاء المكاتب. ذلك ما كان هو الواقع؛ فإنَّ أوزيمندياس أحد ملوك مصر يُعتبر أوَّل من اقتنى مكتبة... وتذكّر هذا الحادث العجيب نقله إلينا ديوبور الصقلى الذى زار مصر فى الأوليية ١٨٠ كما زارها هيرودوت من قبله بأربعمئة وخمسين عاماً ، ورأى بعينه كلَّ ما يتكلَّم عنه تقريباً. ومن بين العمائر التى تُنسب إلى هذا الملك دارالكتب المقدسة المنقوش على وجهتها : "نواء النفس". وفى موضع آخر يُسجَّل هذا النور الرائد لمصر قائلاً : "جاءت المطبعة فجعلت النشرَ والنقلَ والحفظَ ألفَ مرة أكثر أماناً وألف مرة أكثر سرعةً وألف مرة أرخص ثمناً. بيدَ النساخ استبدل ضبط المكيئة المعصوم وقوتها التى لا تعرف حدّاً ورخصها الذى لا يُنافس ، ولكن ذلك لم يكن مهما قيل فيه إلا تغييراً مادياً صرفاً، فإنَّ المقصود متوفّر فى الأزمان الغابرة. على ذلك يكون المخترع الحقيقى الكبير

لا يزال هو الشيخ "توت" أو أيُّ ساحرٍ آخرٍ من السُّحرة المصريين الذي أنطق البردى والحروف التي رسمها عليه قَلَمُ الكاتبِ مغموراً في مادةٍ مُلوَّنةٍ... وما كانت المقالة لتعيش إلا بالكتابة، ويمكنها أن ترجو من العُمُرِ ما لا ينبغي للفرد الفاني أن يرجوه أبداً، فإن أوراق البردى لا تزال تُكَلِّمنا، وسوف تُكَلِّمُ أحفادنا أزماناً طويلاً.

* * *

ترجم كتاب "الكون والفساد" لأرسطو إلى اللغة العربية في أوج ازدهار الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، وحظي بتعليقات وشروح من أهمها ما قام به ابن رشد (ت : ٥٩٥هـ/١١٩٨م)، الشارح الأكبر، من : تفسير كبير وشرح أوسط وتلخيص (أو جوامع)، على عاداته في العناية بأعمال المعلم الأول.

وغرضُ أرسطو من هذا الكتاب، فيما يُبينه ابن رشد - التكلُّمُ في التغيرات الثلاثة التي هي : الكون والفساد، والنمو والاضمحلال، والاستخالة، وإعطاء ما به يتمُّ واحدٌ واحدٌ من هذه التغيرات وكيف يتمُّ ذلك. والتعريف بالمعنى العام لجميع هذه التغيرات على ما يقتضيه الترتيب المنتظم في التعليم ؛ فيُعرَّف بالكون البسيط، ويُعرَّف المركبات ، ويُعطى المبادئ والاسطقسات «العناصر» التي يتركَّب منها كل ما هو كائنٌ «بالفعل».

ومرتبةُ هذا الكتاب، فيما يرى ابن رشد، هي بعد كتاب "السماء والعالم"، وذلك لأنه لما بيَّن هناك أن الأجسام البسائط التي هي دُونَ فلك القمر أربعة فقط، وأنها يستحيل بعضها إلى بعض ، ويتكوَّن بعضها عن بعض شرعَ ههنا يفحص عن جهة كون بعضها عن بعض، وهل هذه الأجسام هي اسطقسات المركبات، أو واحدٌ منها، أو أكثر من واحد. وإن كانت واحداً منها أو أكثر من واحد ؛ فهل أيضاً بعضها اسطقسات لبعض، أو هي في مرتبةٍ واحدةٍ من البساطة، ولذلك لُقِّبَ بكتاب "الكون والفساد"؛ لأنه يتكلم في حركة النمو والنقص وفي الاستحالة.

وفى المقالة الثانية يفحص أرسطو عن الأشياء التى تدعى اسطقسات الأجسام، ما هى، وكم عددها؟ فيقول : إنَّ الأجسامَ الكائنةَ الفاسدةَ صِنْفانِ : بسائطٌ ومُرَكَّبَات، وكلُّ واحدٍ مِنْ هذينِ الصنفيْنِ مُرَكَّبٌ مِنْ هيولى وصورة.

وكتابتنا هذا مصدرُ أساسى فى التَّعرُّفِ على خلاصة ما وصلت إليه فلسفة الطبيعة عند مختلف المدارس اليونانية. وعلى عادة أرسطو فى التأليف الفلسفى نراه يستعرض كلَّ آراء السابقين عليه قبلَ أنْ يؤسَّسَ لوجهة نظره الخاصة ؛ فهو فيلسوف يُورِّخُ للفلسفة، والفلسفة عنده لا تنفصل عن تاريخها. وإنَّ يعرض أرسطو لنظرية عناصر الأجسام وعددها وتراكيب بعضها من بعض وتبديلِ العناصر بعضها عن بعض نتعرَّفُ معه على الفلسفة الطبيعية عند الأيونيين وانبانوقليس وعلى فلسفة الفيثاغوريين والذريِّين وصولاً إلى فلسفات أنكساجوراس والسفسطائيين وسقراط وأفلاطون. وينتهى أرسطو إلى إبطال هذه الآراء، وينقض نظرية الفعل والانفعال، ويرى عدم كفاية نظرية أفلاطون فى هذا الشأن. ويبيِّنُ أرسطو أنَّ كونَ الأشياءِ وفسادها مُتصِلانِ كالحركة ، ويتعلَّقانِ بالنَّقْلةِ الدائِرةِ للعالم. وهو إذ يتحدَّثُ عن فعل الله فى العالمِ يشير إلى القوانين الثابتة التى وَضَعها فى أبديةِ الأشياءِ، وإلى أنَّ النظامَ العجيبَ للعالمِ يكشف عن أنَّ تَغْيِيرَ الأجسامِ إنما هو الذى يحفظ مُدَّتَها، وأنَّ المحرَّكَ الأولَ غيرَ المتحرِّكِ هو المبدأ الوحيد للحركة، وأخيراً يعرض أرسطو نظرية تعاقب الأشياء الأبدى مُقرِّراً أبدية الأنواع وفناء الأشخاص المُتعاقِبِ.

* * *

ويعد،،،

فالتحية والتقدير للمركز القومى للترجمة على إعادة نشر هذا الكتاب إحياءً لذاكرتنا الثقافية وإشادةً بفضل الروادِ من أعلامنا ، وإيقاظاً لنا من غفوة طالت ، ابتعدنا فيها عن ينباع المعرفة الثرة. وفى جهده الحميد - لا ريب - بشارة الوصول المأمول إلى الثقافة الارتفاع والأنفع.

والله الموفق

كنة الشرق والغرب

الكون والفناء

لأرسطوطاليس

يتلوه كتاب « في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غريغاس »

ترجمها من الاغريقية الى الفرنسية وصدرهما بمقدمة في تاريخ الفلسفة
الاغريقية وعلق عليهما تعليقات متسابة

بارتلى سانتيلير

استاذ الفلسفة الاغريقية في «كلليج دي فرنس» ثم وزير الخارجية الفرنسية

ونقلها الى العربية

أحمد لطفي السيد

مقدمة المترجم

بارتلى ساتنيلير

أصول الفلسفة الإغريقية

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفر هما جملة على مدرسة ايليا التي هي من اقدم مدارس الفلسفة اليونانية - مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ٥٠٠ الف . وسابوقوم الخلقون بالاعجاب هوسوس وسافو ٥٠٠ الف . علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ٥٠٠ الف . الاتحادات الثلاثة : الايوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب . جملة الحوادث الكبرى التي تدخل في عمرها الفلاسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد . حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس - الوسائل للمادية التي كانت عند الاقدمين لكتابة المؤلفات - الكتب من طاليس الى زمن ارسطوطاليس - شهادات هيرودوت وطوكوديلس واكسينوفون واللاتون وارسطو - الاستعمال العام لورق البردي المصري - صنع الورق على قول بلان - رسائل ششرون - ايضاح هذه الحوادث - ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا في فرنسا - معابر واللام المكتبة التي يرجع تاريخها على الاقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا - بولية الفلسفة اليونانية - كونها لا تدعى بشئ للشرق - للثقافة بينها وبين الفلسفة الهندية - خلاصة القول على مدرسة ايليا - للعنى الحقيقي لنظرية الوحدة

جمعت عمدا بين هذين الكتابين في هذا السفر لانهما ، كما يظهر لي ، يعبران كلاهما عن أفكار من قبيل واحد . ففي أولهما يعني ارسطو بايضاح كيف تكون الاشياء وكيف تنتهي ، خلافا لمذهب وحدة الوجود ولا تغيره . وفي ثانيهما المناقشة بعينها موجهة مباشرة الى مثل مدرسة ايليا : اكسينوفان مؤسسها ، وميليسوس حافظ مبادئها حتى العهد الذي قام فيه سقراط يبطل بالتردد القديم فلسفة جديدة حانمة . فالفكرة في الكتابين متماثلة ، ولا فرق بين أحدهما وبين الآخر الا في الشكل فقط ، فهنا توضيح عام لمبدأ ، وهناك نقض خاص للمبدأ المناقض . وسنعود باختصار في آخر هذه المقدمة الى تقدير قيمة هذين الكتابين اللذين يستأهلان أن يعرفا أكثر مما هما الآن . ولكني أرغب يدباً في أن أبين بقدر ما أستطيع من البيان ماذا كانت الحركة الفلسفية التي شاطر فيها اكسينوفان وميليسوس ، سواء في احداثها أو في اتباعها .

اكسينوفان وميليسوس كلاهما من الانبياء البعيدة القبيل . ومن الصعب لأول نظرة الاقتناع بأن درسهما يبعث اهتماماً جدياً هذه الأيام . هذان الفيلسوفان كانا يعيشان في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد . وعلى هذا المدى فليس الا التنقيب وحده ، قيمياً يظهر ، هو

الذى ما زال يوليها العطف الذى انقضى زمانه ، ويستقصى مذهبها المنسية منذ زمان بعيد . لست أقصد فى الحق الى انتقاد التنقيب ، ولكنى أدرك ما يثير ثأثوه من التحامل البادر عند ما يتوغل فى درس تلك الأزمان البعيدة اذ تنعدم المراجع الوثيقة فلا يبقى لنا من أعيانها الا آثار لا صور لها . على أنى فى هذا الوطن أكثر مما فى سواه أسأل أن يصغى الى التنقيب لحظة . فان الموضوع الذى يحاوله فيما يتعلق باكسينوفان هو موضوع من أهم موضوعات تاريخ العقل البشرى وأكثرها حيوية .

انه ليس أقل من أن يكون ميلاد الفلسفة فى هذا العالم الذى نحن منه .

أما من جهة الفلسفة الشرقية فأننا لا نعرف ، بل ربما لن نعرف أبدا من أمرها شيئا معينا بالضبط فيما يختص بعصورها الرئيسية واطقلاباتها . فان أزمنتها وأمكنتها وأهلها تكاد تعزب عنا على سواء . انها مستعصمة دون ادراكنا ، منعة للشكوك لما يغشها من كثيف الظلمات . حتى لو عرفنا منها هذه التفاصيل مع الضبط الكافى لما أفادنا ذلك الا من جهة ارضاء رغبتنا فى الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها كثيرا . ان الفلسفة الشرقية لم تؤثر فى فلسفتنا . ومع التسليم بأنها تقدمتها فى الهند وفى الصين وفى فارس وفى مصر فأننا لم نستعر منها كثيرا ولا قليلا . فليس علينا أن نصعد اليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا . والامر على الضد من ذلك مع الفلسفة الاغريقية ، اننا بها نتصل بالماضى الذى منه خرجنا . وعلى الرغم من عمالة الكبرياء التى هى فى الغالب جانية الكفران يجب علينا ألا ننسى أبدا أننا أبناء اغريقا . انها أمنا فى جميع أمور العقل تقريبا . فلئن ساءلنا أوائلها فأنمنا نسائل اصولنا . فمن طاليس ومن فيثاغورث ومن اكسينوفان ومن أنكساغوراس ومن سقراط ومن أفلاطون ومن أرسطوطاليس اليانا لا يوجد الا فرق الدرجة . نحن جميعا فى طريق واحد مستمر من قرون عديدة ، ومتصل بلا انقطاع لا يتغير اتجاهه ، بل يصير على مرور الزمان أكثر طولاً وأبهى جمالا . والظاهر أننا لا نخلج من الانتساب الى أمثال هؤلاء الأباء . وكل ما علينا هو أن نبقى حقيقين بينوتهم بأن ندرج على سننهم .

قد أمكن القول ، لا من غير حق ، بأن الفلسفة ولدت مع سقراط (١) والواقع أن لهذا الرجل العجيب من المقام ما يسمع بأن يسند اليه هذا الشرف العالى ، بأن يقرن اسمه بهذه الحادثة الكبرى . ولكن سقراط

(١) راجع مقالة تاريخ الفلسفة لفكتور كوربان للدوس الثانى من دورس سنة ١٨٢٨ والتاريخ العلم للفلسفة الدوس الثالث ص ١٠٢ .

يتواضعه المعروف ما كان ليقبل هذا المجد ، فإنه كان يعلم أكثر من كل إنسان أن الفلسفة قد كانت تنشأ من قبله بنحو قرنين الى أن جاء فافاض عليها قوة وجمالا لم يفارقها بعده . لم يكن مولد الفلسفة في آتينا بل في آسيا الصغرى ، لأنه يجب تأخير هذه الحادثة مائتى عام الى الورداء تقريبا ، الا أن تمحى من التاريخ تلك الاسماء العظام الاولى انتهى ذكرتها . ان التقدم الذى افتتح سقراط بابنه لم يكن الا استمرارا لا ابتكارا وابداعا .

كل الاصول غامضة بالضرورة . يجهل المرء نفسه دائما في أول الامر . وان تعرف سنة هذه القرون الاولى مقرون بالشك الذى يلحق أيضا الحوادث ذاتها التى مرت كأنها غير محسوسة . ومع ذلك اذا لم يلتزم هنا الضبط غير الممكن فإن أوائل الفلسفة اليونانية يجب أن تظهر لنا أجلي من أن يدعو للشك في أمرها سبب محسوس .

كان طاليس من ملطية ، وقد حقق التاريخ وجوده في جيش أحد ملوك ليديا نحو آخر القرن السادس قبل المسيح . وبعده بقليل جاء خيثاغورث الذى بعد أن عاد الى وطنه ستموس اثر سياحات طويلة فر منه اتقاء لظلم بوليقرطس الذى كان يضطهده ، وذهب يحمل مذاهبه على الشطوط الشرقية لاغريقيا الكبرى الى سيبارس وقروطن . أما اكسينوفان فإنه لاسباب أشبه بالمتقدمة نزع عن كولوفون . وطنه الاول ولما اجتمع ببعض المهاجرين من فوكاية ، الذين هم بين أنياب الاخطار قد وجدوا آخر الامر موثلا على شواطئ البحر الترهينى في ايليا (هيلا أوفيليا) ، أسس في هذه المدينة الحديثة العهد وقتئذ مدرسة شهرت ذكرها .

أصرف القول الآن الى هؤلاء الثلاثة العظماء السدنين كانوا جميعا رؤساء مدارس خالدا ، وان كنا لا نعرف منها الا الشيء القليل : مدرسة يونيا ، ومدرسة فيثاغورث ، ومدرسة ايليا . وعما قريب أستطيع أن أضمر الى هذه الاسماء طائفة من أسماء آخر ، لا يستطيع تاريخ الفلسفة أن يغفلها كما لا يستطيع اغفال الاولى .

ولكنى ، لا لشيء غير الفكرة في أمر طاليس وفيثاغورس واكسينوفان أشعر بأمر يسترعى نظرى ، انهم ثلاثتهم من هذا الجزء من العالم الهلينى الذى يسمى آسيا الصغرى وانهم تقريبا متعاصرون . ان ملطية التى هي في القارة ، وسموس في الجزيرة التى بهذا الاسم ، وكولوفون في شمال ايفيزوس بقليل ، تكاد لا تتجاوز الابعاد بينها خمسة وعشرين فرسخا .

على هذه المسافة الضيقة وفي وقت واحد تقريبا تجد الفلسفة مهدها المجيد . لكيلا نخرج من هذه الحدود في المكان والزمان والموضوع نضيف

الى هذه الثلاثة الاسماء : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ، أسـماء
 أنكسيمندروس وأنكسمينس اللذين هما أيضا من ملطية ، وهيرقليطس
 الذى هو من ايفيزوس ، وأنكساغوراس من كلازومين غربى أزمير قليلا فى
 خليج هيرموز . وأذكر اسم نوكلبيس وديموقريطس اللذين ربما كانا من
 ملطية أيضا أو من أبدير مستعمرة طيوس ، واسم ميلبوس الذى هو
 من سموس كفيثاغورث . وفوق ذلك أضيف الى هذه الاسماء أسـماء
 بعض الحكماء الذين هم أقل استنارة من الفلاسفة ولكنهم ليسوا أقل
 منهم احتراما . فـمنهم بطاقس من ميتيلين فى جزيرة لسبوس وهو رفيق
 سلاح للشاعر ألقايوس فى محاربة الطغيان ، وقد نادى به مواطنوه
 ديكتاتورا عليهم فلبث فيهـم عشرة أعوام يعمل صالحا ثم نزل عن
 الدكتاتورية . ومنهم «بياس» من «برينـة» الذى لو اتبع الاتحاد اليونانى
 ما قدمه له من النصـح لنجا كما ذكر هيرودوت . ومنهم ايزوبس الذى
 أقام طويلا فى سموس ثم فى سرديس عند كـريزوس ، ذلك المولى الفريجى
 الذى لا ينبغي للفلسفة أن تنسى ذكره فى عناد ذويها ، والذى لم يستنكف
 سقراط من أن ينظم حكاياته شعرا (١) .

وأذكر كذلك أسباسيا من ملطية التى حدث عنها أفلاطون فى كتابه
 المينكسين ، والتى كانت تتحدث الى سقراط ، والتى كانت تعطى لبيركليس
 دروسا فى البلاغة كانت تؤلف منها أحيانا الخطب السياسية ، والتى
 خصص لها رفاثيل محلا فى مدرسته الاتينية .

من ذلك يرى أن تيديمان الاريب كان محقا حين كنى آسيا الصغرى
 بـ « أم الفلسفة ووطن الحكمة » (٢) . هذه الأحداث القليلة التى جئت على
 ذكرها واتى يمكن أن يضـاف اليها كثير من أمثـالها كافية فى اثبات هـذه
 الحقيقة . منذ الآن متى عرض حديث منشأ الفلسفة فى عالمنا الغربى –
 بالمقابلة للعالم الاسيوى – عرفنا لمن هو ذلك المجد ، والى من يجب أن
 يسند عدلا .

يكفى قليل من النظر للعلم بأن من الممتنع أن تنمو الفلسفة بذاتها
 وحدها . من البديهي أن جميع عناصر العقل يجب أن تبلغ نـماءها قبل
 التأمل . لان التأمل المرتب على نمط معين لا يظهر الا متأخرا وبعد سنـاثر
 الملكات الأخرى . وليس بى حاجة الى التبسط فى بيان هذه الحقيقة
 المشاهدة فى الامم وفى الافراد على السواء . واقتصر على أن أقـرر أن
 مجرى الأمور فى آسيا الصغرى لم يكن مختلفا عنه فى غيرها . فـان

(١) فيدون لأفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩١ و ١٩٢ .

(٢) تيديمان ٥ روح الفلسفة النظرية . سنة ١٧٨١ ج ١ ص ١٢٩ النسخة الاثانية .

الفلسفة على هذه الأرض الخصبة لم تكن نباتا منفردا ولا ثمرة غريبة
منتظرة . وقليل من الكلمات يكفي في التذكير بأنها كانت هي المنطقة
المهياة لهذا الانتاج الشريف وما على الا أن أسرد أجمل الأسماء وأحقها
باعتراف الناس .

في رأس هذه الطائفة اسم هوميروس السدي ولد وعاش يقينا على
شواطئ آسيا الصغرى وفي جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام . وماذا
عسى أن أقول في قصائده وكيف أوفى عبقريته ملحاً وثناء . كل ما أقرر
أن هوميروس لا يقصر أمره على أنه أكبر الشعراء بل هو أعمقهم فلسفة .
وان بلدا ينتج باكرا أمثال تلك البدائع لتحقيق بأن ينتج بعد ذلك عجائب
العلم والتاريخ .

بعد هوميروس أقص نبياً قلينوس الايفيزوسي الذي هو حربي مثل
طورطائس والذي شهد وقت اغارة القميرين وشملها بها في شعره . ثم
الكان السردى الذي حق له أن يعلم تقدمونيا وطن لوكورغس ويهرها
على ما بها من جفاء . وأرخيلوخس الباروصى والقايسوس اللسبوسى ذى
الرياسة الذهبية كما قال هوراس . وسافو الميتيلينية أو الايريزية التى
لا يكاد يستحق أحد الثناء أكثر منها الا هوميروس (١) . ثم ميمنرس
الازميرى شاعر انتصارات يونيا على الليديين . ثم فوكليديس الملطى الذى
حمل الشعر قواعد الاخلاق . ثم أنا كريون الطوسى . وقريب من الشعراء
تربندرس اللسبوسى مبدع الموسيقى وواضع طرائقها الثلاث الاصلية :
الليدية والفريجية والنورية . ويمكن أن نضيف الى هؤلاء أريون الشاعر
الذى هو من لسبوس مثل تربندرس .

ذلك فى الشعر . وكما الى جانب الشعر من الكنوز التى لا تقل عنه
فى نفاستها وان قلت عنه فى البهاء : عظيم الفلك والجغرافيا أبدعهما
أنكسيمندروس وسكولاكس من كاروندا على خليج يسوس . والرياضيات
التى أبدعها فيثاغورس وتلاميذه أسلاف أرسطارخس السموسى معلم
أرخميدس وهيبارخس الزودسى . والتواريخ أبدعها أكستطس السردى
وهيكاتيوس الملطى وهيلانيكوس الميتيلينى . وعلى الاخص هيرودوت
الهاليكارناسى الذى لقب منذ زمان طويل أبا التاريخ . وبودى لو أعطيه
لقبا آخر لو وفقت الى لقب أجمل من هذا وأدخل منه فى الحق . والطب
انتقل من جزيرة سموس الى كورينا وقروطون ورودس وكنتيس قبل أن
يقر قراره فى قوص بفضل بقراط الذى لا يقل عظما فى فنه عن هوميروس
فى شعره . وفى عمارة المدن أبدعها هيوداموس الملطى الذى كان مع ذلك

(١) ر . كتاب فيليني على عبقرية بنندرس ١٠١ وما يليه ١٠٢ أيضا تاريخ الاطباء
الاغريقية الذى ألفه أوتفريد مولر . ترجمة إيليراندج ١ ص ٢١٨ وما يليها .

كاتباً سياسياً حلل مؤلفاته أرسطو. في كتابه «السياسة» (ك ٢٢ ص ٥) .
وفى الحضر والصب أبديهما تيودور السيموسى ابن روكوس . وفى التبدين
أبدعه أنليديون . . . الخ .

أقف هنا لكيلا تجاوز بهذا التعديد الجاف أبعد مما ينبغي .
ولكنه يجب التنبيه الى أن هذا الحصب البالغ حد الإعجاز لم ينته
بانتقضاء تلك الأزمان التي ذكرناها . فان تيوفراسط هو من ايريزا ،
وأبيقور ربي فى سموس وكولوفون ، وزنون فخر الرواق ولد فى كتيون
من قبرص ، وايفورس من كومة ، وتيوبومبس من شيوز ، وبرهاسيوس
وأبيلس من ايفيزوس وكولوفون ، واسترايون من أماسية على الجسر
(البحر الاسود) مستعمرة احدى المدن اليونانية من الشاطئ الغربى
لآسيا الصغرى . . . الخ الخ .

تلقاء هذا المجد السامى الذى لم يمنحه ما ظهر بعده لا يسعني الا أن
أقف مأخوذاً أساءل : هل عرف الناس أن يوفوا هذه العبقرية وهى
الكمال وذلك الابداع حقوقها من الاعظام ؟ لا أظن ذلك . وتلك فى رأينا
داعية الى تعديل تاريخ هذه المستعمرات الاغريقية من آسيا الصغرى فى
بعض أجزائه على الأقل . تلك المستعمرات التى ندين لها بكل شيء .
ولكنى اذا قربت هذا العمل وحاولت هنا عجالة فذلك لا لأرفع ظلماً
مرت عليه القرون لضيق دائرة موضوعي ، بل ليحسن فهم الناس لتلك
الحركة الخارقة للعادة والتى هى فئة فى تطور العقل الانسانى ، ولابن
حق واضعى الفلسفة وآباء العلم .

لذلك أعرض ، دون مجاوزة الحدود المشروعة ، ماذا كانت هذه
المستعمرات التى نزلت من أفريقيا على شواطئ آسيا الغربية قبل المسيح
بأحد عشر أو اثني عشر قرناً ، وماذا كانت الحوادث السياسية الرئيسية
التي اعتوت تلك الاضطعاغ مدة قرنين اثنين من عهد اكستينوفان الى
ميليسوس ، ومن طاليس الى حرب بيلوبونيز . وسنرى أن فلاسفتنا
أخذوا بقسط وافز من هذه الحوادث بل صرقوها فى بعض الأحيان مع
أنهم فى الغالب كانوا لحرها صالين .

وانى راجع فى كل ما أقدم من القول الى هيودوت وطوكوديدس
واكستينوفون وما حقر على رخام باروص ثم رخام آروثديل (١) .

كانت المستعمرات الاغريقية على شواطئ آسيا الصغرى مقسمة الى

(١) من بين المؤرخين الحديثين استند على الخصوص فى تاريخ افريقيا الى ج جروت الذى
هو اتم واحسن ما أعرف .

ثلاثة أجناس متميزة تؤلف اتحادات منفصلة : الايوليون فى الشمال ،
واليونان فى الوسط ، والدوريون فى الجنوب . يقطن هؤلاء
أوطانا متقاربة المساحة . فاما الايوليون الذين هم أول من هاجر من
الوطن الاصلى المشترك فإنهم حطوا رحالهم واستوطنوا آسيا بعد فتح
طروادة بقرن تقريبا اذا طردوا من بيلوبونيز عند اغارة اهيرقليديين . واما
اليونان فقد جاؤا بعدهم بأربعين سنة تقريبا . وأما الدوريون فكانوا
آخر المهاجرين .

كان الايوليون الذين هم أقل الشعوب الثلاثة شهرة وأضعفها
امتيازاً يقطنون اثنتى عشرة مدينة (١) وهى كومة فريكيون ،
ولاريسافريكيون ، وليونتيكوس ، وطموس ، وكيليا ، ونوسيون ،
وايفيروسا ، وبيطانى ، وايغاي ، ومورينا ، وغروناى وأزمير . ولكن
هذه المدينة الاخيرة قد نزعت من أيديهم وأضيفت الى الاتحاد اليونانى
بفضل الذين نفروا من كولوفون والتجئوا الى أزمير واستولوا عليها فى غفلة
من أهاها . وقد ضاع من أيدي الايولين أيضا بعض المدن الاخرى التى
أسسوها على جبال ايذا . وكان لهم خارج القارة خمس مدائن بجزيرة
لسبوس ، وواحدة بجزيرة طنلوس ، وأخرى فى مجموع الجزر الصغيرة
التي كان يطلق عليها اسم مائة الجزيرة منذ زمان هيرودوت . ولم يكن
للمدائن الايولية من الاسم الا الحمول . وكانت أرض أيولس أحسن من
أرض يونيا ولكن جوها كان أقسى من جو الاخرى خصوصا فى سرعة
التقلب .

وأما اليونان فكان لهم اثنتا عشرة مدينة كلها على التقريب مشهورة .
وهى : ماطية وميوس وبرينه فى قاريا ، وايفيزوس وكولوفون وليبيدوس
وطيوس وكلازومين . وفوكاية فى ليديا وايروطراى على اللسان الذى يكونه
جبل ميماس . وكان لهم جزيرتان : سموس فى الجنوب ، وشيوز فى
الشمال . ومن الغريب أن اليونان كان لهم أربع لهجات متباينة جـد
التباين : لهجة سموس وكانت لا تشابه واحدة من الثلاث الاخرى ، وملطية
وميوس وبرينه كان لها ثلاثتها لهجة واحدة . وللمدن الست الاخرى
لهجتها ، وكان أهل شيوز وايروطراى يتكلمون بلسان واحد .

أما الدوريون الذين جاؤا بعد الآخرين فكان قرارهم فى الجزء
الجنوبى ، وليس مدق الديوريون لهم الا ست مدن نزل عندهم الى خمس

(١) اتبع فى ذكر هذه المدن الترتيب الذى وضعه هيرودوت . ولكن أخذنا من الجنوب
الى الشمال يجب أن ترتب هكذا : طمنوس ، نيونتيكوس ، لاريسا ، كومة ، ايغاي موزينا
غروناى ، بيطانى ، كيليا . ولا يعرف مكان الاخيرتين .

بعد قليل ، وهى : لندوس ، وباليوسوس ، وكلميروس فى جزيرة رودس ، وقوص ، وكينيس ، وهاليكارناس . على ان هذه المدينة الاخيرة قد عزلت عن الاتحاد الدورى عقابا لها على أن أحد أهلها كان اتهم بانتهاك بعض الحرمات المقدسة .

كل واحد من هذه الاتحادات الصغيرة كان له معبد جامع مشترك يجتمعون فيه : فللدوريين معبد طريويون ، ولليونان معبد نيتون هليكونى على رأس موكالى فى مواجهة سموس تقريبا ، وفى هذا المعبد كان يجتمع مجلس الاتحاد اليونانى المسمى بأنيونيون والذى كان يرأسه دائما شاب من شبان بريئة . ولا يعرف بالضبط معبد الايولينى . كانت هذه المعابد لاقامة الاعياد الدينية عادة ، غير أنهم فى الظروف الخطيرة كانوا يتداولون فيها فى أمر اخطار الحلف وفيما يمس منافعهم الكبرى .

لم تك هذه المستعمرات لتشتغل جغرافيا الا مساحة ضيقة . فلو أن شهرة المدائن والممالك كانت تقاس بمقدار امتدادها ظلت هذه المستعمرات مجهولة فى التاريخ ، فان مساحة المستعمرات الايولية واليونانية والدورية لا يكاد يتجاوز مجموعها ٧٠ فرسخا فى الطول على ١٥ أو ٢٠ فرسخا فى العرض ، أى أقل من ثلاث درجات فى خطوط الطول وأقل من درجة فى خطوط العرض . ومساحة لسبوس خمسة عشر طولا على خمسة عرضا . وسموس لا يبلغ محيطها ٣٠ فرسخا . وشيوز أكبر منها قليلا .

ومن الطبيعى أن اهتم بأمر اليونان أكثر من الآخرين ، فانهم كانوا أكثر نشاطا وحذا فى الملاحة والتجارة والسياسة والفنون والعلوم والآداب . ومن الامم كثيرة العدد من كان أثرهم أقل ألف مرة من أثر اليونان .

لما ترك اليونان أشاية الواقعة شمال بيلوبونيز على خليج كرسا كان لهم فيها اثنتا عشرة مقاطعة أو مدينة . واستصحابا لتذكار وطنهم الاول لم يشاءوا أن يؤسسوا فى آسيا من المستعمرات عددا أكثر مما كان لهم فى افريقيا . ولما طردهم البوريون الذين أغاروا على بيلوبونيز من الشمال اجتازوا برزخ كورنتة واحتموا الى أجل ما على الأقل فى أطيقا ، وهى الملجأ العادى لجميع المنفيين كما نبه اليه طوكوديس فى مقدمة تاريخه . وعما قليل ضاقت أطيقا القليلة الحصب ذرعا بأهلها واضطر نازحو أشاية الى البحث عن ملجأ آخر . وصادف وقتئذ أن قدروس مات ميتة الابطال دفاعا عن وطنه ، ولما ألغى نظام الماوكية لم يتيسر لابنائها أن يقيموا فى بلد انقطع فيه رجاؤهم من ميراث أبيهم ، فرأسوا المهاجرين فى هجرتهم . فاما نيلاوس فولى وجهه شطر ملطية ، واما اندركلوس فأتجه

الى ايفيزوس . ولو صدقنا رخام باروص لقلنا ان نيلوس هو الذى اسس
المساكن الاثنتى عشرة اليونانية واسس رابطة اتحاد تحت ظل الدين هي
البانيونيون الذى لم يكن بعد من القوة على ما كان يرجو مؤسسه .

يظهر ان المهاجرين الذين اقتفوا آثار ابني قدروس كانوا خليطا
ولم يكونوا من صميم اليونان كما يمكن ان يظن . فان الذين اتوا من
اشاية الى اطيقا اختلطوا فيها بأجناس مختلفة مختلطة جد الاختلاط ليس
بينهم وبين اليونان جامعة مشتركة بل لا يشابه بعضهم بعضا ، انما كانوا
ابانطسة من اوبويا ، ومنجيين من ارخومونس ، وقلميين ودريوبيين
وفوكيين ومولوس وارقديين وبلاسجة ودورين من ابيدورس وطائفة من
أجناس آخر . وكان كل هؤلاء الرجل يعامل بعضهم بعضا على حد
المساواة ، ومع ذلك كان اليونان الذين هم من نسل شيوخ آتينا يعتبرون
أشرف هذا الخليط وان كان ذلك لم يستتبع أية مزية عملية . وان تلقيهم
بلقب « اليونان » كان فى ذلك الحين وفيما بعده أيضا قليل الرفعة ،
فكان الاتينيون يخجلون منه . وكان اللطيون فى أوج قوتهم يحبون
أن يفصلوا من بقية هذا الاتحاد الذى كان دائما قليل الاحترام . واما
اليونان فكانوا من جهتهم أيضا يفطرون بأصلهم وقيمون مثابرين
الابتوريا الاتينية ، تلك الاعياد الخاصة بالعائلة وبرابطة الأخوة الشعبية
التي كانت موجودة فى آتينا ، ما عدا أهل كولوفون وايفيزوس فانهم
حرموها على اثر قتل حرام ارتكبهوه .

لم تكن الهجرة هينة ولو أنه كان يرأسها أبناء ملك . فلم يحمل
المهاجرون الى ملطية معهم نساءهم واتخذوا زوجات بالاكراه ، بل عملوا
الى القاريين فذبخوا منهم الآباء والبعول والاولاد ، واستحيوا النساء
واتخفوهن زوجات لهم ، ولكنهن انتقمن لانفسهن فأقسمن الايمان على ألا
يطعن مع غاصبيهن طعاما ولا يدعونهم أزواجا حتى لا يذقنهم حلاوة هذا
الدعاء ، واستنتت بناتهن هذه السنة مع أزواجهن عدة أجيال .

والواقع ان البلد الذى احتله المهاجرون كان محتلا قبلهم زمانا
طويلا . فقد كان فيه ، غير أهليه ، خليط من البلاسجة والتوكرين
والموصيين وايبثونيين فى الشمال ، ومن الفريجيين والليديين والمايونيين
فى الوسط ، ومن القاريين واللينج ... الخ فى الجنوب . وكان هؤلاء
قبائل منقسمين على أنفسهم أكثر مما هو الشأن فى الاغريق ، ولو انهم
كانوا يقربون القرايين بالاشتراك ، مثال ذلك قرايينهم الى « مولا سا » فى
معبد « المشتري » القارى . فى أوائل الامر لم تكن الممالك التي كملكها
ليديا قد اتخذت نظمها بعد . ولو ان الليديين لما زحزحوا بعد ذلك الى
الوسط نشروا سيادتهم بادى الامر على تلك الجهات الى الشواطىء ،

وبعثوا منهم طوائف المستعمرين الى افريقيا الكبرى والى امبريا وعلى شواطئ البحر الترهيني . وأما الموصيون الذين كانوا الى شمال ليديا وغربها فكانوا انزع هذه الامم الى الحرب . والفريجيون الذين هم أكثر توغلا في الجهة الشمالية من هؤلاء كانوا يثرون من تربية القطعان ، يبيعون من أصوافها وأجبانها ولحومها المملحة بأثمان غالية جدا في أسواق منطية . وكان النليديون مشتغلين على الاختص بصناعة المعادن ، لان نصف ارضهم بركانية تخرج الذهب والفضة والحديد والنحاس . الخ . وكانت أخلاق الفريجين والليديين أخلاق تهيب وحياء ، ومن بلادهم يأتي أكثر العبيد .

ومع أن اليونان جاءوا الى آسيا بالبحر فلم تكن تظهر عليهم المهارة في فن الملاحة . وعلى قول طوكوديدس لم يكن تفوق البحرية اليونانية حقيقة الا تحت حكم قيروش وابنه قمبيز ، ومع ذلك فقد كان شأنهم أن أقبّلوا بجد على أن يتلقوا دروسا عن الكورنتيين الذين كانوا وقتئذ أعلم الناس بانشاء العمارات البحرية وانتفعوا بتلك الدروس . على انهم قد ألجأتهم الحاجة منذ بداية أزمانهم الى التزام الشواطئ في ملاحظتهم . كانت هذه المدائن التي تستجلب كل شيء من داخلية البلاد لا تستطيع أن تحصل على الثراء الا بتجارة كبرى في المصادرات والواردات . فكانت كبنوك ومراكز معاوضات بين الأهالي والبلاد التي كان يأتي منها الأجانب . فلم يمض على هذه المدائن زمان حتى ظهرت ثروتها على صورة رائعة . ولما ازدحمت بالسكان وفاضت بالثراء استطاعت أن تنشئ أساطيل قوية ، وعمرت كل شواطئ البحر الابيض المتوسط شمال افريقية حيث كان لصور وسيدون من قبل منشآت في افريقيا الكبرى وصقلية وفي بلاد الغالة وفي اسبانيا أمام عهد هيرقليس وفيما وراءها ، وعلى الاختص في القسم الشمالي لبحر أيفساي وفي هليسبنتس ، والبروبونتيد ، بل في البحر الاسود الذي كان يسمى وقتئذ «الجسر» ، حتى لقد قيل ان ملطية وحدها كان لها خمس وسبعون أو ثمانون مستعمرة .

هذا النماء الاول للمستعمرات الافريقية بآسيا الصغرى ، وعلى الخصوص المستعمرات اليونانية ، غير معروف الا قليلا مع أنه استمر على الأقل ثلاثة قرون أو أربعة ، فان التاريخ لم يبتدئ حقا الا حين دخلت المدائن الهلينية الحرب مع المملكة الليدية أي حوالي القرن الثامن قبل الميلاد ، اعني من عهد حكم المرمادة .

روى هيرودوت على طوله تاريخ جوجيس الذي ارتقى عرش ليديا بقتله قنولس ملكها . وهذه الحكاية ليس عليها الا مسحة الصديق وان كانت ليست مطابقة لرواية أفلاطون التي هي باليسادة أسطورة . فان

غضب الملكة زوجة قندولس وغدر جوجيس عشيقها ليس فيه شيء من المستحيات . وأما حكاية الخاتم فليست الا اسطورة عامية وجدت بعد ذلك بكثير على صورة أخرى في ألف ليلة وليلة . ولقد حدث أرخيلوخس وهو معاصر لقندولس وجوجيس عن ذلك العسكرى الذى صار ملكا وعن اقدامه وظفره فى احدى القطع الشعرية التى كان لا يزال يقرؤها هيرودوت (١) . وقد انتهت بموت قندولس العائلة الليدية الأولى التى تدعى أنها سلالة هيرقليس ، والتى دام ملكها خمسمائة وخمسة أعوام مدة اثنين وعشرين جيلا من عهد نصف الاله الذى وصلها بنسبة كبرياؤها . وكان جوجيس هو أول الدولة الثانية دولة المرمادة .

افتتح جوجيس فى أول القرن السابع قبل الميلاد عهدا جديدا ، اذ أخذ يغير على المدائن الاغريقية ملطية وأزمير وكولوفون . وربما كان الحامل له على ذلك أنه أراد أن يبرر اغتصابه للملك ومطاعوة لبعض الضرورات السياسية ، فى حين أن ليديا كانت وقتئذ بينها وبين الاغريق ، خصوصا اغريق القارة ، علاقات أقرب ما تكون الى السلام .

وقد كان جوجيس ، كسائر الاغريق فى آسيا وفى غيرها ، يعتقد وحى دلفوس ويخضع له . ولما كان محاطا بالكايد من كل ناحية منذ تبوئه العرش ، وخائفا من سخط اللبيين الذين كانوا شديدى التعلق بالملك الذى ذبحه ، أراد أن يدخل الاله فى قضيته ، فاستشاره وقدم اليه الهدايا الغالية . وقد أقر الاله هذا الغاصب القاتل على عمله . ولكن بوثيا كاهنة دلفوس كانت قد أنبأت بأن عائلة هيرقليس سوف ينتقم لها من شخص الولد الخامس من ذرية جوجيس . وكان هذا الخليفة الخامس هو كريزوس السوء البخت المشهور بمصائبه أكثر من شهرته بكنوزه التى تضرب بها الامثال . ولكن لم يك جوجيس فى أوج ملكه ولا اللبيون فى سخطهم ليعبثوا بانذار الكاهنة ، وملك ذلك العسكرى الزانى القاتل ثمانية وثلاثين عاما آمنا مطمئنا ما عدا حروبه مع مدن الشاطئ . والظاهر أن ملطية وأزمير وكولوفون سلمت له وخضعت لسلطانه .

وقد حكم اردوس خلف جوجيس أكثر منه أيضا أى مدة تسعة وأربعين عاما . فاستولى على بريئة وهاجم ملطية بلا جدوى لانها استطاعت رد هجماته . وخلفه ابنه سندواتيس ، فلم يمكث على العرش الا اثنى عشر عاما ومات ، وكانت سنوه الست الاخيرة كلها مشغولة بمحاربة ملطية كما كان يفعل أبوه . ولكن هذه المدينة التى لم يكن يستطيع أن يأتيها من

(١) د . هيرودوت ك ١ ب ١٢ ، وافلاطون ، الجمهورية ك ٢ ب ٦٩ ترجمة فكتور كوزان

البحر نجحت في الدفاع عن نفسها ، على رغم أنه عدوها كان يهجم حركتها كل سنة وكان دائما على قسم الاستعداد ليكرر هجماته المخربة . وفي كل مرة حاول الملطيون الحرب في العراء كانت هزيمتهم أمرا مقضيا . وقد مزقهم العدو كل ممزق مرتين على أرضهم في ليمنيون وفي سهول مياتندروس حيث صادف منهم غفلة وسوء احتياط .

وقد واصل أليات بن سدواتيس محاربة مدينة ملطية خمس سنين ، وكان يظن وقوعها في يديه بالقحط وشيكا لولا أنه استشار وحى دلفوس ، كما كان يفعل أجداده ، فجنح لعقد الصلح معها . وساعد على ذلك مهارة طراسوبولس طاغية ملطية وقتئذ . إذ أنبأه جليلة الامر صديقه يرياندروس بن كويسيلوس طاغية كورنتا ، فأخفى عن سفير ليديا حقيقة الحال السيئة التي وقعت فيها المدينة من جراء الحصار ، وأوهمه أن في باطن أسوارها من الارزاق والذخائر ما لم يجتمع لها مثله من قبل . وبذلك انخدع أليات بما أخبره به سفيره المخلوع وأمضى عهد ملطية في حين أنه لم يكن بينه وبين الاستيلاء عليها الا القليل . وقد استمر هذا السلام الذي يرجع الفضل فيه الى الوحي ودهاء طراسوبولس زمانا طويلا . ومات أليات بعد أن حكم سبعة وخمسين عاما حكما مملوا بالاضطراب . وفى هذا الزمن لم يقطع صلته الحسنة بكاهنة دلفوس . وقد اعتراه مرض طالت مدته ، فلما برىء باستشارة الوحي قسم الى اله دلفوس كاسا جميلة من الفضة قاعدتها من الحديد فنية الصنع صاغها جلوكوس الشيزوى . اخترع ذلك النمط الحديث الذى بالغ الناس فى الإعجاب به .

لم تكن حرب ملطية هي الوحيدة التى أجج نارها أليات ، بل استولى على أزمير مستعمرة كولوفون ، وهاجم مدينة كلازومين الواقعة على مسافة قليلة الى الغرب فى الخليج بعينه ، ولكن كلازومين ردتة عنها وحملتة خسائر عظيمة . غير أن أليات ألهم التوفيق وخدم آسيا كلها خلسة حقيقية بأن حول قواه الى محاربة القميريين الذين استولوا فى عهد جده اردوس على تلك الولايات الآمنة المخصبة . فانهم لما طردهم السيتيون الرحل من مواطنهم اضطروا الى النزوح جهة الجنوب ونفذوا من قوقازيا وولوا وجوههم جهة الغرب وجازوا هالوس وتقدموا الى قلب آسيا الصغرى ، وكانوا قد دخلوا سرديس عاصمة ليديا على حين غفلة من أهلها وأحرقوها إلا القلعة القائمة على صخرة شاهقة يجرى من تحتها نهر يكتول فهو وحدها التى استعصت عليهم ، ثم ردوا عن المدينة بعد ذلك ولكنهم ظلوا يهددون الامن : يخيفون السابلة وينهبون الاماكن المجاورة ، حتى طردهم أليات من آسيا الصغرى ودحروهم الى الشرق وقذف بهم بين

الاجناس السامية التي كانت حدود اوطانها تنتهي الى هالوس * ومن يومئذ يظهر أن علاقته بهم صارت من السهولة والعطف بمكان .

لكن هذه العلاقات التي كانت بين ليديا وبين السيتيين هي التي جرت على آسيا الصغرى جيوش الميديين ثم جيوش الفرس الذين هم أشد بأسا . فان فصيلة من السيتيين لما طردوا من اقليمهم القامى المناخ هبطوا الى أرض ميديا فى الشمال الغربى من نهر الفرات ، فأحسن كواكراريس ملك الميديين وفادتهم ، ولم تقتصر حفاوته بهم على أن ممكن لهم فى وطنه ، بل دفع اليهم صبيانا من الميديين ليعلموهم لغتهم وليتعلموا فى مدرستهم فن الرماية . ولكن بعض هؤلاء المتوحشين المقربين من ملك ميديا غاظهم منه شدة فى قول وجهه اليهم ، فشتفوا غليل صدورهم من هذه الاهانة بأن قتلوا الصبيان الذين هم فى رعايتهم واحتموا بمعية اليات ليتقوا شر العقاب الذى كانوا يتوقعون . فطلب كواكراريس تسليم الجناة وأبى ملك ليديا تسليمهم . ومن ذلك قامت بين الليديين والميديين حرب لم تحب نارها خمس سنين أو أكثر . وهذا السبب كان تافها جدا ، بل يظهر أن الخلاف قام على سبب آخر ، لان الملكتين متجاورتان ، والاحتكاك بين أمم ما زالت متوحشة مثار خلاف لا يتقى .

هنا استوقف النظر لحادثة فى غاية الخطر من حيث تاريخ تلك الامم ومن حيث تاريخ علم الفلك ومن حيث تاريخ الفلسفة جميعا : كانت تلك الحرب فى سنتها السادسة والتقى الجمعان وجنودهم على أشد ما يكون التحام بين المحاربين ، واذا بالشمس قد كسفت فغشيم ليل مظلم اضطهرهم الى وقف القتال . ليس فى هذه الحادثة ما يبعد احتمال وقوعها ، وليس من الغريب أن تأخذ ظاهرة من هذا النوع بالعقول مأخذا عميقا . غير أن هيرودوت الذى حفظ لنا ذكرها زاد على حكايتها أن طاليس الملطى كان قد تنبأ بهذا الكسوف الشمسى ونبا اليونان به وبالسنة التى يقع فيها (١) .

لا شبهة لدى فى رواية المؤرخ تلك التى قد أفسحت من البحث محلا لنظريات كثيرة على غاية الخطورة . فقد بحث العلماء أخيرا فى حساب هذا الكسوف بالآلات الفلكية التى بين أيدينا الآن والتي تكاد تكون معصومة من الخطأ رجاء تعيين تاريخ صحيح ثابت بين تلك الروايات المختلطة المشكوك فيها ، ولكن لم يمكن الإجماع على أمر علمى محض ولا الاهتداء الى الغرض المطلوب . فان الأب يبتو قد حسب أن هذه الكسوف ينبغى أن

يكون قد وقع في السنة الرابعة من الاولمبياد الخامسة والاربعين ، يعني السنة ٥٩٢ قبل الميلاد . وأما شأن مارتان الذي هو آخر من عني بهذه المسألة فانه وجد أن كسوفاً كلياً يرى في هالوس حيث ملتقى الجيشين لا يمكن أن يكون الا في ٣٠ سبتمبر سنة ٦١٠ ق م « ر » مذكرات مجمع الرسوم الخطية والفنون الجميلة - السلسلة الجديدة - الجزء ١٢ ، وإذا يكون الفرق بين التقديرين ثمانية عشر عاماً . ويمكنني أن أسرد آراء آخرين من المؤلفين الحديثين ليسوا أقل اختلافاً من السابقين . أما بلاين عند القدماء فانه عين هذا الكسوف بغاية الضبط في السنة الرابعة من الاولمبياد الثامنة والاربعين وفي السنة ١٧٠ من تأسيس روما (١) . وهذا التوافق المشكوك في ضبطه بين التاريخين يجعل ذلك الكسوف في سنة ٥٨٠ تقريباً . ولست أريد الدخول في هذه التفاصيل لاني لا أتطلع الى امكان الفصل فيها واستجلاء غوامضها ، بل أقف عند حد الترجاء في أن علم الفلك يستطيع أن يضع رأياً قاطعاً في هذه المسألة التاريخية .

أما المسألة الأخرى التي أثارت هذه الحادثة ثائرتها فهي : أيكون من الممكن أن طاليس حسب حقيقة هذا الكسوف وتنبأ به كما سمع بذلك هيرودوت ؟ شك المؤرخون الحديثون في ذلك . وفي هذه الايام أنكر ج . جروت (٢) أن العلم كان وقتئذ من التقدم بحيث يسمح بنبوءات مثل هذه وحسابات علمية الى هذا الحد . لا أبغي أن أعارض هذا المؤرخ وهو حجة ، ولكنني أنبه الى انه يؤخذ من رواية هيرودوت عينها ، صداقة كانت أو كاذبة ، انه في زمانه أي بعد طاليس بقرن تقريباً كان الناس يعتقدون امكان حساب الكسوف . هذا وحده يكفي في اثبات أن العلم كان متقدماً الى قدر الكفاية فان مثل هذا الفرض يشهد بتقدم هو غاية في الجدل لانه لايجل أن يقبل العامي امكان حساب الكسوف ويصلقه ويتحدث به لابد من أن يكون العلماء قد وفوا الموضوع بحثاً . ومما لا جدال فيه أيضاً ان شهرة طاليس بين تلك الشعوب كانت من الرفعة بحيث انهم نسبوا اليه من غير تردد هذه المعجزة العلمية . ولقد قرر بلاين أن هيبارخس الرودسي أمكنه أن يضع فهرساً لكسوف الشمس وخسوف القمر مدة ستمائة عام . وفي زمن هذا الكاتب الروماني لم تكن الحسابات الفلكية لتخطئ مرة واحدة . حتى قيل : « ان هيبارخس كان يحضر مداولات الطبيعة » . وكان هيبارخس بعد طاليس بأربعمائة عام تقريباً . وربما كانت المسافة بين علم أحدهما وعلم الآخر متناسبة مع المسافة الزمنية بينهما ، لانه ليس في يوم واحد

(١) بلاين . التاريخ الطبيعي ك ٢ ب ٩ ص ١٠٦ طبعة وترجمة ليتري .

(٢) ر م م . ج جروت . تاريخ اليونان ج ٣ ص ٣١١ .

يمكن الوصول الى نتائج علمية مضبوطة الى هذا المقدار . فلست أرى من المستحيل فى شيء أن طاليس فى عهد أليسات قد فتح باب علم بلغ به هيبارخس هذه الغاية البعيدة سنة ١٥٠ قبل الميلاد .

أعود الى ما كنا فيه :

بعد قليل عقد انصنح بين الليديين والميديين بوساطة سونيزيس ملك كيليكيا ، ولاينيوس ملك بابل . وزف أليات ابنته زوجة الى اصطياع بن كواكراريس ، وأقسم الطرفان على احترام المعاهدة . واتباعا لعرف هذه الشعوب قد فصد سفراء الصلح من الجانبين أذرعهم ومض كل فريق من دم التفريق الآخر . ولكن هذه المحالفة التى عقدت على أكمل ما يمكن من الاخلاص كانت طائر نحس على ليديا ، اذ جرتها الى حرب جديدة انكسرت فيها وفقدت وجودها .

ذلك انه لما مات الملك أليات خلفه ابنه كريزوس الذى قدر عليه أن يكون آخر ملك لجنسه وحقت بذلك نبوءة هاتف دلفوس . وكان كريزوس هذا الذى صار اسمه مرادفا للفقنى أميرا من خير الامراء المتأزين . ومع أنه كان شديد الاعجاب بكنوزه الوراثية التى جمعها أجداده انهيرقليون والميرمناديون لم يكن رجلا مترفا ولا ضعيفا كما ييبد للذهن عادة ، فما كاد يلى الملك حتى فكّن فى أن يتم عمل أسلافه ويخضع نهائيا جميع المدائن الاغريقية على الشاطيء ، فتجنى عليها بعلل مختلفة حقا أو باطلا بادئا فتحة بايفيزوس ، وعما قريب أخضع الى سلطانه كل المستعمرات اذ قهر يونيا وأيولس جميعا ، ولكن كريزوس أحس أنه لم يصنع شيئا مادامت الجزر خارجة عن قبضة يده ، فجهز أسطولا ليجاوز عليه بجيشه البحر ، ثم عدل عن هذه الغزوة التى هى قليلة الجدوى عند أمة كالليديين بنصيحة بياس البريينى ، وفى رواية أخرى بنصيحة بطاقس الميتيلينى اذ جاء الحكيم الى سرديس فسأله الملك عن ماجريات الحال فى الجزائر ، فأجاب بياس : « ان أهل الجزائر يتأهبون لمهاجمة مرديس فى عشرة آلاف فارس » فأجاب كريزوس : لتشأ السماء أن يركبوا هذا الشطط . فقال الحكيم : « أيها الملك لك الحق أن ترغب فى أن أهل الجزر يرتكبون خطأ كهذا ، ولكن ماظنك بما سيقولون من جانبهم عندما تأتيم الانباء أنك تفكر فى غزوهم من طريق البحر ؟ » . ففهم كريزوس الدرس على مرارته ، وقنع بأن عقد عهد محالفة ومودة بينه وبين يونان الجزر .

لما ارتاح كريزوس وأطمأن من هذه الجهة بحث فى بسط سلطانه الى جهة الشرق وفى آسيا الصغرى ، وعما قليل وضع يده على جميع الشعوب النازلة الى هنا من نهر هالوس دون ما وراءه ، وهم القريجيون والميزيون

والمارياندينيون والخالوبس والبلاغونيون وتراقيونينيا وبيثينيا والقاريون
 وابمفيليون حتى الدوريون وايونان والايوليون . ولم يفلت من قبضته
 الاكيليكيا وليكيا في الجنوب . وكان نهر هالوس هو أحد الثلاثة أو الأربعة الأنهر
 التي تحدد هذه البقاع المسماة آسيا الصغرى وترويا ، فهو ينبع من جبال
 ازمينية ويسير من الشرق الى الجنوب الغربي وينفرج على نحو زاوية قائمة ليتجه
 من الجنوب الى الشمال فيصب في البحر الاسود شرقي سينوب وطنديوجين
 وبعد نهر هالوس ثلاثة أنهر آخر عظيمة النفع لتلك الجهات تتقاسم بينها شبه
 الجزيرة ، جارية كلها الى الغرب وصابة في البحر الابيض المتوسط يوازي
 بعضها بعضا تقريبا ، وهي المياندريس الذي يصب في خليج ملطية ،
 والقاصتريس في خليج ايفيزوس ، والهرموز في خليج أزمير الى الشمال
 الغربي قليلا . وكان لكريزوس أن يفخر بأنه تفرد بالملك في آسيا الصغرى
 وانه وصل بالملكة الليدية الى حد من رفاهة العيش وقوة البأس لم يكن
 لها مثله من قبل . ولكن ذلك هو في الواقع كان السبب في خرابها .

في هذه الاثناء حصلت تغيرات وانقلابات عظيمة في الشرق وفي البلاد
 المجاورة للمملكة الليدية المترامية الاطراف . فان قيروش خرب مملكة
 اصطياغ صهر كريزوس ، وقهر ملوك آشور ، وعاهد ملك هرقانيا ،
 وفكر في مهاجمة ليديا التي كان يظهر عليها انها كانت متحدة مع أعدائه .
 وبعد أن بسط سلطانه على جميع البلاد شرقي نهر هالوس لم يكن هناك
 محل للتأخر عن عبور ذلك النهر ، كذلك لم يكن لقوة الفرس الهائلة مدفع
 عن أن تمتد الى البحر وان تفتح شبه الجزيرة وكل ماتحويه من الشعوب سواء
 في ذلك البرابرة والاغريق . ولقد أدرك كريزوس للحين خطر الموقف الذي
 يتهدهده ، فلما علم بهزيمة اصطياغ استكمل عديته للحرب بقدر ما يستطيع .

فما كاد يتعزى عن موت ابنه الذي قتل في حادثة في الصيد، حتى عزم
 على أن يقف تقدم الفرس بأن يحالف اغريق الشواطئ وجميع اغريق
 بيلوبونيز والغرب . ولهذه الغاية أرسل باديء الامر يستشير الوحي
 ليحصل على تأييد الآلهة والاعتقاد العام . وذبحت وفوده فعلا الى دلفرس
 ودودون ، والى أباس في فوكيد ، والى غار طروفو نيوس ومعبد انفياروس
 ومعبد البرنشيد على مقربة من ملطية ، بل الى معبد المشتري آمون نفسه .
 وكان كريزوس يريد أن يضع لهم باديء الامر اسئلة يختبر بها صدقهم ثم
 يستفتيهم بعد ذلك بصورة منظمة في المسألة الكبرى مسألة الحرب مع
 الفرس التي كانت تقلق باله . فوجد أن هاتفي دلفوس وانفياروس أكثر
 اخلاصا ، فحمل اليهما الهدايا الباهرة التي يمكن قراءة وصفها التفصيلي
 في هيرودوت الذي رأى بعض هذه النفائس الغالية في المحارب . وعندما

سقدم ملك ليديا تلك الهدايا الثمينة استثنار الهاتفين في أمر الحرب فكان جوابهما مبهما كله تورية ، اذ قال : « اذا اشتبك كرىزوس في الحرب مع الفرس خربت مملكة عظمى » . . . أيهما ؟ أدولة الفرس أم دولة ليديا ؟ لم يقل الالهيان بالتعيين ولكنهما نصحا لكرىزوس أنه خير وسيلة أنه يتخذ حلفاء ونصراء من أقوى الشعوب الاغريقية . فعاد كرىزوس هاتف دلفوس في هذه النقطة فعين له الهاتف اللقدماتيين من الجنس السورى والاتيينيين من الجنس اليوناني ، يعنى الهيلينيين والبلاسجة ، فأوفد سفراءه الى الاجزاء المختلفة لبلاد الاغريق يخطب ودهم فلم يجب دعاه الا اللقدماتيون الذين هم مائلون اليه لحسم أداها لهم قبل ذلك . أما بقية الاغريق ، وعلى الخصوص الاثينيين ، فلم يدركوا حقيقة الخطر المقبل ولم يجيبوا داعى ملك ليديا واستنجد كرىزوس ، على ما يقول سيروبيديا ، حتى بأهل مصر . ولكن من المشكوك فيه ان مصر وجهت لمساعدته مائة وعشرين الف مقاتل كما يروى الرجل الطبيب اكسينوفونا .

ولقد أول كرىزوس جواب الهاتف لمصلحته خطأ وأغار على كابادوس من أرض ميديا التي افتتحها قيروش قبل ذلك بقليل ، وكان من الضرورى له أن يعبر نهر الهالوس وهو في هذا المحل واسع المجرى ، ووقع بذلك في صعوبة كبرى لم يتغلب عليها الا بحق طاليس الذى كان قد تبسح الجيش الليدى في عدد غير قليل من مواطنيه ، فانه اصطنع جسرا عريضا فحصل النهر الى عدة فروع سهل اجتيازها . تلك هي الرواية التي وصلت الى هيروdot في حادثة عهدها . ولكن هيروdot يظهر عليه أنه يعتقد أن الجيش عبر النهر بالبساطة على قناطر لم تنشأ في رواية العامة الا بعده هذه الواقعة بزمان . ولما عبر كرىزوس النهر استولى على المنطقة التي كانت تسمى بطيريا وخربها .

سارع قيروش الى لقاء الغائرين بجميع جيوشه ومن انضم اليهم من أهل البلاد ، ولكن قبل أن ينازل الليديين أرسل الى اليونان يستميلهم الى التخلي عن جيش كرىزوس ، ولكن اليونان بقوا على عهدهم مع كرىزوس لاعتقادهم أن خيانة مخجلة لا تأتى الا بالعار المجرد من كل منفعة ، لان الاغريق لا يستطيعون ان يقفوا وحدهم في وجه الفرس اذا سقطت ليديا في يدهم كما كانوا يتوقعون . وان هزيمة عامة لكل اجناس الاغريق خير من العار كما داموا مصرين على ألا يسلموا بلادهم الى الفرس لأول وهلة . ولما التقى الجمعان في سهول بطيريا شرقي هالوس جرت بينهم حرب طاحنة استمرت ثارها طول اليوم الى المساء لم يظهر فيها نصر نهائى لاحد الفريقين على الآخر .

ولكن اضرارها كانت على كيريزوس اكبر ، لان جيشه مع بسالة قواده كان قليل العدد جدا بالنسبة الى الجيش الآخر . ولما رأى قيروش ما مى جيشه من القرح لم يشأ ان يبدأ بالقتال فى اليوم التالى ، فانتبهز كيريزوس تلك الفرصة للتقهقر الى سرديس وعزم على ان يبلغ من الدفاع عنها غاية .

ثم استنجد حلفاءه وأما زيس ملك مصر ولاينطوس ملك بابل واستنفر لقنمونيا لنصرته ، واعتمد على انه متى اجتمعت له هذه القوى كلها يجدد الكرة على جيوش قيروش فى الربيع القادم ، وجعل ميعاد حلفائه ونصرائه على تمام خمسة أشهر من يوم الدعوة فى عاصمة ملكه . ولقد أصاب كيريزوس الحكمة فى هذه التدابير ، ولكنه ارتكب خطأ جماً فى صرف جنوده ظناً منه أن قيروش لا يستطيع ان يطلق على سرديس بجنده الذى نال منه القرح ما نال . وقد خاب ظنه لان قيروش احتفظ بجنوده وسار بهم بعد أن أخذوا قسماً من الراحة الى ليديا ، فلم يلبث أن نزل السهل الفسيح القائمة فيه مدينة سرديس .

أما كيريزوس وإن كان قد أخذ على غرة فإنه لم تنحل عزيمته بل اعتمد على ما هو مشهور عن أهل ليديا من الاقدام خصوصاً كتاب فرسانهم ، فأنهم كانوا مقطوعى النظر لمهارتهم فى سوس الخيل وفى حسن استعمالهم الرماح الطوال التى كانوا يعتقلونها . ولكن قيروش من جهة قد فكر فى تقليل قيمة تفوق فرسان العدو ، فسير فى مقدمة جيشه جماله كلها التى لم تعتمد خيل ليديا رؤيتها ولا رائحتها فجعلت وصعبت رياضتها ، فترجل الليديون وأبلوا على الرغم من ذلك بلاء حسناً . لكنهم بعد التحام هائل انهزموا فلم يجولوا لهم موثلاً الا أسواراً مدينتهم .

لما رأى كيريزوس انه محصور بجنود منصوره عجل الى حلفائه وعلى الاخص اللقنمونيين ، لكن هؤلاء بعد أن تاهبوا لنصرته حسب نص المعاهدة جاءهم نبأ سقوط سرديس عنوة فى يد قيروش بعد حصار دام أربعة عشر يوماً ووقوع كيريزوس فى الأسر . لما وقع ملك ليديا التعس فى أيدي أعدائه متغلاً بالسلاسل وحكم عليه بأن يحرق حياً هو وبعض أبناء العائلات الكبرى الذين كانوا معه وسعرت له النار وكادت تصل الى جسعه ، وقد له قلب قيروش وأخذته الرحمة على هذا الملك البائس الذى كان يجتهد تصاريق القدر بالرضا والتسليم ، والذى كان فى هذه اللحظة الرهيبة يذكر نصيحة سولون له حينما وفد عليه واقام فى معيته . وكانت سن كيريزوس وقت وقوعه فى الأسر تسعة واربعين عاماً حكمها أربعة عشر عاماً منذ وفاة أبيه ، وبقي بعد ذلك زمناً طويلاً فى معية قيروش همرفاقاً ومعيناً له فى غزواته .

ان تاريخ سقوط سرديس ليس اقل اضطرابا من تاريخ كسوف طاليس . واخذا بما على رخام باروص تكون سرديس سقطت في السنة الثالثة من الاولبياد التاسعة والخمسين اى سنة ٥٣٧ قبل الميلاد . أما فريريت فانه يقول انه وقع في سنة ٥٤٥ اخذا بشهادة سوسيقراط الذى استشهد به ديوجين اللايرثى في كتابه « حياة بيرياندر » . وأما فولني فانه أخره الى سنة ٥٥٧ في كتابه « أخبار هيرودوت » . وعلى كل حال فان هذا التاريخ على خطره محوط بالشكوك ، ولا يزال محلا للتحقيق .

لما غلب الليديون على أمرهم أحست المدائن الاغريقية خطر مركزها ، فعرض الايوليون واليونان الطاعة على الشروط التى كانت بينهم وبين كيريزوس ، فرفضها قيروش مزدريا اياهم ، وذكر اليونان اعراضهم عنه حين خطب وداهم قبل ذلك ببضعة أشهر، فلم يبق لهذه المدائن الا خوض غمار الحرب بعد ذلك الرفض المهين ، فدعيت ندوتهم (البانيونيون) وحضرها أهل المدائن كلها الا اللطيين الذين كانوا اتخذوا للحرب عدتها من قبل ، ولكن حظ الجميع منها لم يكن أحسن من حظ مملكة ليديا .

من المحتمل ان يكون هذا الحين هو تاريخ النصيحة التى قدمها طاليس للاتحاد اليونانى ، فانه لبصره بالعواقب ارتأى ألا يكون للمدن اليونانية الا جمعية واحدة تعقد فى طيوس، لتوسط مركزها ، على ان تحتفظ كل مدينة بنظمها الخاصة ، لانهم متى اجتمعت قواهم كانوا بالضرورة أقدر على مقاومة عدوهم المشترك ، فان الاتحاد وحده هو الذى ينجيهم ما دامت المنازعات الداخلية هى التى أضعفتهم . ولكن هذا رأى السديد لم يكن ليطاع فيهم مع أنه لم يجيء بعد الاوان ، فان حال اليونان لم يكن بعد من السوء بحيث لا يمكن اصلاحه . ولقد نصح لهم طاليس بعد ذلك نصيحة فى وقت أشد حرجا فلم تقابل الا بما قولت به سابقتها من الاعراض . ثم نصح لهم بعد ذلك بياس البريىنى أحد أعضاء الندوة (البانيونيون) ان يترك اليونان جميعا آسيا ويتخذوا اسطولا كبيرا يركبونه الى « متردنيا » حيث يؤسسون جمهورية قوية . وأبان لهم بياس أنهم أن بقوا فى آسيا لا يستطيعون أن يحموا حريتهم . يرى هيرودوت أن اليونان لو كانوا قرروا هذا القرار الباسل لصاروا أسعد الشعوب الاغريقية كلها ، ولكنهم قنعوا بمفاوضة الايولين ليرسلوا سفراء الى اسبرطة يطلبون باسمهم وباسم اليونان اعانة الجمهورية اياهم .

لم تشأ جمهورية اسبرطة أن تملهم بقوة حقيقية ، بل أرسلت رجلا ثقة من رجالها يقال له «لقرين» الى سرديس يطلب الى الفاتح ألا يسىء الى أية مدينة اغريقية ويهدده بسخط لقدموتيا . غير أن قيروش الذى

ماكان يعرف الى ذلك الوقت ما هي اسبرطة ، أخذ يسأل بها وأعلن - وهو هازي بهذه الشعوب التي يخالها متأنثة في أمورها - انه أولى بها ان يشغلها الخطر المحقق ببلادها عن الخطر الذي يتهدد يونيا . في هذا الوقت دعا قيروش اختلاف الاحوال في بابل وبكتران والساسيين بل وفي مصر أيضا الى التعجل بالنسفر من سرديس الى اقبطانة ، وخلف على المدينة فارسياس يدعى طابالوس ، وجعل على نقل الكنوز التي جمعها ملوك ليديا منذ عدة قرون ليديا يقال له بكتياس .

انتهر بكتياس غيبة قيروش في حصار بابل ، ووضع يده على الكنوز التي أوتمن على نقلها ، وانتبذ بها مكانا بعيدا على الشاطئ ، ودعا الليديين الى الثورة والانتفاض على قيروش ، وألف بالمال جندا سار به الى حصر مدينة سرديس التي كان يحميها طابالوس . ولكن هذه الثورة لم تلبث حينما حتى جاء مزاريس أحد قواد قيروش بالمدد ، واضطر بكتياس الى الهرب والاحتماء في «كومة» . فلما طلبه مزاريس هم الكوميون بتسليمه اليه بنصيحة هاتف البرنشتيد، لولا رجل شجاع منهم يقال له ارسطودي قوس حمير النزيل ونجاء من الهلك واستحب عصيان الاله على انتهاك حرمة الضيافة في حق مستجير . ونجا بكتياس الى ميتيلين حيث عادت لاهل كومة نخوتهم وأرادوا هم أيضا حمايته . غير ان هذا السبيء الحظ قد أخذه الشيزيون بالقوة من معبد مينرفا وسلموه الى الفرس ، لان قيروش أمر بأن يحضر لديه حيا ، وقبض الشيزيون ثمنا لهذا العار مقاطعة أطرنة الواقعة في ميزيا تجاه لسبوس، ولكنهم لم يسعدوا في هذه الارض التي امتلكوها بذلك الثمن المخجل ، فقد أكد هيرودوت انه مر زمن طويل على اهل شيزوز لا يستطيعون أن يقيموا للآلهة قربانا ولا أن يضجوا بشيء مما كان يأتيهم من غلة ذلك البلد الملعون .

قسا مزاريس في التنكيل بالذين خرجوا على الملك في ثورة بكتياس وكتب الرق على سكان بريئة وباعهم بالمرزاد ، وخرب يلا رحمة سهول مياندرس جميعها واباحها لنهب عسكره ، ولكن منيته صادفته أثناء هذا الانتقام . ولقد أراد الفرس بهذه الفظائع ان يغتالوا أيدي المغلوبين عن الثورة ، ولكن اغريق الشاطئ ومستعمرات أيولس ويونيا ودريدا لم يخفهم ذلك بل أخذوا أعدتهم واستجمعوا بأنهم الى حرب غير متعادلة القوى ولا ملحوظ في نتائجها الا الفشل والخذلان .

بذلك يتبدى العهد الثالث والاخير لتاريخ الاغريق في آسيا الصغرى فان العهد الاول لبث من وقت نزوحهم اليها الى حكم جوجيس غاصب ملك ميديا ، وهو أطولها ، لانه لا يقل عن ٥٠٠ سنة . والثاني الذي كان مملوفا بالتنازع بين ملأين الاغريق ومملكة ليديا ، ويمتد الى هزيمة كريزوس

وسقوط سرديس . ولم تكن قوة ملوك الميديين تلقاه قوة الفرس شيئا
مذكورا ، لان الفرس كانوا أمة حارب ملكت جزءا عظيما من آسيا ، وتقدموا
تقدما كبيرا في فنون الحرب بفضل قيادة قيروش .

أما اندي خلف مزاريس على التنكيل بالثاقرين واستمرار الفتح فهو
رجل خليق بكل أنواع الفطائع واقتراف الدنايا يقال له هربغوس اشتهر
بعمل مقطوع النظير في الحسة حتى في معرض دنايا البلاط الفارسي ، ذلك
أن «اصطياغ» ملك الميديين ، كان قد أزعجته رؤيا ، فكلف هربغوس امينة
أن يحتال لقتل الولد الذي ولدته حديثا ابنته مندان من قمبيز ، وكان هذا
الحفيد المقصود بالوقية هو قيروش ، فقبل هربغوس هذا الامر ، ولكنه لم يشأ أن
يقتل الصبي بيده فوكل ذلك الى راع أخذته الرحمة من توصيلات زوجته
فاستبدل صبيه الذي ولد ميتا بالذي دفع اليه ليقته ، ودخلت هذه الحيلة
على هربغوس فلما استكشف «اصطياغ» خفية الامر وعلم بكل ما جرى
كظم غيظه ، ولكنه انتقم من هربغوس شر انتقام ، فأمر بقتل ابن هربغوس
سرا ، ودعاه الى طعام قدم اليه فيه لحم ابنه فأكله ثم أمر فأحضر رأس الغلام
ويدها وقدمت أثناء المأدبة تحت غطاء الى هربغوس ، فلما كشف عنها الغطاء رأى
هذا المنظر الفظيع فنزح السكينة ، فسأله «اصطياغ» في ذلك فقال : انه تعرف
اللحم الذي أكله ولا يسعه الا الثناء على الملك على ما تفضل به .

ومع ذلك فان هربغوس قد أصر على الانتقام من «اصطياغ» بأن يثل
عرشه من تحته ، فحرض قيروش سرا على العصيان . ولم يصادف هذا
الامير الشاب عناء في حمل الفرس على نبذ نير الميديين الثقيل . ولقد بلغت
العماية «باصطياغ» انه لما جاء حفيده على رأس الجيش الفارسي أمر على
الجند هربغوس الذي كان قد نكل به ذلك التنكيل ، فلم يلبث هذا الاخير
أن خانه وانخل بالالجيش ، وقهر قيروش «اصطياغ» ولم يقتله بل تركه
يعيش في الحزى . وسقطت مملكة الميديين بعد أن أقامت ٣٢٨ سنة من
ديجوسيزبن فراورط . وبقي هذا القسم من آسيا من يومئذ تابعا للفرس
الذين لم يحتفظوا به الا أقل من تلك المدة حتى سقطت مملكتهم باغارة
اسكندر .

ذلك هو هربغوس الذي رمى به قيروش مدائن الاغريق ليخضعها .
ولقد عنيت بذكر هذه التفاصيل على شهرتها لابن أي الامم وأي
الاخلاق سيكون ليونان الشاطيء علاقة بها .

أخذ هربغوس يبتكر طرائق لفتح المدائن ، فكان كلما وصل مدينة
احاط بها ثم حفر حولها خندقا يحصر أهلها فيضطرهم الى التسليم . فبدأ

بمدينة فوكاية ، تلك المدينة التي كان لها اسم كبير في ذلك العهد والتي
تهدمنا بوجه خاص جد الاهمية ، لان أحد فلاسفتنا أكسينوفان كان بها منذ
نقى من كولو فون وهرب مع مواطنيه على الشواطئ البعيدة لبحر طرهينيا
ولقد كان أهل فوكاية اول من أزمع السياحات الكبرى المقرونة بالآخطار
من جميع الجنس الهليني، فانهم أول من علم الناس ما هو البحر الادرياتيكي
وبحر طرهينيا وايبيريا وطورطائيس ، تلك الاصقاع السحيقة في حدود
الارض وراء عمد هيرقليس، وهم الذين حوروا طريقة صنع السفن فرغبوا عن
السفن الغليظة المستديرة الى سفن ذات خمسين صفا من المجاذيف وهي
المسماة «البانيكونتور» . ولما كان لأهل فوكاية صلات مودة ومعاملة ببلاد
طورطائيس عرض عليهم ارغانتونيوس ملك هذه الجهة أن يهاجروا اليه اذا
شاعوا أن يتركوا يونيا عندما تهدد الفرس مدينتهم . ونظرا الى انهم لم
يكونوا قد عزموا على الهجرة بعد ، اعطاهم خليفتهم الملك مبلغا عظيما من
النقود ليساعدهم على اقامة سور منيع حول مدينتهم ، فقاموا هذا السور
الواسع الامتداد من احجار كبيرة محكمة الرصف جلتا .

وقف هربغوس أمام هذا الحصن العظيم الذي لم يستطع النفوذ منه
الى داخل المدينة ، وبقي محاصرا لها حتى أرق أهلها ارهاقا ، ثم عرض
عليهم عرضا يوافقهم وهو ان يهدموا جزءا من الحصن الامامي تحتله الفرس
أشارة الى أن أهل المدينة أطاعوا فطلب اليه الفوكيون الذين أعياهم الحصار
جوابا على هذا العرض هدنة يوم واحد ، وأن يتنعذ الجيش الفارسي عن
مراكزه ، فأجابهم هربغوس الى ذلك مع توقعه ما سيحصل فاغتنم الفوكيون
هذه الهدنة ، وحملوا على السفن نسائهم وأولادهم وجميع ما يستطيعون
حمله خصوصا الامتعة المقدسة التي جمعوها من المعابد ، وسافروا الى شيوخ
فلما جاء الفرس في اليوم التالي وجدوا المدينة خلوا ليس فيها احد من
أهلها .

كان الفوكيون قد رغبوا بأدى ذى بدء في أن يشتروا من أهل شيوخ
الجزر التي تسمى اينوزوس ، لكن هؤلاء قد رفضوا الصفقة حتى لا يخلقوا
لأنفسهم مزاحمين لا يستهان بأمرهم على مرافق التجارة ، فاضطرا الفوكيون
الى أن يوجهوا سفنهم نحو جزيرة قورسقة (المسماة وقتئذ سيرنى) حيث
أسسوا فيها قبل ذلك منذ عشرين عاما مدينة «علالية» بأشارة الهاتفة
ولكنهم قبل أن يذهبوا الى هذا المنفى النهائي رجعوا الى فوكاية على غرة
من حرسها الفارسي وذبحوهم ، ومع ذلك فان هذا العمل الجريء لم يمكنهم
من البقاء في وطنهم القديم بل ارتدوا الى أسطولهم . وليثبتوا أنهم لن
يتركوه القوا في البحر كتلة من الحديد واقسموا ألا يعودوا قبل أن تطفو هذه

الكتلة الثقيلة على سطح الماء . وعلى رغم هذا القسم زين لنصف النازحين أن ينزلوا الى البر ويدخلوا فوكاية ، وأما النصف الآخر الذى بر بقسمه فقد اعتمد على ألا يبقى تحت نير المتوحشين الذى لا يطاق ، وأبحروا الى قورسقة ، فدخلوها آمنين وأقاموا كما يشتهون فى سكونية مدة خمسة أعوام مع مواطنيهم الذين سبقوهم اليها قبل ذلك بسنين طوال . ولكن أهل طرهينيا وقرطبنة هاجموا الفوكيين ، أما حسدا من عند أنفسهم ، وأما اضطرابا للكسب وحبا فى النسل والنهب . ولم يكن لدى الفوكيين الا ستون سفينة ضد مائة وعشرين لحصومهم ، ولم يبرر لهم ذلك التردد فى منازلهم ، بل ذهبوا يبحثون عن عمارات خصومهم فى بحر سبردينيا ، وتحرشوا بهم وطلبوهم للقتال ، ولكنهم خسروا فى هذا انظر ثلثى سفنهم فرجعوا عجلين الى « علالية » ، واحتملوا عائلاتهم وأموالهم ليلجأوا الى موئل آخر آمن من هذا . والظاهر أن جزءا من هؤلاء المهاجرين قد وقع فى يد الطرهينيين والقرطجنين فقبضوا عليهم وذبحوهم ، وذهب الجزء الآخر الى رغبوم فى صقلية ، ومن هناك اتجهوا الى الشمال وأسستوا على ارض أونترى مدينة كانت تسمى فى زمن هيرودوت « مدينة هيبلا » وهى المعروفة بمدينة ايليا الشهيرة بملرسيتها الفلسفية التى شيدت فيها بعد تأسيسها بقليل .

فى نحو هذا الحين لجأ اكسينوفان الى ايليا هاريا من كولوفون التى وقعت فى قبضة الفرس ، وانضم الى الفوكيين الشجعان الذين كانوا مثله يكرهون العبودية . من الواضح أن ما ورد فى شعر اكسينوفان خاصا باغارة الفرس الذين ما زال يسميهم الميديين، أما يراد به واقعة هربغوس تلك لا حرب الميديين (١) ، كما ظن ذلك أحيانا . وقد يظهر أن تأسيس ايليا الذى شدا به اكسينوفان كما شدا بتأسيس كولوفون كان فى سنة خمسمائة وست وثلاثين أو خمسمائة واثنين وثلاثين قبل الميلاد ، بل قد يكون أدنى من ذلك . على كل حال فإنه قبل اغارة مردونجوس وداتيس على بلاد الاغريق بثلاثين سنة على الأقل ، وليس عندنا ما يفيد أن اكسينوفان عاش الى ذلك الوقت .

ولسنا نرى فيما حفظ لنا التاريخ من التفاصيل ماذا جرى على كولوفون بخصوصها ، وهى من ليديا كمدينة فوكاية ، ولكن المفهوم ضمنا هو أنها وقعت فيما وقعت فيه فوكاية ، وأن أهلها الذين لم يقبلوا حكم

(١) ولقد جلا الشك فى هذه النقطة فكتور كوزان . راجع الطبع الفلسفية والفلسفة القديمة طبعة سنة ١٨٦٥ ص ٣ و ٤

المتوحشين ركبوا البحر ليلجأوا الى جهات أكثر طمأنينة . حق أن هيرودوت لم يذكر بعد أخبار الفوكيين إلا أخبار أهل طيوس الذين فعلوا مثل ما فعل أولئك ، فحملوا ما قدروا عليه في سفنهم وقصدوا تراقيا حيث أسسوا مدينة أبدير ، وقد كان سبقهم في الهجرة الى تلك البلاد أحد مواطنيهم المدعو كلابزومين . أضاف هيرودوت الى هذا أن بقية مدن يونيا خضعت لحكم الفرس بعد مقاومة عنيفة ، ولأمانع من افتراض أن أكسينوفان كان أحد هؤلاء الإبطال الذين أثنى عليهم المؤرخ ، والذين لم يلقوا قياتدهم الى الفرس إلا بحكم الضرورة . إلا الملطيين وحدهم فانهم اتفقوا مع قيروش كما ذكر آنفا وبذلك احترم هربغوس حياتهم اكتفاء بما شئت وأذل من سائر يونان القارة . وأما أهل الجزائر فانهم بوضعهم كانوا في مأمن من الغارة ، لان الفرس لم يكن لديهم بعد أسطول يطولون به الجزائر ويلقون على أهلها نير العبودية . وأما يونيا وأيولس فانهما أطاعتا غاية الطاعة حتى جند منهم هربغوس حين مشى الى قاريا التي وقعت في قبضته بعد قليل . وأما الكنديون فانهم حاولوا الدفاع بالأسراع في قطع البرزخ الذي يصلهم بالقارة ، ثم بدا لهم أن يستسلموا الى الفرس أخذا بنصيحة كاهنة دلفوس . وأما البيدازيون من ضواحي هاليكارناس فانهم قاوموا حتى حين ، ولكنهم قهروا كما قهر الليقيون الذين أبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن وطنهم . وبذلك تم النصر لقيروش ، وكان يستطيع أن يغتبط وهو سائر الى اخضاع بابل بأن كل آسيا الدنيا ملك له الى البحر .

كانت جزيرة سموس وقتئذ أقوى الجزر ذات مركز سام بما لها من الروابط بأغريقيا وبمصر ، وبينما كان قمير المفتون ابن قيروش يغزو مصر ليقضى على نفسه فيها كان بوليقرطس يحكم سموس ، وقد مكن له فيها بحسن ادارته وقلة تحرجه ومبالاته ، حتى جعل الجزيرة من الرخاء محسودة الوفر من كل نظائرها . وكان من أمره أنه أقام فيها ثورة انتهت باستيلائه فيها على السلطان هو وأخويه ينتنيوت وسيلونون ، إذ اقتسم الاخوة الثلاثة حكم المدينة لكل منهم قسم معلوم . ولكن بوليقرطس لم يلبث ان تخلص من أخويه إذ قتل احدهما وشرد الثاني وخلص له الحكم واطاعه أهل المدينة . وقد أراد أن يثبت لنفسه الملك المفصوب بارتبط بآمازيس ملك مصر ، وتبادل وياه الهدايا النفيسة . ولم يمض عليه حين حتى نبه ذكره ، وعمت شهرته بلاد الاغريق ، وكان سعيد الطالع موافقا في مشروعاته الى غاية المنى ، وكان أسطوره مؤلفا من مائة سفينة من ذوات الخمسين صفا من المجاذيف ، وكان يبلغ عدد رماة وحدهم ألفا .

ولم يكن مع ذلك ليرعى لجيرانه حرمة بل كان يضرب عليهم الاتاوة

بغاية الجراءة ، وكان من مبادئه السياسية ألا يبقى حتى على أصدقائه متى قضى الطرف الا انه كان يعرض عليهم بعد ذلك . وكان قد غزا عدة جزر حوالى سموس ، بل عدة مدن فى القارة . ولما ساعد اللسيوسيون اللطيين عليه حاربهم وقهرهم فى وقعة بحرية ، وسخر جميع الاسرى مصفدين بالاغلال فى حفر الحندق العميق الذى كان يحيط بأسوار المدينة . وكان من نتائج ظلمه أن بعض أهل سموس هجروها من هول ما يلقون من الجور واستجاروا بأسيرطة ، فأبحر اليه اتلقدمونيون فى اسطول قوى . وحاصروا المدينة أربعين يوما ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم بفضل بأس بوليقراطس أو بفضل ماله . وبقي هذا الطاغية مستبدا بالحكم مهيب الجانب لا يغلب على أمره ، حتى ان من لم يريدوا من السموسيين الاستسلام لمظالمه لم يكن لهم وسيلة الا الهجرة بعيدا عن ملكه الى حيث ينزلون منزلا يرضونه . ولم يكن ليأمن على نفسه الطوارىء بذلك الحندق العميق الواسع بل اتخذ نفقا تحت الجبل سلك فيه الى المدينة ماء عذقا ، وبني رصيفا شاهقا متقدما فى البحر ، جعل به المرفأ أكثر ملاعة لرسو السفن ، ثم بنى معبدا اشتهر بأنه اكبر المعابد المعروفة . وقد ذكر أرسطوطاليس أيضا هذه الاعمال العظيمة التى عملها بوليقراطس .

وكان هذا الطاغية مجبا للآداب والفنون ، ويقال أنه أول من أنشأ مكتبة . وكان مثل ذلك فى تلك القرون زخرفا نادرا ، كانت مصر وحدها هى صاحبة الابداع فيه . وكان يؤوى اليه الشعراء ، وكان أنقيرون الطيوسى بعض جلسائه ومادحيه .

فى صدد الكلام على عهد طفيان بوليقراطس هذا ، ينبغى أن نورد خبر الصلات التى كانت لفيثاغورث به والتى لدينا عنها معلومات مضبوطة فان يميليك وفرفريوس وديوجين لا يرث يلتقون فى هذه النقطة ، وليسوا بالضرورة الا صدى كثير من المؤلفين الذين هم أقرب عهدا بزمان فيثاغورث وكتبوا ترجمته مثل أرسطوكسين الموسيقى تلميذ أرسطو وأبلينيوس الصورى وهرميب وديوجين وانتيقون ٠٠٠٠ الخ . كان فيثاغورث بن منيزارخس يدلى بأمه الى اكبر عائلات سموس ، ويمكن ان يتصل نسبه بانصى مؤسس المستعمرة ، ويظهر أن أباه قد جمع مالا وفيرا من تجارة القمح وكان صوريا على رأى بعض المؤرخين ، وطرهينيا على قول البعض الآخر وكان يستصحب ابنه معه فى سياحاته منذ حداثة قطافة الصبى مع أبيه تلك البلاد التى عنى بدرسها بعد ذلك ، فلما صار فى سن التعلم ، ورأى أبوه فيه مخايل وعليه سيما انتجابه ، وصله بأعلى الرجال امتيازاً فى زمنه : طاليس - على ما يقال - وانكسيمندر وانكسيمين الملطى

وفرقليد السيروسي . وقد عرف فيثاغورث فينيقيا وهو شاب اذ صاحب
أباه اليها . ولما أراد السفر الى مصر زوده بوليقراطس بكتاب توصية
الى أمازيس ، وذلك يثبت أن رأى فيثاغورث فى بوليقراطس وقتئذ على الاقل
لم يكن كراهه فيه بعد ذلك .

لم تكن مدة اقامة فيثاغورث بمصر محل اتفاق فى التاريخ ، فمن
مترجميه ، مثل يمبليك ، من حددها باثنين وعشرين عاما وان كان ذلك
قليل الاحتمال لما أسر عسكر قمبيز فيثاغورث سنيق الى بابل ، وهناك
اتصل بالمجوس كما اتصل بكهنة مصر مدة اقامته بها ، اذ كان محل
اعجاب بذكائه ورجاحة عقله وحسن روايه . ولما رجع الى وطنه وهو
متقدم فى السن ، أى كانت سنة ستا وخمسين سنة على قول يمبليك ،
فتح فيه مدرسة . وظل السموسيون الفخورون بمواطنهم يعقدون
مداولاتهم السياسية قرونا عدة بعد ذلك فى مجلس نصف حلقى مسمى
باسم فيثاغورث ، وقد قال أرسطوكسين : ان فيثاغورث لما ترك سموس
خرارا من ظلم بوليقراطس لم يكن يتجاوز من العمر أربعين سنة ، وربما
كان قوله أوجه ، لانه أقرب عهدا الى هذه الاحداث من يمبليك ، ومن
المحتمل أن يكون أعلم بها منه ما دام انه تلميذ ارسطو الذى كان يشغل
كثيرا بفلسفة فيثاغورث . وأما شيشيرون فانه ذكر فى كتابه « الجمهورية » :
أن فيثاغورث وصل الى ايطاليا فى الاولوية الثانية والستين أعنى فى سنة
٥٢٨ قبل الميلاد ، أى فى السنة التى جلس فيها طرخان العظيم على
العرش . ولما كان شيشيرون (على لسان سيبويو) يقصد الى تصحيح
خطأ تاريخى شائع . فمن المراجع أنه يعرف حق المعرفة صحة ما ذكر وأنه
غير مخطئ .

ومهما تكن حياة فيثاغورث محجوبة عنا مع ما كان من اشتغال كثير
من الكتاب الاقنمين بها ، فالظاهر ان من المحقق أنه هاجر من سموس
المخرومة الحرية ليجد بلدا فى اغريقا الكبرى لا تشتمز فيه نفسه من
مشاهد الظلم ويستطيع ان يتمتع فيه بالاستقلال الذاتى الذى كان فى
حاجة اليه . وكذلك فعل اكسينوفان فى نحو هذا الزمن ، اذ كان يفر من
اضطهاد الفرس الذين كانوا أشد ظلما من طغاة الاغريق . كان ذلك هو
الحظ المشترك لإمثال هؤلاء ، فليس من السهل أن يبقى المرء وطنيا أو
فيلسوبا ينوء بحمل الضغط الذى يأتیه أمثال أولئك الاسياد . وعلى ذلك
حمل فيثاغورث الى قروطون والى ستيبباريس مذاهب عجيبة فيها بلا شك
شئ من الديانات الشرقية التى اتصل بأهلها ، ولكنها حقيقة باحترام كل
من يحبون الحكمة والانسانية .

ولم تصل اليها مذاهب فيثاغورث الا عن طريق الوصطاء ، اذ لم

يجتمع لنا شيء من مؤلفاته الكثيرة التي وضعها (١) فيما يظهر على مايقول هيلير قليطس ، والتي مع كون فيلولاولس أذاعها لأول مرة بعد ثلاثة أو أربعة قرون من وضعها كان يطلبها أفلاطون بأعلى ثمن .

أما بوليقراطس الذي شاطر في أسباب تطعيم فيثاغورث فإنه لقي حتفه على أسوأ ما يكون بعد سنين قلائل من اعتزال الحكيم سموس التي صارت أخط من أن تكون وطناً له ، ذلك بأن أورطيس الذي رسمه قيروش مرزباناً على سرديس حاول أن يوسع سلطان القرض ويدخل الجزائر تحته ، فعزم على أن يوقع بالطاغية التي أتى سموس الواقعة أمام حكومته قوة ومنعه ، فأرسل إلى بوليقراطس سرا رسولا يخبره عنه بأنه مهدد شخصياً بغضب قببيز البالغ حد الصرع ، وأنه يريد أن يودع ماله مكاناً أميناً ويرجو السيد أن يقبل ابتاعها عنده ، ولكيلا يتظن في قوله طلب إليه أن يرسل ثقة له ليريه خزانته المملوءة بالذهب المضروب على شريطة أن يبقى نصف المال للمرزبان والنصف الثاني يكون لبوليقراطس ينفقه على مشروعاته الواسعة المدى إلى حد فتح أغريقا كلها .

لم يطق شره بوليقراطس صبرا ، فأرسل أمين أسراهِ منديروس إلى « سرديس ليعقق خبر كنوز أورطيس الذي خدع الرسول وأراه صناديق مملوءة حجراً مغطاة مسطوحها بالذهب ، فرجع الرسول إلى سيده وقرر له مارأي ، ففرح بوليقراطس وعول على أن يذهب بنفسه لاحضار الذهب ، وعبثاً حاول أصحابه وعائلته منعه ، حتى لقد كان منه أن هبلاً ابنته بالأزواجها إلا بعد زمن طويل حين تشبثت بمنعه وقت ركوبه الفلك . ومضى وفي صحبته عرافه المدعو هيلي الذي لم يصل علمه إلى كشف هذه الاحبولة . فلما وصل إلى حيث ينتظره أورطيس أمر الغادر بالقبض عليه وصلبه . ومع أن هيروودوت لم يكن به مظنة ضعف للطفة فإنه رثي لحال بوليقراطس الذي كان من العبقريّة والسؤدد بحيث لا يستحق هذه الميئة الشنعاء . وكان في معية بوليقراطس في هذه السفرة المشئومة ، غير ذلك العراف المفضل ، ديموكيدز الطبيب الشهير من قروطون الذي وقع هو أيضاً بهذه الاحبولة في الرق ، ثم دعى بعد ذلك بقليل إلى بلاط دارا لينصّله من التواء مفصل أصابه ، وذلك حين أمر دارا مهلك المجوس بقتل أورطيس لارتكابه فظائع لامصلحة في ارتكابها (٢) .

(١) ديوجين اللايرثي . حياة فيثاغورث ف ٦ ك ٨ ب ١ . وإن الرسائل بين اتكسين وفيثاغورث ربما لا تكون منتحلة . ديوجين اللايرثي فيما كتبه عن حياة دينك الفيلسوفين (٢) السنة ٢٣٠ من تأسيس روما أو ٥٢٣ قبل الميلاد على رأى بلاين ك ٢٣ ب ٦ ص ٤٠٣ طبعة ليرثي .

لما خلت سموس من بوليقرطس لم تستأخر عن الوقوع في
خبيثة الفرس ، لأن الطاغية لما ذهب الى حيث لقي حتفه كان قد خلف على
الجزيرة أخاه منديوس الذى هو أقل كفاية من أن يلى الحكم ، وجاءت
جنود أوطانيس المرزبان الجديد تحت قيادة سيلوسون أخى بوليقرطس
الذى نال حظوة عند دارا بسبب أنه عرفه فى مصر حيث منقاه ، فهرب
منديوس وترك الجزيرة ، فتولى أخوه شاريلاوس قيادة الحامية ، وبعد
مقاومة عنيفة سقطت الجزيرة فى أيدي الفاتحين ، ودخلها سيلوسون
فوجدوها خلوا من سكانها .

ولما انتصر دارا على بابل بفضل اخلاص زوبير وجه قواه الى محاربة
السيتيين ، فصنع له منديوكليس المهندس السموسى القنطرة المشهورة
التي عبر عليها جيشه بغاز البسفور ، وهي قنطرة من المراكب لم يكن
طولها أقل من أربع غلوات أى نحو ٨٠٠ متر . ولا بد أن يكون اتخاذ
مثل هذه القنطرة من أصعب ما يكون وكانت واقعة على رأى هيرودوت ، بين
بيزنطة وبين معبد قائم على مصب البسفور . ولكي يخلد هذا الملك العظيم
ذكرى هذا العمل أغدق على المهندس السموسى نعمة ، وأقام عمودين
على جانبي الشاطئ كتب عليهما باللغتين اليونانية والآشورية . وقد
رسم منديوكليس فى معبد جونون لوحة تمثل القنطرة وجيوش الفرس
تعبث فوقها تحت نظر دارا جالسا على عرشه . وقد شفع دارا جيشه
البرى بأسطول عظيم يقوده اليونان والايوليون وفريق من أهل هلسبون
وأمر الأسطول أن يدخل البحر الأسود ، ثم يدخل مجرى الدانوب
ونهر الامستر . ويقيم قنطرة على النهر فى محل تفرعه الاول الى عدة
فروع . واتجه دارا بجنوده فى البر من تراقيا الى تلك النقطة ، وكانت
عدة جنوده البرية سبعمائة ألف مقاتل وعدة سفن أسطوله ستمائة سفينة
وكانت هذه الجيوش البرية والبحرية مؤلفة من جميع الأمم التي تشملها
مملكة الفرس المترامية الاطراف من شواطئ آسيا الصغرى الى الهندوس

وتقدم الملك العظيم ، على بعد الشقة وصعوبة المسالك ، فى طريقه
بين تلك الامم الجافلة التي كانت تولى الادبار أمامه وتستدرجه شيئا
فشيئا الى مفازاتها الواسعة وتلك المهمة التي لا تجاز ، كما وقع فى
أيامنا هذه لفاتح آخر ليس أكثر منه بصرا بالعواقب ولا أقل منه نجسا
فى الطالع . وقد عنى دارا فى انتصاراته الموهومة بأن يقيم فى طريقه
أعلاما وأعمدة نقش عليها بالعبارات الفخمة : « اخضاع الجيبيين » .
وكان يبنى آثارا سهلة البناء ، فانه آمن بأن يلقي كل جندي من جيشه
العرمرم وهو مسائر حجرا فى مكان معين ، فيجتمع من هذه الحجارة

أكمة عظيمة يخيل أنها هرم . ولقد وجد جيش دارا حتى في هذه
المجاهل بعض آثار النفوذ الاغريقي ، فانه أولئك الرجل الذين كانوا
يعبدون « ذالمكسيس » الذى كان ، كما يقال ، عبدا لفيثاغورث بن
مميزادخس في سموس ، والذى بعد أن صار حرا وغنيا عاد الى موطنه
يشتات من المدنية الهلينية اذ نقل اليهم شيئا من عقائد سيده العالم .
غير أن هيرودوت لم يقبل هذه الرواية وردها بأن «المكسيس أوغيبيليزيس»
كان أقدم من فيثاغورث بكثير ، وأن فيثاغورث أعجب بحكمته العالية (١)
ولكن تلك الرواية المشهورة مهما كانت كاذبة تدل على الأقل على ما لاسم
الفيلسوف من الاحترام منذ تلك الازمان ، فاليه تنسب الثقافة الاخلاقية
والاصلاح الموفق الذى وان لم يتم كان سببا فى التثذيب من حال أهل
تراقيا المتوحشين .

على أن دارا لما وصل الى المحل المعين على نهر الدانوب ، وجد
اليونان نفنوا أمره باقامة قنطرة المراكب ، كما أقاموا قنطرة البسفور .
ولما عبر الجنود النهر أراد دارا رفع القنطرة حتى يتبعه الاغريق في
غزوته ، ولكن قويس رئيس المتألثة كان لحسن الحظ أسد رأيا من الملك
فانه وصل الى اقناعه ببقاء القنطرة لانها طريقه الوحيد عند التقهقر ،
وعلى ذلك أمر دارا اليونان ان ينتظروه ستين يوما فان لم يعد فى هذه
المدة هدموا القنطرة وسافروا .

حدث ما كان سهلا توقعه ، فان جيش دارا بعد أسفار نحو الشمال
متعبة عديمة الفائدة اضطر الى أن يعود خاسرا تاركا مرضاه وجرحاه ،
وكانت حاله حال ذلك الجيش العظيم سنة ١٨١٢ الذى كان فى تلك
البلاد تقريبا يقاتل أولئك الاعداء أنفسهم الذين خدعوه الخديعة عينها .
ولما انتصر السيتيون على دارا من غير حرب تقلموه الى قنطرة الدانوب ،
وكان دارا سيلاقى مالاقي نابليون فى عبور نهريين يزينا لولا أمانة
الاغريق الذين وكل اليهم حراسة القنطرة ، فان السيتيين حرضوهم على
كسرها قائلين : ان ميعاد الستين يوما قد مضى ، وانهم قد أوفوا بعهدهم .
وقد نصح لهم ملتياد الاتينى الذى كان قائد أهل شرسنيز وهلسبون
وطاغية عليهما والذى صار بعد ذلك فاتح مرطون ، أن يهلموا القنطرة
وينسحبوا الى بلادهم وبذلك يهلك الجيش الفارسى ويسترد اليونان
حريتهم ، وكانت نصيحته ستجده أذانا صاغية ، ويكون لها من الاثر
عالم يكن لاغراء السيتيين ، لولا أن اجتمع رؤساء اليونان وقرروا بناء
على رأى هستيا الملطى ان ينتظروا دارا ويخلصوه . وكان مع هستيا

من دعوس اليونان سطرابطيس الشيوزى وأوسيز انسموسى ولوداماس
الفوكى . وكان أرسطاغوراس الكومى وحده رئيسا للايولين . ولم يكن
الوفاء بالعهد هو الذى حمل أولئك الرؤساء على هذا القرار الغريب ، بل
هى المصلحة الشخصية ، فان هستيا لم يصادف عناء فى اقناع زملائه
الذين مصلحتهم كمصلحته بأنهم اذا فقدوا تأييد الفرس لهم لم يلبث واحد
منهم سييدا على مدينته التى يحكمها، بل أن الامة متى تخلصت من حكم الاجنبى
تسارع الى حكم الديمقراطية ، وتحرم رؤساعها الحاليين كل سلطان عقابا
لهم على قبولهم المزايى التى خصصهم بها الملك الكبير . وقد رجح لدى
الرؤساء هذا رأى وأمكن لدارا ، وقد اقتفى السيتيون أثره ، أن يفر
منهم بعبور النهر .

ماذا كان عساه أن يقع لو أن اليونان كسروا انقنطرة وهلك بذلك
دارا وجنوده ؟ تكون داهية دهياء على مملكة الفرس من غير شك ، ولكن
هذه الضربة مهما كانت خطورتها لا تكون هى القاضية ، لان هزائم مرطون
وسلامين وبلاته لم تكن تتكفى لهذا الغرض . حقا ربما كانت يونيا
تستطيع أن تتنفس من ضيق الحناق بعض الزمن وتسترد استقلالها ،
ولكن اغارة جديدة أكثر حدة بالضرورة من سابقاتها ترجعها الى الخضوع
فلم يكن حان الوقت لسقوط الفرس الذين كانت أمتهم وقتئذ فى قوة
الشباب بوطود النمو الاول ، ولكن هذا لا ينفى الاجرام عن أنانية الرؤساء
اليونان فانهم كانوا يستطيعون البقاء على عهد دارا بأسباب أشرف من
الاسباب التى اتخونها .

لما وصل دارا الى سستوس ركب البحر الى آسيا وخلفه مغبار على
الجنود فى أوروبا ، وليفتح تراقيا ومقدونيا . وبعد قليل دعى مغبار
الى صوص ، وكذلك هستيا الذى ظهر أن من علم التبصر تركه وحده فى
تراقيا ، حيث أقطعه دارا اقطاعات واسعة فى مرسينة جزاء له على خدمته

ولقد منيت بلاد اليونان بجهد جديد ومصائب جدد تتخمر فى باطنها
فان هستيا لما ترك ملطية نزل عن السلطة الى أرسطاغوراس صهره وابن
عمه ، فجاء الى هذا الاخير بعض المنفيين من نكسوس يستنجذونه ،
وأحس من نفسه قلة الحول فى أن يقوم بمشروع فتح نكسوس وحده ،
فرجع فى الامر الى ارتافرن أخى دارا ومرزبانه على سرديس وجميع تلك
الجهات التى هى أول مرزبانية فى المملكة ، فطمع ارتافرن فى الاستيلاء
على نكسوس وما يليها من مدن السكلاد وحصل من دارا على الاذن
بتسيير مائتى سفينة تحت تصرف أرسطاغوراس ، ولكن الشقاق قد
دبت عقاربته بين الاحلاف فاستطاعت نكسوس أن تدافع عن نفسها وان

تصعد هجمات محاصريها وتردهم بالحربة بعد حصار أربعة أشهر ، وعلى ذلك لم يوفق أرسطاغوراس الى تحقيق شيء مما وعد به مرزبان سرديس فخاف من ذلك على سلطانه الخاص ، وعقد العزم على الا يكون نصف مذهب فغلظ ذنبه ، وأوقد نار ثورة صريحة دفعه اليها أيضا من خلفه هستيا الذي كان لا يزال في صوص عند الملك الكبير ، ولكن يجلب قلوب اللطيين اليه نزل عن حكومة الطغيان ، ورتب بدلها حكومة الشعب ، ودعا المدائن اليونانية الاخرى الى العصيان ، فاستجابت للدعائه وطردت جميع الطغاة الذين نصبوا عليها تنصيباً .

ان ما آتاه أرسطاغوراس من الانقلاب الكبير كان بعد استشارة اصحابه . فاما هيئات الملطي المؤرخ فكان رأيه الا يوقدوا نار الحرب في الحال وليس لديهم المال الضروري ، فلما لم يستطع الاقناع برأيه ألجأ في وجوب توجيه كل قواهم نحو البحر ، بفكرة أنهم قية أقل على الهجوم منهم في البر ، ولهذا الغاية نصح بأن يأخذوا جميع أموال كريسوس التي جمعها في معبد البرنثيد ، ولكنهم أصموا أذانهم عن الاستماع لهذا الرأي السديد ، وأصرروا على الثورة على أي حال . وكان أرسطاغوراس يشعر تماماً بضعف يونيا فذهب الى أسبرطة ليخطفها حليقة له .

ولقد عني أرسطاغوراس لتزيد كليومين ملك أسبرطة علماً بحقيقة مشروعاته بأن يبين له في أثناء المفاوضة مواقع البلاد التي كانت موضوع الحديث وهي ليديا وفريجة وقبادوس وفارس . الخ . بينها له مرسومة على صحيفة من النحاس حملها معه ، وكان وقتئذ من أحلك ما يكون رسم خريطة جغرافية . ويظهر أن أنكسيمندروس هو صاحب هذا الاختراع البديع ، ولكن كليومين لم يفهم الا بسؤال واحد : « ماهي المسافة بين بحر يونيا وبين المحل الذي يقيم فيه الملك ؟ » فأجابه ببساطة : « مسير ثلاثة أشهر » وكان ينبغي لأرسطاغوراس أن يحسب وقع هذا الجواب في نفس رجل أسبرطي ، لان كليومين بعد أن سمع هذا الجواب أمر نزيه أن يبرح لقدمونيا قبل غروب الشمس ، ورفض مع الازدراء المال الذي حمله اليه ليحاول اغواءه به . وكان ما قاله أرسطاغوراس عن المسافة حقيقة واقعية ، فان هيرودوت قد عُد بالضبط والعناية المائة والاحدى عشرة محطة الواقعة على الطريق الجميل الذي أنشاه دارا من سرديس الى صوص على نهر كواسب أو كراسو البعيد جداً من مدينة بابل نحو الشرق . فكان ١٣٥٠٠ غلوة أو ٤٥٠ برزيجا والبرزنج هو في المتوسط ٣٠ غلوة أو بعارة أخرى ٦٠٠ فرسخ ، فكان لابد للقيام بمشروع ضخم كهذا عبقرية أسكندر ومائتا عام حرب على مملكة الفرس

الضخمة ، ولم يكن لكليومين من خلقه ولا من زمانه مايجرئه على معاناة
امثال هذه المشروعات .

ثا فشل أرسطاغوراس في أسبرطة قصعد آتينا لانها صسارت
شيتا فشيننا أقوى مما كانت عليه منذ قلبت طغيان البيزستراتينين ،
واخذت ترسل السفراء الى ارتاقرون مرزبان سرديس حتى لايصغى الى
مزاعم هيبباس الذى التجأ اليه . ولما لم ينجح أرسطاغوراس فى استمالة
كليومين ، ونجح فى استمالة سكان آتينا ، وعدتهم ثلاثون ألفا - كما
ذكره هيرودوت بعبارة ملؤها التهكم ، اذ ذكرهم بأن ملطية كانت
مستعمرة لاجدادهم - فتقرر أن يرسلوا الى يونيا عشرين سفينة للتصرتها .
وكان ذلك - كما زواه أيضا هيرودوت ، بداية الحرب التى فيها لبست
الجمهورية حلل الفخر بتخليص الاغريق والتى فيها لاقت دولة الفرس
هزائم قاسية كانتا طلائع لحرايبها العاجل . وقد حمل أرسطاغوراس
اليون أيضا على الثورة ، وهم أولئك الذين أخرجوا من ضفاف استريمون
الى فريجة بأمر دارا ، وهُزبوا منها الى شيوز وسافروا من شيوز
الى لسبوس ومنها الى دوريسكوس ومنها عادوا الى بلدهم الاصلى .

لما وصلت السفن العشرون الى ايفيزوس وانضم اليها خمس سفن
أخرى من اريتريا لاقوا اخوة ارسطاغوراس يقودون جنود ملطية لان
اخاهم أقام بالمدينة يباشر بنفسه حركة التعبئة وقد ترك الجيش البرى
الاسطول فى مياه ايفيزوس وتقدم هو على ساحل « قايستر » يجرس
خلال طمولوس حتى وصل الى سرديس ، فأخذها من غير حرب تذكر
وحرقها بغاية السهولة ، لان سطوح منازلها مغطاة بالقصب اليابس .
ولم يتمكن ارتاقرون الا من الاستعصام هو وجنوده بالقلعة . وقد انزعج
الفرس والميديون لما رأوا المدينة غنيمة النار ، ولكنهم استجمعوا
شجاعتهم وخرجوا الى المحاربين وثبتوا

أمامهم حتى اضطروهم الى التقهقر نحو الشاطئ ، ونهض الفرس المرابطون
على الهالوس الى المعركة فلم يجدوا اليونان فى سرديس فاقتفوا آثارهم الى
ايفيزوس حيث نالوا منهم نيلا فى واقعة كبرى .

ولقد أخذ اليأس من الاتينيين كل مأخذ من جراء هذه الهزيمة
فانسحبوا على رغم رجاء أرسطاغوراس والحاحه ، ولكنه هو لم ييأس ، بل
اعتمد على جنوده الخاصة وعلى مساعدة مدن هلسبون وقاريا وجزيرة
قبرص العظيمة واذ ذاك كان أونيزيلوس طاغية سلامين منتقضا على
الفرس .

لما علم دارا بما أتاه الاتينيون من المشاطرة فى احراق سرديس أقسم

أن ينتقم منهم ويجزيهم على هذه الاساءة شر الجزاء ، وأرجل هستيا يدبوا
 ليعيد اليونان الى الطاعة بفضل دسائسه ، ولم تكن مع ذلك احوال اليونان
 بخير . بل ان قبرص سلمت بعد مقاومة شديدة ، وقاريا التي كانت تأثرة
 ردت الى الطاعة وكلازومين سقطت في قبضة ارتافرن وأوطانيس ، وكذلك
 سلمت كومة أوليد ، فلم يستطع أرسطاغوراس احتفال هذه الخيبة فأنزوى
 في مرسين بلد حميه هستيا . وكان هيكاظ الملطي يرى ان الاوفق لهم
 اللاتجاء الى جزيرة ليروس حيث يمكنهم البقاء حتى يعودوا الى ملطية في
 الوقت المناسب . ولما سافر أرسطاغوراس الى تراقيا قتل امام قلعة وهلك
 جيشه .

ولم يكن حظ هستيا بأحسن حالا من ذلك فان ارتافرن تظن في
 أمره ، وأطلع على دسائسه ففر بعد عناء من سرديس الى جزيرة شيوز
 فانتبهوه بفكرة انه صنيعة الفرس ، ولكنه بعد ذلك كسب جاذبيتهم بأن
 أظهرهم على ما فعل لاقامة ثورة اليونان فحملوه الى ملطية حيث قابله
 أهلها بقتور ، لانهم بعد أن نالوا حريتهم كانوا يخشون ان يعيد اليهم أيام
 طغيانه ، ولذا نفى من وطنه حصل من أهل لسيبوس على بعض السفن يطوف
 بها جهة بيزنطة ينهب أموال الذين لا يريدون ان ينضموا اليه .

أخذت العاصفة التي أنارتها ثورة أرسطغوراس تهيم على رأس يونيا القام
 تنقهقر امام هذا اخطار المزعج . انعقد البانيونيون وقررا الحرب ، ولم تكن هناك
 فكرة في حرب برية فلم يؤلف

جيش ملوعولت ملطية على أن تنفرد بحماية أسوارها التي يهددها العدو
 ولكنهم رتبوا أسطولا عظيما تجتمع سفنه في لادى وهي جزيرة صغيرة
 قبالة ملطية ، فاجتمعت اليه السفن من كل ناحية حتى ان الايوليين
 ارسلوا سبعين سفينة فكان الملطيون ومعهم ثمانون سفينة في الجناح
 الايمن جهة الشرق ، وكان مع البريين اثنتا عشرة سفينة ، ومع
 الميونتين ثلاثة ، ومع أهل طية سبع عشرة ، ومع الشسيوزيين مائة
 سفينة ، ومع الاريتريين ثمان ، والفوكيين ثلاث فقط كالميونتين ، وكان
 مع أهل سموس في آخر الجناح الايسر الى جهة الغرب سبعون سفينة ،
 فكان هذا الاسطول الكبير العبد في طاقته أن يقاوم حلفاء الفرس الذين
 هم الفينيقيون والقبارصة والصقليون والمصريون ، ولكن تسلل الشقاق
 بين اليونان ، وحقق بعضهم على بعض حتى يوم الواقعة فلم يتناصروا
 كما ينبغي . وكان السموسيون واللسبوسيون أول من فر من حومة
 القتال . ويكاد الشسيوزيون انما يكونوا وحدهم هم الذين صلوا سعيير
 الحرب وقاموا بواجبهم ولكنهم كانوا أضعف من الا يهزموا . وختمت
 الحرب بهزيمة تامة . وكان دينيس رئيس الفوكيين بطلا مغوارا ، وكانت

عزيمته بحيث يضمن الظفر لو أطاعوا أمره ، فلما انهزم لم يجد مناصا
من الهرب على شواطئ فينيقيا ، ومن هناك الى صقلية حيث يشسن الفارة
على القرطاجنيين والطرهينيين .

بعدا هزيمة لادى حوصرت ملطية برا وبحرا فأحسنن الدفاع عن
نفسها ، ولكنها أخذت عنوة بعد حصار مهلك ، قذبت رجالها وسبيت
نساؤها وأطفالها ، وسبق بهم أرقاء بأمر دارا الى مصب نهر دجلة ،
واحتل الفرس المدينة والسهل الذى يحيط بها وأعطوا بقية ما كان
يتبعها من الارض الى بيدازى قاريا . أما آتينا التى تخاذلت عن ملطية
وتركتها ، فانها المت لمصائبها التى هى نذير بمصائب أدهى وأمر . ولقد
صاغ هذه الواقعة المحزنة الشاعر الماسائى فرينشوس فى رواية تمثيلية
أبكت جميع شهود تمثيلها ، فحكم على الشاعر بتفريجه ألف درهم ومنعت
الرواية منها باتا .

ثم قصد الفرس جزيرة سموس فلما رأهم أهلها ومعهم أقيس
ابن سيلوزون طاغيتهم القديم الذى كان نفاه أرسطاغوراس تفرسوا
ماسينزل بهم القدر فاستحبوا الرحيل من أوطانهم على آآ يحتملوا ظلمه
مرة أخرى ، فهاجروا من جزيرتهم الى قلقة حيث كان يدعوهم الى صقلية
اهل زنكل . وكان السمونيون هم وحدهم اليونان الذين هاجروا
هذه المرة هم والمطيون الذين استطاعوا أن يفروا من المذبحة . ودخل
أقيس سموس تحت حماية الفرس الذين استثنوا معابد هذه المدينة
وحدها من الاحراق اعتدادا بجميل السموسيين الذين تخاذلوا عن
اخوانهم يوم لادى .

وقد حاول هستيا أن يقاوم من جديدا بعد أن انضم اليه بعض
اليونان والايوليين ، ولكنه قبض عليه قرب أطرنة فى ميزيا وسبق الى
ارتاقرن فى سرديس فقتله صلبا واسل رأسه مصبرة بالملح الى دارا فى
صوم .

ولما قضى الاسطول الفارسى فصل الشتاء فى ملطية فتح جميع الجزر
شيزوز ولسبوس وتندوس . . . الخ فى حين أن الجيش البرى يستكمل
فتح جميع المدائن الاغريقية .

ولقد كان لانتصار الفرس نتائج فظيعة ، كما أذكر الفرس بذلك
قبله بست سنين حين بدأت ثورة أرسطاغوراس ، فانهم كانوا يذبحون
الرجال ويخصون أجمل الفتيان ويرسلون أجمل الفتيات الى صوم ،

فيحرقون المذائب وما فيها من المعابد لينتقموا لحرق معبد سيبييل ألهة سرديس . وفي أثناء ذلك كان ارتافرن عامل اخيه دارا يدخل في اصلاح الشقاق بين اليونانيين ، وكان يضرب عليهم الجزية التي بقى مقدارها ثابتا لم يتغير الى زمن هيودوت أى بعد ستين سنة ، ثم أخذ مردنيوس صهر دارا قيادة جيش جرار في البر والبحر وسار به في يونيجا يقيم حكومة شعبية متجها الى أوروبا ليعاقب آتينا واريتريا على مساعدتهما في عصيان مستعمرات آسيا الصغرى . فأما اريتريا فقد أسلمها بعض الخونة فقهرها داتيس ، وحرقت معابدها وصعد رجالها في الاغلال يساق بهم أرقاء الى صوص . وأما آتينا التي هدها الخطر بعد اريتريا بأيام فنها اقتحمت الحرب وحدها هي والبلاتيون اقتحام الابطال ، وصدت الغازين في مرطون . وعلى ذكر مرطون امسك عن القول لاني لا اقصد روايه عجائب الشجاعة والوطنية . وماذا أنا قائل في الوطنية ! آتينا التي سيكون من امرها ان تنير العالم بذكائها قد خلصته وقتلذ بعزيمتها التي لا تتزعزع ، فاذا كان قدر للفرس أن ينتصروا ماكان عسى أن تصير اليه المدنية الغربية ؟ وماذا يكون مصير أوروبا ؟ الله وحده يعلم ذلك ولكن آتينا تستحق اعترافا أبديا بجميلها . وقد صيرت مرطون بلوغ الطرموفيل وأرتيميزيوم وسلامين وبلاته وميكل تجاه سوس من الممذونات . وكان أول شرط لقهر المتوحشين هو عدم الخوف منهم ، ذلك هو السنة الحسنة التي استنتها يونيا والتي اخذت بها آتينا في هذا الظرف أمام خطر مزعج . لقد افتدتنا مدينه مينرفا (آتينا) من الاستعباد الاسيوى منذ اثنين وعشرين قرنا . نحن الذين نعرف اليوم آسيا بعلاقة أننا نمدنها نستطيع أن نرى أكثر من اغريق ملتياد وطمستوكل من أبة هاوية انتشلونة . ونستطيع أن نحلف كما فعل ديمستين بأسماء الابطال شهداء مرطون .

في كتاب هيودوت ينبغي أن تقرأ هذه الحكاية الخطيرة على بساطة في سردها كتبها بعد الواقعة بأقل من ثلاثين سنة ، وانه ليخاطب في أولمبيا رجالا اخذوا بخط من ذلك الانتصار ومن الحوادث التي كان يمكن أن يكون هو لها شاهد عيان . فلا أريد أن أكرر ما حدث به ذلك المؤرخ الشريف من سيرة المجد ، ولكن لي بعض كلمات على يونيا لامتشى بالحوادث الى العهد الذي كان فيه ميليسوس آخر من علم من فلاسفتنا في سموس مذاهب مدرسة ايلي .

لما قهر اليونان اضطروا الى ان يخدموا سادتهم ويتبعوهم في حروبهم ضد اغريقا ، ففي سلامين كان من سموس اثنان من قواد

الاسطول الفارسي ، طيومستور بن اندروداماس وفيلاقس بن هستيسا
وقد ابلوا بلاء حسنا ضد سفن لقدمونيا حين كان الفينيقيون يحاربون
سفن آتينا ، ولكنه مهما كان لاغريق آسيا الصغرى من العمل في تأليف
جزء عظيم من اسطول دارا واكراركسيس ، فانهم لم يكونوا الا ليرتبصوا
الفرصة المناسبة للعصيان . بعد هزيمة سلامين جاء اسطول الفرس
يقضى الشتاء في كومة وفي سموس بعد ان وصلت الملك المغلوب ومعينته .
فلما جاءت السنة التالية حضر الاسطول الاغريقي تحت قيادة ليوتيخيدس
ملك اسبرطة يبحث عن اسطول الفرس في مياه آسيا الصغرى اظهرت
له جميع مدائن الشاطئ والجزر استعدادها لمظاهرة والعصيان على
الفرس ، وعلى الاخص جزيرة سموس ، فانها كانت تلهب شوقا الى
خلع طيومستور الذي رماهم به المتوحشون طاغية عليهم . فارسلت
لهذا الغرض رسلا الى ليوتيخيدس مسوءا في اسبرطة اوديلوس ،
ليؤكدوا له استعدادها . وربما كانت هذه المخابرات هي التي قوت
رئيس الاغريق على الحضور لمهاجمة الفرس في موضعهم ، ولكن المترشحين
منذ الدرس القاسي الذي تلقوه في سلامين لم يكونوا ليجرؤا على اقتحام
حرب بحرية . وقد اذنوا للاسطول الفينيقي أن ينسحب ، ولم يكن يبقى
معه الا يونان واغريق من الشاطئ ، فغروا مركزهم من سموس الى ميكال
حيث جروا سفنهم الى البر واحاطوها بسور يصح أن يكون خط دفاع ، وإلى
جانبا جيش مؤلف من ستين ألف مقاتل تحت قيادة تجران الذي عهد
اليه اكراركسيس في المحافظة على يونيا . وكان الفرس يظنون أنهم من
موضعهم هذا في حصن حصين . ولزيادة الحيلة قد نزعوا السلاح من اهل
سموس الذين كانوا يتهمونهم بأن لهم ضلعا مع ليوتيخيدس والذين كانه
منهم أن اقتدوا بمالهم آتينا وردوهم الى وطنهم ، وفوق ذلك فقد
كلف الفرس اللطيين بحماية الطرق المؤدية الى قم ميكال ، وعلى ذلك لم
يكن لديهم ادنى ريب في أن يصدوا من حصنهم كل هجمة عليهم من العدو ،
ولسكنهم مع ذلك قد اهلكهم الاتينيون والقورنتيون بفضل شجاعتهم
وبانتفاض اهل سموس وأهل ملطية ، فدمر جيشهم تدميرا ، وقتل قومه
تجران وحرق اسطولهم ورجع الاغريق ظافرين من هذه الواقعة مثقلين
بالغنائم .

كانت يونيا قد تخلصت من حكم الاجنبي بعد واقعة ميكال ، ولكن
هل تستطيع أن تقوم قائمتها بنفسها وتدفع عنها حمق المتوحشين متى
تمرت الى قواها وحدها ؟ كان من المشكوك فيه أن لها طاقة على المقاومة ،
فاجتمع القواد في سموس وتداولوا فيما إذا كان الواجب على اليونان أن

يهجروا نهائيا سواحل آسيا الصغرى ويلتجئوا الى قسم من اغريقا يعين لهم ، فعارض الاتينيون جد المعارضة في هذا القرار مع أنه كان من الميسور تعويض اليونانيين على حساب الخونة الذين كانوا قد تخاذلوا عن الدفاع في القضية العامة عند الغارة الميذية . وأما البلوبونزيون فانهم انضموا الى هذا الرأي من غير مشقة ، ووقف الامر عند عقد معاهدة محالفة مع الأسوسيين والشيزيين والسبوسيين وجميع انذين شاطروا في الظفر . وقد كان الجيش الفارسي قد التجأ الى سرديس حيث كان اكزاركسيس باقيا منذ رجوعه المخجل ثم تركها توا الى صوص ليستر عاره . ويكظم غيظه . وثلا أصبح الاسطول الاغريقي سييدا على بحر ايجه كله لايهاب فيه عدوا رجع الى جهة بيلوبونيز سائرا على امتداد كل انشواطىء حاملا من أيلدوس بعض بقايا قنطرة اكزاركسيس المشهورة لجعلها في المعابد تذكارا لذلك الانتصار .

لما آمنت يونيا شر غارات الفرس أخذت تعم ما تخرب ووضعت نفسها تحت حماية آتينا التي تربطها بها تذكارات الماضي ومنافع الحال وضعا تاما بقدر الامكان ، وبهذه المثابة تحزبت يونيا مع آتينا ضد أسبرطة التي كان ملكها ليوتيخيدس وبوزانثياس موضعا للثظن فيمما يتعلق بعلاقاتهما مع المتوحشين . لقد كانت آتينا قوية جدا في البحر بحيث تستطيع أن تقدم ليونيا مساعدة عاجلة مفيضة في حين أن أسبرطة لا تستطيع أن تقدم هذه المساعدة ولو أرادت . من أجل ذلك أخذ اليونان بحظ عظيم في اتحاد ديلوس وشاطروا بمقدار وافر في النفقات العامة التي أنفقها الحلفاء للمتحصن من هجوم المتوحشين كرة أخرى ، وكان ذلك على أثر حوادث بلاتة وميكال اى في نشوة الاستقلال اشتد بجبوحه الثقة المتبادلة (نحو سنة ٤٧٧ قبل الميلاد) .

ولكن آتينا كان من شأنها أن جاوزت في استعمال السلطان الذي أوتيته عفوا فجرت على نفسها الغيرة والاحقاد التي سببت بعد ذلك حرب بيلوبونيز في وقت كان عنوهم المشترك لا يزال فيه بقية . وأخذ سلطان آتينا ، كما نبه اليه ارسطو ، يثقل على نفوس حلفائها الذين هم مساوون لها لا رعاياها ، وبخاصة أهل نكسوس وطاشوز الذين عوملوا معاملة قاسية ظالمة (٤٦٧-٤٦٥) ولم يكونوا ليستسلموا الى غطرسة الاتينيين في أوامرهم . غير أن الاسطول الاتيني وهو مؤلف من مائتي شراع كان يبحر دائما على شواطىء آسيا عزيز الجانب مهيبا من الاسطول الفينيقي الفارسي الذي هرب أمامه حتى بلغ مياه النيل . كانت تلك خدمة حيوية

ليورنيا . من أجل ذلك كانت يوثيا من جانبها تتسامح في تكتيسير من الامتهان الذي كانت تحنيه عليها حليفها القوية في مقابل هذه الحماية المستمرة التي تنالها . والظاهر ان اعترافها بجميلها كان الى انفاية القصوى حين رأت ان استقلالها مضمون بمعاهدة استكرهت آتينا على عقدها الملك الكبير بعد عدة انتصارات داوت الهزيمة التي وقعت في مصر (٤٥٥ قبل الميلاد) وهذه المعاهدة التي يرجع الفضل في نصوصها الى دهن سيمون وأعماله في قبرص ، كانت تنص على أن فارس تترك شواطئ آسيا الصغرى التي يقطنها الاغريق حرة تمام الحرية فلا تضع عليهم جزية ولا تدنو بجندوها الى خط على مسافة معلومة من الشاطئ ، وفي مقابل ذلك يتعهد الاتينيون وحلفائهم الا يغزوا بعد الآن قبرص ولا صقلية ولا فينيقيا ولا مصر . وقد أرسل الاغريق سفراء الى صوص حيث صدق على المعاهدة وكن قلياسي هو الممثل لآتينا (نحو ٤٤٩ قبل الميلاد) (١) .

صارت جمهورية آتينا وقتئذ في أوج قوتها ، فانها كانت على رأس اتحاد بحري تكاد تتصرف فيه على هواها ، مؤيدة بطائفة من الاحلاف في القارة ، سيدة على مستعمرات عديدة على جميع سواحل بحر ايجة وعلى الهلسيون وبحار الاغريق ، يضطلع بأعبائها رجل مثل بيريكليس . فهي لذلك كانت تتطلع الى بسط سلطانها المطلق على جميع الجنس الاغريقي . وهذا الطمع هو الذي أعماها وذهب بها . من بين حلفائها كانت سموس وهي أشدهم بطشا وكانت تحتفظ هذه الجزيرة الكبيرة تلقاء آتينا بنوع من المساواة في المعاملة قد لا يأتلف وما تضره الجمهورية من مشروعات بسط سلطانها ، فحدث شجار قليل الخطورة بين سموس وبين ملطية بشأن أرض بريين الصغيرة جر الى المداخلة الآتينية فان الجمهورية قد دعت الفريقين الى التقاضي أمامها . وكانت سموس تخشى تحيز بيريكليس للمطية التي هي وطن أسباسيا فرفضت قبول هذا التحكيم المريب فأرسلت آتينا لغورها أربعين سفينة لأرغام سموس على الطاعة ، فقلبت حكومتهم من الاوليجارشية الى الديمقراطية ، وأخذ خمسون من اعيان الاهلي وعدد مثله من أبناء العائلة الرفيعة رهائن وضعوا في جزيرة لمنوس . وبقية حامية في سموس لتحقيق نظام الحكومة الجديدة (نحو ٤٣٩ قبل الميلاد) .

كان هذا التصرف من جانب آتينا فظيما فقبول بمثله لان منفى

(١) الح ج جروت الماحا شديدا في بيان الاهمية الكبرى لهذه المعاهدة . (تاريخ الاغريق

(ج ٥ ص ٤٥١ وما بعده) .

سموس ذهبوا الى بيسوتنيس مرزبان سرديس يستنجذونه فأمدهم ببعض مقاتلين فقصدوا سموس وعدتهم سبعمائة رجل ، وانقضوا على حرس الجزيرة الاتيني بياتا واسلموهم الى بيسوتنيس . وفي الوقت عينه كرة رابحة مثل الاولى على جزيرة لمنوس ردت اليهم رهائنهم ، وفوق ذلك تحالفوا مع بيزنطة التي تكاد تكون مثلهم في التبرم بحكومة آتينا ، وكان ذلك مفيداً لهم . كل هذا انما هو خطر جدى يتهدد الجمهورية ، فلو احتملت عصيان سموس لذهب ذلك برئاستها وبسلطانها الذى كانت تؤيده هدنة الثلاثين عاما التى عقدت قبل ذلك ببعض سنين مع اسبرطة عدوها الوحيد المريب ، لذلك عقدت آتينا العزيمة على التتكيل بسموس تنكيلا يمنع سواها من أن يهم بتقليدها . ستون سفينة أرسلت سراعا الى الثائرين انفصل منها ست عشرة اما لمراقبة الاسطول الفينيقي على شطوط آسيا ، لان بيسوتنيس لا يفوته أن يضعه تحت تصرف الثائرين ، واما لياتى بالند من جزيرتي شيوز ولسبوس اللتين بقيتا تحت الطاعة ، ولكن من الجائز عليهما أن تلقيا ظهر المجن . وبقي الأربع والاربسون سفينة امام سموس تحت قيادة بيريكليس احد القواد العشرة السنويين الذين من بينهم سوفكل الشاعر الذى نشر « انتيجون » السنة الماضية . ومع أن السموسين كانوا يتوقعون هذا الهجوم ، فانهم كانوا ذهبوا لمحاصرة ملطية ، وكانوا عائدلين اذ التقوا مع بيريكليس بالقرب من جزيرة تراجيا ، ومع أنه كان لديهم سبعون سفينة من بينها عشرون تحمل رجال حرب فان بيريكليس لم يتأخر عن منازلتهم وانتصر عليهم ، وعوضت خسارة سفنه بالمدد الذى جاءه وقدره اربعون سفينة جاءت من آتينا وخمس وعشرون من لسبوس وشيوز اللتين قدمتاها باخلاص .

وقد تلت الواقعة البحرية واقعة برية ، اذ نزل الاتينيون الى الارض ، وانتصروا على الثائرين وأسرعوا فى اقامة أسوار عالية تحصر المدينة من ثلاث جهات فى حين انها مضيق عليها من جهة البحر أيضا تضيق . وفى هذا المركز الحرج ثنى السموسين أن يرسلوا خمس سفن تحت أمرة استيزاغوراس يستعجل الاسطول الفينيقي الذى كانوا احوج ما يكونون اليه . وليتدرك بيريكليس خطر تجمع هذا الاسطول اسرع بستين سفينة مما معه امام سموس متجهها الى قونوس فى قاريا حيث كانت هى موطن الاجتماع كما كان يقال . فلما بعد بيريكليس خرج السموسيون مستقتلين ، ولم يكن خط دفاع الاتينيين قد تم بعد فانهمزموا وخربت بعض سفنهم ودارت عليهم الدائرة فى البر والبحر ، ولكن نجاح السموسين لم يكن ليليث . مدة فان بيريكليس لما رجع بعد غيبة اربعة عشر يوما غير مجرى الحال ، ولكن فى تلك المسلة كانت المدينة قسدت

استطاعت أن تدخر الزاد وفيرا واستعدت لمقاومة حصار جسد . عاد الحصار كما كان وقوى الحصار البحري بستين سفينة جاءت من آتينيا وثلاثين من لسبوس وشيوز فكدات تكون عدة مجموع السفن مائتي شراع تعيط بسبوس .

فى هذه الحادثة نال ميليسوس القدر المثل فى الوطنية وساعد الطالع ، إذ كان على رأس الاسطول والجيش فانتهر غيبة بيريكليس وأحرك حمية مواطنيه بغاية الإقدام وكتب الظفر الذى تكلما عنه آنفا . ويظهر على قول بلوتارخس فى ترجمة بيريكليس مستندا إلى أرسطو : أن ميليسوس هزم بيريكليس نفسه فى واقعة بحرية أولى ، غير أن طوكوديدس الذى شهد هذه الوقائع لم يقل شيئا من ذلك فتكون هذه الرواية محالا للشك . ومع ذلك فإن النجاة الأولى لميليسوس لم يكن من شأنه أن يخلص وطنه ، فان بيريكليس لما جاء نبأ هزيمة جيشه عجل إلى سموس فخرج ميليسوس للقائه . ولكنه انهزم فى حرب يرية ، ويمكن أن يكون هزم أيضا فى واقعة بحرية . وقد استمر الحصار على أضيق مما كان . وقيت سموس وفيها ميليسوس تقاوم تسعة أشهر ، لأن بيريكليس كان أحب إليه أن يأخذها بالاناء حتى مع اتفاق المال والزمان من أن يسفك الدماء الآتينية . فلما جاء السموسيون على آخر زادهم سلموا ودك بيريكليس اسوارهم وأخذ يصفنهم واضطروهم إلى دفع نفقات الحرب التى قدرت كما قيل بألف طالين ، أى خمسة ملايين من الفريكات فى زمننا ، فدفع سموس على الفور جزءا من هذا المبلغ الطائل وقتله . وتعمت بدفع الباقي مؤمنا عليه برهائى قدموها . ويقال أن بيريكليس أبدى فى هذا الطرف ما تقشعر له الأبدان من القذاعة فى معاملة بعض الأسرى الذين ماتوا تحت العصا بعد تعذيب عشرة أيام ، ولكن الذى روى هذه القذائع مؤرخ متأخر من سموس وهو دوريس فى عهد بطليموس فيلادلفوس . ولا شك فى أن روايته تشف عن الحقد الوطنى ، فان بلوتارخس زيف هذه الرواية التى لم يجد لها أصلا فى طوكوديدس ولا فى أرسطو ولا فى ايفورس وهم الذين استرشد بمؤلفاتهم فى ترجمة بيريكليس .

يظهر أن آتينيا كانت تعلق أكبر أهمية بقمع ثورة سموس ، لأن مثلها من شأنه أن يخذل . فإذا قلد سموس غيرها تداعت مشاريع الجمهورية الآتينية رأسا على عقب . من أجل ذلك قول هذا الظاهر فى آتينيا عند عودته إليها بأجل مظاهر التخمس ، وأقيمت حفلات المآتم الفاخرة لشهداء هذه التجربة . وكلت المحكمة المقدسة أمر تاييتهم إلى بيريكليس . ليس لدينا نص هذا التايين ، ولكننا نتمكن أن نأخذ عنه فكرة من التايين الذى نقله لنا طوكوديدس من حيث المعانى على الأقل .

ذلك التابين الذى تقيم لشهداء حرب البيلوبونيز ، فان بين الحربين علاقة مشابهة . لان كلتيهما فتنة داخلية تمزق وحدة الاغريق . وقد قوبل مدح شهداء حرب سموس بغاية الحفاوة ، فان بيريكليس لمسا نزل عن منصبه الخطابة قامت اليه النساء جميعهن متأثرات بالاعتراف بفصله يعانقنه ويتوجنه بالازهار والعصائب ، كما كان يصنع بالمصارع المنتصر فى حفلة الالعب العمومية ، الا امرأة واحدة لم تشرك الجماعة فى ذلك الاعجاب المجمع عليه ، تلك هى ابليينس أخت سيمون السذى كان زمانا طويلا منافس بيريكليس وأقبلت عليه تقول له : « حق انها أعمال مجسد حقيقة بهذه الاكاليل ! ولقد أضعنا رجالنا لا فى حرب الفينيقيين أو الميديين ، كما فعل أخى سيمون ، ولكن فى تخريب مدينة مجالفة تدل بأصلها البنا وجعل عاليها سافلها » .

لم يكن هذا الانتقاد الا مصداق الحقيقة ، ولكن الظافرين قد كانوا سكارى بخمرة الظفر . ولم يكن حظ سموس الا نذيرا بما غيبه القدر لكثير من المدائن الاغريقية الاخرى فى الحرب الكبرى التى كان يتوقعها بيريكليس . والظاهر انه هو أيضا كان متأثرا بنجاحه الى حد لا يأتلف مع اعتدال أخلاقه المعروف . فاذا صدقنا فيه الشاعر يون الشيروزى لحسبنا بيريكليس يفخر بأنه فاق أنعمانون الشهير الذى قضى عشر سنين فى فتح مدينة أجنبية ، مع انه لم يقض الا تسعة أشهر للاستيلاء على أكثر المدائن اليونانية مالا وأعزها نفرا ، ولكن كلمة بيريكليس هذه انما نقلها صديق لسيمون خصمه فهى بذلك بعيدة الاحتمال ، إن كلمة كهذه تخرج من فم رجل سياسة لا تعد الا غشما ، انها فخر شخصى سىء الذوق ومعاذرة فى غير موضعها موجهة للحلفاء ، ولكن مهما كان انتقاص هذا الشاعر له حقا وباطلا ، فانه كاف فى الدلالة على ما علقته آتينا من الاهمية على هينته الحرب قصيرة العمر غزيرة الدماء . وعلى رأى طوكوديدس السذى هو مؤرخ شاهد عيان ان السموسيين لو كانوا انتصروا فى هذه الحرب لآخذوا من آتينا سيادة البحر ، فكانت هذه الحرب على ماضى محل للاستغراب حرب موت وحياة بالنسبة للجمهوريتين . فلما خضعت سموس رغيتم مقاومة ميليسوس العنيفة لم يبق لآتينا شىء تخشاه الا شر نفسها ، وذلك نوع من الخطر تلهو عن الشعور به المدائن كما تلهو عنه كبرياء الافراد .

لا أريد ان أجاوز بهذه الاعتبارات التاريخية الى ابعد من ذلك بل يظهر لى انها على ايجازها كافية لان تكشف بوضوح عن حالة الوسط الحقيقى الذى نشأت فيه الفلسفة والذى عاش فيه الاعيان الذين تشتغل بأمرهم وعملوا أعمالهم . وانى ملخص أبرز رسوم هذه اللوحة التى رسمتها لانماش حياة تلك الازمان أو بعض اجزائها على الاقل .

أجل ظهرت الفلسفة لأول مرة في آسيا الصغرى قبل الميلاد بسنة
أو سبعة قرون ، أنها المستعمرات الاغريقية التي خرجت من يونيا
بيلوبونيز ، وهى التي أشعلت هذا المصباح فى إقطاع نصفه متوحشة
ونقلته الى آتينا حيث كان الاستعداد للانتفاع به تاما ، فان انكساغوراس
الكلازومينى عاش مع سقراط ، وسقراط هو أب افلاطون ، ويمكن أن
يقال انه أب لارسطو أيضا ، ولكن قبل أرسطو وقبل افلاطون وقبل
سقراط كانت بنور الفلسفة مبذورة على أرض أخرى ، وكان من اللازم
أن تنتقل الى ايطاليا حيث تؤتى ثمراتها . نعم ان الفلسفة كانت مسبقة
هناك كما هو شأنها فى كل ناحية بالشعر ، فان هوميروس أنشد من قبل
ان يفكر فيثاغورث بأربعمائة أو خمسمائة عام ، ولكن العلم بجميع
صوره : الفلك والرياضيات والطبيعة والتاريخ والطب ، كل ذلك تبسح
الفلسفة وناصرها ، لان الفلسفة هى التى نفخت روح الحياة فى كل هذه
الفروع واكتسبت بها قوى جديدة .

فى وسط المنازعات المدنية والحروب الاجنبية والتجارة والصناعة
والملاحة الى الجهات السحيقة والوقائع والاحطار المتنوعة ، فى وسط
حروب الابطال التى كان يذكى نارها فئة قليلة من الرجال الاذكياء الاحرار
على دولة فخمة ، فى وسط كل ذلك يجب أن يوضع مهد الفلسفة الخاشع
المجيد . لم يكن هاجر فيثاغورث واكسينوفان الى شواطئ ايطاليا والى
اغريقيا الكبرى الا سخطا على الطغيان أو الاضطهاد . وما لقحت ايطاليا
الا بهذين الاستاذين اللذين جاءاها من الشاطئ الآخر للبحر ، ولكنها
لم تثمر لان النبات الغريب لم يجد فيها الاغذية الضرورية لنضجه . فكان
أن ترجع الفلسفة الى منزلها الاول الذى منه درج أوائل المهاجرين لتكسب
فيه صورتها الحقيقية وتكتسى ثوب جمالها وتستوفى قسطها من العظمة
وحقها من الاستقلال الذى كللها به استشهاده أهلها . غير أن هذه
الفلسفة ذاتها مهما دعا الظاهر الى انها ابتدعت فى اغريقيا ألا يكون من
المحتمل أن تكون اقتبست الشرارة من قبس الاختلاط مع جيران اغريقيا ؟
فان طاليس قدعاش مع الليديين ، وأصل أجداده من فينيقيا . وفيثاغورث
الذى يمكن أن يكون هو أيضا من أصل فينيقى زار حقيقة سنوريا ومصر
وكلدة ماذا تعلم هناك ؟ وماذا جلب منها ؟ أو بعبارة أخرى بماذا تدين
الفلسفة الاغريقية جدة فلسفتنا وأم غربنا للعلم الشرقى ؟ هل من عليه
يحل هاتين المسألتين ؟ هل العقل اليونانى بل العقول الغربى اقتضى
شيئا ما من العقل الشرقى العتيق ؟ هذه أيضا مسألة مظلمة على ما لدينا
من النور الحديث ، وسأحاول الجواب عليها بعد ، غير انى بادى ذى به

أبغى تكملة لما سبق أن أثير مسألة أقل بسطا ولو أن لها أهميتها وفائدتها
فإنها مع قلة تسديدها جوهريّة .

نحن نعرف فلاسفتنا ونعرف بعض الحوادث الرئيسية في حياتهم .
نعرف بعض مؤلفاتهم إن لم تكن لدينا كلها . وإذا كان هوميروس هو
وحده الذي وصل إلينا كاملا تقريبا بفضل أفلاطون فقد كان يمكن أن
يصل إلينا الآخرون إذا لم تكن المصادفة أعمدت تأليفهم التي هي
مستودعات أفكارهم . إذا فقد كتب الإقدمون ومن ذا الذي يجعل ذلك
موضوعا للشك ! هذه النظرية التي أقر بها هنا ليست قاصرة على ما يتعلق
بطاليس وفيثاغورث واكسينوفان ومعاصريهم ولكنها تنسحب أيضا على
من قبلهم وعلى من بعدهم إلى مسافات طويلة ، كيف خرجت من أيدي
مؤلفيها تلك المؤلفات التي هي الآن تحت أيدينا كاملة أو آثارا ناقصة
ومخرومة . وعلى أي مادة كتبت باديء الأمر وماذا كانت وسائل الكتابة
في عهد اكسينوفان بل في عهد ليكورغوس أو هوميروس ولاجل أن يكون بحثنا في
حدود وضعية ضيقة تساهل كيف كانوا يكتبون في المستعمرات الإغريقية
بآسيا الصغرى في حاجات تجارتهم النشطة ومقتضيات سياستهم المعقدة
الحازمة وشعرهم الحاد وعلمهم العجيب وبالجملة في سائر حاجات عيشة
اجتماعية راقية مليئة بالأعمال .

أظن أننا الآن بحيث نجيب على هذه المسألة بطريقة قاطعة واضحة
تمام الوضوح . ولكن قبل أن نقول كلمتنا في هذا اللغز نرى من الحسن
تقديم حوادث مسلم بها لنبين أن استعمال الكتابة قبل الميلاد المسيحي
بسبعة قرون في آسيا الصغرى بل في فارس نصف المتوحشة كان من
الانتشار والسهولة على ما هو عليه عندنا الآن . كانت موادها أشياء
أخرى ولكنها تكاد تساوى المواد التي نستعملها اليوم إلا أعجوبة المطبعة .
لم يكن للناس في تلك الأزمان البعيدة ورق كالورق التي عندنا ، ولكنهم
كان لديهم ما يساويه وما يؤدي لهم المطلوب من الورق .
أفتح بالمصادفة هيرودوت وطوكوديدس واكسينوفان وأفلاطون
وإرسطو وأخذ الأشياء كما رواها بل كما رواها وكما استعملوها

أضمر هربغوس وهو في معية اصطياع ملك الميديين أن ينتقم من
سيده القاسي انتقاما وينتصف لنفسه ، وأراد أن يتفق مع قيروش الذي
على حداثة سنه كان له بين الفرس من النفوذ ما سيخرج منه مملكة
فسيحة الأرجاء . لما لم يسع هربغوس أن يتصل مباشرة بالأمير الشاب
الذي يحمل هو أيضا ما يدعو للانتقام ، أرسل خادما أميناً يحمل إليه
بعض الصيد ، وجعل في بطن أرنب كتاباً أخفاه فيه يحرض به قيروش

على القوة ، ويؤكد له مساعدته اياه . ماذا فعل قيروش ؟ لما فتح بطن
الارتب بيده . كما اوصى المهدي خادمه به ، وقرأ الكتاب بعزل ، وضع
كتاباً مزوراً يفيد ان اصطياع قد عينه رئيساً على الفرس التابعين وقتئذ
للميديين . وقرأ ذلك الكتاب المزور على اعضاء عائلة الاشيمينيين
فصدوه ، وبهذه المشاة قادهم قيروش على غير علم منهم وحارب بهم
اصطياع وخلعه (١) . ولم يكن هربفوس وقيروش مع ذلك الا متوحشين .
ولكن ها نحن اولاء يصدد أناس متعلمين في آسيا الصغرى وفي مصر .
وهذا بوليقراطس طاغية سموس وهو على سرير ملكه متمتداً

بالرفاهية الى غايتها والناس الذين يعجبون به أو يخافون بطشه يكبرون
منه حذقه وسعاده . وكان له بامازيس الحكيم ملك مصر رابطة اتفاق
بل صلة صداقة فخاف اماريس على صاحبه ذلك الموفق المويب مما اجتمع
له من التوفيق المستمر أن يتغير له الدهر ، وهو يعلم انه لاثبات للحظوظ
الانسانية فتصح له أن يحذر الغير في قلب القدر ، كتب له بذلك خطاب
عطف ونبوة اوصاه فيه أن يضرب على نفسه قرباناً يتقى به سخط الحظ
الخادع الخائن ان استطاع . فاجابه بوليقراطس الذي يخشى على نفسه
ما يخشاه صاحبه بخطاب أرسله اليه في مصر ، ذكر له فيه الوسيلة التي
اتخذها ليصيب نفسه بمحض اختياره بمصيبة موجعة . والمصادفة الحارقة
للمعادة هي التي صيرت قربانه عبثاً . فكان اماريس وبوليقراطس يتبادلان
الرسائل بين سموس ومنفيس على نحو السهولة التي يتخاطب بها التجار
في وقتنا الحاضر بين ازير والاسكندرية (٢) . لست أدعي أن الخطاب
الذي نسيه هيرودوت الى اماريس صورة رسمية من خطابه الاصل لا يتطرق
انيها الشك ولكنه لا محل لادنى شك في أن الملكين كانا يتبادلان الرسائل
الكتابية .

كذلك كان بوليقراطس نفسه قد جمع مكتبة كثيرة الكتب كما
ذكرنا آنفاً ، وقد كانت في العالم الاغريقي احدى الباكورات التي استمتع
بها بوليقراطس وأنفق في جمعها مالا طائلاً . ويقولون نحو ذلك بالنسبة
الى بيزيسطراط المتقدم بالزمان على بوليقراطس . يقولون انه أنشأ مكتبة
في آتيننا وجعلها مكتبة عمومية ليلطف من حال الشعب بهذه المزية وبغيرها ،
ولكن ناقل هذا الخبر الينا هم من المتأخرين ، لان احدهما أطيني والآخر
اولوجل ، غير اني لا أجد أسباباً تحمل على الشك في روايتهما . فاما
بوليقراطس فان مصر كانت له قدوة ما كان أسهل عليه تقليدها كما
سنبينه بعد ، وكان في استطاعته أن يجمع آثار المؤلفين الذين يعجبون

(١) هيرودوت ك ١ ب ١٢٢ وما بعده

(٢) هيرودوت ك ٢ ب ٤٠ وما بعده .

سكان الشواطئ الذين يطربون للشعر ويتذوقون طعوم العلم منذ عهد هوميروس . وأما بيزيسطراط فمن المؤكد انه اذا لم يكن فتش مكتبة للجمهور فهو على الاقل قد اقتنى الكتب واشتغل بنفسه فيها لغرض سياسى محض . وروى بلوتارخس فى كتابه «حياة طيسى» أن بيزيسطراط سلع من «هيزيود» بيت شعر كان يمكن أن يجرح صلف الاتيين ، وانه زاد على قصيدة هوميروس بيتا من شأنه أن يسرهم ، فذلك الجذف وهذه الاضافة كيف يمكن اثباتهما الا أن يكون لديه نسخ من تلك القصائد يمكن فيها التغيير والتبديل .

نرجع الى استعمال الرسائل فى العهد الذى نحن بصدده .

ان أوريطيس مرزبان سرديس الذى عامل بوليقراتس بتلك القسوة الفظيعة استوجب بسنلوكه الوحشى سخط كل من حوله ، فان أحد زملائه عاب عليه أحبولته التى نصبها لطاغية سموس ، فقتله هو وابنه . وكان دارا الذى ارتقى عرش الملك حديثا ساططاً على أوريطيس الذى فوق ما قارف من الآثام تلكاً فى حرب المجوس والفرس بعد موت قمبيز ، وكان ذلك أكثر مما يلزم للملك الجديد من الاسباب التى تحمله على التخلص من مرزبان قوى يسوس فريجة وليديا ويوتيا جميعا ويقود جيشاً عمرماً . ولان يقبض عليه جهرا بالقوة فيه ما فيه من عدم التبصر خصوصاً فى ابتداء حكم جديد . ومع ذلك فان أوريطيس دس على سفراء دارا الذين جاءوا يدعونه الى مقابلة الملك من قتلهم سرا ، فصار بجيلة ما فعل مستحقا للعقوبة ، ولكن كان يلزم مداراته بعض الشيء وتجنب ثورة أصبح حدوثها قريب الوقوع ، فدعا دارا اكابر الفرس وطلب اليهم أن يخلصوه من ذلك العاصى اما بقتله وأما بالقبض عليه واحضاره ، وفى كلتا الحالتين لا ينبغي اتباع غير طريق الحيلة ، فتقدم اليه منهم ثلاثون دفعة واحدة كلهم يعرض قيامه بهذا العمل وحده ، فلم يشأ دارا أن يختار من هذه العروض الصادرة عن الاخلاص واقتزع بين أصحابه قصادفت القرعة باجى بن أرطوطيس .

ماذا فعل باجى ؟ كتب كثيرا من الاوامر تتعلق بمسائل شتى ، وختم كل واحد منها بختم دارا ، فلما وصل الى سرديس سلم هذه الاوامر الى سكرتير الملك بحضرة أوريطيس ، لان كل مرزبان كان لديه ممثل للملك ، ففرض السكرتير الخاتم عن تلك الاوامر وقرأها على الضباط العظام الذين كانوا حول أوريطيس . وكانت تلك الاوامر موجهة اليهم بنوع أخص ، فتلقوا جميعا أوامر الملك بعباية الطاعة والاحترام . فسر باجى بهذه المحنة الاولى ورأى أن فى استطاعته الاعتماد على طاعتهم ، فأفضى اليهم سرا ببعض الاوامر التى يأمرهم فيها دارا بالانقضاء عن أوريطيس والانقطاع

عن خدمته ، فأطاعه الضباط أيضا والقوا رماحهم دلالة على أنهم تركوا
المرزبان ، فلما تحقق باجى من تأثيره فيهم جعل سكرتير الملك يقرأ عليهم
أمره اياهم بقتل المرزبان ، فهجموا عليه فخر صريحا تحت طعنات سيوفهم ،
وبذلك أخذ منه القود لبوليقرطس ، ونال دارا بغيته من الانتقام (١) .

على ذلك كان الفرس أنفسهم فى زمن دارا يستعملون الكتب
بالسهولة التى يستعملها بها الاغريق الذين هم أرقى منهم تعلما وأكثر
مدنية ، فان الملك الكبير كان يرسل أوامره الى جميع اجزاء مملكته
الفسيحة الارزاء . وكانت هذه الاوامر مكتوبة بالالوضاع وبالمواد التى
ربما لا تزال تستعملها الى الآن تلك البلاد القليلة المدنية .

لما اتهم الاغريق بوزانياس بأن له ضلعا مع الفرس وكرهوه عزم
فعلا على خيانة قضيتهم الشريفة التى طالما خدمها فى بلادة ، فراسل
اكرادكسيس بكتاب يعرض عليه فيه أن يخضع له أسبرطة وبقية بلاد
الاغريق ، فقبل ملك الفرس عرض ذلك الخائن ، وكتب اليه بخط يده
كتابا يرسله اليه مع أربطاز مرزبان دسكيلينس . فلما أحسن أهل
ايفورس خيانة ملكهم ، كتبوا اليه يندرونه بأن يغادر طروادة ويعود الى
أسبرطة حيث يستطيعون مراقبة سلوكه . فلم يجرؤ بوزانياس على
مخالفتهم ، وعاد الى مقر ملكه ، ولكنه لم يكف مع ذلك عن مراسلته
الجنائية ، ولكن الرجل الذى سلم اليه آخر الرسائل خاف على نفسه لانه
لم يعد ولا واحد من الرسل الذين حملوا أمثال هذا الكتاب الى دارا ،
ففض غلاف الكتب بعد أن قلد الختم الموضوع عليها ليقلها كما كانت ،
فتحها ليرى ما اذا كان لخوفه محل ، واذا به يقرأ توصية على قتله ،
فحمل الكتب الى أهل ايفورس وبلغهم أمر الملك الذى كان يسلم اغريقا
للمتوحشين .

ان تاريخ طيميستوكل أشبه ما يكون بتاريخ بوزانياس وان كان
أقل منه جناية ، لان الاتيينيين كانوا حرضوه على الخيانة بأن عاقبوه
بالنفي ظلما فكتب أرتقزاركسيس . ولا هرب من أرغوص الى قرقيز
ومنها الى الملك أدميت ملك الملوص ، ومن عنده الى إسكندر ملك مقلونيا
جاء آخر الامر الى ايفيزوس حيث كتب الى الملك الكبير يطلب اليه ملجا
أباه عليه الاغريق . وقد روى طوكوديلس صورة ذلك الكتاب ولا محل
للتظن فى صحته (٢) .

(١) هيردوت ٣ ب ١٢٦ وما بعده .

(٢) طوكوديلس ١ ب ١٢٨ وما بعده .

من غير النافع أن تعدد الأمثلة لأنها مستفيضة في جميع المؤرخين الذين لم أذكرهم وليس من الضروري أن نذهب بالتعميل بعيدا ، فقد وضح أن الناس في اغريقيا وفي آسيا الصغرى كانوا يستعملون الكتب في الاعمال العمومية والخصوصية على نحو ما نستعملها نحن تقريبا ، وبومائل أشبه ما تكون بوسائلنا من حيث المادة التي كان يسهل الحصول عليها من غير عناء ، وأنهم يختمون الأوراق على نحو ما نختم أوراقنا بالطوابع الرسمية ، وبالاختام التي يمكن تقليدها من غير أن تكسر . . . الخ

وماذا كانت تلك المواد ؟ - .

تجيبنا على ذلك عبارة هيرودوت الصريحة ، فإن ذلك المؤرخ العظيم للآزمان الأولى للعالم الاغريقي قال في عرض حديثه عن كيفية نقل «قدموس» الحروف الهجائية من فينيقيا الى القارة عند اليونان ما يأتي :

« يطلق اليونان على الكتب من قديم الزمان اسم الدفاتر أو الجلود لانهم » « لما لم يكن عندهم ورق في تلك الآزمان كانوا يستعملون للكتابة جلود المعزى » « والغنم ، بل في أيامنا ما يزال كثير من المتوحشين يكتبون على الدفاتر أو جلود من » « هذا النوع » (١) .

وقد أتى هيرودوت بما لا يقل عن ذلك عجباً ، فإنه ذكر انه رأى بنفسه عند زيارته طيبة في بيوسيا في معبد أبولون الاسميني ثلاثة نصائب منقوشا عليها بالحروف التي كانت تستعمل في يونيا . وهذه النقوش بالغة في القدم الى لايوس أبى أوديب أى بعد قلموس بأربعة أجيال .

ان الكلمة التي يستعملها هيرودوت عبارة عن الكتب هي كلمة «بيلوس» ودلالاتها معروفة بصورة مضبوطة ، فإن هذه الكلمة تدل على جزء معين من بردى مصر . ولم يترك تيوفراسط محلا لاقول شك في هذا العدد ، فإنه في كتابه «تاريخ النباتات» (٢) قد وصف النباتات المائية ، وتيسط في وصف البردى الذي ينمو في ماء النيل ، وعدد الاستعمالات المهمة المتنوعة التي يصلح لها البردى ، وبعد أن قال : أن من الخشب تصنع المراكب ، قال : « ومن البيلوس تصنع الشرع والحصر والملابس أحيانا والنعال . والحبال وأشياء أخرى كثيرة أهمها الكتب «بيليا» المعروفة عند الأجانب حق المعرفة . وعلى ذلك يكون معنى بيلوس السنفي ذكره

(١) هيرودوت ك ٥ ب ٥٩ وما بعده .

(٢) تيوفراسط ، وتاريخ النباتات ك ٤ ب ٩ .

تيوفراسط هو ذلك الجزء من ساق البردى الذى لم يروته ومقاومته يقبل هذه الاستعمالات المختلفة بالنسج والى .

وخلاف مكتبتي بيزسراط وبوليقرطس ، فالثابت من الأدلة التفصيلية التى أتى بها أفلاطون أن الكتب فى زمنه على المعنى الذى نفهم نحن من هذا اللفظ كانت منتشرة جد الانتشار باتينا . وقد روى سقراط نفسه فى كتاب « فيدون » أنه سمع ذات يوم انسانا يقرأ كتاب انكساغوراس وفيه أن العقل هو نظام كل الاشياء ومبدؤها . ولما قرعته هذه الحكمة النبالة رجا أن يجد فى انكساغوراس حل كثير من النظريات بعد ما سمع من براعة الابتداء ، فجسد فى طلب مؤلفاته وهو يظن أنه سيتعلم منها علم الخير والشر ، فقرأها على شوق الفهم ، ولكنه كلما تقدم فى القراءة خاب من رجائه فألقى بها الى جانب ليعود الى تفسيره الذاتى ، اذا كان لسقراط كتب يراجعها ويتركها ، كما يفعل بيننا عشاق العلم والحكمة سواء بسواء ، يرجعون الى كنوز الكتب فلا يجدون فيها شفاء الغلة الذى يطلبونه .

وروى أنتيفون فى أول كتابه «برمينيد» نقسلا عن رواية فيتودور أحد أصحاب زنون الايلى قال : « لما أتى برمينيد وكان قد تقدم فى السن الى آتينا مع تلميذه أقام فى حى السيراميك خارج الاسوار فانتقل اليه سقراط فى رفقة ليسمع قراءة كتب زنون » وكانت تلك هى أول مرة حمل فيها زنون وبرمينيد هذه الكتب الى آتينا . وكان سقراط وقتها صغير السن . وكان زنون نفسه هو الذى يقرأ كتابه لان برمينيد كان غائبا فى تلك اللحظة وكان على وشك أن يفرغ من القراءة اذ عاد فيتودور ومعه برمينيد ومستمع آخر هو لوسطوطاليس الذى صار بعد ذلك أحد الثلاثين ، ولم يسمع فيتودور الا قليلا مما كان باقيا ، ولكنه أقام الى آخر التلاوة التى كان قد سمعها قبل ذلك فى جلسة أخرى .

لما أصفى سقراط الى النهاية طلب الى زنون أن يتفضل باعادة القضية الاولى من الكتاب الاول فأجاب طلبه مع الارتياح ، وأخذ الكتاب وأعاد الجملة التى وقف فيها سقراط والتى أراد سقراط استحضار ألفاظها حتى يدخل فى مناقشة المعانى : « اذا كانت الموجودات متعددة لزم عليه أن تكون متشابهة وغير متشابهة فى آن واحد فيما بينها ، وهذا مستحيل لان غير المتشابه لا يمكن أن يكون متشابهها ، وما هو متشابه لا يمكن أن يكون غير متشابه أيضا ، وابتدا الجدل وقتئذ فكر سقراط قضية زنون ، وسأله اذا كان هذا حقا هو ما يريده ؟ فأكد زنون أن ذلك هو غرض كتابه ، فالتفت سقراط الى برمينيد وقال له : « ارى واضحا أن زنون متصل بك لا بصلات الصداقة فقط بل بكتاباته » فالواقص

انكما تقولان جميعا معنى واحدا ، وان اختلفت العبارة ، فان احدهما
يثبت أن الكل هو واحد ، ويثبت الآخر أن التعدد ممتنع ، فاعترف
زنون بأن الحق في جانب سقراط ، وأنه ما كتب كتابه الا انتصارا للمذهب
برمينيد ضد أولئك الذين ييسفون جعله سخريا ، وأن كتابه جواب على
نصراء التعدد ، وأن الغرض منه أن يبين لهم أن مذهبهم نفسه له نتائج
أسخف من المذهب المضاد . وزاد على ذلك زنون بقوله : « اني ألفت هذا
الكتاب مدفوعا بدافع المجادلة ، فسرق مني قبل أن أسائل نفسي عما اذا
كان ينبغي نشره أو لا ينبغي . على هذا كنت يا سقراط تخدع نفسك اذ
اعتقدت أن هذا الكتاب انما أمثته على رغبة رجل ناضج بدلا من أن تنسبه
الى شاب يميل به ما لطبع الشباب من حب المغالبة » .

واستمر حديثهم دائرا على موضوع الوحدة والتعدد بما هو معروف
لديهم من المواربة والمغالطة مما أكف عن الاسترسال فيه ، فحسبنا هذه
التفاصيل دلالة على أن زنون وبرمينيد لما جئا من ايليا الى غرب اغريقا
الكبرى كان في بلدهما كتب كما في آتين ، وان هؤلاء المتناظرين كانوا
يتخفون الكتب لما نتخذة نحن من الاغراض يقرؤونها ويعيدونها ويقفون
بعض جملتها للتحقق منها . ونحن في شأننا لا نقلب الا على مثالهم
صفحات ما لدينا من الكتب التي في حجم الثمن أو الاثنى عشرى التي
ليست بأكثر مطاوعة للتقليب من كتبهم .

وفي مقدمة فدر الرشيقة قابل سقراط ذلك الشاب السدى خرج
يتنزه في الخلاء بعد أن مضى صباحه قاعدا . فميم قضى فدر صباحه اذا ؟
في استماع قطعة كان يقرأها له ليزياس بن سيفال ، وما زال مأخوذا
بما قرأ عليه . وقد كان ليزياس أتى خصيصا لهذا الغرض من بيره الى
مونيشيا ، فطلب سقراط من صديقه الشاب أن يفسر له ذلك الكلام
العجيب ، فامتنع فدر بفكرة انه أقل علما من أن يكرر مثل تلك العبارات
الجميلة ، ولكن سقراط الذي كان عليما بشغفه صاحبه رقيق الحاشية
أكد له انه لا بد أن يكون قد حفظ تلك القطعة عن ظهر قلب ، لانه لا بد
أن يكون استعاد من مؤلفها أن يقرأها عدة مرات وأنه لم يقنع بذلك بل
لا بد ان يكون أخذ الكراسة المكتوبة فيها حتى يقرأها على خلاء ، وان ذلك
كان شغله الشاغل الذي ألهاه عن الخروج صبيحة يومه ، فأخذ فدر
يتنصل بحجج ضعيفة ، ولكن سقراط ألحف في المسألة فظهره فدر على
الرسالة المخطوطة التي كانت بيده مخبأة تحت طرف رداءه ، وأخذ
الصاحبان يبحثان وهما سائران على شاطئ الاصوص حيث كان يقمر
فيه سقراط قديمه نيبترد ، عن مكان يناسب القراءة بالراحة حتى وصلا
الى مجلس تحت شجرة ستاج عالية ظليلة بجانب شجرة كف مريم يعطر

نوزها الهواء على مسمع من خريز عين صافية بين التماثيل والاصنام القائمة للخور والنهر اخلاوس ، فجلس قدر وسقراط في الظل على الحشيش الغض وقرأ الشاب كتاب ليزياس في النسخة التي معه .

فأثنى سقراط على بلاغة ليزياس ، ولكنه لم يصل الى حد أعجاب صاحبه الشاب وقال له : ان هذا الموضوع قد كتب عليه الحكماء في الازمان القديمة بما لا يقل اجادة عن هذا ، وحسبك منهم الحسناء سافو الشاعرة أو الحكيم أنقريون بل حسبك اى كاتب من الكتاب ، فلم يصدق قدر من ذلك شيئا وسأله ان يأتي بأحسن مما أتى به ليزياس ، وان يفعل على الفور فلن يقرأ له شيئا بعدما ، فأخذ سقراط لغوره في مسابقة ما ظنها مستحيلة عليه . وأعاد كلام ليزياس في نفس الموضوع على ما فيه من الشطط والاشكال ، ولكنه ارتقى كثيرا عن هذه المنافسة الثقافية في موضوع مطروق ، وانتهاز هذه الفرصة ليعطى الشاب درسا في الخطابة والنوق . ان ليزياس يكتب أكثر مما ينبغي فيجب تعلم الحكم على مؤلفاته حتى لا تعطى من القيمة أكثر مما تساويه في الحقيقة ، وان رجال السياسة البصراء يربأون بنفوسهم عن تأليف مؤلفات تكون بعدهم موضوعا لانتقاد الخلف انتقادا قاسيا ، فاذا كتبوا بالمصادفة شيئا كتبوه بكل عناية حتى لا يعاب عليهم . وهذا بيريكليس أخطب الخطباء وتلميذ أنكساغوراس العظيم لم يترك شيئا مكتوبا .

وبينا سقراط يرسم قواعد الخطابة الحقيقية اذا به يصل الى اختراع الكتابة والكتب . على حسب أسطورة محفوظة في نقراطس ، احدى مدائن الدنيا ، ربما كان سولون قد رعاها من هناك ، أن الكتابة من اختراع الاله توت وهو أفضى بها الى الملك طاموس الذى كان يحكم في طيبة . ولم يعجب طاموس بهذا الاختراع كما أعجب به مبدعه ، وخشى على المصريين من الكتابة التى يبعث عليها أن تصيرهم أكثر حكمة بل تضربهم متى جعلتهم يعتقدون أنهم يعلمون ما يقرعونه قراءة سطحية في كتبهم . قال سقراط مضطرا رأى طاموس : « يكون الانسان » من البساطة بمكان اذا تصور انه يمكن ابداع أى فن من الفنون في الكتب . وأنه « ويمكن تعلمه منها ، كما لو كان قد خرج يوما من الكتب شئ بين متين ، الا ما يكون » من تنشيط الذاكرة عند الذى كان يعلم من قبل ما تحويه الكتب . وان محصلات الكتابة أشبه بمحصلات الرسم . سئل لوحات الرسم تجيبك بسكوت جليل وسل « الكتب تجيبك دائما بهذا الجواب . وقد تعتقد عند استماع ما فيها أنها عليمة ، « ولكن مقالا متى كتب دار فى كل ناحية ؛ فيقع فى أيدي من يفهمونه كما يقع » فى أيدي الذين لم يكتب لاجلهم ، وأنه لا يعرف لمن يتكلم وأمام من يلزم الصمت » فاذا احتقره أو عابه أحد بغير حق التجأ

الى ابيه ليساعده ، لانه لا يستطيع أن « يقاوم ولا أن يساعد نفسه »

فسقراط يحط من شأن هذه المقالات الميتة في طي الكتابة التي يحويها ويرفع فوقها قدر القدر الذي ينتقشه العلم في نفس اندي يتعلم ، ذلك المقال على الخلق بالحياة هو الذي يبقى في الذاكرة ، وما منزلة المقال المكتوب منه الا الشبح الباهت . هذا هو ما ينصح لغير أن ينشر العناية بمزاويله ان اشاعر والناسير يصححان ويحرران ألف مرة ، قد كتبنا ، يزيدان عليه أو ينقصان منه ، ولكن يلزمهما قبل كل شيء أن يمتتا بما في نفسيهما ويرعيانه حق رعايته ، تلك هي الوسيلة لاستحقاق ذلك الثلب الجميل لقب الفيلسوف . ذلك هو الرأي الذي يمكن أن يعطيه فدرالي ليزياس . وذلك هو الرأي الذي يعرف سقراط كيف يجعل أصحابه الشبيبان يتذوقونه ، وعلى الاخض ايزقراط الجميل الذي عليه مخايل النبوغ .

أنا لا اناقش رأي الحكيم الاثيني مهما ظهر لي منه علم ائتلافه مع ذوقه اسليم المعروف ، ولكن أيا كانت قيمته فإنه ينتج منه أن سقراط وقدر جميع اصحابها يستعملون الكتب كما نستعملها نحن ، يكتبون مقالاتهم ومؤلفاتهم كما نفعل نحن ، ويدرسونها ويصححونها ويهدونها كما نفعل نحن وينتج من هذا فوق ما تقدم انه منذ زمن افلاطون كان ينسب اكتشاف الكتابة واختراع الكتب الى مصر . ولا شك في أن افلاطون وهو من ذرية سولون يجب أن يعلم أكثر من غيره شأن تلك الاسطورة التي جاء بها جده الامجد من البلد الاجنبى .

وعلى هذه الوقائع القاطعة نزيد وقائع من العصر ذاته . لما وصل اكسينوفون رئيس قهقر عشرة الآلاف من بيزنطة الى ساميليس آخر نقطة وصل اليها في الشمال ، حكى أنه عند دخوله في البحر الاسود وجد سفينا كثيرة جانحة في الرمل تحت جرف الشاطئ وأنه أهل تراقيا سكان تلك المنطقة يسارعون الى نهب أولئك العرقى انتعساء ويتقاتلون على أيهم يسرق من السلب أكثر من غيره . ولذلك توجد منقولات كثيرة على هذا الشاطئ الحديث ينقلها الملاحون في صناديق من الخشب ، ومن بينها كتب لا شك في أن أولئك المتوحشين ما كانوا يفهمونها ، ولكنهم يحفظونها ليبيعوها (١) . ونظرا الى أنه كان يوجد عدد عظيم من الجاليات الاغريقية في تلك الجهات بيزنطة وغيرها ، فليس مستحيلا أن فكر أولئك الملاحون في الاتجار بالكتب ، وربما كانوا ينقلونها من الشواطئ الاسيوية ومن آتينا والمدائن الأخرى لليونان النازلين والمهاجرين الذين مع بعضهم عن

(١) اكسينوفون . انا باز . ك ٧ ب ٥ ف ٤ ص ٣١٣ طبعة فرمان ديور .

وطنهم تتوق أنفسهم الى الاقتباس من نوره انذى هم أخرج مايكونون اليه
في غربتهم *

لا أقول بأنه في زمن افلاطون بل فيما قبله لم يكن يوجد في آتينا
أصلا كتيبة يبيعون الكتب ويشترونها. فذلك محتمل جدا ، ولكنه ليس
عندنا على ذلك شهادات تقارن في قدمها ذلك الزمن . فان أول شهادة من
هذا النوع تنسب الى زنون الستيومى ، فان زنون قبل أن يترك مدينة
ستيوم وهى مستعمرة فينيقية فى قبرص اشترى حمولة من الارجوان
ليربح فيها فى آتينا وذهب يستفتى الهاتف عن أحسن طريقة للعيشة
فتصح له الهاتف ان يصير فى لون الموتى ، وفسر زنون هذه النصيحة بأنه
يجب عليه أنا يعكف على قراءة كتب الاقدمين حتى يشحب لونه . فلما
وصل الى آتينا بعد غرق محزن دخل عند كتيبى وأخذ يقرأ بلدة شديدة
الكتاب الثانى من مذكرات اكسينوفون على سقراط ، فسأل الكتيبى وهو
مسحور بلدة ما قرأ : أين يمكنه ان يقابل المؤلفين الذين يكتبون مثل
هذه الملح ؟ فأشار له الكتيبى بأصبعه الى «قراطيس» الذى كان مارا وقتها
فى الشارع فجعل زنون الى الاستاذ يعتب خطاه حتى وصل اليه وتعلم
عليه ، ولكن لما لم يستطع ذلك الجفاء الغليظ اعتزل قراطيس اذ أصبح
فى قبرته أن يضع مؤلفات لا تقل عن مؤلفات استاذه وأخصها كتابه على
فيثاغورث (١) . وكان عمر زنون وقتئذ ثلاثين عاما وعلى الاحتمال الغالب ان
ارسطو وقتها كان لا يزال حيا فان ذلك كان فى آخر ملك اسكندر .

أقص حادثة أخيرة استعيرها من نظريات ارسطو فى الفصل السادس عشر
الباب السادس (ص ٩١٤ ف ٢٥ طبعة برلين) يتساءل المؤلف : لماذا قطع
الكتب يعطى هبات مختلفة على حسب ما اذا كان هذا القطع متنتقيا او
بانحراف ؟ أترك التفسير الى ناحية لانه لا يهمنا هنا ، ولكن ذلك يبين ان
ارسطو كان لديه كتب من جنس كتبنا وعلى الأقل من جهة كونها مقصودة
على صورة منتظمة قليلا أو كثيرا . بعد ذلك فى الفصل الثامن عشر يبحث
أرسطو : لماذا تنيم القراءة بعض الناس ؟ ولماذا بعضهم على الضد من ذلك
يتناول الكتاب حين يريد أن يبقى ساهرا ؟ كل ذلك يعين استعمالات
الكتب أشبه ما تكون بما نفعل نحن . كان فى آتينا بعضهم يقرأ فى سريره
وليس معدوما فيها. هذا الصنف من الناس الذين ياثرون هذه البذعة
عندنا .

من أين جاءت هذه الكتب ؟ وعلى أى مادة كانت مكتوبة ؟ لا أتأخر

(١) ديوجين اللايرتي ك ٧ حياة زنون الستيومى *

فى الجواب : كانت مكتوبة على ورق البردى ، وكان البردى يجرى من مصر منذ أقدم الأزمان كان بين مصر وبين أغريقا روابط مستمرة ، ومن باب أولى كان بين مصر وآسيا الصغرى . وإن أقدم الهجرات التى اتبع فيها سبيل أناخوس وسكروفس وكثير غيرهم إنما عادت من شواطئ النيل جالبة معها إلى الهلين فى البلاد ما جلبته لهم أسماء جميع آلهتهم المتنوعة إلى اللانهاية . وبعد ذلك ضاعفت العلاقات دواعى التجارة والحروب . وفى تلك القرون التى نحن بصدددها كانت مصر متدخلة دائما لمصالح شتى فى سياسة جميع الأمم المجاورة لها ، وعلى الأخص سياسة المدائن الأغريقية التى على الشاطئ . ولما أن فتح الفرس مصر صارت هذه العلاقات أكثر توثقا واستمرارا . فأن أسطول المصريين وجيوشهم كانت تشهد كل حين وقائع البر والبحر ومن البديهي . أن الأمم المختلطة على هذا النحو تتبادل كثيرا من الأشياء بحكم الضرورة . وكانت مصر وقتئذ الوحيدة تقريبا فى إنتاج البردى فكانت تصدر منه كميات وفيرة إلى بقية العالم .

قد كان من السهل على مصر وهى التى اكتشفت الكتابة وهى التى تخرج البردى وتستعمله تلك الاستعمالات الصادرة عن المهارة والذكاء أن تتصور أيضا إنشاء المكاتب ، فإن الكتب متى كتبت وجب جمعها وحفظها لحفظ الذكر لكل ما اشتملت عليه . وعلى الرغم من قول طاموس وأفلاطون وسقراط فقد ظهر أن تلك المحفوظات مفيدة ونفيسة جدا . ذلك ما كان هو الواقع . فإن أوزيمندياس أحد ملوك مصر يعتبر أنه أول من اقتنى مكتبة أو من أوائل من اقتنوا مكاتب . وتذكر هذا الحادث العجيب نقله الينا ديودور الصقل الذى زار مصر فى الألفية ١٨٠ كما كان زارها هيرودوت من قبله بأربعمائة وخمسين عاما ورأى بعينه كل ما يتكلم عنه تقريبا . بعد أن قال كلمة عن قبور الملوك التى كان عددها سبعة وأربعين على رواية الكهنة والتى لم تكن إلا سبعة عشر حين زارها ديودور (١) . وصف بقاية التفصيل الأثر الشهير لأوزيمندياس ، ومن بين العماثر التى تنسب إلى هذا الملك دار الكتب المقدسة المنقوش على وجهتها : « دواء النفس » . ولا يستنتج من كلام ديودور نفسه أن هذه المكتبة كانت لا تزال قائمة فى زمنه . فأما أنها وجدت فذلك مالا يكاد الشك يتطرق إليه . ولقد كان لدى الكهنة المصريين كتب بالغة فى القدم مسجل فيها تاريخ البلاد سنة فسنة تسجيلا منتظما والورثة غير المنقطعة على عرش مصر

(١) نزلت إليها بنفسى فى السنة ١٨٥٤ عند سياحتى فى مصر ووجدت أن إعجاب ديودور كان أقل من حقيقة الواقع بكثير . (ر . رسائل على مصر طبعه وقيل ص ٢٧٤ وما بعدها) (باركللى سانتهيلر)

لاربعمائة وسبعين فرعوناً وخمسين ملكاً ، ولم يشأ ديودور أن يكرر بنفسه لهم كل فرعون ما كانت تحويه هذه الكتب التي يظهر أنه اطّاع عليها ، ولكنه وضع خلاصتها وعلى تلك الوثائق بنى عمله . فإذ لم نمن هذه المكتبة موجودة قبل المسيح بخمسين عاماً فلا أقل من أن يكون ذكرها وارداً في تلك السنويات الرسمية التي كان لا يزال يمكن الاطلاع عليها مهما كان مبلغها من الضبط قلة أو كثرة « ١ » .

وعلى رأى علمنا المشتغلين بالأثر فإن أوزيمدوس الذي كان يسميه الاعريق أوزيمندپاس هو فرعون من العائلة السادسة عشرة . وهذه العائلة يقترون عهدها تقريبا بعهد اناحوس أى بتاريخ نحو ألفي سنة قبل الميلاد . فإنه انهكسوس أو عرب ابراعة تدون العائلة السابعة عشرة .

مثل هذه الأحاديث ربما كانت تظهر لنا حديث خرافة ، إذ لا يمكن التصديق بوجود كتب في زمن بلغ من القدم حد الغاية ، إذا لم تكن حاصلين الآن في متاحفنا على أديمه ، التي لا تقبل التهم ، المثبتة لهذه الحوادث ، ففي باريس وفي طورينو وفي ليدن وفي برلين ٠٠٠ الخ أوراق البردى والمخطوطات التي يصل تاريخها إلى ثلاثة عشر وأربعة عشر قرناً قبل الميلاد المسيحي بل إلى أبعد من ذلك . ولكل أنه يراها ولمعرفة تاريخها ليس عليه إلا أن يستقى شموليون ودي روجي ومرييت وأميدى بيرون وليمانس ولبسيوس ٠٠٠ الخ . أن بردية طورينو الشهيرة التي تكلم عنها شموليون في خطابه إلى دي بلاكاس (ص ٤٢) هي على الأقل من القرن الثالث عشر قبل المسيح كما بينه لبسيوس « تودنيوخ ص ١٧ » وفي كتاب الملوك نقل لبسيوس (لوحة ٦) مخطوطة يصل تاريخها إلى العائلة الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ، وذلك ما يبلغ بنا إلى أقصى مما ذكرنا . ووصف مارييت في مذكرته عن دار الآثار ببولاق (ص ١٤٨) برديا وجد في طيبة في نحو المترين طولاً يتعلق بأحدى اشكال العائلات الأولى للامبراطورية الجديدة ، وهذه المخطوطة لا يقل عمرها عن ١٢٨٨ سنة قبل الميلاد بل يمكن أن تكون من سنة ١٧٠٠ ومخطوطة أخرى (ص ١٥٣) طولها أربعة أمتار ونصف على ٣٥ ارتفاعاً وهي من متعلقات العائلة الثامنة عشرة فتكون من سبعة عشر قرناً قبل الميلاد . ويمكن إيراد أمثلة من هذا

(١) يتكلم ديودور على الأقل مرتين أو ثلاثاً على سياحته في مصر . ر . المجموعة التاريخية ١ ك ب ٤٤ ف ١ . ب ٤٦ ف ٧ . وفيما يتعلق بمكتبة فوزيمندپاس راجع للكتاب عينه ب ٤٩ ف ٣ . وإذا ما لاحظت سولون كهنه سائس ذكروا له كتبهم المقدسة وفيها سميات البلد منذ ثمانية آلاف عام (رطيماس ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٩) .

النوع الى ما يشاء ، ولكن حسبنا ما أوردناه وما اظن بنا حاجة الى المجاوزة
بالايضاح الى ابعد من ذلك فقد كمل .

اكثر من ذلك . قد وجد بجانب المخطوطات الادوات التى تصلح
لكتابتها فنابجين تحوى المادة الملونة وقصب الاقلام ، وذلك ما يعنى عندنا
المحابر والریش ، والمصاقل التى تصقل البردى قبل الكتابة عليه ،
والمقالم التى توضع فيها الاقلام . وفى دار الآثار بليدن توجد الواح
الكتابة ومعها دوى فيها يميز المرء بغاية الوضوح الحبر الأسود او الاحمر
وقد جف فى باطنها ودوى من البرنز ٠٠٠ السخ . وكل هذه الآثار انما
هى سابقة على العائلة السادسة عشرة على راي ليمانس (ص ١٠٨ ف
٢٤٥) وفى دار الآثار ببولاق توجد الواح الكتاب ، ومعها كل لوازمها
وهى كما قرر مارييت سابقة لعهد ابراهيم (ص ٢٠٩) وعلى ذلك يكون
عمرها من ٣٥ الى ٤٥ قرنا . وفى باريس فى متحفنا المصرى ايضا جميع
الادوات اللازمة للكتاب (القاعة المنسية - دولا ب P درج x)
وكذلك فى قاعة الموتى (درج LM ترى المخطوطات اما على ورق البردى
او على القماش ، كل ذلك غير أوراق البردى الكبيرة المنشورة المحبوسة
بالاطر المغطاة بازجاج والنثى تبلغ أطوالها عدة أمتار . وفى ليدن
مخطوطات تبلغ أطوالها الى اثنى عشر مترا . والواقع انه كان يمكن صنع
ورق البردى الى طول غير متناه لان العرض وحده هو المحدود ولا يكاد
يزيد عن ٣٠ سنتيمترا .

من التفاصيل التى تقدمت وإلى يمكننا ان نزيد فى ايضاحها عند
الحاجة اظن أننا نستطيع استنتاج النتائج الآتية التى هى كذلك ، كما
يظهر لى ، حوادث ثابتة:

انه فلاسفتنا للقرن الخامس والسادس قبل اتيلاذ كتبوا مؤلفاتهم
سواء فى آسيا الصغرى أو فى إفريقيا الكبرى ، وقد وصل إلينا بعض
أجزاء هذه المؤلفات من خلال الصعوبات التى كانت تقترن بنقل الكتب
قبل اكتشاف المطبعة واختراع الورق من القطن ومن الكتان أو استعمال
الرق . وانه كتب اكسينوفان وميليسوس بل ربما كتب طاليس وفيثاغورث
ايضا كلها كتبت كما يكتب كل الناس وقتئذ على ورق البردى المصرى .
ولا بد أن تكون صورها على شكل ورق البردى المحفوظ فى دور الآثار . ومن
الممكن أن تكون أوراق البردى رقت ، منذ عهد قديم وبالتحقيق منذ
عهد ارسطو ، بحيث يكون شكلها كشكل كتبها الحاضرة . ومن ثم تيسر
جميع الكتب فى المكاتب ، فام المكاتب التى ينسبونها الى بوليقرطس

وبيريسطراط لم تكن بلا شك الا تقليدا للمكاتب المصرية التي كان أشهرها دار الكتب التي أنشأها أوزيمندياس :

ما الذى بقي علينا تعرفه ؟ ربما كان شيئا واحدا هو الذى تقتضيه نفوسنا الطلعة بحكم عاداتنا الجديدة فى دقة التحرى وهو صنع البردى المخصص للخطابات ولوثقات الكتاب . ومن محاش المصادقات ان بلان الذى ليس أقل منا حبا للاطلاع قد نقل اليتنا هذه المعلومات اذ يقول لنا كيف كان يصنع ورق البردى فى زمنه . ومن المفهوم ضمنا أن هذه الصناعة قد نالها بعض التحسين بمرور الزمن الطويل الذى يبتدىء من عهد أوزيمندياس الى القرن الاول للميلاد ، ولكن الاصول الرئيسية لهذه الصناعة لابد أن تكون قديمة جدا بل الظاهر أنه لم يكذ يدخل عليها أقل تغيير (١) .

وقد عني بلان عناية كبرى بوصف هذا القصب المسمى برديا نظرا الى « أن المدنية وتذكارات الاشياء مرتبطان باستعمال الورق ، وبهما يتعلق تخليد ذكرى الرجال » . أما فرون فإنه لم يبلغ بتاريخ استعمال الورق الى أبعد من عهد اسكندر الأكبر وتأسيس مدينة الاسكندرية . وقد يكون ذلك صحيحا فيما يتعلق باستعمال الورق فى روما ، ولكننا قد رأينا آنفا أنه لا يمكن أن يكون صحيحا بالنسبة الى مصر ولا الى افرىقا ، وبلان لا يشاطر رأى فرون مهما كان معتبرا . وهاك ما يقوله فى ذلك اثبات النفيس الذى يريد درسه :

ينبت البردى فى المستنقعات أو مياه النيل الراكدة على عمق لا يزيد على ذراعين ، جذره الموعج فى ثخن النراع تقريبا ، وساقه مثلث الاضلاع ويندر أن يعلو أكثر من عشرة أذرع يتناقص سمكه من تحت الى فوق . فأما جذره فيستعمل وقودا وقد تتخذ منه بعض الآنية ، وأما ساقه الحطبي فتتخذ منه القوارب ، ومن قشرته تنسج الشرع (٢) والحصر والملابس والأغطية والحبال . وذلك ما قرأناه آنفا عن تيوقراسط ونقله عن بلان بلا شك . وأن بردى مصر فى كل الاستعمالات التى ذكرناها خير من كل بردى آخر ، فإن البردى الذى ينبت فى سوريا أو على شواطئ نهر الفرات بقرب بابل بعيد عليه أن يساوى البردى المصرى خصوصا فى صنع الورق

ولصنع الورق يقسم البردى الى اشرطة رقيقة جدا وعريضة بقدر

(١) بلان . التاريخ الطبيعى ك ١٣ ب ٢١ وما بعده ترجمة وطبع ليرى .

(٢) وهذا ما كان يصره هيروdot حينما كان يستنج فى مصر ك ٢ ب ٩٦ وعندنا فى متحف

اللوثر شمال من البردى .

الممكن . وأحسن شريط منها هو شريط قلب النبات ثم الثنى . يلبس على هذا الشريط . وبهذه الطبقات الداخلية وحدها كان يصنع ورق الكتب المقدسة وسمى الورق من ثم باسم هيراتي . وبعد حين اعطى لاهي درجة من الورق المنقى بالغسل اسم أغسطس ، كما سميت الدرجة الثانية من الورق باسم ليفي امرأة أغسطس ، وكان الهيراتي اذا في الدرجة الثالثة وورق الدرجة الرابعة سمي انفتياتري نسبة الى المكان الذي كان يصنع فيه . ومن انواعه المتدركة الى أسفل ورق سايس الذي يصنع من قراطة البردى ثم ورق الطينيطيقي من مدينة قريبة من سايس وبيع بالوزن ، ثم ورق الانبوريثيك أو ورق المتجسر ، ولا يصلح الا للظروف أو لفه البضائع ، وبعد هذه الاشرطة تأتي قشرة البردى وهي اشبه ما تكون بقشرة الحيزران لا تصلح الا لصنع الاحبال التي لها خاصة البقاء في الماء .

كل انواع الورق كانت تصنع بطريقة واحدة ولا يكون الاختلاف الا في مادة الورقة ، ومتى اخذت الاشرطة بعناية تنشر على نحو خوان مندى بماء النيل ، فان هذا السائل الحامل للطين يصلح كزلق لتقوية الاشرطة وضمها بعضها الى بعض . وعلى هذا الخوان المائل نوعا تترك الاشرطة على طولها وتقرض من نهايتها حتى تصبح منتظمة ومتساوية في الطول ثم يؤتى بأشرطة أخرى توضع بالعرض على شكل تعريش ، ولوقاية الورق من التمزق كانوا يضعونه تحت المكبس فيحصلون منه على الورق الذي يعرضونه بعد ذلك للشمس ليجف . ثم يضعون هذه الاوراق بعضها فوق بعض لتكون منها فرائم الورق التي لا تتجاوز عدة الواحدة منها عشرين ورقة . وكان الورق مختلف العروض وأحسن ما كان في عرض ثلاثة عشر اصبعاً ، والهيراتي لم يكده يتجاوز عرضه الاحد عشر ، وقال فانيوس ان هذا الورق الهيراتي الذي اشتق اسمه من اسم ذلك الصانع الماهر الذي ابدعه لا يتجاوز العشرة . والورق المتجرى كان في عرض ستة اصابع . وكان يمكنهم ايضا أن يصلوا الاوراق اطراف بعضها ببعض ليحصلوا على ورق لانهاية لطوله كما عندنا .

وكانوا يقدرون الورق كما تقدره نحن برقته ومتنانه وبياضه وصقله وقد اهتم الامبراطور كلود بتحسين ورق أغسطس الذي كان يجده ارق مما يلزم واكثر شفاقية فجعل منه ورقا جديدا بان جعل السدى من اشرطة الدرجة الثانية واللحمة من اشرطة الدرجة الاولى ، وبهذه الطريقة زيد في عرض الورق اذ بلغ عرضه ذراعاً في الفرخ الكبير . وكانوا يفضلون ورق كاود في الكتب ويستعملون ورق أغسطس في الخطابات . وكانوا يصلون الورق بقطعة من العاج أو بمحاوة ناعمة ، ولكنه كان

من الأثر الموقوف بهذه العملية عند فهمهم ، والأثر الموقوف فلا يأخذ في الورق وتكون الحروف المكتوبة معرضة لأن تنمحى عما قريب ، وذلك هو الذي يحصل في ورقنا حين يجاد صقله أكثر مما يلزم . ربما يكون حسنا في مرأى العين ، ولكنه لا يطيب الانتعاش به . وقد كان يحدث من النبل الحمى ضررا من هذا النوع متى صب من غير احتراص في ابتداء العملية إذ يجعل الورق غير قابل للكتابة بل يترك فيه رائحة يعرفونها له وبمعا كان يلزم لازالتها أن يخرقوها من مواقع البقع ويرقموها بغاية الدقة حتى لا يظن لها المشتري ، لحسن سبك الغش فيها ، إلا بالاستعمال إذ يشرب الورق الحبر في مواضع الرق ويجعل الحروف سائحة لا تقرا إلا قليلا .

لذلك قال بلان إنه لتوقى تلك العيوب المختلفة كان يلزم الورق بكيفية تجعله أطرى من قماش الكتان نفسه ، ووجد أن هذه الطرائق فعالة جدا قال : إنه رأى عند أحد أصحابه وكان مغرما بخطوط نوتين مخطوطات لشيشيرون ولاغسطس ولفرجيل على ورق من هذا النوع ، بل رأى عنده مخطوطات لطيبيريوس وقايوس غراكوس مضى عليها مائتا عام مما يدل على أن لصق الورق كان من الجودة بحيث يقاوم كل الزمن .

وبعد أن أورد بلان هذه التفاصيل عاد ينقض رأى قرون في أن استعمال الورق حديث في إيطاليا وحاول أن يثبت ، ضد مذهب ذلك العالم أن الكتب كانت معروفة منذ زمن «نوما بومبيليوس» فقد عثر في تابوت هذا الملك الذي وجد في زمن قنصلية سيبتيغوس وبمبيوس طنفيلوس ، بعد موته بخمسمائة وخمس وثلاثين سنة ، على كتب من الورق . كذلك ثلاثة كتب جاءت بها العرافة إلى طرخان الإجل كانت مكتوبة على ورق حرق منها اثنين والثالث الذي قبله هذا الملك البصير قد حفظ إلى عهد سبيلا ثم باد في حريقة روما . وإذا أريد برهان دامغ غير منقطع الأثر على استعمال الورق في الزمن القديم فما على المريد إلا أن يتصفح رسائل شيشيرون فيجد فيها المعلومات المضبوطة القوية في هذا الموضوع . فإن الناس مازالوا يستعملون الأوراق مع السهولة القصوى ، ويسرفون في استعمالها إلى الغاية . كتب شيشيرون إلى أطيقيوس كل يوم بل مرات غريبة في كل يوم تارة رسائل طويلة ، وتارة أخرى تذاكر بسيطة يرسل إليه مع رسوله بعض أسطر أو صحيفة إذا لم يكن لديه ما يقوله أكثر من ذلك أو سلسلة من الصحائف لا آخر لها إذا انطلق قلمه يتدفق أو إذا حضرته مناقشة مسائل هامة . ومتى كان موضوع الكتاب يهم عدة أشخاص عمل منه نسخ بعددهم أو صرح للمرسل إليه بإتيان هذا العمل ، أما إذا كان

موضوع الكتاب دقيقا يشطب الكاتب غير مرة العبارات الذائقة عن تادية
 المعنى المراد تماما ، ويرجع مرات على ما كتب ويهذب ويحرره . وإذا كان
 الكاتب قد أخذ منه التأثير مآخذ يكيه ترك دموعه أحيانا تمحو الكتابة
 ومتى فرغ من الكتاب طواه وختمه . فإذا نسي ان يكتب شيئا أو أهمل
 تفصيل معنى من المعاني فتح الكتاب من جديد فأن كانت الورقة لا محل
 فيها كتبت الزيادة بالعرض . ومتى قرأ الكتاب المرسل اليه وكان لا يتضمن
 شيئا يراد حفظه مزقه . ولا يتساهل في ذلك اذا كان المرسل قد أوصى
 بحفظ سره . فإذا طرح الكتاب مطرحا من غير أن يمزقه فيمكن رده الى
 مرسله اذا طلب رده اليه . فإذا لم يجد أحدهم ورقا مسح الكتابة من على
 ورقة أخرى وكتب عليها بعد غسلها أو كشطها متى فرغ الكاتب من كتبه
 جميعها وضمها الى البريد يوصل كل كتاب الى المرسل اليه بغاية الامانة .
 وقد تنتدب أفرصة فيكتب الى أصحاب متعددين في جهة واحدة ، فإذا فك
 المرسل اليه الصرة وزع الكتب على المرسل اليهم ، وعدد الحاجة قد ترسل
 المرسل الى الاشخاص البعيدين .

ويمكن أن يحمل الانسان بنفسه كل هذا التعب ، يكتب كتبه بيده
 ويختتمها ويرسلها ، وقد يتخذ له سكرتيرا يكل اليه كل ذلك ، يعلى عليه
 الكتاب ويوقع عليه بتوقيعه . فإذا كان المرء متعبا ، وعلى الاخص اذا كان
 به رمد اضطر الى تكليف غيره ، وفي هذه الحالة يعتذر لصاحبه بعجزه
 عن أن يمسك القلم ، كما نقول نحن في هذا المقام . وهؤلاء السكاترة
 هم محل أمانة بالضرورة متى كانوا يطلعون على أسرار العائلة والاعمال
 الخصوصية والسياسية . وفي الغالب يستحقون هذه الكرامة التي
 يؤتون اياها ، ولكنهم أحيانا يخونون ساداتهم ويقرون بما معهم من
 الاوراق . ولما انهم عادة من الارقاء يقتفى أثرهم ويقبض عليهم الا اذا
 أبعدوا في أفرارهم بحيث لا يمكن انوصول اليوم . ويخلف الخادم غير
 الامين أو العاجز خادم أكثر أمانة وأقر كفاءة ، كل ذلك على عجل بحيث
 لا يتقطع سير المراسلة زمنا طويلا .

وإذا كان استعمال الكتابة في الشؤون الخصوصية من السرعة
 والسهولة على ما وصفنا فقد كان استعمالها في الشؤون العامة لا يقل عن
 ذلك الوصف ، فان تحرير جميع العقود الرسمية يحصل بفاة السهولة .
 ومتى استكملتم هذه العقود الشرائط المطلوبة عمل منها نسخ بقدر عدد
 المنتفعين بها . كذلك الاوامر تصدر الى الموظفين القائمين بالاعمال
 التنفيذية من كل الطبقات والمخاطبات الادارية تحصل بوسائل سريعة
 مأمونة يظهر انها تشبه على ادقل ما هو عندنا الآن . قالى أقاصى حدود
 الجمهورية تصل الاوامر العالية التي يصدرها مجلس الشيوخ ويتخذ من

هذه الاوامر صبور رسمية تحفظ بمحافظ السجلات ، ولولا المحن المتنوعة التي قلبت حال العاصمة الرومانية الخالدة من فتن داخلية ونهب وحرائق وحروب خارجية وهجوم وغارات ... الخ . لولا ذلك كله لكان المرجح أن تكون بين أيدينا تلك الوثائق التي هي انفس لتاريخ منها لارضاء حينا الاطلاع على ذخائر الفن . فان المادة التي كتب عليها كل ذلك يمكن حفظها بدون أن تتغير مدة ثلاثين قرنا ، كما تشهد به أوراق البردي المحفوظة في دور الآثار عندنا . فاذا أصابنا ما أصابنا من فقد معالم من ذلك القدم المحترم المخصب فانما كانه ذلك من خطايا الناس لا من خطيئة الزمان .

كذلك كان استعمال الكتب منتشرا عاما في عهد شيشيرون كاستعمال الخطابات كما هو الحال في أيامنا ، فلم يكن أحد من الاهالي ذو ميسرة وعلى شيء من العلم الا له مكتبة على شكل المكاتب التي كانت لاهالي الاسكندرية وفي سائر مدائن الاغريق من قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون (١) . كان لكل امرئ في روما مجموعة من الكتب يختارها لنفسه بنفسه أو بواسطة صديق له عوضا عنه اذا كان لهذا الصديق من مركزه ممكن من ذلك أو كانه معترفا له بحسن الذوق في هذا النوع . وقد كان من شيشيرون أن كلف أطيروس اذ كان في آتينا أن يرسل اليه تماثيل وزخارف ليزين بها مكتبته التي كان يسميها الاكاديمي . ولما كان أطيروس يريد أن يتخلص من بعض كتب نسخها ويريد بيعها رجاء شيشيرون في ألا يبيعها من غيره لانه كان معجبا بمكتبة أطيروس ، وكانت مؤلفة بعناية خصوصية ، فطلب اليه تلك النسخ ليجعلها أساسا لمكتبته ، ولا يكون عليه بعد ذلك الا أن يكملها على حسب ما تقتضيه حاجته ودراسته وهواه ، كان ذلك في سنة ٦٨٦ ولم تكن سنن شيشيرون تجاوز الاربعين ، ومع ذلك يفكر في أن ينزوي من ميدان العمل الى مسكن جميل هادئ يعيش فيه مع كتبه « تلكم الصحب القلماء » التي يحب مخالطتها حبا جما ، كما كان يقول ذلك لفرون الذي هو أيضا يفوق شيشيرون في الشغف بالعلم والابحاث المتنوعة في قدينيات وطنه وقديميات الامسم الأجنبية . حين تمكن شيشيرون من بعض ساعات الراحة والعزلة حبس نفسه في مكتبته التي زخرفها وزينها ، واختفى وسط كتبه حتى كان يجعل منها ركاما عظيما يحيط به من كل ناحية . ومتى لم يكن لديه ما يرغب في مراجعته استنسخه عند أحد أصحابه ، فاذا كان لبعض

(١) نقل سويتون أن قيصر كلف فرون بإنشاء مكتبات عامة فيها الكتب الاغريقية واللاتينية . وقد وضع فرون مؤلفا خاصا بالمكتبات ولكنه مفقود مع الاسف . راجع كتاب جستون بوازيير ص ٢٢ . ٤٧ على فرون .

الاصحاب مثل هذه الحاجة قضاها لهم على خير وجه فيكلف كتيبه ومقرنيه وسكاكرته بنسخ الكتاب المطلوب ، ويجد لذة في اهدائه كسا كان يسره أن يتقبل كتابا يرسل اليه . وكان من الجارى في عرفهم أن الرجل يهدي الى صاحبه الكتاب الذى يعرف ان له فيه رغبة مستترة أو كان له به حاجة من غير أن يطلبه . واذا زار أحدهم آخر فوجد كتابا يوافقه أعير اياه فيرده بعد أن يقضى منه حاجته الخ .

يمكننى أن أضاعف هذه التفاصيل الى غير نهاية ، ولكن ما القائمة فى ذلك والناس يعلمون أن الرومان فى آخر الجمهورية وقبل بلاين السدى أجاد لنا فى كيفية صنع الورق بمائة وخمسين عاما كانوا قد اتخذوا من البردى كل ما ننسخه الآن نحن من الكتان ومن القطن ، فكان الناس يكتبون فى روما بمقدار ما نكتب نحن فى الاغراض الاجتماعية عينها وبنفس السهولة والحدة ، بل مع تشابه تام فى الشهوات والمباراة . كانت المادة مختلفة ولكن الموضوع واحد . ولا أجد بين الحالين خلافا إلا الخلاف الكبير الذى هو المطبعة التى لم تكن لتستكشف الا بعد ذلك بخمسة عشر أو ستة عشر قرنا . كان نسخ الكتب والاورام الادارية والخطابات أمرا غالبا وبطيئا ، وذلك يستتبع أن تكون تلك النسخ قليلة العدد وفى غاية التعرض للضياع . جاءت المطبعة فجعلت النشر وانتقل والحفظ ألف مرة أكثر أمانا وألف مرة أكثر سرعة وألف مرة أرخص ثمتنا . بيد النساخ استبدل ضبط المكيئة المعصوم وقوتها التى لا تعرف حدا ورخصها التى لا ينافس ، ولكن ذلك لم يكن مهما قيل فيه الا تغيرا ماديا صرفا ، فان المقصود متوفر فى الأزمان الغابرة . على ذلك يكون المخترع الحقيقى الكبير لا يزال هو الشيخ توت أو أى ساحر آخر من السحرة المصريين الذى أنطق البردى والحروف التى رسمها عليه قلم الكاتب مغمورا فى مادة ملونة . وعلى الرغم مما كان يفكر فيه البصير طاموس فان المقالة المكتوبة فى الذهن لم تكن لتكفى الا انذى يحملها فى طيات نفسه لانها منزلة وشبه صماء . وما كانت المقالة لتعيش الا بالكتابة ، ويمكنها أن ترجو من العصور ما لا ينبغي للفرد الفانى أن يرجوه أبدا ، فان أوراق البردى لا تزال تكلمنا ، وسنوف تكلم أحفادنا ازمانا طويلا مع أن طاموس قد حبس عن الكلام منذ أربعين قرنا . من ذا الذى كان يعرف ما افكره لو لم يكن أحد الكتب الاقل خذرا منه قد سجل لنا اقواله التهكمية على صفحات البردى التى شذ ما كان يستهين بشأنها ذلك الفرعون الحكيم المسرف فى الحكمة .

بعد ان ثبتنا فلاسفتنا فى نصابهم من حقيقة الحوادث التى كانت تصور حياتهم فى حال الدراسة أو فى حال الحرب ، فى حال الإقامة أو فى

حال التشريد • وبعد أن بيننا الظروف الحسية التي القوا فيها مؤلفاتهم صار جائزاً لنا عن بينة وشيء من الاطمئنان ان نتسائل الى أى حد كانت أصالية هذه الفلسفة ؟ انها كما يظهر لنا نبتت نحو القرن السابع قبل الميلاد في آسيا الصغرى المرتبطة بروابط وثيقة مع جميع البلدان المحيطة بها فبأى شيء هي مدينة لها ؟ وهل استعارت منها شيئاً ؟ أم هل هي مستقلة تمام الاستقلال ثم تتبع سواها ؟ وهل لم تنهل شيئاً من غير مذهبها الهندية ؟ اكانت مذاهب طاليس وفيثاغورث واكسينوفان محض ابداع لها من الاصلية ما لشعر هوميروس وسافو وأرخيلوكس والكايوس ؟ وبعبارة أخرى هل الغرب الذي فتح صدره للحياة العلمية يدين بشيء للشرق الذي هو مخالف له والذي هو معتبر أنه متقدم عليه بكثير في هذا الطريق الوعر الذي حده النهائي هو الفلسفة ؟

أجيب من غير تردد بالسلب وان اغريقا لم تدن لاحد غيرها ، وان المساعدات التي وردتها تكاد تكون من خفة الوزن بحيث يمكن الجزم بأن اغريقا في العلم أيضا كانت ذات احداث وابتناع ، شأنها في بقية الاشياء الاخرى ، واذا كانت تلقينا شيئاً عن جيرانها فما هو الا اصول عديمة الصور فصورتها هي وبلغت من تصويرها حد التمام بحيث يمكن القول بحق انها هي التي أوجنتها في الواقع •

وعلى أن أقرر بادی ذی بدء ماذا يعنى بالفلسفة ؟ وحسبى حدها وهو : « اتجاه العقل اتجاهاً نزيهاً الى العلم » • المشاهدة لاجل العلم من غير غرض آخر الا فهم العالم الذي تعيش فيه وظواهره وأصله ، نفاثته • هذا هو المعنى الذي تولد وقتئذ لأول مرة في العقل الانساني والذي ، من طاليس وفيثاغورث واكسينوفان الى عهدنا ، لا يزال ينمو من قرن الى قرن ، والذي ينمو في المستقبل بلا انقطاع مادامت القرون ومادام الزمن الذي يقاس بها عا بقاء النوع الانساني • ذلك هو ما يحدث للفلسفة في بداية أمرها عما أن اعتنقت جميع العلوم بلا استثناء • وما هو الا بسبب ضعف عقلا وضرورات البحث العلم انه آتفت ذات العلماء الحصري صبة شيئاً فشيئاً وانعزلت أما الفلسفة عن أولادها ولكنما ما زالت تفردنا ، تتركها عاليا • ولما تالت الفلسفة أن حددت دائرتها الخاصة المتوزعة أجزاؤها في العلوم المختلفة التي الفلسفة أسسها وتماهها ، ولكنها في تلك الايام الأولى كانت مختلطة بجميع العلوم ، لان العلوم لم تكن بعد قد خرجت منها • من هذا سمت نفسها بذلك الاسم الجليل المتواضع ، فان فيثاغورث لما سأله ليونطاغيا الفيلياز (سيقونيا) أجاب بأنه فيلسوف وهو اسم لم يسمع من قبل •

انفيلسوف ليس الا صاحب الحكمة أى صاحب العقل ذلك انعقل الذى يدرس الاشياء ويدرس نفسه أيضا . وقد كان فيثاغورث يقول : " حال الناس فى الحياة يسعون فيها يشبه حال الجمهور يتقاطرون الى الاعياد الرسمية . وفى جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين اليها أغراض مختلفة ، أحدهم يقصدها لبيع فيها بضائعه مدفوعة بحب الكسب وآخر لا يقوده اليها الا حب المجد والرغبة فى ان ينال قصص السبق فى القوة أو فى المهارة . وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها الا لمشاهدة جمال محال تلك الاجتماعات وعجائب انصاعة المعروضة لانظار الجميع . كذلك فى الحياة ، للناس الذين تضمهم الجمعية الانسانية مشاغل متباينة . فمنهم المجرورون بجواذب الثروة والتمتع التى لا تقاوم . وآخرون مملوك عليهم أمرهم بانطع فى السلطان والشرف وهما لا يتالان الا بالحروب الحادة والمنافسات التى تسفك الدماء ، ولكن الغرض الاسمى للرجل هو امان النظر فيما فى هذا الكون من الجمال المتنوع الذى يقدمه لانظارنا وبذلك يستحق عنوانا فيلسوف ، فمن الحسن أن ينظر المرء الى اقطار السموات الفسيحة يتبع سير الافلاك التى تتحرك فيها على قدر غاية فى النظام ، ولكنه لا يستطيع فهمه جيدا الا بالمبدأ المعقول المجرد الذى يسير الكون ويحصى كل شىء عددا ومقياسا ، فالحكمة تنحصر فى التعرف بقدر الممكن لهذه الظواهر الالهية الابدية الاولى التى لا تتغير . والفلسفة ليست الا التتبع المستمر لهذه الدراسة الشريفة التى تنير الناس وتصلحهم (١) .

منذ البداية قد علمت الفلسفة ما كانت تفعل ، منذ خمسة وعشرين قرنا لم تبحث الفلسفة الا فى تحقيق الفكرة التى قامت بها عند خطواتها الاولى بالتدرج تحقيقا كاملا . وما زالت حكمة فيثاغورث هى حكمتنا وان كانت العلوم قد رقت رقا كبيرا جدا ، ولكن الفيلسوف لم يتغير فانه سيبقى دائما هو الذى يتأمل فى الاشياء ويلاحظها ليفهمها وليفهم نفسه ، هذا هو معنى العلم والفلسفة الذى أنسب شرفه الى أغريقا دون سواها . فمن أغريقا تلقيناه من غير أن يكون افكره أحد من قبلها فى هذا الشرق الذى كانت تعتقله ويعتقله غالب أهل زماننا ينبوع كل نور وحكمة .

من كانت تستطيع أغريقا أن تستعير هذا المعنى وقتئذ؟ أم من مصر

(١) يبليك ، حياة فيثاغورث ب ٧ ف ٥٨ ، ٥٩ طبعة فرمان ديلو على أثر ديوجين اللايرتى . بشكل هذه الوثائق وثائق يبليك وفرغوريوس يمكن جمع حياة فيثاغورث المهمة ونقطة تامة عن مذاهبه الاصلية .

ام من فينيقيا ام من الفرس ام من الهند ؟ لا ارى غير هذه الامم احدا كان يستطيع ان يعلم الاغريق شيئا وأقول: ان هذه الامم ولو انها علمتهم أشياء كثيرة فلم تعلمهم الفلسفة أصلا . لا شك في أن كثيرا من فلاسفتنا وفيثاغورث على الاخص سناخوا سياحات طويلة في تلك البلاد وانهم ذهبوا اليها ليتعلموا ، فان فيثاغورث انذى ربما كان يدلى الى فينيقيا بغائلته ذهب الى مصر كما فعل طاليس من قبل وكما فعل هيرودوت بعده بقرن وأقام فيها ويقال : انه لقن الاسرار الخفية . وقد يمكن تصديق ذلك بسهولة ، لان سولون ذهب اليها ايضا . والظاهر يدل على انه لم يقف عند عادة كهنة سائيس (١) في أمر الاطلانديد ، ومن المحتمل ايضا ان فيثاغورث جاوز مصر الى كلدة وتحادث مع المجوس كما كان قبيد تحدث مع الكهنة المصريين . والفضل في ذلك يرجع الى الطريق الملكي الذى انشأه دارا يصل به المسافر من سرديس الى صوص في اعماق فارس وراء دجلة والفرات من غير مشقة الا طول السباحة التى تقطع في ثلاثة أشهر . وليس يرى لماذا لا يدفع حب العلم الى ازماع مثل هذه السياحات في حين ان السياسة ، حتى قبل فتح ذلك الطريق ، كانت تقتضى كل وقت علاقات من هذا النوع . وقد كان حكماء الاغريق مشوقين دائما الى زيارة مصر وفينيقيا وكلدة وهى البلاد الشحيقة التى كانوا يؤمنونها ليجدوا فيها كنوز العلم . والواقع انهم جابوا تلك الاقطار القاسية مع ما عليه الوصول اليها من المشقة .

ماذا جلبوا منها ؟ الآن وعلى اثر الاكتشافات اللغوية والاثرية التى جاء بها قرننا الحاضر والمعلومات الهيروغليفيه والكتابات وأوراق البردى المصرية وكتب زورواستر وكتب الهند المقدسة ودين البراهمة والبوذيين ، نقول ان طريق الجواب مفتوح امامنا ، ونستطيع ان نرى فيه أحسن مما رأى الاغريق ، نرى ماذا كانت حكمة الشرق المزعومة . تلقاء الآثار المفسرة بالضبط الكافي ان لم يكن بالكل فعلى الأقل بالجزء تعلم ماذا تساويه وماذا يمكنها ان تؤتية ، يبحث فيها عبثا عن الفلسفة وهى عنها ذقية فكيف يكون الاغريق حتى مع تناول الاسرار الخفية قد وجدوا الحكمة فيها مادامت لم تفكر فيها .

نطرح الى جانب فينيقيا ويهودة جميعا ، فان التوراة اثر ذو قيمة لا تقدر ان بما تشتمل عليه وان بما خرج منها ، ولكى لا ارى ان اغريقا استعارت منها شيئا أيا كان ، واذا كانت كتب اليهود المقدسة قد وصلت اليها بآية

(٢) راجع طيماموس : فلاطون ترجمة فكتور كوزمان ص ١٠٧ وما بعدها .

طريقة كانت فلماذا تخفى ذلك وهى قد اعلنت اعلانا عاليا بل عاليا فوق مايلزم حكمة مصر وحكمة المجوس ؟ أى عقبة اعترضتها فى اطراء الحكمة العبرانية اذا كانت عرفتها ؟ يمكن أن يؤسف على أنها جهلتها ، وأنا أظن أيضا أن اغريقيا التى كانت مستعدة للرقى بنفسها كانت تجد من دراسة كتب موسى مساعدة قوية ، ولكنها ما علمت منها شيئا . والقول بضد ذلك يمكن أن يكون دليلا على ايمان حاد ، ولكنه ضلال مبين لا ينهض واقفا أمام أدلة الحوادث . فلما ترجم التوراة السبعون بعد ذلك أى فى عهد بطليموس الثانى فيلادلفى (٢٧٥ قبل الميلاد) أمكن الاغريق أن يقرعوها وليس يرى أنهم تحركوا لها ولا استناروا بها ، ولو قرئت عليهم فى زمن طاليس وفيثاغورث لكان أثرها أقل من ذلك أيضا ، ولو قسرت لهم لكانت كادوا يفهمونها ولا يصغون إليها . والواقع أنها لم تفهم شيئا .

أقول عن مصر ما قلته عن فينيقيا ويهودة تقريبا ، فمن عهد الاكتشاف العظيم الذى أتاه شموليون ومن كل الاعمال التى تبعتها وأيدته يعلم ماذا كانت أرض القراءة القديمة ، فقد يكون الانسان واثقا من أنه لن يضادف فيها ما يدل على الفلسفة الا بيانات غير منتظرة من نوع جديد . كانت الاعتقادات الدينية مستفيضة فضا ، وكانت عريقة فى أصليتها جميلة على حافيتها من شئ ، ولكن العلم بالمعنى الخاص لم يكن بها ، وكل شيء يساعد على اثبات أنه لم يكن فيها أصلا بل لم يكن ممكن الوجود بها على رغم ما عايناه أهلها من الذكاء الحقيقى ، ان ذلك لا يقلل من أهمية دراسة مصر ، ولكنه لا ينبغي أن نتظر منها ما ليس فيها . لها صناعات وليس لها تاريخ . يمكن أن يكون لها مشاهدات مضبوطة البعض الحوادث الطبيعية والفلكية على الإخص ولكنها ليس لها علم . لها مذاهب دينية وليس لها فلسفة . حالها كحال فينيقيا جارتها وحال يهودة التى كانت خاضعة لها وتخلصت منها منذ عهد موسى . يمكن أن يكون لها معلومات كبرى ولكنها لم تملئها ولم تركزها على مبادئ معينة .

وللحكم على مخوس كلمة لدينا مذكورة هيودوت وما كتبه الكتاب المعاصرون وما تعلمنا اياه الكتب الدينية الموصية التى فتح لنا مقالها حديثا علماء اللغات وفى مقدمتهم ايجين بورنوف .

أما على قول هيودوت الذى يظهر أنه رأى المجوس عن كثب فانهم لا يكادون يكونون الا عرافين . عندما أراد اصطياف ملك الميديين ان يفسر الحلم الغريب الذى رآه ابنته مندان قصد الى المجوس المخترفين بتعبير الرؤيا واتبع نصيحتهم مع التحرج ، اذا امر بقتل حفيده قيروش . وعندما يريد قمبيز أن يزعم حملته الجنونية على مصر يعهد الى مجوس القيام بأعباء الدولة مدة غيابة فيسمى المجوس فى ثقة الملك به ويجلس على العرش أخاه

سمرديس الكاذب ، ولكن الفرس غاظم هذا الاغتصاب الذى يغضى اليه خضوعهم للمجوسى ، فاتفق سبعة منهم تحت امرة الفارسى دارا بن هستانسب وذبحوا الاخوين اللذين تبوءا الملك غصبا ، وهم هم المجوس الذين يفسرون حلم اكزاركزيس ، اذ يهم بمحاربة اغريقا وعلى رأيهم يمشى ، وبينما هو فى الطريق على ضفاف الستريمون ، اذا بالمجوس يذبحون الخيل البيض يستفتحون بها باب النصر . فلما شنت الاسطول (٤٨٠ قبل الميلاد) بريح عاصف على شاطئ تراقيا فى رأس سيبياس ، غير بعيد من اطوس حيث هناك أسطول آخر قبل ذلك بعشر سنين ، اذا بالمجوس يقربون قرابين للريح ليهبطوا ثائرته فى اليوم الرابع . وبالجملة لا يقرب قربان الا بحضرة مجوسى لينشد ما يسميه هيرودوت تيوجرنى (أنشودة الآلهة) ليتم بذلك الاحتفال الدينى .

من أجل ذلك كانت فى اغريقا القديمة وعلى الخصوص فى روما شهرة للمجوس وكراهة لهم فى آن واحد ، ومن اسمهم اشتق اسم ذلك الفن الخفى الذى هو « السحر » وهو مخوف عند العامة وطالما غرر بهم . وقد أنحى عليه بلاين بالسخط فوق ماقد يستحق (١) . ومنذ عهد أرسطو كانت تلتصق هذه التهم بمجوس الفرس والكلدان ، فان هذا الفيلسوف قد أفرد مؤلفا خصيصا بذلك وسماه « الماجيك » (٢) ليدفع عنهم التهم التى ظهر له فسادها . وفى كتابه المسمى « فى الفلسفة » ظن أن من الواجب عليه أن يشتغل بأمر المجوس الذين يعتبرهم أقدم عهدا من كهنة مصر ، ولما وصل الى لاهوتهم تكلم عن الاصلين اللذين يعترفون بهما : الحسن والقبيح « أوروماز - وأريمان » . ومن الكتاب المتأخرين عن أرسطو من جعل المجوس آباء الجمنوزوفست (فلاسفة الهند المتريضين) بل آباء اليهود أيضا . وفى كتاب دانيال الذى كتب فى عهد دارا أن مجوس بابل ليسوا الا منجمين وسحرة ومفسرى أحلام ، ومع ذلك كانوا يلقبونهم بالحكماء ، ولكن الخدم التى تطلب منهم لا تكاد تدل على أنهم أرفع درجة من المحتالين والسحرة الدجالين ، فهل هم أنفسهم أولئك الذين كان لهم أرساد فلكية فى بابل قدرها أرسطو خيرا تقدير (٣) .

ولكن المجوس اذا كانوا فلكيين مهرة فليسوا فلاسفة ، وكتبهم المدينية (زند) التى نعرفها الآن بطريقة أكيدة تبين لنا ذلك بفاية الوضوح .

(١) بلاين التاريخ الطبيعى ك ٣٠ المخصص كله لهذه المسألة .

(٢) ديوجين اللايرنى فى مقلته ف ٨

(٣) أرسطو كتاب السماء ك ٢ ب ١٢ ف ١ ص ١٧٨ من ترجمتى .

فإن الفنديداد واليسنا واليشث وجميع القطع المنسوبة الى زورواستر (زاراتسترا) تشتمل على آثار من ديانة ظاهر عليها الجلال والقوة في خلال تلك الظلمات ، ولكنها لا تشتمل على مذهب فلسفي . وهذه الكتب هي كل ما يمكن اسناده الى مجوس كلبه . فاذا كان فيثاغورث قد اطلع عليها بالمصادفة فإنه لم يدخل منها شيئا في مذهبه الخاص : صلوات وأدعية وأناشيد وعقائد مبهمة وغير مستقرة وآثار من سير مقدسة . وخرافات ليست هي خرافات الفيداس وليست كذلك من خرافات الاغريق ، ذلك على الاخص هو كل ما يمكن أن يقرأ في كتبهم . وهذا في الحقيقة لا ينقص من أهميتها الكبرى ، فإن تاريخ الديانات يمكن أن يكتشف فيها الاصول النفيسة للغاية ، ولكن تاريخ الفلسفة لا يجد فيها شيئا يجنيه ، وعلى ذلك لم يكن المجوس ولا المصريون قد أوحوا الى اغريق يونيا شيئا .

افتكون الهند ؟ ولا هي أيضا .

ليل حالك لا يزال يغشى الاصول الهندية وأخبارها ، ولأن هذه البلاد ما كتبت قط تاريخها تصادف أكبر الغناء في ترتيب الحوادث والوقائع المتنوعة التي تتعلق بها . كذلك الحوادث الخاصة بالعلوم والآداب لا تخرج عن هذا الخفاء العام . ومع ذلك يبين لنا ، وسط هذا الاختباط الذي يكاد لا يخلص أبدا ، بعض الاصول الرئيسية الحقبة على ما فيهما من شدة الإيهام ، فيمكن الجزم بأننا آثارا بعينها من آثار العقل الهندى أقدم أو أحدث عهدا من بعض آثاره الأخرى . من ذلك أن أنواع الفيدا وعلى الاخص الفيدا التاريخي انذى لقب مع التسامح بلقب « الريك » هي متقدمة على سائر البقية وجماعة الفيدا أو على الأقل تلك المتقدمة لا يكاد يقل عمرها عن خمسة عشر قرنا قبل الميلاد ، غير أننا هذه الاناشيد الشعرية ليس فيها شيء من الفلسفة . أما الخرافات الفياضة النامية فيها فانها تشبه الخرافات اليونانية ، كما أن بين لغتي اليونان والهند البرهمانية مشابهة أخوة ، ولكن الطابع الفلسفي معدوم منها بالمرّة . وأما الاوبانيشاد التي يمكن أن يوجد فيها هذا الطابع بعد البرهمائيات فمن المؤكد أنها متأخرة عن الازمان التي نحن بضددها ، فبعد أن طاليس وفيثاغورث واكسينوفان هم من القرن السادس قبل المسيح فإن الاوبانيشاد لا يمكن ابلاغ أقدمها الا الى القرن الرابع .

وعلى ذلك لم يكن الاغريق ليستعبروا شيئا من الهند مع افتراض أنه كان من الممكن في ذلك الزمان ان يكون لهم مخالطة مستمرة بحكامه شواطئ الهندوس ، بله حكماء أواسط شبه جزيرة الهند أو شرقها . وما عرفه العالم الاغريقى بجماعة الجمنوزوفست الا بتجريدة الاسكندر وسفارة

ميفاستين ، ولكن الاسكندر وميفاستين هما متأخران بمائتي عام عن حكماء
سوموس وملطية وكولوفون .

حتى أن الهند خلافا لمصر ويهوذا وفارس لها فلسفة حقيقية نعرفها
في مجموعها ونعرف منها آثارا تفصيلية . وریشا ندرسها دراسة تامة
تقرر منذ الآن أننا نعلم أن هذه الفلسفة مستوفية كل الشرائط اللازمة
للعلم على النحو الذي نعتيه نحن اليوم ، والذي كان يعنيه الاغريق دائما .
إنها ليستقلة تمام الاستقلال ، وغرضها كغرض حكمة الاغريق تفهم العالم
والانسان . ولا شك في أنها درست كليهما على غير الوجه المفيد ، ولكنها
جعلتهما شغلا الوحيد ، فينبغي أن يكون لها بمذاهبها السنة التي تتقاسمها
وتؤلفها مركز عظيم في التاريخ العام للعقل البشري .

ماهو تاريخ هذه الفلسفة ؟ وإلى أي زمن تنسب ؟ ذلك هو كل ما يهمنا
في هذا المقام .

قد كان يظن أن أحد هذه المذاهب الذي هو مذهب سعنخيا الملحد
من كيبلا كان سابقا على البوذية . ولما أن بوذا مات سنة ٥٤٣ قبل الميلاد
يكون سعنخيا معاصرا لطاليس ومعاصريه الآخرين . وكانوا يقفون مذهب
سعنخيا بالمذاهب الاخرى على ترتيب معين لا يخلو من التحكم كثيرا أو قليلا
باعتبار أن كل هذه المذاهب متأخرة عنه وبالتالي تكون متأخرة عن فلسفة
آسيا الصغرى ، ولكن يظهر أن هذا الترتيب أصبح الآن معدوم النصير ،
لأن أغزر البراهمة علما متفقون على ترتيب سعنخيا بعد البوذية بزمن
طويل . أن الفلسفة لم تظهر في الدين القديم الا لاستئصال شافة الالهة
أو على الأقل لتقل من غرضه . وأن مذهب سعنخيا الذي هو ملحد وروحاني
معا ما يكون الا طليعة التوفيق بين اعتقادات الدين الجديد وبين الاعتقادات
الجاثية من قيدا ، ويكون « النيايا » أو المنطق جاء نفسه قبل سعنخيا
لحاحات المناظرة وتكون الفيدعتنا متأخرة عن الاثنين (١) .

ليس بى من حاجة الى النحول في مناقشات من هذا النوع ، ولا أريد
أن أجاوز بالبحث حدود ماقلته من القول ، والا كانت افاضة في الغيب
نأن من البين أننا حتى اذا وضعنا سعنخيا في الترتيب الوجودى قبل
ظهور البوذية وجدنا أن الاغريق لم يكن في وسعهم أن يعرفوا من مذهبه
شيئا عندما أخذوا يفلسفون لأول مرة . ومع افتراض أن سياحة فيثاغورث

(١) ر . مؤلف ينجيا « حوار على الفلسفة الهندسية » لندن ١٨٦١ في قطع الثمن
من ٥٠ روميا . وكان الاستاذ ينجيا أستاذ في مدرسة ييشوب بكنكنا أهدى مؤلفه
الى جون مورين .

بلغت به بأجل وصوصى ، فأما لم تعلمه مذاهب لم تكن خلقت فى بنجاب
أو على شطوط نهر الجنج .

ينبغى أن يزداد على هذا أن « داراسانا » الفلسفة الهندية على ماهي
معروفة عندنا منذ كولبروك وماتلا مذكروا المشهورة من المعلومات ليس
بينها وبين الفلسفة الاغريقية فى تلك الازمان الاولى علاقة مشتركة . فلا
فى طاليس ولا فى فيثاغورث ولا فى اكسينوقان يسكن العشور على اثر
للمشابهة أو التقليد . وهذا مفهوم بالبداية مادام الظاهر كله يدل على
أن الفلسفة البرهمانية لم تنم الا بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة .

ومتى خرجنا بالهند من الموضوع صار من العيب أن نبليج بالبحث
الضيق ، فإن لاوسو معتبر أنه عاش فى القرب السادس قبل الميلاد ،
ولكن الفلاسفة الاغريق الاول لو كانوا قريبا الثانوى كنج وهو كتاب
الطريق والفضيلة لما استطاعوا ان يجنوا فيه ما يصلح لهم (١) .

على ذلك لا الصين ولا الهند ولا فارس ولا مصر نفسها لم تلهي
الاغريق شيئا من فلسفتهم . وسأبين فيما يلى أى حظ من التأثير كان
للمذاهب المصرية فى مذهب فيثاغورث ، ولكنه يمكن الجزم بصورة عامة أن
الفلسفة الاغريقية باعتبار أنها فى مهدها فلسفة بالغة فى الاصلية غابتها .
وبأن معنى العلم على الصورة التى صورتها بها هذه الفلسفة وقتئذ كان
ياكورة فهم العقل البشرى للعلم ، تلك هى نتيجة كبرى اعترف بغاية
الارتياح أنها ليست أمرا جديدا ، كما قد يبين من الاعتبارات التى تقدمت
بل قد تقدمنى بزمان رجال ارتأوا هذا الرأي من غير أن يكون قد توفر
لديهم كل سالدنا من الأدلة .

فإن العالم المحقق بروخر كان يكتب منذ قرن كامل فى هذا الموضوع
وقبل أن يصل الى الفلسفة الاغريقية بحث عن بدايات الفلسفة فى الارض
جميعها : قراح يستجوب على التعاقب العبرانيين والكلدانيين والفرس
والهنود العرب والفينيقيين والمصريين وطائفة من أمم أخرى . فلم يعثر
فيها على الفلسفة التى ينشدهم أياها عبنا ، حتى بلغ الاغريق فقال : « الآن
لنبليج الاغريق هذه الامة المشهورة منذ كانت صنية فى المهد بدرى الحكمة
والقنن ، والى عندها وجدت الفلسفة مقرها الذى بفته زمنا طويلا بعد
أن تلقت هذه الامة عن المتوحشين بعض الجراثيم من المصيراق الالهية
والبشرية » .

ثم بعد أن درس النظريات القديمة لانساب الآلهة التمثيلية والفلسفة السياسية للحكماء أضاف هذا العالم الرصين مؤرخ الفلسفة الى ما تقدم مايلي محدثا عن مدرسة يونيا :

« الى هنا لم نقدر فلسفة الاغريق الا وهى صبية ترت فى مهدها ، ولكننا قد بلغنا الآن منها الطور الذى فيه بدأ العقل البشرى يزاول انفسه الحقة ، ويظهر بالافكار المرتبة مظهر المشغوف بالنفوذ فى حقيقة الاشياء فالى العبقورية الاغريقية ينبغي ان ننسب هذا المجد كما بينته آنفا وفى أول هذا التاريخ عند البحث فى الاصول الصحيحة للفلسفة (١) » .

واما أنا من جانبى فلا ازيد على ترديد عبارة بروخر ، وإعدينى سعيدا باستنادى الى هذا الحجة المحترم المتين الذى تقدم بمائة عام خالديننا فى هذا العصر من المعلومات البينة . نتيجتى كنتيجته . نعم اغريقيا أصيلة على الاطلاق . اعطت كل العالم ولم يعطها العالم شيئا الا ما ربما يكون من بذور كانت عقيمة فى غيرها فعرفت هى وحدها ان قنيتها .

لن أتوسع فى الكلام على مذاهب طاليس وفيثاغورث واكسينوفان بل افترض انها معروفة بمقدار ما يمكن ان تعرف من القطع الذرة التى نجت من البلى وأقف عند بعض الملاحظات العامة الى غاية العموم . من البين أن أكمل هذه المذاهب الثلاثة على نسبة كبيرة هو مذهب فيثاغورث . ونحن لانستطيع ان نتعرفه الا من خلال الشروح التى وضعتها عقول قليلة التفوق جاءت بعد المصنف بستة أو سبعة قرون ، ولكنها مع ذلك كافية فى بيان أن الدراسة التى كان يزاولها حكيم سموس شد ماكانت أفسح ميدانا وأكثر ضبطا من دراسات معاصريه ، فيها الفلسفة بتمامها تقريبا مع اجزائها الاصلية التى تتألف هى منها . وفوق ذلك فان دراسة العلوم وعلى الاخص العلوم الرياضية بلغت فيها شأوا بعيدا . ومن البلية أن شخص فيثاغورث كمذهبه لا يزال يحيط به من الظلام حجاب لا شئ يمزقه ، ولا شك فى أن هذا الحجاب العظيم انما جاء كبره من السكوت الذى التزمه فيثاغورث والزم اياه تلاميذه الذين بقوا محتفظين بتنفيذ أمره مدة عدة أجيال . وكان فيلولاوس السابق لافلاطون بقليل هو أول من علم القاعدة - على ما يؤكدون - ونشر المذهب بل ربما نشر كتب الاستاذ أيضا .

ومما لا يقل عن هذا مطابقة للواقع هو أن فيثاغورث على فلسفته

أن يحتفظ في نظرنا بشيء من النحو الدينى ان لم يكن فى أفكاره فعل
 الاقل فى الجمعية التى ألفها والتى لا يدخل اليها الا بعد امتحان قاس
 يجوزه المرید ، فليست الفيثاغورية مفتوحة لكافة المذهب الطبيعى
 لطاليس ، ولا كمذهب مالوراء الطبيعة لأكسينوفان . لفيثاغورث
 تلاميذ ، ولكنهم بعض أعضاء الجمعية منتظمة خاضعة للملاحظة شديدة
 ومحصورة فى حدود لا تتجاز ، انها نوع من مدينة فلسفية دينية سياسية
 قاسية وضيقة الحدود . فلم تلبث ان ارتاب فى أمرها جيرانها فخربوها
 بالحديد وبالنار وما كان أسهل عليهم ذلك نظرا الى ان هذه الجمعية من
 الوداعة بمكان . ومن البديهي أن نظام المدرسة الفيثاغورية كان على مثال
 مدارس الكهنة المصريين ، وربما كانت على مثال مدارس المجوس أيضا
 وإن تناسخ الارواح هو عقيدة شرقية صرفة لم تتأقلم فى العالم الهلنى
 مع أن أفلاطون وضعها تحت إشرافه . كان فيثاغورث مؤسس مدرسة
 ورئيس جمعية معا ومبدع مذهب لا يتلقاه الا أشياعه ، وبهذه المثابة
 كان بين فلاسفة الاغريق وحيدا فى هذا الباب . وينبغى ان يرجع ان
 سياحاته فى مصر وكلمة هى التى أوجدت فى نفسه مقاصدا من هذا
 النوع فنقلها الى بلاد قلمنا توافقها وتنجح فيها ، ولكنها مع ذلك جعلت
 لفيثاغورث مركزا قلميا علميا معا فبقى به علما فردا متميزا عمن
 قبله ومن بعده . مذهب العلمى غير تام ، ولكنه عظيم جليل . ومذهبه
 الاخلاقى طاهر لا غبار عليه حتى أن مذهب افلاطون مع كونه أشد منه
 تعمقا لم يرجع عليه فى طهره .

ولندع الى جانب شخصيات الفلاسفة وننبه الى ان الفلسفة
 الاغريقية بتمامها كانت موضوعة فى وضع استثنائى أفادها جدا وهو
 أنها لم يكن أمامها أبدا ديانة مبنية على كتب مقدسة ، وقد كان الامر
 على ضد ذلك فى مصر ويهودة وفارس وفى الهند حيث لم تكن الحال قاصرة
 على أن الذين قد سبق الفلسفة فى تلك البلاد ، كما هو الحال عادة فى كل
 زمان . بل انها اعتمدت فوق ذلك على أسس معتبرة انها الهية ، ومع ذلك
 اقامت قرونا طويلا كافلة لسد الحاجات الادبية والاخلاقية فى تلك الأمم ؛
 وبعد ذلك خرجت الفلسفة من المحاريب فمثلا فى بلاد الهند البرهمانية أو
 البوذية استطاعت الفلسفة أن تنمو نموا كبيرا متحللة من القيود الاولى
 وان كان نجاحها لم يكن عظيما . اما فى بلاد الاغريق فلم يكن ما يشبه
 ذلك ، لأن الاغريق لم يكن لهم كتب الهية ولا موحى بها . وقد كان أرفقولينوس
 وسائر المرتلين الاقدمين الذين كانوا ينشدون آيات الاسرار الاولى كليهما كان
 يتكلم الا باسمه هو دون ان يستند ما يقول الى الاله . ولما كان الإشراف
 بالله متغير الصور منشورا فى البلاد لا ينتظمها على حال واحد لم يستطع

الوصول الى تأليف جسيم من المذاهب قد يصير ديانة ذات قوام خاص فلم يكن للكهنه رقابة قوية ذات سلطان. وكأذا الناس يحرمونهم ولكن لا يطيعونهم ، ولم تكن الروابط بين الهيئتين الا مفككة العرى ، لانها انما تبحث عن معتقديات عامة يغير من عمومها في كل جهة باستطاعت محلية لانهاية لها ، وعن بعض اختلافات عامة لم تكن الزامية ، وهواتف يستشيرها الناس وقتما يريدون ؛ والعباب عمومية . والكتاب الوحيد الذي أخذ بمجامع قلوب الاغريق انما هو قصيدة حماسية . ان قصيدة من شعر الحماسة تسحر العقول ولكنها لا تهديها ، تأخذ بالقلوب ولكنها لا توجب الايمان ، انها تمنى الاحتساسات الشريفة بما تقدم من التذكارات الوطنية ، ولكنها لا تسوى سبيل السلوك . فما قصيدة حماسية بالثورة ولا هي بالزنادقة ولا بمنتراس البراهمة ولا بالقسربان المثلث عند البوذيين . فالواقع ان الفلسفة كانت هي وحدها دين الهلين

وما تستب عظمة الفلسفة الاغريقية التي لا تزال تدهشنا وتعلم منها بغد خمسة وسشرين قرنا الا الى استقلالها المطلق . ولو انها كانت تحت وصاية ديانة حسنة النظام افكانت تظهر قواعدها بهذه السهولة التي ظهرت بها ؟ أو كانت تحيا تلك الحياة الطيبة القوية ؟ أو كانت تلد للعالم تلك الملح من التأليف وتؤتي ذلك الثمر اللذيذ ؟ من ذا الذي يعرف ذلك ؟ لا شك في أن الجنس الهليني كان عجيب الاستعداد فقد نجح في ميدان الفلسفة ، كما نجح في ميادين الاعمال الاخرى ، ولكن اما كانت تذبل هذه الخواص العجيبة لو أن العصابة التي تغذيها جرت في قنوات أخرى من قبل وخصوصا في قنوات الديانة ! ولم يكن تاريخهم الخرافى الا لعبا تلعب به الملكات ، فكانت الخواص العليا للنفس في سعة من أن تتخذ لها نحوا جديا آخر وتبحث عن غذاء لها أغزر مادة وأدخل في باب الحق ، بعيد على أن أنكر نعم الديانات على الناس ، وأرى أن من الخير أن تكون قد سبقت الفلسفة دائما ، وعند جميع الشعوب ، ولكنى لا أستطيع أن أحجم عن القول بأنه اذا كانت ديانة الهلين أكثر جدية مما كانت عليه لاوشكت فلسفتهم وعلومهم أن تكون أقل في الجدة مما كانت عليه بكثير وتلك حسنة لا تقوض على الاغريق وعلينا أيضا لاننا نحن ابنائهم ومظهر استمرار حياتهم .

ولئن إنسب الى آسيا الصغرى وتلك الجمهوريات الاغريقية الصغيرة التي كانت مقبلة على شواطئها كل المجد الطارف في اختراع الفلسفة والعلم والشعر والموسيقى وكثير من الفنون الاخرى ، فاني لا أقصد الى أن أغبط آتينا حقا من المجد المقطوع النظير ، ذلك لانه من آتينا لخرج في زمن قدروا أهل بعض هذه المستعمرات التي جمعت بين النشاط

والذكاء والبشاعة والحريّة ، وفي آتينا اجتماع اليونان . بل يمكن القول بأن آتينا أعطت من دمها ومن روحها تلك الجاليات التي لم تستطع ان تظلها تحت سمائها بعد ان أقاموا بها زمنا طويلا . ثم أن تلك المستعمرات لم تستطع ان تحفظ في أوطانها جراثيم للفلسفة التي تخضعت هي سها ، فانه اذا كان طاليس بقي في ملطية فان فيثاغورث قد هاجر من سنوس الى ستياريس وقروطون ، وأكسينوفان ترك كولوفون الى ايليا . فلما نفيت الفلسفة مؤقتا من افرىا الكبرى بما فيها صقلية وجدت سلطانها الحقيقي في آتينا آخر مطافها ، وجده بسقراط وأفلاطون في عهد انكساغوراس وبيريكلينس وفيدياس وسوفكل ، على ذلك تكون آتينا قد حوت اجمعي مظهر للذكاء الاغريقي ، وتكون الام المخصبة التي ولدت الملح من كل نوع ، فانه الفلسفة لما اقتلعت مرتين رجعت الى الارض الاولى التي منها خرجت المستعمرات اليونانية لتؤتي فيها اجمل زهرها وأنقى ثمارها . ولم تكن الفلسفة في آسيا الصغرى الا عارضا جاءت به المصائب السياسية ، فاقامت فيها قليلا ولكن بعد ان انبعث نورها الساطع . فلما استقرت بآتينا مكثت بها أكثر من ألف سنة من عهد بيريكلينس الى عهد جستنيان فهي معلمة روما وحدة الاسكندرية ومناقستها الجديرة دائما بالاحترام .

من اجل ذلك يظهر لنا ان آتينا ويونيا او بلفظ واحد افرىا كان لها على من عداها فضل وسؤدد لا يطاول ، ومن اجل ذلك تضع منزلتها من سما المجد في أوجها ، لا يقارنها فيه ولا على مسافة كبرى تلك الامم التي حاربتها ومزقتها ولكنها لم تقهرها مع انها تربى عليها في العدد الف مرة . فمن ذا الذي يقام له وزن بجانب الاغريق في باب الشعر والفنون والعلم والفلسفة ؟ لست أعني السبتيين ولا سائر تلك الشعوب الزحل في شمالها ، وليكنما أعني الفرس والهنود بل المصريين أيضا ماذا عسى أن تكون القرون الاولى لولا الهلين ؟ ما هي تلك المعارف الانسانية التي ليس لهم فضل في أمرها ؟ ولقد أراد مؤرخو الانسانية ومنهم هرود أن يتلصوا أسباب هذا التفوق الحارق للعادة من ظروفه وأوضاع كلها مادية كشكل أرضهم وخال جوههم وحاجات تجارتهم . الخ ، ولكن مع ان تأثير هذه الظروف لا ينكر الا أنها لا تستطيع أن تحل لنا مشاكل هذه النظرية الدقيقة ولا أن تفسر لنا سر هذا التفوق تفسيراً مقنعا ، فان شواطئ آسيا الصغرى وضفاف بحر ايجه وأطيقا ، وبيلوبونيز وافرىا الكبرى لم تتغير عن أصلها ، ومع ذلك اين هي تلك الروح التي كانت تنعش الهلين في تلك العصور الحصينة ؟ ماذا أصارت روح تلك الشعوب التي لم تتغير أوطانها المخصبة الجميلة منذ ذلك

«المهد في اليوم فان اخلافهم لا يعدون الا ان شيئاً فيما يتعلق بارتقاء
المدارك الانسانية .»

لا نكاد نجد لهذا السؤال جواباً يمكننا الا الواقع نفسه ، فانا
لنرى كيف كانت اغريقا فوق كل الامم حتى بالبقايا القليلة التي وصلت
اليينا من اعمالها ، ولكن لماذا اصطفى هذا الشعب الصغير في زمن معين
خلال قرون عديدة ليكون عنوان النور الابدي الهادي لجميع الامم فيما
يتعلق بالمعقولات ؟ ذلك سر من اسرار العناية الالهية ليس لنا بالنفوذ
في كنهه يدان ، بل هو كسائر اسرار الله تعالى اعجابنا ولا ينالهسا
فهمنا . ان الاغريق ، الذين لم يكن لهم على النوع الانساني سعة النظر
التي تقدمها لنا اليوم فلسفة التاريخ مدعمة بشئ الملاحظات ، قد حاولوا
مع ذلك ان يفسروا لانفسهم اعجوبة عبقريتهم . واني اوتر ايضا في
هذا المقام ان استجوبهم بدل ان اجيب عنهم في هذه المسألة ، اولئك
هم ثلاثة شهود عدول من عصر واحد تقريبا وهم بقراط وافلاطون
ورسطلو ، يشهد احدهم باسم علم وظائف الاعضاء ، والثاني باسم
الفلسفة والوطنية ، والثالث باسم السياسة ، ولا بأس من ان نتخذ
يجانب هؤلاء شاهدا على الشعر ايشيل الذي كان يقاتل في مرطون .

فمن كتاب بقراط على الاهوية والمياه والامكان ، ذلك الكتاب
الذي يتخيل قارئه كأنما مدهه فيما أتى به من النظريات هو العلم
الحديث ، استطرد فيه المؤلف بحكم ضرورة استيفاء موضوعه الى المقارنة
بين الجنسين والوطنين الذين يعرفهما حق المعرفة ، لانه عاش فيهما
فقال :

« اريد بالمقارنة بين آسيا وأوروبا ان ابين كيف ان كليهما تخاف
الآخرى ، » في كل شيء ، وانه ليس بين الامم التي تقطن كليهما أية
مشابهة في البنية . وقد « يكون من التزام مالايكزم تعديد جميع
الفروق ، بل اكتفى بأكثرها أهمية ، واشدها ، « بروزا للعيان ، لاعرض
رأى الذي ارتأيته في ذلك ، فأقول : ان آسيا تختلف عن ، « أوروبا
اختلافا عظيما بطبيعتها حاصلاتها جميعا ، سواء فيها ما تخرج الارض
وما يخرج ، « من ظهور الناس الذين يزرعونها . فكل مايتولد في آسيا
يفضل مايتولد في أوروبا ، « فضلا كبيرا في الجمال وفي بسطة الجسم .
جرها أكثر اعتدالا ، واممها ادمت ، « أخلاقا وأسهل قيادا ، والعلة في
ذلك هي التوازن التام بين الفصول فان الماشية ، « التي ترعى في
أرض آسيا حسنة المنظر خصبة التكاثر الى حد مدهش ، وتربيتها ،
« ناجحة الى الغاية . واما الناس فيها فنموهم عظيم يمتازون عن الاجناس

الآخرى « بجمال صورهم وفضل قامتهم ، ولا يختلف بعضهم عن بعض في الرواء ولا في الصورة » . « ويمكن أن يقال : ان مثل هذه الجهة بينها وبين الربيع نسب يكاد يكون متصلا » . بالنظر لتأليف فصول السنة ولطف آثارها ، ولكن لا شجاعة الرجولة ولا مصابرة » . المشاق ولا اجهاد النفس في العمل ولا شدة اليأس كل هذه الصفات لا تنمو « في مثل هذه الطبيعة ، سواء فيه الوطنيون والمستوطنون ، بل ان حب الملاهي « عنهم يتغلب على ما عداه من الميول الاخرى » .

« أما من جهة ضعة النفس وعدم الشجاعة فإن الاسيويين اذا كانوا أقل ميلا « للحرب وأكثر سلاما في الطبع من الاوروبيين فعلة ذلك انما هي على الخصوص » . في حال اقليمهم حيث لا توجد تقلبات شديدة لا في الحر ولا في البرد بل « قليلا ما يشعر بتغير الجو ، وحيث لا يعتري العقل صدمات ولا يعرف الجسم » . تغيرات . وتلك انفعالات من شأنها أن تكسب الخلق وحشة وتمزج به ميلا « للجحاح والعصيان أكثر مما تفعل الحال الجوية دائمة التماثل . ألا انها التغيرات » . من النقيض الى النقيض هي التي تنبه العقل الانساني وتمنعه من أن ينام ، « في ظلال السكون » . تلك هي الاسباب التي تتعلق بها على ما يظهر لي ضعة « نفوس الاسيويين » .

« ينبغي ان يضاف الى ذلك حال النظمات ، فإن جزء آسيا الاكبر خاضع للملوك » . وحيثما كان الناس لا يملكون حرية أشخاصهم لا يعينهم المرونة باستعمال السلاح ، بل « يصفرون كل عنايتهم في أن يظهروا بظهر العجزة غير الصالحين للخدمة العسكرية » . ذلك بان الخطر ليس مقسوما بينهم قسمة عادلة ، اذ يسعى الرعايا الى خوض غمار « الحرب ينوقون فيها من المتاعب ألوانا يموتون فيها من أجل أسيادهم بعيدين عن « أبنائهم وعن نساءهم وعن كل ما هو عزيز عليهم . وفي حين أن كل ماياتونه من « ضروب النشاط والبسالة انما يجنى أسيادهم ثمرته يكبر به قلوبهم وتشتد به عصيتهم ، « فإن أولئك المحاربين لا يجنون من وراء كل ذلك الا الاخطار والهلاك . وفوق ذلك « فإن هؤلاء الرعايا لابد لهم من أن يروا في الغالب دخول الاعداء وانقطاع الاشغال « سببا لجعل غيظاتهم حصيدا جزوا . بهذه المثابة ترى الذين آتتهم انطبيعة في هذه « الامم قوة في القلب وميولا حسنة قد تمنعهم تلك النظمات السياسية من الانتفاع بها » . « وان أكبر برهان على ما أقدم هو أن في آسيا جميع الامم الاغريقية والمتوحشة « المتحللة من نير السيادة والتي تضع قوانينها بنفسها لنفسها وتشتغل لحسابها هي أكثر « الامم

الاسيوية ميلا الى الحرب . . . لما أنها كانت تتعرض لاختطاف الحروب
لحسابها ، الخاص فكانت تتمتع بثمره شجاعته أو تحتل سوء نتائج
جنبها ليسوا كالاسيويين ، « المحكمين بالملك ، فان الشجاعة تقسب
وجودها بالضرورة في قلوب الرجال الخاضعين ، « الحكم الملوكية ، نفوسهم
مستعبدة فلا يكادون يهتمون بمعاناة الاخطار بمحض ، « ارادتهم من
اجل توصيخ سلطان غيرهم . ولكن الامر على ضد ذلك اذا كان الانسان
« غير خاضع الا الى قوانينه الذاتية واذا كان يعرض نفسه للخطر من
اجل منفعة ، « الخاصة لا من اجل منفعة غيره . من هذا شأنه يقتحم
المخاوف طائفا مختارا ويلقى « بنفسه بكل قلبه في ميع مهوى المصادفات
لانه سيجنى لنفسه ثمرة انتصاره . » « من اجل ذلك كانت القوانين
مساعدة عن سعة على تكوين الشجاعة . »

« تلك هي المقارنة العامة التي يمكن تقريرها بين اوروبر وآسيا في
كل الاشياء . (١) ، ذكر افلاطون في كتابه المينكسيحي حيث لا يريد
سقراط على أن يكرر مقالات اسبانيا الشاعرة اللطيفة تمجيدا للاغريق
« الذين قهروا قبائل آسيا مانصه .

« لما جاء الفرس الذين هم اسياد آسيا وحكامها يستعون لأذلال
اوروبرا قائلهم « « آباؤنا ابناء هذه الارض فقهرهم وضمروهم ، ولتقدير
قيمة هذا العمل العظيم ينبغي . « اننا ننتقل بالفكرة الى العصر التي كانت
فيه آسيا كلها خاضعة الى ملجها الثالث ، (٢) ، « قاولهم قديرين الذي
لما تمكنه عبقرية من تحرير مواطنيه الفرس اخضع اليه ، « رسادتهم
الميديين ، وحكم بقية آسيا الى حدود مصر . ثم فتح ابنه مصر وسائر
« الاقطار ، « الافريقية التي استطاع ان يصل اليها ، « وثالثهم دارا قد
يسيطر حدود مملكته ، « وملجها الى سبيها بفتوحات جيشه السري ، « وأما
أساطيله فجعلته سيد البحر والجزر ، « واذا كان لا يجزو أحد على مقاومته
قد دلت له هامات الأمن فكم من أمه قوية « حربية القت غنائها الى الفرس
ودخلت تحت نير سلطانهم ! اذا استحضر ، « الانسان هذه الظروف
في ذهنه أمكنه أن يقدّر جفا المسألة التي أتاها يوم مرطون ، « أولئك
المقاتلون الذين صبروا على مهاجمة المتوحشين ، وعاقبوا ثميج آسيا
وكبريائها ، « « والذين أثبتوا للاغريق بما جاءوا به من الانفال والغنائم

(١) قراط. كتبت الاحوية والمياه والاماكن ب ١٢ : ١٦ : ٢٣ : من ٥٢ : ٦٣ : ٨٧
طبعة ليتري ج ٢

(٢) ايشيلوس («الفرس البيت ٧٦٥ وما يليه) يذكر عدد آخر يرى ان آسيا قد
غرت ايشيل وأفلاطون كان ثلثا الشرقى أرض فارس

أن قوة الفرس لا تستعصى ، « على المقاومة ، وانه لا شيء من كثرة العدد ولا من سعة الثروة يقف أمام الشجاعة ... » « لذلك ينبغي أن يستند ثناء هذا النصر الاول الى اولئك المقاتلين . وأما الثاني فثناؤه ، « مسند الى الظافرين في الوقائع البحرية بسلامين وأرطيميس . وقصد صرب بطاك » « مرطون مثلاً للاغريق عامة أن فتنة قليلة حرة تكنى لرد غارة جيوش المتوحشين » « البرية ، مهما كانت لاتحصى عددا ، ولكنها لم يدس ليثبت أن ذلك ممكن ايضا » « في البحر كما أمكن في البر حتى وقعت الوقائع البحرية فاستحق بها أولئك » « البحارة المهرة ما أحرزوا من المجد لتخليصهم الاغريق من الخوف الأكبر ، ولأنهم » « صيروا الاصاطيل الفارسية لا تزيد مهابة على الجنود الفارسية . أما الواقعة الثالثة من » « وقائع الاستقلال الاغريقي من حيث الترتيب التاريخي ومن حيث تسعة الاقدام » « فهي واقعة بلاتة ، وهي أول واقعة اشترك فيها اللقديونيون والأتينيون وباعوا » « بمجدها جميعا ، وقد كان اللقاء فيها حرجا والخطر محيقا فتغلبوا على كل شيء . وبإياله » « من فصل يستأهل مديحنا ومدائح قرون المستقبل » .

الى أي شيء في الاغريق نسبت أسبابها هذه الشجاعة وهذا المجد ؟ الى علة واحدة ، الى الحرية التي كملت تتمتع بها آتينا . قالت : « ها أنتم هؤلاء ترون كيف أنا أجداد هؤلاء المقاتلين وأجدادنا هؤلاء المقاتلين أنفسهم الذين ولدوا بالطالع المسعود وربوا في مهد الحرية قد أتوا هذه الأفعال الجميلة العمومية والخصوصية لغرض واحد هو خدمة الإنسانية (١) » .

وما كان هذا التشيد الا اليق ما يكون بالأعمال التي يشهد بها . وحقيق بأسباسبها أن تمتدح آتينا وأبناعها . ولما قام ميتكسين يشكر سقراط عند انصرافه لم يتمالك نفسه من أن يجهز بهذا القول : « وبحق المشتري أن اسباسبها لسعيدة بأنها وهي امرأة تقدر على كتابة مثل هذه المقالات » .

ولا شك في أن هذا الشاب قد أصاب فيما قال ، الا أنه فاته أن هذه المرأة كانت من ملطية وأنا أجدادها ، مع انهم كانوا لايزالون اضعف من الأتنيين ، قد جاربوا للفرس غير مرة من قبل أن تتولى آتينا أمرهم .

(١) ميتكسين افلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩٦ وما بعدها . ذلك هو الذي ذكره ايضا ايشيل على لسان جماعة المتشلون يجيبون أتوسا أم اكرار كسيس : « لا يستطيع مخلوق أن يقول أنه الا تينيين عبيده أو رعاياه » الفرس البيت ٢٤٢ .

وأخيرا فان أرسطو يشرك أفلاطون وبقرات في رأيهما ، فانه لما تكلم على الصفات المطلوبة في سكان المدينة في حكومة منظمة قال :

« لكي يلم المرء بهذه الصفات ماعليه الا اذا يطرح نظره الى اشهر المدن » ، « الاغريقية والى بقية الامم المختلفة التى تقاسم سطح الارض ليرى ان الامم التى » تسكن الاقاليم الباردة حتى في أوروبا هى على العموم مملوءة بالشجاعة ولكنهم » ، على التحقيق أقل ذكاء في العقل ومهارة في الصناعة ، وبهذه المثابة يحتفظون » ، بحريتهم خير احتفاظ ، ولكنهم من الجهة السياسية غير قابلين للنظام ، ولم يستطيعوا » ، مطلقا أن يقهروا جيرانهم . أما في آسيا فالأمر على ضد ذلك ، فإن أممها أكثر » ، ذكاء وقابلية للفنون ، ولكنهم تنقصهم قوة القلب ويصبرون على البقاء تحت نير » ، العبودية المؤبدة . أما الجنس الاغريقي الذى هو بموقعه الجغرافى وسط بين هؤلاء » ، وهؤلاء فانه يجمع صفات الطرفين ويجمع بين الذكاء والشجاعة ، يعرف كيف يجمع بين حفظ الحرية وبين تأليف حكومات ، غاية في النظام . فهو جدير اذا توحدت كلمته في حكومة واحدة أن » ، يفتح العالم (١) . »

هذا رأى ثلاثة رجال ، أولئك هم ارسطو وافلاطون وبقرات في عبقريّة اليونان ، انهم لم ينفوا عن الاغريق المؤثرات الخارجية التى أثرتها اظهر من ان تخفى ، ولكنهم اهتموا على الخصوص بالاسباب الاخلاقية . وما ضلوا فيما ذهبوا اليه ، لاننا نحن الآن مع اننا أكثر تنورا ، بما أصبنا من التجربة الطويلة ، لانستطيع أن نزيد شيئا على هذه الاعتبارات الصادقة المستمدة وجودها بنوع ما من الحس ، فلتبقى اغريقية اذا ما كانت في العصور الأولى هدفونة في طيات مجدها ، ولكن خالدة ما خلدت اعمال الانسان التى تقع في يوم من الايام ثم تتلقفها أيدي البلى مهما كان موضعها من الجمال والكمال .

كنت أريد أن أفرغ من هذه المقدمة التى طالت أكثر مما ينبغي ، ولكنها من هنا لا تكون كاملة اذا لم أرجع بها الى الكلام على الكتابين اللذين تتقدمهما واذا لم أستطع القول على المسألة الكبرى التى تشبثت بها مدرسة ايليا ، تلك المدرسة التى يمثلها اكسينوفان وميليسوس أعنى بها وحدة الوجود وعدم تغيره . وما أدراك ماهي تلك المناقشة التى ثار ثاؤها في بداية الفلسفة وقام بها رجال تقلبوا في الاعمال الحيوية من

(١) أرسطو . السياسة ك ٤ ب ٦ ف ١ من ترجمتى ص ٢١٧ من الطبعة الثانية .

حرب وسياسة وسياسة واستعمار ؟ واذا نراهم فلاسفة ونظرين نراهم جميعا يزاولون المقاصد العملية بهمسة مدهشة ، واني لنا ادراك التوفيق بين الحالين اذا لم نلم بالاخلاق والعادات والضرورات التي كانت في تلك الازمان المضطربة ! كان طاليس في جيش الياط وكان احمد المؤتمرين في البانيونوم ، وفيثاغورث يجوب البلاد الاجنبية زمنا طويلا على كثرة الاخطار وبعده الشقة ، واكسينوفان الذي نفى نفسه طوعا من وطنه المقهور بالفرس يذهب للانضمام الى الفوكيين فيما وراء البحار ، وميليسوس يدافع عن سموس ضد الاتيين بعزيمة لم يتغلب عليها بيريكليس الا بعد طول العناء ، اولئك قواد وساسة يشتغلون بما وراء الطبيعة ! أمر شديد الندرة دائما ! وفوق ذلك فانهم يظهر عليهم انهم فتوا في دقة التدليل ، تلك الخاصة التي كانت تنهم بها عن بيئة مدرسة ايليا . اذا سلمنا بما ذكره افلاطون في كتابه المسمى « برمينيد » فان ذلك الانتقاد والتهمة كانا من النصح بمكان ولا شك ان من الغريب أن تملك التدقيقات المنطقية على مثل هؤلاء الرجال عقولهم ، غير أنه يجب التنبيه الى أن برمينيد مع كونه تلميذ اكسينوفان وخليفته قد شرع لنفسه طريقا غير طريقه فمسخ من افكاره وغلا فيها ، وربما كان ذلك أثرا من آثار الروح العامة المنتشرة وقتئذ في اغريقيا الكبرى ، تلك الروح التي كانت وقتئذ تبدع في صقلية فن الخطابة والتي غلت في نظريات فيثاغورث على العدد الى حد الافراط .

ليست تلك روح اكسينوفان التي تتجلى في المقطوعات التي بقيت لنا من آثاره وفي الكتاب الذي أترجمه الآن في هذا المجلد . وعلى رأيي أن هذه النقطة هي التي ينبغي أن نوجه النظر الى الامعان فيها للاصابة في تقدير قيمة هذه المذاهب الناشئة وقتئذ ، والتي لم تكن لتأخذ بعد مركزا ثابتا في العقل الانساني في بداية هنيوه من سباته .

اول نظرة في الطبيعة التي تحيط بنا تظهر لنا بادى الامن وحدة الوجود ، وما يكون الا بعد ذلك بالزمان ان نميز بالجهود والتحليل اجزاء مختلفه في هذا المجموع العام الذي يسحر جلاله ابصارنا ويعين ادراكنا . ولم تستطع الهند لا قبل الفلسفة الاغريقية ولا بعدها أن تخرج من تأثير فكرة الوحدة بل فئيت فيها بكليتها وبقي العلم على المعنى الخاص غريبا عنها على الاطلاق طول حياتها ، كان لها نظريات للتهجم فيها نصيب قليل أو كثير ، وتصورات للعقل فيها حظ وافر أو ضئيل ، كلها قائمة على الاصل العام للاشياء ، ولكن لم يكن فيها دراسة خاصة وضعية للظواهر الطبيعية ، ذلك هو أساس العبقريه الهندية وعظمتها . لا يوجد

شيء أكثر من ذلك في الفيدا والبرهمانا والاوبانيشاد • والاناشيد
الحساسية والقوانين في الدراسات الفلسفية • أما العبقرية الاغريقية
فإنها اتقت ان تسحرها ظواهر النظرة الاولى في الوجود ، ودفعت بذلك
الخطر عن نفسها ، ولئن كانت قد اتجهت وقتاً ما الى فكرة الوحدة
فإنها قد عرفت لحسن الحظ كيف تتخلص منها لتدرس عن قرب دراسة
منتجة بعض الاجزاء الاصلية لهذه الوحدة التي ليست في الواقع الا صورة
اللانهاية عينها •

ذلك هو الواقع حتى ان طاليس حين بحثه في التعبير عن ماهية
العالم كان يدرس الاصل المادى الذى تكون منه ، ومع أنه قد أخطأ هذا
الاصل الذى ظنه الماء فإنه على كل حال كان يعتمد على ما يشاهد بالحس
في الطبيعة ليتعرف أسرار الاشياء • يشتغل بالهندسة ويتتبع جريان
الكواكب في أفلاكها مادام أنه كان على وشك أن يتنبأ بكسوف الشمس •
وعلى رأى أرسطو ، وشهادته قاطعة في هذا المعنى ، أن طاليس كان
يسلم بأن العالم مملوء بالآلهة القائمة بأمر النفس وبالحركة ، وليس
فيثاغورث بأقل استمساكاً بفكرة الوحدة مع أنه كان يجزئها ، ولم تلهكه
استكشافاته الرياضية والفلكية لحظة واحدة عن النظر في توافق النظام
العالمى ، فكان يعترف بوجود طوائف متخالفة في هذا النظام ، ولكنه مع
ذلك يعترف على وجه الخصوص بوحدة عجيبة ، وعلى رأيه أن الاضداد
اثنين اثنين تكون كلا واحداً يكون أرقى منها • وأن الوحدة هي الاصل
الحقيقى في العالم المادى كما هي في العدد ، وبذلك ارتقى فيثاغورث الى
تعريف الله دون أن يميزه تمييزاً تاماً عن العالم الذى ينظمه ويسيره •

أما عند اكسينوفان فإن فكرة وحدانية الله وقدرته هي ظاهرة بقاية
الوضوح دون أن يتعمق فيها كما تحقق فيها أفلاطون من بعده وكما هو
الحال على الخصوص في اللاهوت المسيحى ، وأظن أن هذه النظرة الاولى
في الوحدة الالهية هي التى أنقت جلالها الباهر وخفاهها في نظريات
مدرسة ايليا • وعندي أن ذلك هو الذى يفسر أغلاط هذا المذهب
الشريف • أن نظر اكسينوفان لم يكن بعيد المدى ، ان شئتم ، ولكنه
على الأقل لا يضل • أما برمينيد فان به ميلا الى السفسطة التى خيلت
تلميذه دنون على أن ينكر الحركة وحملت غريغياس على تأييد أبعد مذاهب
القدمية ضللاً وأقلها تنزهاً • وأما ميليسوس فإنه لزم الحد الوسط
بين الاستاذ صاحب المذهب وبين الذين غلوا به حتى وقعوا في المحال •
وانى مقارب بين اكسينوفان وميليسوس وذاكر الفروق الاساسية بينهما
على ما يظهر لى :

لقد كان اكسينوفان قليلًا باحترام هذا المذهب الذى لم يدركه

أحد من قبله يمثل ما أدركه هو من الوضوح والجلاء ، لذلك نفى عنه
خيالات انشعراء اللطيفة التي تحط من مقامه كما نفى عنه الانتروبومورفيزم
الجمالي الذي هو مذهب العوام (تصور ذات الله تعالى على صورة الانسان) .
تعالى الله عما يصفون من النقائص وعن صور الكائنات الفانية وعن صور
هؤلاء التعساء الذين يجعلونه على صورتهم . ليس كمثله شيء في الوجود
لانه لماذا يكون المثل خالقا بدلا من أن يكون مخلوقا ؟ وان الله الذي لا يمكن
أن يأتي من موجود يشابهه لا يمكن من باب أولى أن يأتي من شيء يكون
دون مقامه . اذا هو لم يخلق من شيء فيكون بالضرورة أزليا . وأخذا
بنتيجة ليست أقل ضرورة من الاولى يكون قديرا على كل شيء . لو
كان آلهة متعددون لكانوا أقوى أو أضعف بعضهم من بعض ، وعلى ذلك
لا يكون اله ، لان خاصية الاله أن يملك كل شيء ولا يملكه شيء . ايا كان .
ولما كان الله أزليا قديرا على كل شيء لزم على ذلك أن يكون واحدا ، لانه
لو كان له منافسون لما أمكنه أن ينفذ أحكامه ويحقق ارادته العليا .

من ذلك ترى أن في اكسينوفان بعض مبادئ جليلة لم يرفضها
اللاهوت المسيحي بل تقبلها بالعناية قبولا حسنا ، ولكن نظر اكسينوفان
قد اضطرب في هذه النقطة ، وليس في ذلك ما يوجب الاستغراب . ولقد
أراد أن ينفذ نظره في حقيقة الذات الالهية فأخذ العثار في هذا
الطريق الوعر الذي ضل فيه كثير غيره ، فانه يقول : الله الذي لا يشابهه
شيء من الحوادث هو على الأقل يشبه ذاته ، وهو هو في جميع أجزائه
وهو بأكمله هو في كل جزء منها . قد يكون ذلك مقبولا ولكن اكسينوفان
لما وقع في الاستعارات التي لا تساوي قيمتها الا ما تساويه
الانتروبومورفيزم التي انتقدتها بحق أخذ يشبهه الله بفلك ، وكانت
النتيجة عنده أن الله لا يمكن أن يكون لا متناهيا ولا متناهي ، وأنه
لا يمكن أن يكون له حركة ولا سكن ، كما أنه لا أول له ولا وسط
ولا آخر . ومع ذلك فان اكسينوفان لم يخدع نفسه في أمر الصعوبات
غير المتناهية التي تقف في حل هذه المسألة ، ودليل ذلك مقاله في هذه
الآيات الجميلة التي نقلها الينا سكستوس امبريكوس .

« لا أحد من الكائنات الهالكة يستطيع أن يرى جليا في هذه الأعماق
ولن » ، يستطيع أحد أن يعرف حقيقة ماهية الالهة والعالم ، تلك الماهية
التي أحاول الكلام عليها . فاذا لقي أحد يوما بالمصادفة الحقيقة التامة
لما عرف هو نفسه أن يقلن ما وصل اليه منها . وليس في كل ما يقال
في هذا الشأن إلا محض تشبيه وتقريب . »

والظاهر أن برمينيد لم يتمش بالبحث في هذا الموضوع الكبير
الى الحد الذي وصل اليه استاذة . وأما ذنون تلميذ برمينيد وواضع

من الجدل فانه ، على ما قال ديوجين اللايرثي نقلا عن أرسطو ، قد وصل
فى هذا الموضوع الى لا أدريّة غلا فيها غرغياس الى أقصى حد ، ولسكنى
أكرر أنى لا أشتغل بذنون ولا ببرمينيد بل أخطأهما الى ميليسوس فهو
الذى أقصد درسه بعد اكسينوفان .

مع أن ميليسوس يفصله عن رئيس المذهب ثلاثة أو أربعة قرون ،
فانه أحرص الناس على أن يحذو حذوه ويلتزم تعاليمه ، ألا انه ، عوضا
عن أن يبقى متمسكا بانه اكسينوفان الواحد الاذى القادر على كل شيء
بل والمدرّك لكل شيء أيضا ، زاغ عن الطريق ووضع الموجود موضع الاله
فاشتغل بالموجود أخذ اياه فى كل تجرده وفى كل عقمه . غير أن
انتأملات الميتافيزيقية مهما قل فيها الضبط فان ذلك لا يقلل من جمالها
ولا من تعمقها الاستثنائى .

الموجود لا يأتى من الموجود والا لزم عليه أن يتقدم نفسه وهذا
تناقض . ومثل ذلك فى التناقض أن يتولد الموجود من المعدوم . على
ذلك لم يكن الموجود قد وجد فى زمن ما ، وعليه يكون الموجود أزليا
وفوق ذلك لا يعتريه الفساد ولا الانتهاء ، لانه اما ان يتغير الى معدوم
وهذا محال ، واما أن يتغير الى موجود آخر واذ فلا يكون منعما ، فالموجود
على ذلك كان دائما ويكون دائما ، وما دام أنه لم يوجد من العدم فهو لا
أولا له ، وما دام لا يمكن فناؤه فهو لا آخر له ، وما دام لا أول له ولا
آخر له فهو حتما لا متناه ، وما دام لا متناها فهو واحدا ، لان اللانهاية
منافية للتعدد ، اذ لا يمكن تصور اثنين أو عدة لا متناهية . ومضى كان
الموجود أبديا واحدا لا متناها كان بالنتيجة غير متحرك ولا قابل للتغير ،
لانه فى أى مكان غير ذاته يمكنه أن يتحرك ؟ ولما كان موصوفا بالوحدانية
المطلقة فأى تحول أو تبدل أو تغير يمكن أن يلحقه ؟ ولو أمكن أن يتبدل
بغيره أيا كان لانتفى أن يكون شبيه نفسه ولا تعدمت صورته الأولى
وجاءته صورة أخرى . ومع تقلص الزمن ينعدم هذا الموجود الأبدى
واللانهاى ويتحول الى لا شيء . ولما كان الموجود أبديا لا متناها واحدا
كان لا يمكن أن يكون له جسم ، فلا يمكن أن يكون ماديا ، لانه اذا
كان ذلك لزم عليه أن يكون ذا أجزاء متميزة بعضها عن بعض ، وهذا
ينافى وحدانيته ولا نهايته وأبديته . لاشى كائن حقيقة الا الموجود .
وجميع الاشياء التى تؤكد لنا حواسنا وجودها ليست الا مظاهر خداعة
متحولة كثيرا أو قليلا ، فهى غير موجودة بالمعنى الخاص مادامت متغيرة
ومادام أنها تهلك بعد أن تولد . أما الموجود الحقيقى فانه
لا يتحول ولا يتغير أبدا ولو أن الاشياء التى تظهر امام حواسنا كانت

موجودة كما نظنها للزم على ذلك أن تكون غير قابلة للتغير وأبدية كالموجود نفسه ، فلا شيء بموجود إلا الوحدة ، وأما التعدد فلا وجود له أصلا .
أما أنا فاني أجد أفكار ميليسوس هذه خليقة به ، وبالمدرسة التي هو أحد أعضائها . لاشك في أنها متناقضة من بعض الوجوه ، ولكننا من خلال هذه الرسوم البالية والمقطوعات القليلة نشعر لها بعظمة وقوة لم يوفهما تاريخ الفلسفة حقهما من حسن التقدير ، وربما كان هذا الغمط منذ أرسطو .

واني أعترف بأن أنكساغوراس مفهوم خير فهم بعد أكسينوفان وميليسوس ، فان أنكساغوراس الذي هو معاصر لقائد سموس (ميليسوس) هو الذي جلا الغوامض عن علم الطبيعة وقواعد نظام الكون في عصره بأن أدخل عليها تلك الفكرة الصالحة : أن العالم يديره العقل للمدين .

ولقد أعجب سقراط بهذا المذهب مع أنه يرى أن أنكساغوراس لم يكن ليستقصى كل نتائجه ، كما أننا نعلم ماصرح به أرسطو من اثناء الجميل على أنكساغوراس اذ يقول : لقد جاء أنكساغوراس بعد كثير من الضلالات ، أشبه ما يكون برجل سليم العقل يتكلم وسط المجانين (١) . فمن البغي أن ينتقص فضل أنكساغوراس أو أن ينزع فيه بعد ما كان من شهادة سقراط وأرسطو ، فان له الفضل الاوفى في هذا المذهب ، وليس شاذاً عن المأنوف أن كلمة من عبقرى تكشف القناع عن المغيبات العلمية . قد يقال أن أكسينوفان وميليسوس هما اللذان وطأ لهذا المذهب بنظريتهما التي هي أقرب ما يكون منه . ولا مشاحة في ذلك فان لهما نصيبهما الوافر من ذلك الفضل .

ذلك هو المعنى الحقيقي لمذهب الوحدة في مدرسة ايليا التي طالما حجب من نورها وصغر من قدرها على نسب غير مضبوطة ، وما الوحدة الايلية الا الله طلبوا معرفته يتلمسونها بين حجب الجهالة الاولى ويدرسونها ، كما يمكن أن تدرس في تلك الازمان اذ العلم والمشاهدة العلمية لا يزالان في بدايتهما . فلم تكن تلك الوحدة قد وصلت بصدد الى ماقرره أنكساغوراس من الادراك الالهى ولا ماقرره سقراط وأفلاطون من العناية الربانية . غير أن تقرير تلك الوحدة مع ذلك كان الجبروتية الاولى لكل هذه المذاهب . ومهما يكن من صدق الانتقادات التي يمكن

(١) أرسطو الميتافيزيقا ك ١ ب ٣ ترجمة فكتور كوزان . وقطع فلسفية الطبيعة

توجيهها الى المذهب الذى يراسه اكسينوفان ، فلا تحسك فى أن تلك التوجيهات السليمة هى التى آتته عظمته وخطره فى تاريخ الفلسفة .

أقف عند هذا الحد والخص بيان أوفى تلك المعانى التى جئت على ايضاحها بشئ من الضبط ربما كان أقل مما كنت أريد .

قد ظهر لى أن مجئ الفلسفة الى عالمنا الغربى حادثة من الخطر بحيث أردت أن أحيطها بكل مايجلو خفاءها معتمدا فى ذلك على استجواب التاريخ عن الامم وعن الظروف التى اعتورت هذه الحادثة . ومما ينبغى التنبيه اليه أن هذه الحادثة انما كانت من احتكاك أوروبا بآسيا ، وأن كان ذلك قد حصل من قبل فى حرب طروادة الا أن ظروف هذه الحرب مطروحة جانبا لانها خرافية أو لقلة العلم بها . ذلك الاختلاط حصل فى بقعة من الارض ليس فيها من السعة الا بمقدار ما يلزم لتحرك الباليات الاغريقية وفى عصر يعتبر نسبيا عصر توحش ولكنه كان ممنوعا بالحصب انذى لم يتجدد بعد من وقتئذ الى الآن . على ذلك كانت آسيا الصغرى هى السابقة على آتينا التى فاقتها من بعض الوجوه ، كما يشهد بذلك هوميروس ، ولكن آسيا التى حملت بهذا الاصل العجيب تحت تأثير أمم غريبة عنه لم تستطع تعهده وانماه ، فعاد منها يستكمل قوته وكماله الى الارض العتيقة التى كان قد خرج منها منذ خمسة أو ستة قرون .

ولقد تصديت فوق ذلك لتبيين أن العبقريّة الاغريقية هى التى دانت العالم بهذا النفع العلمى الجليل دون أن تكون مدينة فيه لغيرها . فاذا كانت الشعوب المجاورة لها آتتها شيئا من العلم فما هو الا مدد مبهم غاية فى الابهام . لا وراء فى أن المصريين والكلدان والهنود لهم فى ماضى الانسانية مقام كبير ، ولكنهم مع ذلك فى الفلسفة أو فى العلم يعابرة أعم ليسوا شيئا مذكورا فى جانب الاغريق الذين لم يكونوا ليتعلموا منهم . ولقد أثبتت مقارنة اللغات فى إيماننا هذه أن لغة الإلياذة ولغة الفيدا كانتا فى الاصل لغة واحدة ، وأن اللسان الاغريقى والسنسكريت أخوان ولدتهما أم واحدة ، ولكنه اذا كان الاصل الذى اطرح فى أزمان ما قبل التاريخ واحدا ، فإن ما قدر على الاخوين كان مختلفا جد الاختلاف ، لأن العالم الاغريقى قد أنتج الآداب والعلم والفنون التى ننسج الآن على منوالها ، وشاطر يحظ عظيم فى تقدم المدنية المسيحية حتى وصلت الى ماهى عليه الآن ، فى حين أن العالم الهندى ما أنتج الا البرهمانية والبوذية ، فهو نازل عنا بمراحل على الرغم من المزايا المتعددة التى يكون من الظلم عدم الاعتراف له بها .

بين العالم الاغريقى وبين العالم الهندى تأتى بلاد فارس التى توسطت بين العالمين فى المكان كما هى فى الزمان ، ولكنهما لم تشغل مركزا يذكر

لها ولم تستفد منها الاغريق الا المجد الخالد الذى احرزه أمثال ملتياد
وليونيداس وطيمستوكل والاسكندر .

ومع ذلك فان الهند وفارس واغريقيا ومصر ويهودة نفسها . مهما
كانت الفروق بينها فى العقولات ، كلها هى الخمسة فروع متفرعة عن
جنس واحد . فان علم أنساب الشعوب ووصفها الذى لا ينبغي أن يكون
له أهمية عظمى فى هذه الأبحاث ، لكنه مع ذلك لا ينبغي أن يغفل أمره
فيها . قطعاً ، هذا العلم قد كشف الغطاء عن مشابهة تامة بين هذه الشعوب
منطوية تحت فروق فى الاخلاق وفى العقل وفى اللغة ، وهذا الجنس
الرفيع الذى يجمع الخمسة الشعوب المذكورة هو مايسمونه بالجنس
الهندي القوقازى . وان الامم السامية نفسها متفرعة منه أيضاً كالأخرى
وان كانت قابلياتها تخالف قابليات الأخرى على الإطلاق فهى قوية فيما
يتعلق بالدين عقيمة فيما عداه تقريباً ، ولكن فى هذه العائلة الكبرى
الجميلة التى كأنها احتكرت لنفسها الذكاء الحقيقى يقف الاغريق بجملتهم
فى صفها الاول . وحينما كانوا يستمون من عداهم بالمتوحشين لم تكن
كبرياؤهم بالغة من السوء الحد الذى كان يظن بهم . ومع أنه كان خيراً
أن يكونوا أكثر تواضعاً فان الهلين المدفوعين الى هذه الكبرياء بدواعي
غرائزهم الصادقة لم يكونوا مخدوعين على شرف مقامهم أكثر مما
ينبغي . والآن ونحن فى وسعنا ان نحكم حكماً خلوا من الغرض
نقول انهم أحق من سواهم بقصب التيقن . ومهما يكن من حال المستقبل
فليس من الهين عليه أن ينزعهم من هذا المقام . أما أنا فلست أتردد فى
إسناد هذا المجد اليهم ، مع انى لا أنكر ما كان لمنافسيهم من العظمة بل
من التفوق فى بعض الوجوه ، ولكن من الذى يمكننا أن نضعه فى حلبة المجد
فى مستوى فوق مستوى الهلين وقد جاعونا يقدمون بين يدي دعواهم الشعر
والآداب والفنون والعلوم والفلسفة والتاريخ ؟

ولقد بينت ، على مهد الفلسفة الناشئة ، مقام مدرسة أيليا
وما لأكسينوفان وميليسوس من الاهلية الخاصة بين طاليس وفيثاغورث .

ينبغي أن نكرر أن كل ما نسرده من هذه الحوادث التاريخية انما
هو تاريخنا ولو كان منذ خمسة وعشرين أو منذ ثلاثين قرناً ، ذلك بأننا
أبناء الاغريق ، ولولاهم لما وصلنا الى ما وصلنا اليه ، فان اغريقيا هى التى
عنمت روما ، وبواسطة روما واغريقيا فتحت المسيحية بلادنا ومدنتنا بعد
أن انتفعت بكل ما تقدمها وعهد لها السبيل . وان العلم على جميع صوره
كان معدوماً فى الشرق ، فاختره الاغريق ونقلوه اليها (١) . وما كان من

(١) راجع مقدمتى لكتاب السماء لارسطو ص ٧٩

روما والعالم الحال بتمامه منذ اغارة المتوحشين الا أن اقتفوا هذا الاثر
الذي عفا رسمه أحيانا ولكنه لم يتعلم أبدا .

وانى اذ عنيت بايضساح هذه الآثار الاولى أردت أن أوفى أجدادنا
حقهم وأن أذكر بما علينا من الواجب نحوهم بأن بينت مراكزهم وخدماتهم
للإنسانية . ان العقل الانسانى بطيء فى سيره فيحسن به وهو سائر فى
طريقه غير المتناهى أن يلقي نظره الوقت بعد الوقت الى الوراء ليرى من
أين ابتدا سيره وليسعد خطاه فى المستقبل تغيير الحدود الذى ينتظر
تقدمه ! .

الكون والفساد

الكتاب الاول

الباب الاول

الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات
الكساروداس ولوكيس وديمقريطس - نقض خاص للمذهب امبيداكل - الاستشهاد ببعض
آبياته - المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الاشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد
للعناصر الأولية .

١ - لاجل أن ندرك الكون والفساد في الاشياء التي تتولد وتهلك
بالطبع يلزمنا ، كما هو الحال في البقية ، أن نقدر على حدة عللها ونسبها .
وسننظر أيضاً عند معالجة النمو والاستحالة ماهي كل واحدة من هاتين

ك ١ ب ١ - أخذ فيلوبون يثبت أن هذا الكتاب متصل جد الاتصال بكتاب السماء
ودليله الاصل في ذلك أن كتاب السماء ينتهي بجملته فيها أداة استدراك لا يوجد معادلها
الا في هذا الكتاب . وهذا الدليل ليس قاطعاً جداً . ولكن من المحقق أن مواد الكتابين
مرتبط بعضها ببعض فضل ارتباط ، وإن أرسطو بعد ما درس السما والخواص العامة للأجسام
اللامتغيرة التي تُولفها أمكنه أن يفكر في اتمام هذه الدراسة بدراسة الاجسام التي من شأنها
في الطبيعة أن تتولد وتهلك ثانية في ذلك قوانين منتظمة . الصلة اللقوية بين الكتابين
موجودة كما نبه اليه فيلوبون ولكن الصلة المنطقية بينهما هي أيضاً حق .

§ ١ - بالطبع - أراد أرسطو ، وهو لا يشتغل الا بالاجسام المكونة أو الهالكة بفعل
الطبيعة أن يخرج جميع الاجسام التي تكونها أو تهلكها الصناعة الانسانية . فان هذه
الاجسام يمكن أن تكون موضوع دراسة خاصة . - عللها ونسبها - اللفظ اليوناني الذي
عبّر عنه بالنسب هو أيضاً مبهم جداً . وقد حاول فيلوبون أن يوضحه فلم يوفق الى
ذلك . وربما كان لفظ «تحويلات» صالحاً أيضاً . - النمو والاستحالة - ينبغي الرجوع
الى تعريف هذين اللفظين في كتاب الطبيعة لأرسطو ك ٤ ب ٣ ف ٧ و ك ٥ ب ٣ ف ١١
وما يعلما . فان النمو هو حركة في الكم وأما الاستحالة فانها حركة في الكيف . - الكون
والاستحالة اما الكون بالمعنى الخاص فهو الانتقال من اللاوجود الى الوجود . واما الاستحالة
فهو ليست الا مجرد تغير في الكائن الموجود من قبل . - بالحقيقة - زدت هذا اللفظ لاتمام
الفكرة . لاجل تبيين الفرق بين الكون وبين الاستحالة أستشهد فيلوبون ببیت شعر لهوميروس
ولكن هوميروس لا يكاد يصلح حجة ذات وزن في هذه الفروق اللغوية والميتافيزيقية .

الظاهرتين ونبحث ما اذا كان طبع الكون وطبع الاستحالة هما واحدا بعينه أو هما متميزان بالحقيقة كما هما متميزان بالاسم الدال على كليهما ؟

٢ - من القدماء من رأوا أن ما يسمى كوناً مطلقاً ليس الا استحالة والآخر من منهم رأوا أنه كون الأشياء . واستحالتها ظاهرتان مختلفتان . فالذين يزعمون أن العالم كل ذو صورة واحدة ويجعلون الأشياء كلها تخرج من مبدأ واحد بعينه هؤلاء يلزمهم بالضرورة أن يروا الكون مجرد استحالة وأن يفترضوا أن ما يولد بالمعنى الخاص إنما هو يستحيل . وعلى ضد ذلك الذين يسلمون بأن المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد كما يمكن أن تكونوا من أولئك ولو كيبس . هؤلاء يجب أن يكون لهم رأى مضاد للاول تماماً .

٣ - ومع ذلك فإن انكساغوراس في هذا قد نكر التعبير الخاص

§ ٢ - من القدماء - سقري أن أرسطر يعنى بهم أمبيدقل وانكساغوراس ولو كيبس وديمقريطس . الخ . كوناً مطلقاً - يعنى الانتقال من المبدأ الى الوجود . ليس الا استحالة - يعنى اصاح ظاهرتي الكون والاستحالة . - ظاهرتان مختلفتان . هذا الرأى هو وحده الصحيح فإن الكون والاستحالة معنيان لا يمكن انماهما احدهما الاخر . ان المبدأ كل ذو صورة واحدة - أو أنه لا يوجد الا عنصر واحد بعينه هو الذى يكون كل شيء بلا استثناء . وهؤلاء الفلاسفة هم على المنوم اليونان واصحاب مدرسة ايليا التى كانت تؤيد مذهب وحدة الجوهر ووحدة الوجود . - مجرد استحالة - قد زنت على المتن كلمة مجرّد . - ما يولد بالمعنى الخاص هو الذى سماه التولد المطلق كما نرى الى فيلوبون . - المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد - أو أنه يوجد أكثر من مادة واحدة . ولقد سمي هنا أنصار تعبد العناصر وأما أنصار الوحدة فلم يسمهم . أقام فيلوبون نفسه مقام أرسطوطاليس وذكر بأن طاليس لم يك ليقبل الا الماء عنصراً واحداً ، وانكسبين وديوجين الايلوني يقول كلاهما بأنه الهواء . وانكسيمندروس يقول بأنه عنصر وسط بين الهواء وبين الماء . وكان هيرقليطس يقول بأنه النار . اما فلاسفة التعدد فإن أمبيدقل كان يقبل القبول بالعناصر الاربعة كما قال به أرسطو النار والهواء والماء والارض . وأما انكساغوراس فإنه كان يفترضها تلك الاجسام المتجانسة المتشابهة الاجزاء والا متناهية . وديمقريطس ولو كيبس كانا يفترضان هذا الفرض بالنسبة لذراتها الا متناهية فى العدد وفى اختلاف أشكالها . (ر . الفقرات الآتية)

§ ٣ - نكر انكساغوراس التعبير الخاص - فى عهد انكساغوراس لم تكن لغة الفلسفة قد تكونت كما حصل ذلك بعد . - كما يفعل فلاسفة آخرون - يعنى المذكورين بعد ذلك . - العنصرين الحركيين - هذان العنصران الحركيان اللذان يقول بهما أمبيدقل هما اللتانافروا والعشق اولهما يفرق الاشياء والثاني يجمعها . ستة عناصر - يعنى عنصرى الحركة مضادى البهلا المتلصق الاربعة المادية الارض والماء والهواء والنار . وعلى رأى أمبيدقل أن هذه الاربعة الاخيرة منفصلة فقط . وأما الاخران فانهما فاعلان ومحركان . من أجزاء متماثلة المتشابهة الاجزلة (هوموميريس) - أحد هذين التعبيرين ليس الا ترجمة للآخر - كل جزء منها مرادف للكل - فإن جزء العظم يسمى عظماً وجزء من اللحم يسمى لحماً فى حين أن جزء اليد لا يسمى يداً . الخ . وعلى ذلك يوجد من العناصر الأولية المتشابهة بمقدار ما توجد من الجواهر المختلفة ولذلك كانت عناصر انكساغوراس غير متناهية فى العدد .

وغلب في لفته الخلط بين ولد وهلك وبين تغير . على أنه يعترف بتعدد العناصر كما يفعل فلاسفة آخرون . كذلك قال أمبيدقل ان عناصر الأجسام كانت أربعة وأنه بإضافة العناصر المحركين يكون المجموع ستة عناصر . أما أنكساغوراس فإنه ارتأى أنها غير متناهية في العدد كما كان يرى لوكيبيس وديمقريطس . والواقع ان أنكساغوراس كان يعتبر عناصر الاجسام المركبة من أجزاء متماثلة : المتشابهة الاجزاء ، مثل العظم واللحم والنخاع وجميع المواد الأخرى التي كل جزء منها مرادف للكل .

٤ - ويزعم ديمقريطس ولوكيبيس ان جميع الاجسام مركبة في البداية من أجزاء لا تتجزأ او ذرات وهي غير متناهية لا في عددها ولا في أشكالها . وأما الاجسام لا تختلف في أصلها بعضها عن بعض الا بالعناصر التي تتركب منها وبوضع هذه العناصر وترتيبها .

٥ - ويظهر هنا ان أنكساغوراس من رأى معارض لرأى أمبيدقل لان هذا الأخير يقول بأن النار والماء والهواء والارض هي الاربعة العناصر وأنها أبسط من اللحم أو العظم او أي عنصر آخر من العناصر المتشابهة فيما بينها أو الاجسام المتشابهة الاجزاء . ولكن أنكساغوراس على الضد من ذلك يزعم أن الاجسام المتشابهة الاجزاء هي بسيطة وأنها هي العناصر الحقيقية بينما أن الارض والنار والهواء مركبة وأن جراثيم العناصر منتشرة في كل مكان .

٦ - على ذلك متى ادعى أن جميع الأشياء تخرج من عنصر واحد لا § ٤ - أجزاء لا تتجزأ أو ذرات - كلا الاسمين مرادف للآخر تماما . وسم الذرات أكثر استعمالا وقد بين فيليون هنا وجه الخلاف بين مذهب أبيقور في الذرات وبين مذهب ديمقريطس فان أبيقور يقول بعدم تنامي الذرات في العدد ولكنه لا يسلم بأنها غير متناهية في الاشكال . - الا بالعناصر التي تتركب منها - أو عبارة أخرى « التي هي منها » هذه من أجل التخالف غير المتناهي في طبيعة الذرات . - بوضع هذه العناصر وترتيبها - هذا لعدم التناهي في الاشكال .

§ ٥ - من رأى معارض - لا يجد فيليون بين رأى أنكساغوراس ورأى أمبيدقل من منساق التفاضل ما تدل عليه عبارة أرسطو . - النار والماء والهواء والارض - ذكرتها بهذه الترتيب لان أرسطو ذكرها كذلك . - أنها أبسط من اللحم - قد يؤخذ من صوغ هـ نسخة الجملة ان أمبيدقل كان يعلم مذهب أنكساغوراس ويتقدم . ولكن التاريخ الزمني لا يسخم بذلك . ولعل المراد هنا هم أتباع أمبيدقل كما يدل عليه تمييز النسخة الاغريقية لا أمبيدقل نفسه . - جراثيم العناصر - هذه الجراثيم شد ما تقارب اذا الذرات التي هي منتشرة في كل مكان على حسب مذهب ديمقريطس .

§ ٦ - ادعى ان جميع الأشياء تخرج من عنصر واحد غير هذا مذهب أرسطو أبدا . - مجرد استحالة - وف (١) أنما . - الموضوع للظواهر نذرت محل النصر اللفظ الأخير . - يعانى استحالة - يلزم في الواقع وجود موضوع دائم حتى يسكن ان يكون على

غير لازم ضرورة اعتبار كون الاشياء وفسادها كمجرد استحالة . فيكون اذا الموضوع للظواهر دائما واحدا ودائما هو بعينه . فانما على موضوع من هذا القبيل يمكن أن يقال انه يصانئ استحالة ولكن متى سلم بأنواع متعددة للجواهر وجب التسليم أيضا بأن الاستحالة تخالف الـكون . لأن كون الاشياء وفسادها حينئذ يحصلان باتحاد العناصر او بافتراقها .

وفي هذا المعنى أمكن لامبيدقل أن يقول :

ليس لشيء من طبع ثابت ، وما الكل الا اختلاط وافتراق

§ ٧ - هذا تعبير ، كما يرى ، يلائم تماما فرض هؤلاء الفلاسفة . وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم . واذن فان هؤلاء الفلاسفة أنفسهم مضطرون الى الاعتراف بأن الاستحالة أمر مخالف للكون . ومع ذلك فان من المحال أن توجد استحالة حقيقية على حسب المبادئ التي يقررونها . على أنه من السهل الاقتناع بصحة الرأي الذي تقرره هنا . فالواقع أنه كما ان الجوهر في حال السكون نجده يعترضه في ذاته تغير في العظم يسمى النمو والنقص كذلك أيضا يمكننا أن نشاهد فيه الاستحالة .

§ ٨ - ولكن من جهة أخرى ليس أقل من ذلك في باب المحال ايضاح الاستحالة على حسب ما يقوله الذين يسمون بأكثر من عنصر واحد . لان التأثيرات التي تجعلنا نقول بوجود الاستحالة هي فصول للعناصر ، أريد أن أقول ، الحار والبارد ، والابيض والاسود ، والجاف والرطب ،

المتعاقب محلا للاستحالة التي تتناوب اذا يمر من البارد الى الحار ومن الابيض الى الاسود . الخ او على التبادل . - بأنواع متعددة للجواهر - عبارة النص بالضبط « اجناس متعددة » . - باتحاد العناصر او بافتراقها - تحت تأثير العشق والتنافر كما يريد امبيدقل .

§ ٧ - فرض هؤلاء الفلاسفة - الذين يقولون بتعدد العناصر . - وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم - او بعبارة أخرى « أن الفرض الذي تستند اليهم هو الذي يسمون به » . - مضطرون الى الاعتراف - لا يظهر أن امبيدقل أنكره بالضبط ، ومن حق هذا القول أن بوجه الى ديمقريطس وأتصار الوحدة . - أن توجد استحالة حقيقية - النص أقل من هذا ضبطا في التعبير . نجده يعترضه - انما يستشهد أرسطو الى المتشابهة المسية وعلى رايه ان الاستحالة ليست ظاهرة أقل وضوحا من النمو او الذبول اللذين تدركهما حواسنا بغاية السهولة . أن الفكرة في هذه الفقرة لا تزال مضطربة خافية ولم أستطع جلاها كما أردت على الرغم من تفسير فيلوبون وتفسير اسكندر الافروديزي التي نقله بجانب تفسيره . - نشاهد فيه الاستحالة - أو تغير الكيف .

§ ٨ - الذين يسمون بأكثر من عنصر واحد قد يظهر من هذا أن الفقرة السابقة موجهة الى الفلاسفة الذين يقولون بوحدة الجوهر ولكن النص لا يساعد على هذا التفسير . - التأثيرات - او التفريعات - فصول للعناصر - أو بعبارة أوسع « الفروق التي توجد بين العناصر » . - الحار والبارد - بطريقة عامة كل المتقابلات بالتضاد التي تتوارد وتتعاقب على موضوع واحد بعينه . - ينتج من ذلك - ليست هذه نتيجة تنتج بالضرورة من ملهب امبيدقل . - وهذا بالضبط اذا ما كان يبنى بالاستحالة - ولا يظهر أن امبيدقل ينكره .

واللين والصلب ، وجميع الخواص الأخرى المشابهة كما يقوله أبيقور
أمبيدقل : الشمس في كل مكان بيضاء مملوءة بالحرارة وفي كل مكان
المطر ينشر غشاهه وبرده .

انه يقرر المميزات عينها لسائر الأشياء . وينتج من ذلك انه اذا
كان الماء لا يخرج من النار ، ولا الأرض من الماء . فان الأسود لا يمكن أن
يخرج من الأبيض ، ولا الصلب من اللين . وهذا التدليل بعينه قد ينطبق
على جميع التغيرات الأخرى . وهذا بالضبط اذا ما كان يعنى بالاستحالة .

§ ٩ - ولكن ليس من البين انه يلزم دائما افتراض وجود مادة
واحدة لا غير لاجل الاضداد ، سواء اتغيرت بالنقلة في الاين أم تفسدت
بالنمو أو النقص أم تغيرت بالاستحالة ؟ يلزم ألا يكون الا عنصر واحد
ومادة واحدة بعينها لاجل جميع الكيوف التي تتبدل بعضها ببعض . واذا
كان العنصر واحدا فهناك أيضا استحالة .

§ ١٠ - وعلى ذلك يظهر لنا أن أمبيدقل يناقض الحوادث الأكثر
واقعية ويناقض نفسه معا . لانه يزعم معا أن العناصر لا يمكن أن يجمي
بعضها من البعض الآخر بل على الضد يأتي منها سائر الاشياء ، وفي
الوقت عينه بعد أن رد الى الوحدة الطبيعية كلها كاملة ما عدا التنافر ،
قد استخرج بعد ذلك كل شيء من الوحدة التي تخيلها . فعلى رأيه الاشياء
بأنفصالها عن هذه الوحدة العنصرية بواسطة بعض فصول وبعض تغاير
فهذا الشيء بعينه صار ماء وآخر صار نارا . وبهذه المثابة يسمى الشمس

§ ٩ - ولكن ليس من البين على هذه النظرية واجسح كتاب الطبيعة ك ١ ب ٧
ف ٩ وكتاب المقولات ب ١١ - بالنقلة في الاين . بالنمو . . بالاستحالة - تلك هي أنواع
الحركة الثلاثة ، التي يقول بها أرسطو وقد شرحها في كتاب الطبيعة . مادة واحدة بعينها -
عبارة النص ليست من البيان على هذا القدر . - التي تتبدل بعضها ببعض ، والتي هي هذا
على ذلك أضداد ، فان الجسم بعينه هو الذي يكون بالتناوب حارا أو باردا أو أبيض أو
أسود الخ .

§ ١٠ - يناقض الحوادث الأكثر واقعية - بانكاره وجود الاستحالة وهي ظاهرة متشابهة
بنابة السهولة . رد الى الوحدة - ذلك هو (سفيروس) آله علامة المظروف فيه الصائم
على رأى أمبيدقل بفعل العشق الى أن يأتي التنافر فيكشفه عنه من جديد بأن يفصل
العناصر . - ما عدا التنافر - ما دام هو الذي يجب أن يقطع من جديد الوحدة التي
أوجدها العشق . - فعل رأيه - يظهر أن ما يلي هو نقل حرف لمباراة أمبيدقل ولكن
البيان غير جلي وفيه الغموض العادى الذى يوجد في نقوض أرسطو . - فهذا الشيء بعينه
صار ماء - لا يظهر أن هذا هو منصب أمبيدقل الحقيقي فان رأيه هو أن العناصر كلها
مكونة ولا تتغير ، بل هي فقط تجتمع أو تفرق تحت التأثير القدير للعشق والتنافر . -
ويمكن أن تبس - قد لا تكون هذه هي فكرة أمبيدقل الحقيقية . - ما دامت متولدة في
وقت بعينه - يظهر أن أمبيدقل على الضد من ذلك يعتقد أن هذه الفروق أبدية . - بل
التي تتغير أيضا في حلة اليوم في منصب أرسطو ولكن لا في منصب أمبيدقل .

بيضاء حارة والارض كثيفة صلبة . ولكن متى محيت هذه الفصول ، ويمكن أن تمحي ما دامت متولدة في وقت بعينه ، أمكن للارض بالبداية أن تلاقى اذا من الماء كما يمكن أيضا للماء أن يأتي من الارض . كذلك الحال بالنسبة لجميع الأشياء الأخرى التي جرى عليها التحول والتغير . لا في الزمن الذي يتكلم عنه فقط بل التي تتغير أيضا في هذا اليوم .

§ ١١ - زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ منها يمكن أن تتولد الأشياء وتنفصل من جديد ، وعلى الخصوص متى سلمنا بالتنازع الأبدى المتبادل بين التنافر والعشق . فانظر كيف أن الأشياء فيما يظهر تتولد إذا من مبدأ واحد . لأن النار والماء والارض وهي لا تزال مجتمعة لم تكن لتكون كل العالم . ولكنه بهذه النظرية لا يعرف أن كان يلزم الاعتراف بأن لهن مبدأ واحدا أو مبادئ متعددة وأعني بهن الارض والنار والعناصر التي من هذا القبيل . ذلك بأنه في الواقع من جهة ما يفترض كمادة مبدأ منه تأتي الارض والنار متغيرتين بالحركة المتحصلة فإنه لا يوجد اذا إلا عنصر واحد لا غير . ولكن من جهة أن هذا العنصر عينه هو متحصل من اجتماع هذه الجواهر التي تتحد ينتج أن هذه الجواهر قبل اجتماعها هي خواصها أشد عنصرية وسابقة بطبيعتها .

§ ١٢ - ولكن يلزمنا في دورنا أن نتكلم بطريقة عامة على كون الأشياء وفسادها على معناها المطلق ، وسنعيد البحث فيما إذا كان هذا الكون أو لم يكن وسنقول كيف يكون هو . ثم نتكلم أيضا على الحركات البسيطة كالنمو والاستحالة .

§ ١١ - زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل - ليس النص بهذا الضبط من البيان ، فإن المجازفة الجديدة تنحصر في أنه في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ سابقة على العناصر وعلى ذلك تكون هذه العناصر ليست عناصر حقيقية .

- التنافر والعشق - هما مبدأان مبايعان للعناصر يجمعانها ويفرقانها . - من مبدأ واحد - حينها يتكشف (ميفروس) إلى المادة من جديد بفعل التنافر . - مبدأ واحد أو مبادئ متعددة - يكون على الأقل الاثنان التنافر والعشق . - كمادة - يمكن ألا تكون هذه إضافة أمبيدقل ، فإن التنافر والعشق لا يكونان بالضبط العناصر وإنما يعلنان بها فقط - أشد عنصرية - هذه هي عبارة النص نفسها .

§ ١٢ - في دورنا - زدت هاتين الكلمتين للدلالة على الانتقال الذي لم يذكر بالنص هنا ، فإنه بعد أن استعرض أرسطو على التوالي مذاهب الآخرين مبينين مذاهبه ومتسبككلم أولا على الكون مرجعا الكلام على نمو الأشياء واستحالتها إلى ما بعد .

الباب الثاني

علم كفاية نظرية الأفلاطون - عود على نظرية ديمقريطس ولوكيسس - نظرية جديدة على كون الأشياء وفسادها - النمط المتبع - أهمية مسألة الذرات - رأى ديمقريطس ولوكيسس - رأى الأفلاطون في كتابه طيمائوس - خطأ هؤلاء وهؤلاء - وجوب الأخذ بملاحظة الأحداث على الأخص - فضل ديمقريطس من هذه الجهة - الأفكار في قابلية الأشياء للقسم - يمكن افتراض القسم لا متناهية - صعوبات هذه النظرية - صعوبات ليست أقل خطرا من نظرية الذرات - نقض هذه النظرية - المعنى العام الذي يحمل عليه كون الأشياء.

§ ١ - لم يدرس إذا أفلاطون الكون والفساد إلا من حيث طريقة وجودهما بالأشياء بل لم يكن ليدرس الكون في كل عمومته بل اقتصر على كون العناصر • ولم يقل شيئا على تكون جميع الأجسام التي هي من جنس اللحم والعظم وسائر الأجسام المشابهة لها ولم يتكلم على الاستحالة ولا على النمو ولم يبين كيفية ادراكه إياهما في الموجودات •

§ ٢ - على أنه يمكن الجزم بأنه لم يتكلم أحد على هذه الموضوعات إلا بطريقة سطحية جدا ما عدا ديمقريطس فإنه يظهر أنه فكر في كل المسائل ولكنه يخالفنا في إيضاح الطريقة التي بها تحدث الأشياء • ولم يفكر أحد كما قلنا آنفا في إيضاح النمو إلا ما ربما يكون على المعنى الذي تفهم الكافة به هذه الظاهرة • أعني بأن يقال أن الأجسام تنمو لأن الشبيه يأتي فينضاف إلى الشبيه • أما كيف تحصل هذه الظاهرة فذلك ما لم يوضحه أحد البتة حتى الآن •

§ ١ - لم يدرس إذا أفلاطون - رجع أرسطو إلى فحص مذاهب أميلائه • - إذا - هذه الكلمة موجودة في النص دون أن يكون لها وجه يبررها • - طريقة وجودها بالأشياء - يحتمل أن أرسطو يريد أن يقول أن أفلاطون لم يدرس الكون إلا في المسال الراحة للأشياء من غير أن يحاول الصعود إلى الأصل • فإذا كانت هذه هي فكرته فقد لا تكون صادقة تماما إذ قد يوجد في طيمائوس ما يتناقضها • على كون العناصر - دون كون الكيوف التي تتناوب العناصر • - على الاستحالة ولا على النمو - يعني النوعين الآخرين للحركة •

§ ٢ - ما عدا ديمقريطس - مدح ديمقريطس هذا يمكن أن يظهر عظيما جدا بعد ذلك الانتقاد السابق الموجه إلى أفلاطون • - كل المسائل - ليست عبارة النص في هذا القدر من الضيق • التي بها تحدث الأشياء - هذا ليس تام الوضوح • ولكن عبارة النص أدق من ترجمتنا • ولأشك في أن أرسطو يريد أن يقول أن ديمقريطس موافق لما فيما يتعلق بكون الأشياء ولكنه يخالفه في كيفية حدوث هذه الظاهرة • في إيضاح النمو - لا يرى أن أرسطو نفسه قد سب هذا النص (ر • الطبيعة ك ٦ ب ١٦ في ٥ من ترجمتنا ٢٠)

§ ٣ - ومع ذلك فلم تدرس ايضا بعد مسألة الاختلاط ولا اية واحدة من المسائل التي من هذا القبيل ولا مثلا مسألة معرفة كيف تفعل الاشياء وتنفعل وكيف ان شيئاً بعينه يفعل الاحداث الطبيعية وآخر بعينه يتفعل بها .

§ ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولوكيبيس الا بصور العناصر استخرجوا منها استحالة الاشياء وكونها . وعلى هذا فمن انقسام الذرات ومن اتحادها يأتى الكون والفساد ومن ترتيب الذرات ووضعها تأتى الاستحالة . ولكن لما كان هؤلاء الفلاسفة يحسبون الحقيقة فى مجرد الظاهر وكانت الظواهر متضادة ولا متناهية بالعدد معا اضطرروا أن يجهلوا أشكال الذرات لا متناهيا أيضا بحيث ان الشيء الواحد يمكن أن يظهر ضد ما هو لنظر هذا الراى أو ذلك تبعا لتغيرات وضعه ويظهر متغير الصورة بمجرد أن تختلط به أو تزداد عليه أصغر جزئية أجنبية . ويظهر أنه صار غير ذاته جملة بتغير موضع جزء واحد من أجزائه . ذلك كما انه يمكن أن تستخدم الحروف بعينها لتأليف مائة أو فكاهة حسبما يختار .

§ ٥ - ولكن لما كان كل الناس من غير استثناء تقريبا يعتقد بوجه المصوم أن كون الاشياء واستحالتها هما ظاهرتان مختلفتان جدا ، وان الاشياء لتكون أو لتفسد يجب أن تتحد أو تنفصل فى حين انها تستحيل بتغيرات فى خواصها ، وجب علينا من أجل ذلك أن نقف على هذه المسائل التى يعرض منها فى الواقع صعوبات حقيقية متعددة . اذا لم يجعل كون

٣ - ومع ذلك فلم نفوس أيضا - بعض هذه المسائل قد نفوس أمانى كتاب الطبيعة وأما فى الكتاب الرابع من الميتافيزيقيا (الآثار العلوية) ولكنى لا أعرف اذا كان أرسطو قد تمسق فى البحث فيها الى أبعد ما فعل أسلافه .

§ ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولوكيبيس الا بصور العناصر - ليست عبارة النص على هنا القدر من الضبط . وهذا المعنى هو معنى فيلويون وقد يمكن ترجمته هكذا : « يد أن تحيل ديمقريطس ولوكيبيس صور العناصر » . - الذرات - أضفت هذه الكلمة لان منهج ديمقريطس معلوم تماما ومنهج الذرات لا يقبل فى الحقيقة الا القسمة والاتحاد والترتيب والوضع عللا لجميع الظواهر . - يحسبون الحقيقة فى مجرد الظاهر - هنا هو المنهج الذى اعتنقه بعد ذلك السفسطائيون وطللا حاربه سقراط (ر - لروطاغوراس لأفلاطون) . - أشكال الذرات - أضفت أيضا هاتين الكلمتين . - تبعا لتغيرات وضعه - مثل فيلويون لذلك بطوق الحماة فانه تبعا لمسقط الضوء وموضع الراى يتلون بالألوان المختلفة .

- جزء واحد من أجزائه - ليست عبارة النص على هنا القدر من الضبط . - تستخدم الحروف بعينها - أو بعبارة أصح « حروف الهجاء » .

§ ٥ - كل الناس - يشمل أنكساغوراس وأميديقل : - كون الاشياء واستحالتها - من الصعب فى الواقع خلط الظاهرتين وجعل احدهما الأخرى . وان عبارة النص فى التمييز جلية غاية الجلاء . - وجب علينا أن نقف - سيكون ذلك موضوع هذا الباب والابواب التالية . - طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد - هذا مهم .

الاشياء ، مثلا ، الا اتحادا فان لهذه النظرية طائفة من النتائج غير القابلة لتأييد . ولكن هناك براهين أخرى قاطعة على صحة المعنى المضاد ، ومن الصعب جدا نقضها ، تثبت أن كون الاشياء لا يمكن أن يكون شيئا آخر الا مجرد اتحاد وانه اذا كان الكون ليس اتحادا فمن ثم لا يوجد كون أصلا وانه ليس الا استحالة . لذلك يجب أن نعالج حل هذه التصعوبات مهما كانت خطورتها .

§ ٦ - النقطة الاصلية في ابتداء هذه المناقشة هي معرفة ما اذا كانت الاشياء تكون وتستحيل وتنمو أو تعاني الظواهر المضادة لهذه الظواهر بسبب وجود ذرات أعنى أعظاما أولية غير قابلة للقسمة أو ما اذا كان لا يوجد أصلا أعظام غير قابلة للقسمة . هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الاعلى . ومن جهة أخرى بفرض وجود الذرات يمكن أن يتساءل أيضا عما اذا كانت - كما يريد ديموقريطس ولو كيبس هذه الاعظام غير المنقسمة هي اجساما أو ما اذا كانت مجرد سطوح كما ذكر في طيمائوس .

§ ٧ - ولكن من غير المعقول ، كما بينا في غير هذا الموضع ، أن نجاوز بتحليل الاجسام الى حد تصغيرها سطوحا . وعلى ذلك يكون أقرب الى المعقول القول بأن الذرات هي اجسام . على انى لا اعترف أن هذا الرأى هو ايضا قليل الشبه بالمعقول . ومع ذلك يمكن في هذا المذهب كما قد قيل أن تفسر استحالة الاشياء وكونها بتبدل الجسم الواحد تبعا لدورانه أو لتماسه أو تبعا لاختلاف اشكاله . ذلك ما يفعل ديموقريطس وهذا هو الذى أدى به الى انكار حقيقة اللون ما دام اللون في عرفه انما يكون من حركة الاجسام حول مركزها . ولكن الذين يقبلون قسمة الاجسام الى سطوح أولئك لا يمكنهم بعد ذلك أن يدركوا اللون . لانه بجمع السطوح ذوات السعة بعضها مع بعض يمكن الوصول فقط الى تكوين جوامد ولكن لا يمكن الوصول الى ايجاد أى كيف جسمانى .

§ ٦ - هي معرفة - ما اذا كان يوجد ذرات أو لا يوجد . تكون وتستحيل وتنمو - تلك هي الانواع الثلاثة للحركات التى الاشياء قابلة لها . - الظواهر المضادة لهذه - يعنى الفساد والاستحالة الى كيف مضاد والنقص . - أعنى - أضفت هذه الكلمة . - هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الاعلى - لذلك عاد أرسطو الى الكلام عليها مرات عدة - كما ذكر في طيمائوس - ر كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١٤ .

§ ٧ - في غير هذا الموضع - في كتاب السماء ك ٣ كما يقول أيضا فيلوبون . - الى حد تصغيرها سطوحا - هذا الرأى ليس هو رأى أفلاطون في طيمائوس الى حد ما يظن على أرسطو أنه يذهب اليه هنا . - على انى لا اعترف - عبارة النص أقل وضوحا من هذه . - كما قد قيل - يرى فيلوبون أن الالفاظ التى يستعملها أرسطو في هذا الموضع على قول ديموقريطس هي الالفاظ مأخوذة على الاخص من لهجة ابيد . - دورانه ... تماسه - هذا التعبيران ليسا بالفرنسية أكثر ضبطا في أداء المعنى من نظريهما باليونانية . الذين يقبلون قسمة الاجسام الى سطوح - مثل أفلاطون أو فلاسفة آخرين . - أن يدركوا اللون - أو أى كيف آخر للاجسام - عبارة النص أقل ضبطا من هذه .

§ ٨ - والسبب الذى جعل هؤلاء الفلاسفة يرون ، أقل من الآخرين ،
الظواهر التى هى محل وفاق بين الناس جميعا هو عدم المشاهدة . وعلى
ضد ذلك السذجين استزادوا من فحص الطبيعة ، أولئك أحسن حالا فى
استكشاف هذه المبادئ التى يمكن أن تنسحب بعد على حوادث ما أكثر
عددها . ولكن هؤلاء الذين هم تائهون فى نظريات معقدة لا يلاحظون
الاحداث الواقعة وليست أعينهم موجهة الا الى عدد قليل من الظواهر وهم
يحكمون بسهولة كبرى .

§ ٩ - ها هنا أيضا يمكن أن يرى كل الفرق السذى يفرق بين
الدراسة الحقة للطبيعة وبين دراسة منطقية محضة . لان هؤلاء الفلاسفة
من أجل أن يبينوا مثلا أنه يوجد ذرات أو أعظام غير قابلة للقسمه يدعون
انه اذا لم تكن تلك الذرات فان المثلث نفسه ، المثل الاعلى للمثلث ،
يكون مؤلفا مع أن ديمقريطس فى هذه المسألة يظهر انه لم يعول فى حلها
الا على دراسات خصوصية وطبيعية محضة ، ومع ذلك فان ما سبلى من
هذه المناقشة سيبين لنا ما نريد أن نقول بأوضح من ذلك .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى افتراض أن الجسم يوجد وانه عظم
قابل للقسمه الى ما لا نهاية وانه من الممكن تحقيق هذه القسمه . فماذا
يبقى فى الواقع فى الجسم الذى يمكن أن يخلص من قسمه كهذه ؟ فاذا
افتراض أن شيئا قابلا للقسمه مطلقا وانه يمكن حقيقة قسمته هكذا فلا

§ ٨ - محل وفاق بين الناس جميعا - عبارة النص مهمة قليلا فلست واقفا من
أنى حصلت المعنى جيدا . علم المشاهدة - يوصى أرسطو هنا بمشاهدة الاحداث كما
يوصى به دائما ولكنه لم يكن فى موضع آخر مبينا وجازما كما هو فى هذا الموضع . ر .
مقدمة ترجع للمتيورولوجيا ص ٤٢ وما يليها . - التى يمكن ان تنسحب بعد - أو
بعبارة فيلوبون وهى : « التى يمكن أن تشمل عددا من الحوادث ما أكثره » . والفرق
بين المبلوتين عديم القيمة . - تائهون فى نظريات معقدة - عبارة النص تفيد أيضا لكن
هؤلاء الذين هم بعيدون عن الافكار المامية ... الخ » . - بسهولة كبرى - وبخفة
أكثر .

§ ٩ - الدراسة الحقة - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - هؤلاء الفلاسفة - يعنى أفلاطون
ومدرسته . - اذا لم تكن تلك الذرات - أضفت هذه الكلمات التى يظهر أنها ضرورية -
المثلث نفسه المثل الاعلى للمثلث - هذه الكلمات الأخيرة ليست الا تفسيرها لا سيقها . فان
المثلث نفسه فى لغة مذهب أفلاطون هو المثل الاعلى للمثلث . - مؤلفا - أى قابلا للقسمه
وهذا يناقض تماما نظرية المثل . - ما بلى من هذه المناقشة سيبين لنا ... بأوضح من
ذلك - يشعر أرسطو نفسه بأنه لم يقل هنا قدر الكفاية ليكون بيننا تماما . يدافع
فيلوبون عن أفلاطون ضد أرسطو الذى لم يحصل جيدا فكرة استاذة . ويظن فيلوبون
أن هذه النظرية قد يمكن أنها موجودة على الأكثر فى مذاهب أفلاطون غير المكتوبة .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى - كل المعنى فى هذه الفقرة غامض . واليكها بأبسط
عبارة : « من الصعب ان يفهم أن الجسم يمكن أن يقبل القسمه الى ما لا نهاية وان لا توجد فيه
الاجزاء التى لا تنجزا . لان هذه القسمه تفنى الجسم عن آخره ولا يبقى منه شئ »

يكون من المحال في شيء أنه أمكن قسمته مطلقا مع أنه لم يقسم في الواقع ولا أنه قد قسم فعلا . والامر كذلك اذا فيما اذا يقسم الشيء بالنصف . وعلى العموم لو أن شيئا قابلا بالطبع للقسمة الى اللانهاية قد قسم لما كان ذلك محالا البتة . كما لا يكون محالا أن يفترض امكان قسمته عشرة آلاف مرة مضروبة في عشرة آلاف مع أنه لا أحد يستطيع المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد .

§ ١١ - ما دام الجسم معتبرا انه حائز لهذه الخاصة فنسلم انه يمكن قسمته مطلقا على هذا النحو . ولكن اذا ماذا يبقى بعد هذه التقاسيم ؟ هل سيكون عظما ؟ لكن ذلك غير ممكن لانه اذا يوجد شيء غير من عملية التقسيم وكان الفرض ، على الضد ، أن الجسم قابل للقسمة من غير أي حد ومطلقا . ولكنه اذا لم يبق جسم ولا عظم وظلت القسمة مستمرة فاما أن القسمة لا تقع الا على نقط واذا تصير العناصر التي تتركب الجسم عديدة العظم واما ألا يبقى هناك شيء أصلا .

§ ١٢ - ينتج من ذلك انه سواء أكان الجسم يأتي من لا شيء أم يؤلف من أجزاء فالامر على الحالين تصيير الكل الى ألا يكون الا ظاهرا . حتى مع التسليم بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط فلا يكون هناك ايضاكم . وفي الواقع لو أن هذه النقط كانت تماس لتؤلف عظما واحدا وان العظم كان واحدا وانها كلها فيه فان جميع هذه النقط المجتمعة ما كانت لتجعل الكل أكبر لان الكل بانقسامه الى نقطتين أو عدة لا يكون

= وبذلك يوصل الى أن الجسم مؤلف من مجرد نقط ليس لها ابعاد أصلا . - وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمة - عبارة النص أقل من ذلك ضيقا . - الذي يمكن أن يخلص من قسمة كهذه - لانها ستعلم نهائيا كل ما تتركب منه الجسم . - فلا يكون من المحال - هذا فرض يمكن دائما فرضه ولا يلزم عليه شيء من المحال . - اذا يقسم الشيء بالنصف - يعنى اذا قسم دائما الى اثنين كل ما يبقى من الشيء في التقسيم المتتابع أو اذا قسم الى أجزاء غير متساوية ، بكلتا الطريقتين يوصل الى اعداده كله بهذا التقسيم غير المتناهي . - المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد - لعدم كفاية الآلات التي يستعملها الانسان .

§ ١١ - معتبرا انه حائز لهذه الخاصة - عبارة النص أقل ضيقا من هذا التعبير . - ماذا يبقى - تكرار للمسئلة الموضوعة في الفقرة الماضية . - بعد هذه التقاسيم - زدت بحسن الكلمات لبيان الفكرة قليلا . عظما - يكون أيضا قابلا للقسمة . - من غير أي حد مطلقا - ليس في النص الا كلمة واحدة . - عديدة العظم لان النقط الرياضية مفروضة انها لا عظم لها البتة .

§ ١٢ - يأتي من لا شيء - أعنى من نقط ليس لها أي امتداد . - ألا يكون الا ظاهرا - تلك هي النتيجة التي استنتجها السفسطائيون من متعجب ديمقريطس . - بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط - النص ليس بهذه الصراحة . - كم - لان النقط لا تمثل كمية ما . - لا أكبر ولا أصغر من ذي قبل - مهما كان عدد نقط القسمة . - عظم حقيقي - أضفت لفظة حقيقي .

لا أكبر ولا أصغر من ذى قبل ، بحيث انه مهما جمّع من تلك النقط فلا يمكن الوصول أبدا الى تأليفه عظم حقيقى منها .

§ ١٣ - اذا قيل انه يوصل بالقسمة الى ألا يحصل منها الا كئشارة الجسم فحتى على هذا القرض لا بد من ان الجسم يأتى من عظم ايا كان ، وتبقى المسألة كما كانت وهى كيف أن هذا الجسم الاخير قابل للقسمة فى دوره . فاذا قيل ان ما انفصل ليس جسما بل هو صورة ما قابلة للانفصال أو خاصة ما فينتج من ذلك أن العظم يتحول الى نقط والى تماسات محولة بهذه الطريقة . واذا يكون من غير المعقول الاعتقاد بأنه العظم يمكن أبدا أن يأتى من أشياء ليست أعظاما .

§ ١٤ - ولكن فوق ذلك فى أى مكان تكون هذه النقط تتواءم افتترضت عديمة الحركة أم افتترضت متحركة ؟ انه لا يوجد أبدا الا تماس واحد بين شيئين فلا بد أيضا من افتراض انه يوجد شيء ليس هو التماس ولا القسمة ولا النقطة .

لو قيل اذا أن كل جسم أيا كان مهما كان امتداده يمكن دائما أن يقبل القسمة مطلقا لكانت تلك هى النتائج التى يوصل اليها :

§ ١٣ - كئشارة الجسم - عبارة الاصل دقيقة ويظهر أن الفكرة غامضة ولو أنه فى الحقيقة واضحة . فان أرسطو يفرض أنه يراد اثبات وجود الذرات وان قسمة الجسم لا يمكن أن تمتشى الى الا نهاية . فاذا وصل بالتقسيم نلمكن غاية الامكان الى تصيير الجسم مسحوقا كئشارة الخشب عند قطعه ولكن قطع الكئشارة مهما دق حجمها فان لها امتدادا وترجع المسألة بالنسبة لهذه الاجسام الصغيرة الى ما كانت عليه بالنسبة للجسم الذى كانت تؤلفه باجتماعها من قبل . - عظم أيا كان - فان قطع الكئشارة مهما صغر حجمها لها دائما عظم قابل للتقدير . - فى دوره - زدت هاتين الكلمتين . - ان ما انفصل - أى بالقسمة البالغة اقصى حد لها . - قابلة للانفصال - قال فيلوبون ان فى هذا رواية أخرى وإن فى بعض النسخ المخطوطة عبارة « غير قابلة للانفصال » بدل عبارة « قابلة للانفصال » . والسباق يقتضى على الظاهر أولية العبارة الأخيرة . ومع ذلك فإن فيلوبون يفضل معنى عبارة « غير قابلة للانفصال » لان الصورة فى الواقع غير قابلة للانفصال عن الجسم بمعنى أنها تنظم بانعدامه ولا يمكن أن تكون شيئا بدون . ولقد أثبت فى ترجمتي عبارة الرواية المشهورة ولكن الأخرى هى مناسبة أيضا . - الى نقط والى تماسات - نظريات أبطلت آنفا . - أشياء ليست أعظاما - ما دام أن النقط والتماسات لا يمكن أن يكون لها علم هو المفروض أى امتداد الى أية جهة ما .

§ ١٤ - فى أى مكان - يعنى : « فى أى جزء من الجسم ؟ » - افتترضت متحركة - كما يفعل الرياضيون اذ يسلمون بأن النقطة متى تحركت أحدثت خطا كما أن الخط يحط السطح والسطح الجسم . وقد نبه فيلوبون الى أنه يمكن إعطاء هذه الجملة صورة الاستفهام أو صورة الإيجاب على السواء . - أنه يوجد شيء - يعنى الجزأين الماديين اللذين يتماسان أو أنهما متقاسمان فى نقطة تفصلهما . - لو قبل اذا - ر . ما سبق ف ١٠ هذا هو ملخص القسم الاول من كل هذه المناقشة . فانه اذا لم تقبل الذرات وقبل القول بأن كل جسم قابل للقسمة مطلقا فتلك هى النتائج غير المقولة التى تؤدى اليها هذه النظرية . فيستنتج من هذا مع ديمقريطس حقيقة نظرية الذرات . ومع ذلك فان هذا المخلص يمكن أن يظهر أنه سابق لوقته .

١٥ - من جهة أخرى اذا أمكننى بعد انقصة أن اركب الخشب الذى نشرته أو أية مادة أخرى بأن أعيد إليها وحدتها الاولى وإن أ جعلها مثل ما كانت تماما فمن الواضح أنى أستطيع أن أفعل ذلك فى أية نقطة يلتفتها فى كسرى الخشب . اذا فبالقوة الجسم قابل دائما للقسمة مطلقا وبليون حد . ماذا يوجد اذا ها هنا خارجا عن القسمة وبمعزل عنها اذا قيل انها خاصة للجسم ؟ يمكن دائما أن يسأل كيف ان الجسم يتحلل الى خواص من هذا القبيل وكيف يمكن أن يتألف منها وكيف أن هذه الخواص يمكن أن تنفصل عن الجسم .

§ ١٦ - اذا كان اذا محالا أن الاعظام تتكون من مجرد تماسات أو نقاط فانه يلزم ضرورة أن يوجد أجسام وأعظام لا تتجزأ . ولكن هذا الافتراض عينه للذرات يخلق محالا لا يمكن تخطيه ولو أن هذه المسألة قد فحصت فى غير هذا الموضع الا انه يلزم أن يحاول حلها هنا أيضا .
بوللوصول الى ذلك يلزم أخذها من جديد بتمامها من البداية .

§ ١٧ - نقول اذا بادىء بدء انه ليس من غير المعقول فى شيء تقرير أن كل جسم محسوس هو معا قابل للقسمة وغير قابل للقسمة فى نقطة .
ما ما دام انه يمكن أن يكون قابلا للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل

§ ١٥ - من جهة أخرى - برهان جديد لايضاح وجود الذرات . - مثل ما كانت تماما يظهر أن هذا مناقض لما قيل سابقا ف ١٣ - فى أية نقطة يلتفتها فى كسرى الخشب = عدد النقاط يمكن ألا يتناهى ما دامت النقاط مفروضا انها عديمة الامتداد . فبالقوة - أن لم يكن بالفعل لملة واحدة هي عدم كفاية الآلات التى يستخدمها الانسان . - خارجا عن القسمة وبمعزل عنها - لا يوجد فى النص الا كلمة واحدة لهذا المعنى . - الى خواص من هذا القبيل - تكرير لما قيل آتفا ف ١٣ .
§ ١٦ - اذا كان اذا - تلخيص لتأييد نظرية ديمقريطس . - أجسام وأعظام لا تتجزأ - أو بعبارة أخرى ذرات كما كان يقرره ديمقريطس . للذرات - أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان . - غير هذا الموضع - ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٤ ف ه وراجع كتاب الطبيعة فى مواطن عدة حيث نظرية الذرات ملص اليها المبدأ لا مبينة بيانا وضعا . ويستشهد فيلوبون على الاخص بالكتاب السابع من الطبيعة حيث لا اجد فيه انا شيئا من هذا القبيل . ويستشهد أيضا برسالة الخطوط غير المنقسمة التى ينسبها الى تيوفراست بدلا من ارسطو اتباعا لرأى بعض المؤلفين .

§ ١٧ - معا قابل للقسمة وغير قابل لها - بالفعل هذا محال ولكن يمكن أن أحدها . امکان مجرد والاخرى قسمة بالفعل . واذا فالجسم فى النهر قابل للقسمة الى الا نهائية . ولكن فى الخارج تفت القسمة عند حد سرعة . - قابل للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل لها بالفعل - عبارة النص اقل ضميلا . - يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة . يعنى منقسما وغير منقسم فى آن واحد بالقوة . وعلى رغم تفسير فيلوبون ومجهوداتى فان هذه النقطة فيها من الغموض ما لم استطع ان ازيله بالمرة . واليك البيان الذى يمكن فهمها به : د ان جسما لا يمكن أن يكون معا قابلا وغير قابل للقسمة حتى بمجرد القوة . لانه اذا كان كذلك بالقوة كان كذلك أيضا بالفعل . وهاتان القابليتان فى الخارج لا يجتمعان مطلقا . فكل الذى يمكن حقيقة هو أن الجسم يكون قابلا للقسمة فى نقطة ما . وهذا لا =

للقسمة بالفعل • ولكن الذى يظهر انه محال تماما هو أن جسما يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة لانه اذا كان ذلك ممكنا فلا يكون أبدا بهذا الوجه أن الجسم يجمع بين الخاصيتين بأن يكون غير قابل للقسمة وقابلا لها معا بالفعل • بل انه يكون فقط قابلا للقسمة بالفعل فى نقطة ما • واذا لا يبقى منه شيء مطلقا ويتحول الجسم الى شيء غير جسمانى • ومع التسليم بأنه يمكنه أن يكون ثانية اما بأن يأتى من النقط أو أن لا يأتى من شيء أبدا على الإطلاق فكيف يصير كون الجسم من جديد ممكنا •

§ ١٨ - أما ما هو بين فهو أن الجسم ينقسم بالفعل الى أجزاء متميزة ومنفصلة والى أعظام أصغر فأصغر دائما تتباعد بعضها عن بعض وتنزل • ولكن من المحقق أيضا أن هذه التجزئة البعضية لا يمكن أن يجاوز بها الى اللانهاية وانه ليس من الممكن أيضا قسمة الجسم فى أية نقطة ما لان هذه القسمة غير المحدودة ليست ممكنة الاجراء ولا يمكن أن تتمشى الى حد معين •

§ ١٩ - يلزم اذا أن توجد ذرات أو أعظام لا تتجزأ خصوصا اذا سلم أن كون الاشياء وفسادها يحصلان أحدهما بالتفرق والاخر بالاجتماع ذلك هو الاستدلال الذى يظهر انه يبين ضرورة وجود الاعظام غير القابلة للقسمة أو الذرات • ونحن نتكفل باثبات أن هذا الاستدلال يرتكز من حيث لا يشعر على مفهومة مستتورة يستار سنكشفها عنها •

= يفيد أنه قابل للقسمة مطلقا لانه حيثلا لا يبقى بعد القسمة شيء أصلا ويتحول الجسم اذا الى شيء غير جسمانى • الجسم ... غير جسمانى - هذا التقابل موجود بلفظه فى النص • من النقط - التى هي ليست محسوسة ما دامت مفروضة عديدة الامتداد • من شيء أبدا على الإطلاق - أو ربما كان « من العدم • من لا شيء • » - كون الجسم من جديد - عبارة النص ليست بهذا الضبط •

§ ١٨ - ينقسم بالفعل - أضفت هذه الكلمة الأخيرة لبيان المعنى تماما • أصغر فأصغر دائما - على حسب المادة التى هي موضوع القسمة والآلات التى تستخدم لذلك • تتباعد - هذه عبارة النص وربما كانت غير مناسبة • وتنزل بهذا عملية القسمة • التجزئة - أو التصغير أى تغيير الشيء الى أجزاء دقيقة ثم الى أدق منهلة وهكذا • - لا الى حد معين - فى الخارج مع أنها فى الزمن ممكنة الى ما لانهاية •

§ ١٩ - يلزم اذا - حيثما لا يؤخذ الا بالظواهر المحسوسة القابلة للمشاهدة يكون منهج الذرات منعبا حقا جدا • لان التجزئة فى الواقع يجب أن تقف عاجلا ثم تصادف على ما يظهر عقبة كؤودا فى الجزئيات التى لا يستطيع أن تناولها التجزئة - بالتفرق لعناصر لا تقبل النقص ولا الزوال • بالاجتماع - بين هذه العناصر بعضها • الذرات - أضفت هذه الكلمة لان الذرات غير قابلة للقسمة كما يدل عليه نفسها وفوق ذلك فانه غير قابلة للقسمة بالنسبة لنا بسبب دقتها • - ونحن نتكفل - عبارة النص أقل ضبطا من هذا ولكن أردت بهذا التعبير تأدية معنى الجدة التى استعملها المؤلف فى عبارته • - سنكشفها عنها - ان البيان الآتى قد يبين عليه عدم مطابقتها تمام المطابقة لهذا الوعد •

§ ٢٠ - كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة فقابلية القسمة المطلقة تكون من جهة متعلقة بالأعظام ومن جهة أخرى غير متعلقة بها . ومن يسلم بهذه النظرية يظهر أنه يسلم أيضاً بأنه لا يوجد بعد إلا النقطة التي هي في كل مكان وفي كل اتجاه . وبنتيجة ضرورية فإن العظم بالتجزئة يصير لا شيء لأن النقطة ما دامت في كل مكان فالجسم لا يمكن أن يتركز إلا من التماسات أو من النقط .

§ ٢١ - وحينئذ فنعني هذا هو الرجوع إلى القول بأن الجسم قابل للقسمة مطلقاً ما دام يوجد في كل محل نقطة ما وأن كل النقط مجتمعة هي ككل واحدة منها على حدة وأنه في الواقع لا يوجد أكثر من واحدة لأن النقط ليست متتابعة بعضها لبعض . والنتيجة أيضاً أن الجسم ليس قابلاً للقسمة مطلقاً . لأنه إذا كان الجسم قابلاً للقسمة في وسطه فإنه يكون قابلاً لها في النقطة التي تتصل بهذا الوسط . ولكن الآن غير متصل بالآن كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة . على أنه في هذا تنحصر قسمة الأجسام وتركيبها بحيث أنه يوجد أيضاً اجتماع وافتراق للأجزاء . ولكن الجسم مع ذلك لا يتحول إلى ذرات وأنه لا يأتي من ذرات . تلك النظرية التي تشمل صعوبات عديدة لا يمكن حلها . كذلك لا يمكن أن يتركب الجسم بطريقة بها تكون التجزئة ممكنة لا إلى حد ما . فإذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة كان الأمر كذلك ولكن الجسم ينحصر إلى أجزاء متدرجة في الصفر وأن الاتحاد حصل بين أصغر الأجزاء .

§ ٢٠ - لا تتصل بالنقطة - ما دامت النقطة معتبرا أن ليس لها أقل امتداد - ومن يسلم بهذه النظرية - التي هي أن الجسم قابل للقسمة مطلقاً - بالتجزئة - في النقط التي يقال أنه مركب منها . - إلا من التماسات أو النقط - ر ما سبق ف ١٦

§ ٢١ - بأن الجسم قابل للقسمة مطلقاً - هذا هو المعنى الذي اتخذ فيلويون وهو مع ذلك يجد أن المعنى ليس واضحاً على قدر الكفاية . وأن هذه المناقشة كلها هي في غاية الاضطراب ومن الصعب الوقوف فيها على الفكرة الحقيقية للمؤلف . - يوجد في كل محل نقطة ما - يعني أن التجزئة يمكن أن تحصل في أي نقطة كيفما اتفق . - لا يوجد أكثر من واحدة - في الواقع أنه يوجد من النقطة بقدر ما يرد ولكنها كلها متشابهة فلا يمكن أبداً أن يؤخذ منها في النقطة الواحدة إلا نقطة واحدة . والنتيجة أيضاً - النص ليس كذلك من حيث ضبط العبارة ولكن اضطرت إلى زيادة الضبط لوافق بينه وبين التردد المذكور في الفقرة السابقة . - الآن النقطة - : لكلمات القابلتان لها في النص اليوناني أكثر تأقداً بينهما من الكلمتين اللتين اضطرت لاستعمالهما في الترجمة . - للأجزاء - أضفتها من عندي . - صعوبات عديدة لا يمكن حلها - عرض بعضها في الكلام السابق . - ممكنة لا إلى حد ما - وذلك يهيم مذهب الذرات . على هذا يكون أرسطو يرفض الكل ويقبل هذا المنعب لأنه يجد من كل ناحية صعوبات لا يمكن التغلب عليها . - فإذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة - هذا يظهر عليه أنه تذييل دسه في النص بعض المفسرين

٢٢ - الكون المطلق الكامل للأشياء لا يقصر كما زعموا على اجتماع العناصر وتفرقها كما أن الاستحالة ليست مجرد تغير في الكتلة . بل ذلك خطأ تام يقع فيه كل الناس . ونكرر مرة أخرى أنه لا يوجد كون وفساد مطلقان للأشياء باجتماع العناصر وافتراقها . إنما يوجدان فقط متى يتغير شيء بكلة عند ما يأتي من شيء آخر بعينه .

§ ٢٣ - وقد يظن أيضا أن الاستحالة هي تغير ما من هذا الثقيل ولكن ها هنا فرقا عظيما . فإن في الموضوع جزءا يرجع الى الكنه وجزءا يرجع الى المادة فمتى فقط حصل التغير في هذين الأمرين فهناك حقا كون وفساد . ولا يكون الا مجرد استحالة متى حصل التغير في الخواص والكيون العارضة للشيء .

§ ٢٤ - فما هو الا بافتراق الأشياء وواجتماعها انها تصير قابلة لكفساد بسهولة مثال ذلك متى تجزا الماء الى تقيطات صغيرات تتحول بأسرع ما يكون الى هواء ، في حين أنها اذا بقيت كتلة تصير هواء بابطأ من ذلك .

§ ٢٥ - على أن هذا سيتضح فيما يلي . ولكن ها هنا أردنا فقط اثبات أن من المحال أن يكون كون الأشياء مجرد تأليف كما زعم بعض الفلاسفة .

§ ٢٢ الكون - كل آخر هذا الباب هو استطراد يبعد المؤلف به شيئا فشيئا عن الفكرة التي كان يظهر عليه أول الأمر متابعة القول فيها . - اجتماع العناصر وتفرقها - لأن العنصر حينئذ هو أسبق من المركب الذي يتركب منها . - عندما يأتي من شيء آخر بعينه - عبارة النص ليست محكمة فإن هناك أيضا لا يوجد كون بالمعنى الخاص .

§ ٢٣ - الاستحالة - الاستطراد مستمر . عظيما - أضفت هذه الكلمة . - في الموضوع أو في الشيء . - بل الكنه - الحد والملازمة . - هذين الشيئين - أضفت علامة التثنية وصيغة النص صيغة جمع . - حقا - أضفت هذه الكلمة .

§ ٢٤ - فما هو الا بافتراق الأشياء وواجتماعها . - وما سبق في آخر الفقرة ٢٢ - متى تجزا الماء - الملاحظة صحيحة وقد حصلت من زمان بعيد لأن هذه الظاهرة تقع تحت النظر في غالب الأحيان (الميتولوجيا ك ٢ ب ٢ ف ١٨ من ترجمتي) - تتحول بأسرع ما يكون الى هواء - أو بعبارة أخرى تتبخر .

§ ٢٥ - على أن هذا سيتضح فيما يلي - ذلك بأن المؤلف نفسه أحس أنه لم يكن دائما مبينا بقدر ما يطلب منه . - مجرد تأليف - سواء أكان اجتماعا أم افتراقا . - راجع ما سبق ف ١٩

الباب الثالث

في الكون المطلق وفي فساد الأشياء - صعوبة هذه المسألة - الكون والفساد
الاضافيان - النمط الذي يتخذ في هذا البحث - شواهد من كتاب الحركة - إبدية الكائنات
وتعاقبها المستمر - تبادل الكون والفساد - تمييز لفظي مهم - استشهد بـيرمينيه - الفرق
بين الكون المطلق والكون الإضافي - فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين - الرأي العلمي
في هذا الموضوع في أن شهادة الحواس تعطي أكثر مما تستحق - توضيحات مختلفة -
طريقة فهم إبدية الظواهر .

١ - متى تقرر هذا يلزم البحث أولا فيما إذا كان يوجد في الواقع
شيء يولد ويموت بطريقة مطلقة أو ما إذا كان لا يوجد شيء يولد ويموت
بالمعنى الخاص . وفي هذه الحالة يلزم فحص ما إذا كان أي شيء مالا يأتي
دائما من شيء آخر هو يخرج منه : مثال ذلك من المريض يأتي الصحيح ومن
الصحيح يأتي المريض أو كالصغير يأتي من الكبير والكبير يأتي من الصغير
وكل الأشياء بلا استثناء «تكون» بهذه الطريقة عينها . إذا سلم بكون
مطلق يلزم حينئذ أن الموجود يأتي مطلقا من الوجود أي من العلم
بحيث يحق التأكيد بأن العلم يتعلق ببعض الموجودات . والكون الإضافي
يمكن أن يأتي من لا موجود إضافي . ومثال ذلك الأبيض يمكن أن يأتي
من اللا أبيض أو الجميل يأتي من اللاجميل . لكن الكون المطلق يجب أن
يأتي من الوجود المطلق .

٢ - حينئذ المطلق ها هنا يدل إما على الأولى في كل مقولة للموجود

§ ١ - بطريقة مطلقة - أعني من غير أن يوجد شيء يسبقه ومنه يمكن أن يخرج
- بالمعنى الخاص - يعني بالمعنى المطلق للكلمة . - وفي هذه الحالة - يعني في حالة
افتراض أن لا يوجد كون مطلق . وأن الموجود الكائن يخرج دائما من موجود سابق عليه .
وقد قطعت الجملة لأنها في النص قنا طالت أكثر مما يلزم ، من المريض يأتي الصحيح -
يعني أن الموجود المريض يرجع صحيحا . أو بالعكس يصير الصحيح مريضا . فالموجود إذا
لا يكون بالمعنى الخاص . بل هو فقط يتغير حاله ويمر بكييفيات مختلفة . ولكنه كائن أولا
ومن قبل أن يلحقه التغير . - يكون مطلق - يعني أن الشيء الذي لم يكن من قبل قد
وجد وهو يخرج من العلم حيث كان فيه قبل الوجود . - من الوجود من العلم -
ليس في النص إلا كلمة واحدة وعلى هذا المعنى يقال عن شيء ما أنه مشهور في العلم
وإن «العلم يتعلق ببعض الموجودات» كما هي عبارة النص . ولقد يظهر على البساطة
صورة التناقض على أنها صادقة . - الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض - أعني أن
شيئا لم يكن أبيض يمكن أن يصير أبيض . وليس ذلك هو الكون بالمعنى الخاص بل هو
مجرد تغير أو مجرد استحالة . - الكون المطلق يأتي من الوجود المطلق - يعني أن شيئا
يكون بعد أن لم يكن ، خارجا من العلم الذي كان فيه .

§ ٢ - حينئذ المطلق هاهنا يدل إما على الأولى - المطلق يظهر أنه لا يمكن استعماله
في هذا المعنى الضيق ولكن هذا هنا هو مجرد تمييز لفظي . كله تحكم . في كل مقولة
للموجود - يعني في جميع المقولات إلا في مقولة الجوهر لأن الأولى هو الحد الأعلى وعلى ذلك =

وأما على الكلى أعنى الذى يشمل ويحوى كل شيء . فإذا كان الأول هو مدلول المطلق فهناك كون لنجوهات مما هو ليس بجوهر . ولكن ما ليس له جوهرية وما ليس الية شيئا معينا بذاته لا يمكنه بالبداية أن يكون لاي واحدة أخرى من المقولات كالكيف والكم والاین . الخ لانه حينئذ يكون معناه التسليم بأن كيوف الجواهر يمكن أن تنفصل عنها . فإذا كان اللاموجود هو بصورة عامة مدلول المطلق فذلك هو النفى الكلى لجميع الاشياء وعلى ذلك فما يولد وما يكون يلزم ضرورة أن يولد من لا شيء .

٣ - على اننا قد تكلمنا على هذا الموضوع فى موضع آخر وبحثنائه بأطول من ذلك ولكننا نلخص هاهنا فكرتنا ونقول فى قليل من الكلمات ان من وجه يمكن أن يوجد كون مطلق لشيء آت من انعدم اللاوجود . ومن وجه آخر لا شيء يمكن أبدا أن يأتى الا مما هو موجود . ذلك فى الحق ان ماهو بمجرد القوة وليس بالفعل يجب أن «يكون» أولا وبالضرورة على الوجهين اللذين بينهما آنفا ولكنه لايد مع ذلك من العناية الكبرى فى فحص هذه المسألة التى يمكن أن ضعوبتها تدعشنا حتى بعد الايضاحات التى أسلفناها . وتلك المسألة هى كيف أن الكون المطلق يحصل سواء كان يأتى مما هو بالقوة أم يأتى بأى وجه آخر .

٤ - يمكن البحث فى الحق فيما اذا كان يوجد فقط كون للجوهر ولشيء معين بالفعل أو ما اذا كان لا يوجد أيضا كون للكيف والكم وللاین

= ففى مقولة الكيف ليس المقصود واحدة من الكيوف الخاصة بل هو :كيف نفسه . - وأما على الكلى - يعنى الجوهر والى هذا المعنى ينصرف عادة لفظ المطلق . - يشمل ويحوى كل شيء . - ليس فى النص :لا كلمة واحدة . ومعنى ذلك أنه يلزم أولا أن يوجد الشيء حتى يمكن بعد أن يوصف بأى كيف اتفق . - فإذا كان الأول هو مدلول المطلق - أضفت لكلمات الثلاثة :لاخيرة لجعل الفكرة أكثر ضبطا وجلاء . - فهناك كون للجوهر - التعبير لا يظهر أنه على ما ينبئ . فان المقصود ليس هو الجوهر بالضبط بل هو مجرد وجود مكيف تبعا لكل مقولة فان شيئا يصير أبيض بعد أن لم يكن أبيض من قبل . - الخ - وضعت هذه السكلمة للدلالة على أن جميع المقولات ليست مذكورة هنا . - كيوف - عبارة النص أعراض . - مدلول المطلق - رأيت من الواجب تكرير هذه العبارة لتكميل النص . - النفى الكلى لجميع الاشياء - ولعل أحسن من ذلك أن يقال : « النفى الكلى لجميع المقولات » بما فيها مقولة الجوهر . - ما يولد وما يكون - ليس فى النص الا أحد الفعلين .

§ ٣ فى موضع آخر - يعنى فى الكتاب الاول من الطبيعة بـ ٨ ف ١ وما يليها ص ٤٧٣ من ترجمتنا كما تبه اليه فيلوبون . - آت من انعدم من اللاوجود - ليس فى النص :لا كلمة واحدة . - لاشئ يمكن أبدا أن يأتى - ليست عبارة النص بهذا القدر من البيان . - ماهو بمجرد القوة - الممكن ليس موجودا على التحقيق ولكنه يكفى إمكان وجوده لاجل أن يكون له وجود بنوع ما . - على الوجهين اللذين بينهما - زدت هاتين الكلمتين الاخيرتين ، وبعبارة أخرى الممكن كائنًا وغير كائنٍ مما .

§ ٤ - اذا كان يوجد فقط - أضفت الكلمة الاخيرة . - كون للجوهر - ويمكن ترجمتها بهذه العبارة « اذا كان الكون يتعلق بالجوهر » . - بالنسبة الى :لفساد - الذى =

... الخ . وهذه الامثلة عينها توجه على السواء بالنسبة الى الفساد .
 وانه اذا كان بالفعل شيء يكون أو يولد فمن الواضح انه يجب وجود
 جوهر ما بالقوة على الاقل ان لم يكن بالفعل وبالكمال منه يخرج كون
 الشيء وفيه يتغير بالضرورة متى فسد .

٥ - هل من الممكن أن واحدة من المقولات الاخرى التي هي بالفعل
 وبالكمال المحض تتعلق بهذا الموجود بالقوة ؟ أو بعبارة أخرى هل يمكن
 تطبيق معانى الكيف وانكم والايين على هذا الذى ليس شيئا الا بالقوة
 وبالقوة فقط بدون أن يكون شيئا بذاته بطريقة مطلقة حتى ولا أن يكون
 مطلقا أبدا ؟ لانه اذا كان هذا الموجود ليس أى شيء بالفعل ولكنه كل
 الاشياء بالقوة فان اللاموجود المفهوم على هذا النحو، يمكن أن يكون ذا
 وجود منفصل وحينئذ يوصل الى هذه النتيجة التى هابها الفلاسفة الاولون
 أكثر من كل شيء وهى ايجاد الاشياء من العدم المحض ولكنه اذا لم يسلم
 أن هذا يكون موجودا حقيقيا أو جوهرًا وأنه شيء آخر من المقولات المذكورة
 فحينئذ يفرض كما قلنا آنفا أن الكيفيات والاعراض يمكن أن تكون
 منفصلة عن الجواهر .

٦ ١ - تلك هى النظريات التى يلزم مناقشتها هنا بالقدر المناسب
 كما انه يلزمنا البحث عما هى العلة التى تجعل كون الموجودات أيديا سواء
 الكون المطلق أو الكون البعضى . مادام لا يوجد على رأينا الا علة واحدة أو أحد
 منها ينبعث مبدأ الحركة وما دام لا يوجد أيضا الا مادة واحدة أو أحد يلزم
 ايضاح ما هى هذه العلة .

= هو ضد الكون . أولا يوجد كون وفساد : لا فى مقولة الجوهر ؟ إذن يوجد أن أيضا فى المقولات
 الاخرى . - بالفعل - زدت هذه الكلمة . - جوهر ما - كلمة جوهر بعينها موجودة فى
 النص ولكن يظهر أن الجوهر يجب دائما أن يكون بالفعل لا أن يكون ممكنا مجرد امكان .
 - بالفعل وبالكمال - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

٥ ١ - واحدة من المقولات الاخرى - يعنى احدى المقولات الاخرى غير مقولة الجوهر . -
 بهذا الموجود بالقوة - النص ليس بهذا الوضوح . - والايين - أو أى مقولة أخرى . -
 ذا وجود منفصل - وهذا تناقض . - التى هابها الفلاسفة أكثر من كل شيء - الفلاسفة
 الذين لم يستطيعوا أبدا أن يقبلوا بأية صورة معنى العدم . من العدم المحض - عيسارة
 النص بالقياس على « من العدم السابق : لوجود » . - كائن حقيقى - يمكن أن يضاف
 « متميز » فاذا كان الممكن ليس جوهرًا أفيقال أنه وحدة أخرى من المقولات . - المذكورة

- آنفا - كما قلنا آنفا - ر ف ٢ .

٦ ١ - بالقدر المناسب - لهذا الموضوع الخاص الذى ندرسه فى هذا الكتاب . -
 العلة التى تجعل كل الموجودات أيديا - ليس هذا شيئا آخر الا الإسناد إلى الله الذى
 هو خالق الاشياء وحافظها كما هو مبين بعد . - سواء الكون المطلق - يعنى الذى يخرج
 الاشياء من العدم . - أو الكون البعضى - يعنى كون الكيفيات المتعاقبة على الاشياء . - علة
 واحدة أو أحد - هى المحرك الذى لا يتحرك . - مادة واحدة أو أحد - فيها يفعل المحرك
 الاول . ما هى هذه العلة - ما هنا عبارة النص ينقصها قليل من الجلاء ، لان السياق
 يقتضى علتين لا علة واحدة وهما علة فاعلة وعلة مادية .

§ ٧ - ولكننا سبق بنا أن تكلمنا عليها في كتابنا «الحركة» إذ قررنا فيه أنه يوجد من جهة شيء غير متحرك طول الأبد كله ومن جهة أخرى شيء على ضد ذلك واقع في حركة أبدية . فدراسة المبدأ غير المتحرك للأشياء تتعلق بفلسفة أخرى عليا . وأما المحرك اندى يحرك كل البقية ، لانه هو نفسه قد حرك بحركة مستمرة ، فأننا سنتكلم عليه فيما بعد عندما نوضح ما هي علة كل واحدة من الظواهر الخاصة . وهنا تقتصر على علاج هذه العلة التي تظهر بصورة مادة والتي تجعل أن كون الاشياء وفسادها لا يتخلفان في الطبيعة . ولكن هذه المناقشة قد تجلر أيضا الشك الذى اثرناه آنفا وسيرى كيف ينبغي أن يعنى أيضا بالفساد المطلق وبمطلق كون الاشياء .

§ ٨ - ومع ذلك فانها مسألة محيرة أن يعرف ماذا عسى أن تكون العلة التى تدبر وتسلسل تناسل الاشياء اذا فرضنا أن ما يفسد يرجع الى العلم وان اللاوجود ليس شيئا لانه ما ليس موجودا ليس جوهرًا ولا كيفًا ولا كما ولا أين الخ لانه حينئذ مادام فى كل آن واحد من الكائنات يبيد وينعزم كيف يتأتى أن العالم بتمامه لم يكن قد فنى منذ زمان طويل ألف مرة اذا كان المنبع الذى يأتى منه كل واحد من هذه الكائنات محلودا وممتلئها ؟ فى الحق اذا كان هذا التوارث الأبدى لا ينقطع البتة فليس ذلك جان ينبوع الذى تصلى منه الكائنات يكون غير متناه لان ذلك محال

§ ٧ - فى كتابنا « الحركة » هذا العنوان يدل على كتاب الطبيعة . - اذا قررنا فيه - ر . الطبيعة ك ٨ ب ٣ ف ٢ من ترجمتنا . ر . أيضا أوائل كتاب الطبيعة والتحقيق الخاص للعنوانات المختلفة لهذا الكتاب . - بفلسفة أخرى عليا - يعنى ما بعد الطبيعة . ر . الكتاب السابع من ترجمة كوزن . - سنتكلم عليه فيما بعد - ر . - الباب العاشر من الكتاب الثانى من هذا المؤلف . - الظواهر - أو الكائنات . - العلة التى تظهر بصورة مادة يعنى العلة للمادية . - لا يتخلفان - هذا هو التعاقب الأبدى للكائنات . - ولكن فى منعب أرسطو لما أن العالم ليس له أول ولا ينبغي أن يكون له آخر فتعاقب الكائنات يجب أن يستمر كما ترى . وهذه المسألة قد بحث أيضا فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب ٧ ف ٤ وفى الكتاب الثالث ب ٥ ف ٤ - بالفساد المطلق وبمطلق كون الاشياء . - يعنى امكان أن شيئا يجيء من العلم ويرجع اليه .

§ ٨ - التى تدبر وتسلسل - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - يرجع الى العلم - أو « ينهب الى العلم » . - ليس جوهرًا ولا كيفًا - - أعنى فى أى مقول من المقولات . - ولا أين - ليس هنا الا أربعة مقولات معلودة عوضا عن عشرة . لذلك وضعت لفظ ... الخ . - العالم بتمامه - عبارة النص بالفيض « الكل » . - محلودا وممتلئها - ليس فى النص الا كلمة واحدة . هذا التوارث الأبدى - عبارة النص ليست بهذا الوضوح . - وقد وضعنا - ر . الطبيعة نظرية الانهائية ك ٣ ب ٥ ف ٤ . وب ٢ ف ٥ . - أضعف فأضعف - ذلك فى الحق هو نظرية أرسطو فى الطبيعة . ولكن يظهر أنه يمكن أن يكون نمو الاشياء غير متناه وكذلك قسمتها ما دام الموضوع من كل وجه تمثيلية مضحة . - بهذا السبب وخطه أن فساد شيء - هذا الفرض عينه موجود فى كتاب الطبيعة ك ٣ ب ١٢ ف ٢ من ترجمتنا .

تماما ما دام أنه في الواقع لا شيء غير متناه . وأنه انما يكون فقط بالقوة أن شيئا يمكن أن يكون غير متناه في القسمة . وقد وضعنا ان القسمة هي وحدها محل عدم الانقطاع وعدم القوات لانه يمكن دائما الحصول على كمية أضعف فأضعف . ولكننا هنا لا نرى وجهاً للمشابهة . أفلا تصبح أبدية التعاقب ضرورية بهذا السبب وحده أن فساد شيء هو كون شيء آخر وان العكس بالعكس كون هذا موت ذلك او فساده ؟

٩ - وبهذا تلغى علة يمكنها أن تكفى لتوضيح كل شيء بالنسبة لكون الأشياء وفسادها ، هاهنا في عمومها وهناك في كل فرد من الكائنات بخصوصه . على أنه مع هذا يلزم البحث في أنه لماذا عند الكلام على بعض الأشياء يقال بطريقة مطلقة انها تكون وتهلك في حين انه عند الكلام على بعض أشياء أخرى لا يقال ذلك على إطلاقه ، اذا كان حقا أن كون موجود بعينه هو عين فساد آخر واذا كان العكس بالعكس فستاد هذا هو كون لذلك .

§ ١٠ - هذا التباين في التعبير يقتضى أيضا أن يفسر ما دام اننا نقول نحن كائن في حالة بعينها أنه فسد مطلقا لا انه فسد من وجه بعينه فقط وما دمنا نصرف الكون الى معنى مطلق كما نصرف الفساد سواء بسواء . على ذلك فشيء بعينه يصير شيئا آخر بعينه ولكنه لا يصير على الإطلاق . انظر مثلا كيف نقول عن شخص يتعلم انه يصير عالما ولكننا لا نقول من أجل ذلك انه يصير ويكون على الإطلاق . وبإدراك ما قلناه غالبا من أن بعض الاسماء تدل على جوهر حقيقي والبعض الآخر لا يدل عليه يمكن معرفة من أين تأتي المسألة المطروحة هاهنا . لأنه يهم كثيرا أن يعين فيم يتغير الشيء الذي يتغير ، مثال ذلك تحول الشيء الذي يصير نارا يمكن أن يسمى كونا مطلقا ولكن أيضا فسادا لشيء للأرض مثلا . وكذلك كون الأرض هو بلا شك أيضا كون ، ولكنه ليس كونا مطلقا مع انه فساد مطلق ومثلا فساد النار .

§ ٩ - ما هنا في عمومها - النص ليس بهذه الصراحة . - بطريقة مطلقة - من غير تحديد ولا تقييد من أي نوع .

§ ١٠ - هذا التباين في التعبير - عبارة النص هي : « هذا » فقط . - انه فسد مطلقا - يعنى أنه يمر من الوجود الى اللا وجود بوجه قام وينقطع عن الوجود بعد أن بقى فيه زما ما . - من وجه بعينه فقط - يعنى مثلا أن شيئا يصير أبيض بعد أن كان أسود فانه لا ينقطع بذلك عن أنه كائن مطلقا . فقط انه انقطع عن كونه أبيض . وانه فسد من حيث أنه أبيض دون أن يفسد حقيقة . - عن شخص يتعلم - وانه على ذلك لم يكن بعد عالما ثم يصير ذا علما . ولكن لا يمكن أن يقال بوجه مطلق انه يصير كمالا لو انه ومد مثلا انه يصير ويكون - ليس في النص الا كلمة واحدة . ما قلناه غالبا - يمكن أن يراجع كتاب المقولات ١٤١ . بعض الاسماء عبارة النص غير محدودة . - جوهر حقيقي - عبارة

§ ١١ - بهذا المعنى كأنه برمينيد لا يعترف الا بشئين في الدنيا
الموجود والا موجود وهما عند النار والارض . على انه ليس من المهم
افتراض هذه العناصر أو عناصر أخرى مشابهة لها لاننا لا نبحث الا في
الطريقة التي بها تحصل الظواهر لافي موضوعها . اذا التغير الذي يوصل
الاشياء الى اللا وجود المطلق انما هو فساد مطلق وبالعكس ما يوصلها
مطلقا الى الوجود هو كون مطلق . ولكن مهما كانت الجواهر التي يعتبر
فيها الكون والفساد سواء النار أو الارض أو أى عنصر آخر مشابه فان
الكون والفساد لا يزالان أحدهما للوجود والآخر للا وجود .

§ ١٢ - هذا اذا هو فرق أول في التعبير يمكن تقريره بين الكون
والفساد المطلقين وبين الكون والفساد اللذين ليسا مطلقين . وقرئ آخر
يمكن أن يميزها وهو المادة التي يحصلان فيها أيا كانت هذه المادة فالتى
تدل فصولها دلالة أكثر على هذه الحقيقة بعينها أو تلك هي أيضا ادخل في
المجهرية والتي تدل فصولها دلالة أكثر على العلم هي ادخل في اللاموجود .
وعلى ذلك فالحرارة مقولة ما ونوع حقيقى وعلى الضد البرودة فانها ليست
الا عدما . وبهذه الفصول بعينها تتميز الارض والنار .

§ ١٣ - عنه العامى ، انما يقرر الفرق على الاختص بين الكون وبين

النص بالضبط « شئ » « معين » . فساد الشئ للارض مثلا - يعنى ان الارض يجب ان
تقسد لتصورنا ر مع التسليم بان هذا التحول ممكن كما يفترضه برمينيد . - فساد النار
- الملاحظة بعينها .

§ ١١ - الموجود واللا موجود في كتاب الطبيعة كآب آفا هو البارود الحار الموجود
واللا موجود اللذان اعتبرهما برمينيد المتصرين الاولين . ومع ذلك فان البارد والحار هما
غير دافا أيضا في ذلك الكتاب للارض والنار . - على انه ليس من المهم - يحس أرسطو هاهنا
ان تحول الارض الى نار أو النار الى أرض فرض غريب في بابه . - لافي موضوعها - يعنى
الموضوع الذي فيه تتحقق الظواهر والذي يمكن أن يكون على السواء الارض أو النار أو أى
جسم آخر كيفما اتفق . فان الجوهر يمكن ان يتغير ولكن الظاهرة هي دائما بعينها . ومع
ذلك فان أرسطو قد بين عبارته بيانا وضعا فيما يلي .

- التغير الذي يوصل - ليس النص بهذه الصراحة . سواء النار أو الارض - كما يريد
برمينيد . - أحدهما للوجود - وهو الكون أو التولد . - والآخر للابود - وهو الفساد أو
التلف .

§ ١٢ - فرق اول في التعبير - ليست عبارة النص على هذا الضبط . - التي يحصلان
فيها - أضفت هذه الكلمات لايضاح الفكرة . - هذه الحقيقة بعينها أو تلك - عبارة النص
هي باليساطة « شئ » يعينه . - وعلى ذلك فالحرارة مقولة - قد لا يكون هذا المثل مختارا
اختيارا حسنا . فاذا كان البرد هو علم الحرارة فقد يمكن القول أيضا بان الحرارة علم
البرودة . فان الحرارة والبرودة هما على السواء . فبان أحدهما ضد للآخر . - تتميز الارض
والنار . - ر الفقرة السابقة . وعلى حسب تفسير فيلون ان النار ادخل في المجهرية من
الارض . فانها لا يجب ان الملكة في حين ان الارض ليست الا العلم . - آخر الفقرة
اللاحقة :

§ ١٣ - الفرق بين الكون وبين الفساد - الترجمة لضبط من النص . - فتمتى وجد

الفساد هو أن الواحد يدرك بالحواس وإن الآخر ليس كذلك . فمضى وجد
تغير في مادة محسوسة قال العامى ان الشيء يولد ويكون كما يقوله انه
يموت ويفسد حينما يتغير الى مادة غير مرئية . ذلك بأن الناس يعرفون على
العموم الوجود واللاوجود تبعاً لما اذا كانوا يحسون الشيء أو لا يحسونه .
كما انهم يعتبرون الموجود ما يعرفونه واللاموجود ما يجهلوناه . فحينئذ
الحس هو الذى يؤدى وظيفة العلم . وكما أن الناس لا يدركون حقيقة
حياتهم وكونهم الا لانهم يحسسون أو يمكنهم أن يحسوا ، كذلك
أيضاً ادراكهم لوجود الأشياء اذ يبحثون عن حقيقتها وما هم بواجديها
فيما يقولون .

§ ١٤ - ذلك أن الكون والفساد المطلقين هما متغايران تماماً تبعاً
لاعتبارهما على حسب الرأى العامى أو لاعتبارهما فى حقيقتهما الواقعية .
اذا الهواء والريخ أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما
جسمين اذا كان المرجع فى ذلك الى مجرد شهادة الحواس . ومن أجل ذلك
يظن أن الأشياء التى فسدت مطلقاً تفسد بالتحول الى هذين العنصرين فى
حين أنه يعتقد أن الأشياء تولد وتكون متى تحولت الى بعض عناصر يمكن
لمسها أى الى أرض مثلاً ولكن فى الحق ذاتكم العناصر هما جوهر ونوع
أكثر من الأرض نفسها .

§ ١٥ - اذا قد وضح ما يدل على أنه يوجد الكون المطلق من حيث
كونه فساداً لشيء والفساد المطلق من حيث كونه كوناً لشيء أيضاً . وهذا
تغير - الترجمة اضبط من النص - يولد ويكون ... يموت ويفسد - ليس فى النص فى
كلا الطرفين الا كلمة واحدة - ادراكهم لوجود الأشياء - يعنى على حسب ان الأشياء
محسوسة أو غير محسوسة أولاً يمكن أن تحس .

§ ١٤ - على حسب الرأى العامى - يمكن ترجمتها أيضاً هكذا : اخذاً مجرد الظاهر -
أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين - عبارة النص هى بالضبط
«أقل» فقط - بل مجرد شهادة الحواس - ما دام ان الهواء والريخ يحسان أقل من العناصر
الكثيفة مثل الأرض والماء .
- الى هذين العنصرين - الهواء والريخ - مثلاً زدت هذا للفظ لتنام الفكرة - ونوع -
أو صورة . وليس لفظ النص بأكثر ضبطاً من اللفظ الذى التزمت استعماله - أكثر من
الأرض نفسها - ربما كان اللازم بيان علة هذه النظرية التى يظهر لأول وهلة أنها مشكلة .
اما فيلويون فيزعم ان الهواء على الحقيقة أكثر جوهرية من الأرض لانه يخيظ بها وان له
نوع ذلك خاصة الحرارة التى تزيد فى تمدده .

§ ١٥ - اذا قد وضح - ليس هذا الايضاح جلياً كالرغوبه . وربما كان هذا الملخص
الذى اثبت هنا سابقاً لوقته - انه يوجد - يظهر ان الاحسن هو ان يقال : «انه يظن ان
يوجد» .
ولكنى لم اجزؤ على المخاطرة بهذا التفسير - المادة - عبارة النص هى غير معينة ايضاً كاللفظ
الذى استعملته فى الترجمة فانه يمكن أن يتناول : مادة أى شيء هى ؟ - الواحدة - يعنى
من هذين الشيئين .

يتعلق ، في الواقع ، بأن المادة مختلفة إما لأن الواحدة جوهر في حين أن الأخرى ليست جوهرًا وإما لأن الواحدة هي أكثر وأن الأخرى أقل وإما لأن المادة التي يأتي منها الشيء والتي يذهب إليها هي أقل أو أكثر حسية . ويقال على الأشياء تارة أنها تولد وتصير بالاطلاق وتارة يقل بالتعيين أنها تصير هذا الشيء بعينه أو ذاك من غير أن يأتي واحد من الآخر بالتكافؤ على النحو الذي نعنيه هاهنا . ونحن نقصر في الواقع الآن على إيضاح لماذا — ما دام أن كل كون هو فساد لشيء آخر وأن كل فساد هو كون لشيء آخر أيضا — نحن لانسند على هذا الوجه عينه الكون والفساد إلى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر .

§ ١٦ — على أن هذا لا يحل المسألة التي كنا وضعناها لانفسنا حلا نهائيا . بل هو يوضح لماذا يقال عن واحد يتعلم أنه يصير عالما لا أنه يصير مطلقا في حين أنه بالنسبة لشيء ينشأ طبيعة يقال بطريقة عامة أنه يولد ويصير . تلك هي التعابير أي المقولات المختلفة التي بعضها يدل على الوجود الحقيقي والجزئي والآخر يدل على الكيف والآخر على الحكم . وبالتالي لا يقال البتة على كل الأشياء التي لا تدل على جوهر أنها تصير بطريقة مطلقة بل أنها تصير كذا أو كذا من الأشياء . ومع ذلك فإن الكون في كل الاحوال على السواء لا ينطبق انطباقا صريحا إلا على الأشياء الداخلة في إحدى المجموعتين . مثلا في مقولة الجوهر يقال أنه الشيء يصير إذا تكون نار . ولا يقال ذلك إذا كان الذي يكون هو أرضا . وفي مقولة الكيف يقال عن الشيء أنه يصير إذا صار الكائن عالما لا إذا صار جاهلا .

= — جوهر — يعنى شيئا شخصيا وخصوصا . — هي أكثر — أو بعيرة أخرى « الواحدة لها وجود أكثر بروز وللأخرى وجود أقل حسية » . — تولد وتصير — لا يوجد إلا كلمة واحدة في النص الاغريقي — بالتعيين — أو فقط . — الذي نعنيه هاهنا — إذا نقول أن التولد المطلق هو فساد شيء آخر وأن الفساد المطلق هو أيضا تولد . — نحن لا نسنده على هذا الوجه عينه — كل هذه القيود دقيقة وغامضة . — إلى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر — تلك هي الاحوال المختلفة التي بها ير جسم بعينه كما يفهم من سياق الكلام الآتي . وليس هذا بالمعنى الخاص فسادا لكيف أو كونا له بل هو مجرد تعاقب .

§ ١٦ — التي كنا وضعناها لانفسنا حلا نهائيا — على الروابط الحقيقية بين الكون المطلق وبين الفساد المطلق . — أنه يصير عالما — إذ أن جهله ينقلب علما كما أن علمه يمكن أن ينقلب جهلا إذا نسي ما حفظه . — ينشأ طبيعة — كلمة النص يظهر لما أن لها ما لهذا اللفظ الذي استعملته في الترجمة من القوة . — أنه يولد ويصير — لا يوجد في النص إلا كلمة واحدة . — بعضها . . . الوجود الحقيقي والجزئي وهو مقولة الجوهر . والنص أقل ضبطا من ذلك . — والآخر على الحكم — لا يوجد هاهنا إلا ثلاث مقولات على التعداد مع أن المقولات عشرة . — كتاب المقولات ب ٤ ص ٥٨ من ترجمتنا . — أنها تصير كذا أو كذا من الأشياء يعنى أنها تتغير بالكيف أو بالوضع ما دام المفروض ضرورة أن الجوهر هو ثابت تحت جميع

§ ١٧ - اذا فانظر كيف نوضح لماذا بعض الاشياء يكون بطريقة مطلقة وكيف أن البعض الآخر لا يكون لا بطريقة مطلقة ولا أصلا حتى في الجواهر أعيانها . وقد قلنا أيضا لماذا الموضوع من حيث هو مادة هو علة الكون المستمر الابدئ للاشياء نظرا الى أنه يمكن على السواء أن يتغير في الازدداد وأنه بالنسبة للجواهر كونه ظاهرة هو دائما فساد لاخرى وبالتكافؤ أن فساد هذه كون لتلك .

§ ١٨ - على أنه لم يبق محل لأن يتساءل لماذا أن هذا الفساد الدائم للموجودات هو الذي يجعلنا شئنا يمكن أن يكون . لانه كما يقال ان شئنا هو فاسد مطلقا حينما يمر الى اللاحسوس والى اللاموجود كذلك يمكن أن يقال انه يكون ويأتي من اللاموجود متى أتى من اللاحسوس . والنتيجة أنه سواء أكان هناك موضوع أولا أم لم يكن فإن الشئ يأتي دائما من العدم بحيث أن الشئ في آن واحد حين يكون يأتي من اللاموجود وحين يفسد يعود الى اللاموجود أيضا . وهذا هو الفاعل في أنه ليس يوجد انقطاع ولا خلو . لان الكون هو فساد اللاموجود والفساد هو كون العدم .

§ ١٩ ولكن قد يتساءل عما اذا كانت هذا اللاموجود المطلق هو ثاني

القولان - في إحدى المجموعتين - التي أحدهما موجبة والاخرى سالبة . ومع ذلك فإنما يلي كفىل بإيضاح هذه الفكرة وان كانت الحدود التي اتخذت امثلة ربما لا يكون قد توافر فيها حسن الاختيار - اذا تكون نار - لان النار معتبرة حدا ايجابيا في حين ان الارض معتبرة حد سلبى - اذا كان الذى يكون هو ارضا - ما سبق ف١٤ - اذا صار الكائن عذلا - هذا هو الحد الايجابى في حين أن الجاهل حد سلبى ولكن في الحالة الاولى والاخرى يقال ايضا انه يصير علما او يصير جاهلا . وكل هذا هو غاية في الدقة .

§ ١٧ - حتى في الجواهر أعيانها - يعنى في حالة ما اذا كان شئ مع كونه موجودا أقل في مرتبة الوجود من آخر لانه تابع له . ر . ما سبق ف١٥ . - الموضوع من حيث هو مادة - الموضوع يبقى لانه ماديا محل الازدداد التي تحل فيه وتعاقب عليه . فالموضوع يبقى مع تغيره . المستمر الابدئ - لا يوجد في النص الا كلمة واحدة - كون ظاهرة او بعبارة اخرى تغير الكيفيات . فان كون الاسود هو فساد للابيض وكون الابيض هو فساد للاسود . والموضوع الذى يصير على التناوب اسود وابيض لا يزال باقيا .

§ ١٨ - ان هذا الفساد الدائم للموجودات - ليس النص على هذا القدر من الصراحة في كل هذا الموطن - حينما يمر الى اللاحسوس - ر . ما سبق ف١٣ - فان الشئ يأتي دائما من العدم - قد اتخذت عبارة كعبارة النص في انها عامة غامضة . وبعبارة اخرى سواء كان هناك مجرد تغير في الكيف فالظاهرة تأتي دائما مما لم يكن - انقطاع ولاخلو - ليس في النص الا كلمة واحدة . ومع ذلك فمن فرط التعمق أو بالمرى من الاسراف اللغوى أنه يمكن التكلم عن كون العدم أو فساد .

§ ١٩ - هو ثاني الضدين - الذى ليس كائننا بالفعل ولكنه يمكن أن يكون بأن يشغل محل الضد الذى هو كائن . لما أن الارض وكل ما هو ثقيل هو اللاموجود - فساد الزاى

الضدين • ومثلاً لما ان الأرض وكل ما هو ثقيل هو اللاموجود اذا كانت النار وكل ما هو خفيف هي أو ليست هي الموجود • ولكن يمكن أن يقال أيضاً ان الأرض هي الموجود وان اللاموجود هو مادة الأرض كما أنه هو مادة النار على السواء • ولكن هل مادة أحد هذين العنصرين ومادة الآخر هي اذا مختلفة ؟ وهل من المحال أن يأتي أحدهما من الآخر كما هو الحال في الأضداد • لأن النار والأرض والماء والهواء لها أضداد أو هل أن مادتها هي واحدة من وجه وهل ليست مختلفة الا من وجه آخر ؟ لأن ما هو موضوع من وجه ومن آخر هو واحد ولكن شكل الوجود هو وحده الذي ليس واحداً • على اننا نقف عندما قلناه في هذا الموضوع •

العامى الذى يستند الى الأرض وجوداً أكثر من وجود الهواء ونلنا بحجة ان الحواس تدركها أكثر • ر • ما سبق ف ١٣ •

• ان الأرض هي الموجود - يظهر فى الحق انه من الصعب انكار ذلك • - وان اللاموجود هو مادة الأرض - لا يظهر ان اللاموجود يمكن أن يكون مادة لى شىء ما إلا أن يصرف ذلك الى المعنى المجرد المحض حيث كان القول فيما مر • - وهل من المحال أن يأتي أحدهما من الآخر - هذا ما يشبه أن لا يعتمد الا على شهادة الحواس • - لها أضداد - قد يكون مضطرب من ذلك بيانا ان يقال انها بعضها لبعض ضد • ما هو موضوع - يعنى المادة مأخوذة على معناها المجرد لا على المعنى الحقيقى بالفعل • - شكل الوجود هو وحده - هذا = تمييز من لازمت أرسطو وهو فى الغالب غاية فى الصحة والمضبوط • - نقف - لا يظهر مع ذلك أن الموضوع قد انتهى ولا انه على الخصوص قد وضع بقدر الكفاية من الإيضاحات التى منبقت •

الباب الرابع

فصول الكون والاستعالة - تمييز الموضوع ومحمول - الموضوع حد الاستعالة - أمثلة مختلفة - حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة - آخر المقارنة بين الكون والاستعالة .

٨ - يجب الآن توضيح بماذا يختلف الكون والاستحالة لأننا نرى أن هذين التفسيرين للأشياء هما متميزان تماما أحدهما من الآخر نظرا إلى أن الموضوع الذي هو كائن حقيقى والتكليف الذى هو طبعا محمول على الموضوع هما فى غاية الاختلاف وإنه يجوز أن يقع التغير بأحدهما وبالأخر.

§ ٢ - توجد استحالة متى كان الموضوع ، وهو باق بعينه وهو دائما محسوس ، يلحقه تغير في خواصه المخصوصة التي يمكن أن تكون مع ذلك أضدادا أو أوساطا . على ذلك مثلا الجسم هو صحيح ثم هو مريض منسحق بقاءه هو بذاته . وكذلك أيضا النحاس هو قارة مستديرة وقارة ذو زوايا مع بقاءه جوهريا هو بعينه .

§ ٣ ولكن حينما الموجود يلحقه التغير بكلية دون أن يبقى منه شيء محسوس من جهة أنه موضوع واحد وبعبارة وإن السم مثلا يتكون بأن يأتي

١٤ ب ٤ ف ١ - الكون والاستحالة - الكون أو التولد هو الحركة في الجوهر ينفذ
الحركة التي تسير مما ليس موجودا الى ما هو موجود أى من اللا وجود الى الوجود . ولما
الاستحالة فهي الحركة التي تغير في الموضوع كميّاته وتعبقها اختلافا . ر . الطبيعة
و ٣ ب ٣ ف ٢ و ٨ و ٧ ف ٤ ف ٣ من ترجمتنا .
- التغير باعتبارها وبالاخر - لفظ تغير مصروف هنا الى معنى الحركة .

§ ٢ - توجد استتالة - حلم الاستتالة هذا لا يبعد في شوء عن الحلد الذي اعطى في كتاب الطبيعة

كتاب الطبيعة
- وهو دائماً محسوس - أو عبارة أخرى : حقيقة متميزة وشخصية يمكن أن نذكرها حواسنا
أفضلها أو أوحاشا - مثلا الجسم وهو يس من الاسود الى الابيض أو وهو يس بجميع الألوان
المتوسطة التي بين ذلك اللونين - مع بقائه هو بذاته - من حيث الجوهر - وهما شخص
الشرط الاساسي وبهونه لا يمكن ان تقع الاستحالة - جوهريا - أضحت هذه الكلمة لزيادة
بيان المعنى

بيان المعنى : - ولكن حينما يوجد يلحقه انتقار - حد للكون او لصيرورة الانتباه - بكليته
 ٢ - وهذا هو الشرط الاساسي للتولد والا فلا يكون التقى الا استحالة - - - - -
 من كل اللطافة -

من كل النقطه -
الامر على العكس النقطه هي التي تأتي من الدم الا اذا كان للفك والنقطه ما حلا له معنى خاص.
كون الواحد وفساد الآخر - اتخفت تمايز مبينه كتمايز النور - بالمقارنة - زينة هذه الكلمه .

من كل النطفة وأن الهواء يأتي من كل الماء أو بالعكس الماء من كل الهواء . حينئذ يوجد في هذه الحالة كون للواحد وفساد للآخر . وهذا حق على الخصوص متى كان التغير يمر من اللامحسوس الى المحسوس سواء بالنسبة لحاسة اللمس أو بالنسبة لجميع الحواس الاخرى مثلا حينما يوجد كون الماء أو حينما يوجد تحلل الماء الى هواء لانه الهواء هو بالمقارنة غير محسوس تقريبا .

§ ٤ - ولكن في هذه الاشياء اذا بقى لحدى التقابل كيف ما متماثل في الموجود الذي يتولد وفي الذي يفسد واذا كان مثلا حينما يتكون الماء بأن يأتي من الهواء وهذان العنصران هما على السواء شقان وباردان فاذا لا يلزم بعد أن أحد هذين الكيفين فقط يتعلق بالجسم الذي فيه يحدث التغير ومتى لم يكن الامر كذلك فلا يكون الا مجرد استحالة . مثلا في حالة ما الرجل الموسيقى يتقدم والرجل غير الموسيقى يكون ويظهر ، ولكن الرجل لا يزال دائما هو عينه . وحينئذ اذا لم تكن أصلا خاصة هذا الموجود أو كيفه الا المهارة في فن الموسيقى أو الجهل به فاذا يوجد كون لاحدى الظاهرتين وفساد للآخرى . من ذلك يرى لماذا أن تلك ليست الا كيفيات للرجل في حين أن هذا هو كون وفساد للرجل الذي هو موسيقى وللرجل الذي لا يعرف الموسيقى فليس هناك الا تكيف للموضوع الذي هو ثابت وهذا هو بالضبط ما يسمى استحالة .

§ ٤ - ولكن هذه الاشياء اذا - يرى مفسرو جادة « كويمبر » بحق أن المعنى في هذه الفقرة مغلوق وتوضيحات فيلوبون لا تجلو غموضه . ويظهر أن ارسطو يقصد الرد على اعتراض لم يبينه بالضبط . « في الكون يتولد الكائن بكليته والتغير يلحقه بكليته . أما في الاستحالة فالكيفيات وحدها هي التي تكون محلا للتغير واذا متى وقع كون عنصر جديد يمكن ان يتساءل اذا كانت كيفيات الاول يجب ان تزول هي ايضا جميعها معه » . يجب ارسطو بالسلب متى كن الكيف مشتركاً بين الكائن الذي يزول وبين الكائن الذي يتولد بالتفسير . وعلى ذلك فالأمر مع انه يأتي من الهواء الذي انعدم له خواص الهواء من جهة انه مثله شفاف بارد . هذا هو تفسير المفسرين نقته هنا . وقد كان من المرغوب فيه أن يكون النص أكثر توسعا . - فقط - زدت هذه الكلمة . - متى لم يكن الامر كذلك - يعني متى لم يكن للشئ الكائن الكيفيات عليها التي للشئ الفاسد . - فلا يكون الا مجرد استحالة - عبارة النص أقل ضبطاً . - الاستحالة مجرد تغير في الكيف وليس تغيراً جوهرياً . - في حالة ما الرجل الموسيقى يتقدم . حفظت أسلوبه عبارة النص مع أنه في اللغة اليونانية شاذ كما تراه في الفرنسية . - ولكن الرجل - يعني الموجود الجوهري الذي هو تارة موسيقى واخرى غير موسيقى . - خاصة ... أو كيفه - ليس في النص الا كلمة واحدة . - الا المهارة في فن الموسيقى أو الجهل به - النص في غاية من الايجاز لم قبله عبارتي في الترجمة .

- كون ... وفساد - كما في الجواهر . - كيفيات - او تغيرات . - للرجل - الذي يبقى كما هو مع هذه التغيرات المختلفة . - للرجل الذي هو موسيقى - والذي ليس بعد مجرد رجل على المعنى المطلق والجوهري .

§ ٥ - وإذا حينئذ يكون تغير حد ضد لآخر حادثاً في الكم فتلك زيادة ونقص . ومتى كان ذلك في الاين فتلك هي نقلة . ومتى كان في الملكية الخاصة والكيف فتلك استحالة بالمعنى الخاص . ولكن متى لم يبق شيء مطلقاً من الموضوع الذي أحد أضداده هو تغير أو عرض فذلك انه يوجد كون من وجه وفساد من وجه آخر .

§ ٦ - وحينئذ فالمادة التي هي على جهة الأولوية والأفضلية الموضوع القابل للكون وللفساد . وبوجه ما هي أيضاً التي تعاني أنواع التغيرات الأخرى لأن كل الموضوعات مهما كانت فهي قابلة لتقابلات ما بالأضداد . على أننا نقف هنا فيما كنا نريد ان نقول على الكون والفساد وعلى الإستحالة أيضاً لنوضح ما ان هي تكون أو لا تكون وكيف تكون .

§ ٥ - حد ضد الآخر - عبارة النص الضدية ر . المقولات ب ١٠ و ١١ ص ١١٩ من ترجمتنا لتصرف الفرق بين المتقابلات والأضداد . فتلك زيادة ونقص - فإن الموجود يتغير اذا في الكم . فتلك هي نقلة - فإن الموجود اذا يتغير فقط في المكان . في الملكية الخاصة او في الانفعال . بالمعنى الخاص - أضفت هاتين الكلمتين لضبط المعنى .

§ ٦ - المادة - مأخوذة على وجه غير معين البتة كما هو في الكتاب الاول من الطبيعة ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتي . على جهة الأولوية - أو على الخصوص . - للكون وللفساد - تبعاً لأنها تكون أولاً تكون . وبوجه ما - بطريقة ملتوية لا بالطريقة الخاصة . - أنواع: لتغيرات الأخرى - الزيادة والنقص والنقلة والاستحالة ، وقد لاحظ يحيى فيليبون أن أرسطو لم يكن يبانه في أي موضع آخر اجلي منه في هذا الموضع فيما يتعلق بعد المادة الذي هو دائماً من الصورية بمكان .

الباب الخامس

نظرية النمو - الفروق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو - نقلة الشيء النامي غير المحسوسة - صعوبة إدراك من أين يأتي النمو في الجسم - كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة - الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة - المقارنة بين النمو والاستحالة - نظرية جديدة للنمو - تمييز ما بالفعل من ما بالقوة - يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو - علاقة المنصر الجسماني الذي يحدث نمو بالجسم النامي .

§ ١ - علينا أيضاً أن نتكلم على النمو وأن نقول فيما إذا يختلف النمو عن الكون وعن الاستحالة وكيف يمكن الأشياء التي تنمو أن تنمو والتي تنقص أن تنقص .

§ ٢ - يلزم إذا أولاً أن نفحص ما إذا كان الفرق بين هذه الظواهر بعضها والبعض الآخر ينحصر فقط في الموضوع الذي تتعلق به . أن تغيراً يقع من موجود إلى موجود آخر ، مثلاً من الجوهر بمجرد القوة إلى الجوهر بالفعل وبالكمال هل هو كون وتولد ؟ والتغير الذي يقع في العظم هل هو نمو ونقص ؟ أو ذلك الذي يحصل في الكيف هل هو استحالة ؟ ولكن الظاهرتين الأخيرتين اللتين ذكرناهما ليستا دائماً تبايناً أشياء تمر من القوة إلى الفعل والكمال ؟ أو أيضاً ليست طريقة التغير هي التي تختلف ؟ وحينئذ الشيء الذي يستحيل بمنزلة الشيء الذي يتولد ويصير لا يظهر أنه يجب لهما التغير بالمكان لزوماً . ولكن الذي ينمو والذي يذبل يجب أن يتغير بالحيز تغيراً مخالفاً لتغير الشيء الذي يتحرك في الزمان .

§ ب هـ ١ - النمو - على تقدير دعوى النقص الذي هو ضد النمو كما أنه تكلم على الفساد بعد الكون . وليس هناك حد يقابل الاستحالة لأنها يمكن أن تقع على الوجهين . وآخر هذه الفقرة يثبت مع ذلك أن أرسطو يتصدى للكلام على النقص كما يتصدى للكلام على النمو .

§ ٢ - في الموضوع الذي يتعلق به هذه العبارة غامضة قليلاً كعبارة النص، ويمكن ترجمة عبارة النص أيضاً هكذا : في الموضوع الذي تحصل فيه . - من الجوهر بمجرد القوة من الجوهر الذي ليس موجوداً إلى جوهر حقيقي موجود بالفعل كما يخرج حيوان من حيوان بلده . - هل هو كون وتولد - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - الذي يقع في العظم على وجه أو على وجه آخر . - الظاهرتين الأخيرتين - زدت لفظ «الأخيرتين» زيادة في البيان . - إلى الفعل والكمال - ليس في النص إلا كلمة واحدة . وأن الكلمتين اللتين ذكرتهما ليستا متطابقتين إلا ترجمة للأخرى .

- التي تختلف - من الكون ومن الاستحالة إلى النمو وإلى النقص - يتولد ويصير - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - يجب لهما التغير بالمكان - بأن يأخذ أكثر أو أقل من الحيز تبعاً لحال النمو والنقص .

- الذي يتحرك في الزمان - أو «الذي تلحقه نقلة» .

§ ٣ - لان الشيء المتحرك في الاين يغير مكانه بكليته في حينه ان
اندى ينمو لا يتغير الا كشيء ينزلق ويمتد . والموضوع وهو باق في مكانه
أجزاؤه وحينها تغير مكانها . ولكن هذا ليس كحال أجزاء الكرة الدائرة على
نفسها لان هذه الأجزاء تغير محل جسم الكرة كله مع بقائه في الحيز بعينه .
وعلى الضد من ذلك أجزاء الجسم النامي تشغل حيزا أكثر فأكثر كما ان
أجزاء الجسم الذابل تشغل حيزا أقل فأقل .

§ ٤ - يرى حينئذ أن التغير في شيء يتولد وفي الذي يستحيل وفي
الذي ينمو هو يختلف لا بالشيء الذي يقبل التغير فحسب بل ايضا
بالطريقة التي يحصل بها التغير . ولكن أما من حيث الشيء ذاته الذي
يلحقه تغير النمو وتغير الذبول - من جهة ان النمو والذبول يظهر أنهما
لا ينطبقان الا على عظم - كيف ينبغي ادراك انه ينمو ؟ هل يجب أن يفهم
انه يتكون في هذه الحالة جسم وعظم فعل مما ليس هو جسما ولا عظما الا
بمجرد القوة والذي هو بالفعل وبالكمال ليس له جسم ولا عظم حقيقي ؟
غير أن هذا الايضاح نفسه يمكن أن يحمل على معنى مزدوج ويمكن ايضا
أن يتساءل على أى الوجهين يجب أن يحصل النمو . هل هو يأتي من
المادة التي تكون منعزلة ومنفصلة في ذاتها ؟ أم هل يأتي من المادة التي
تكون في جسم آخر ؟ ولكن هذين الوجهين لفهم النمو ليسا هما مستحيلين
على السواء ؟ فانه اذا كانت في الواقع مادة النمو منعزلة فاما ألا تشغل أى

§ ٣ - مكانه بكليته - يميز المفسرون هاهنا حالين . ما ان الجسم ينتقل بكليته مارا
من مكان الى آخر واما ان أجزاءه هي التي تغير مكانها كحال أجزاء كرة تدور على نفسها دون
ان تغير مكانها كما هو مذكور بعد .

- ينزلق ويمتد - ليس في النص الا كلمة واحدة ليست على هذا القدر من الضبط . - أجزاءه
وحدها - أضفت الكلمة الأخيرة - الدائرة على نفسها - ر . الطبعة ك ٨ ب ١٤ ف ١
ص ٥٥٤ من ترجمتنا .

- الكرة - زدت هذا اللفظ . - حيزا أكثر فأكثر - دون أن تغير مكانها .

§ ٤ - في شيء يتولد . . والذي يستحيل . . والذي ينمو - تلك هي الانسواء
الثلاثة الممكنة للتغير . بالطريقة التي يحصل بها التغير - كما بينا هذا في الفقرة السابقة .
أما من حيث الشيء ذاته - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - انه ينمو - أضفت هذه العبارة
لانه ظهر لي أنها ضرورية لتكميل الفكرة . وربما يلزم أن يزداد أيضا «ويذبل» كما فعل ذلك
عدة من المفسرين . بالفعل وبالكمال .

ليس في النص الا كلمة واحدة . - يحمل على معنى مزدوج - هذا التحليل ربما كان
مجاوزا الى حد أبعد مما يلزم ويظهر عليه أنه دقيق بعض الشيء . - منعزلة ومنفصلة ليس
في النص الا كلمة واحدة ومع ذلك لا يرى كيف ان المادة يمكن ان تنعزل وتنفصل دون ان
تؤلف جسما . - لفهم النمو - أضفت هذا لتكميل الفكرة . - أى جزء في الاين - أو «أى حيز»
لا يمكن ان تكون موجودة - ليس النص على هذه الصراحة . - فى أين ما - ليس النص على
هذه الصراحة . - ما يأتي : منها - التعبير مبهم ولكن النص ليس أقل (بها) . - بحيث أن
هذا الجسم - أو بالأولى : وهذه المادة المنعزلة التي منها يجب أن يخرج الجسم الحقيقي . -

جزء في الاين واما أن تكون كنقطة أو ألا تكون الا من الخلو وتكون جسما لاتدركه حواسنا • ففي أحد هذين الفرضين لا يمكن أن تكون موجودة •
وفي الثاني يجب أن توجد ضرورة في أين لان ما يأتي منها يجب أن يكون في أين ما بحيث أن هذا الجسم يكون فيه أيضا اما بنفسه او بالواسطة •

§ ٥ - ولكن اذا فرض أن المادة هي في جسم وانها انفة ملت عنه بحيث انها لا تؤلف البتة جزءا من هذا الجسم لا بذاتها ولا بالعرض فينتج من هذا الفرض طائفة من المستحيلات البيئة • وتوضيحه : مثلا اذا تكون هواء أت من الماء فذلك ليس لان الماء يتغير بل لان مادة الهواء تكون محوية في الماء الذي يكونه كما لو كانت في آنية ما لانه لا شيء يمنع من أن تكون المواد غير متناهية في العدد بحيث يمكنها أيضا أن تكون بالفعل وبالحقيقة يلزم أن يضاف زيادة على هذا انه ليس كذلك ان الهواء يظهر انه يأتي من الماء كما لو انه كان يخرج من جسم يبقى دائما على ما كان عليه •
يحسن حينئذ افتراض أن المادة هي غير قابلة للانفصال في جميع الأجسام وهي واحدة ومتماثلة عدديا ولو أنها ليست واحدة ولا متماثلة في نظر العقل •

§ ٦ - وبالاسباب عينها لا ينبغي افتراض أن مادة الجسم ليست الا

= أو بالواسطة - عبارة النص بالضبط أو بالعرض ويلزم دائما أن يذكر ان المقصود معنا هو مادة النمو لا المادة على العموم •

§ ٥ - في جسم - عبارة النص غير معينة وهي «في شيء» ومع ذلك فانه يجب تقدير أن المادة هي في جسم ينمو كما يدل عليه المثل الاتي الذي فيه الهواء يتكون بخروجه من الماء •• لان الماء يتغير - وهذا هو التفسير العلمي والطبيعي •• كما لو كانت في آنية ما - ليس عليها الا أن تخرج منها جاهزة دون أن تمانى تأثرا جديدا - المواد - التي يمكنها أن تفعل النمو • غير متناهية في العدد - أو فقط غير متناهية • كعبارة النص • بالفعل وبالحقيقة - ليس في النص الا كلمة واحدة • أن الهواء يظهر أنه يأتي من الماء - يعني انه يوجد تغير فعلي يصير الماء هواء وان الهواء لا يخرج تماما من الماء • •
- أن المادة - أي مادة النمو • - في جميع الاجسام - ربما يكون الاجسام قصر الفكرة والقول «فن الجسمين المذكورين» • - عدديا •• في نظر العقل - هذه من التمايز التي اعتادها رسلو •

§ ٦ ليست إلا نقطة أو خطوطا - وهذا ما يؤول به الى ألا يكون له حقيقة فعلية أكثر من حقيقة الموجودات الرياضية •• نهايات - لان التلخيصات للخط والخطوط نهايات للمنطوق • - بدون خاصية ما-تصيره مدركا بحواسنا وتجعل منه جسما حقيقيا •• ولا بدون صورة اسهل للادراك من مجرد خاصية •• شيئا - أو «كانا» •• كما سبق بيانه في غير هذا الموضع - يعجل فيلويون على الكتاب الاو من الطبيعة حيث دوسر هذا الموضوع كما يقول وفي الحق انه يوجد في الطبيعة كتابا ٨٨ ص ٤٧٨ من ترجمتنا مناقشة مشابهة لهذه •• بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة •• من صورته - أو «من نوعه» •• من مجرد كيف الصلب - ليس النص هكذا تفريحا • فان الصلابة تختص بجسم حقيقي ولا يمكنها بذاتها أن تنتج شيئا •• مشتركا •• كالمثل التي قال بها افلاطون فانها مشتركة

نقطاً أو خطوطاً - لأن المادة هي بالضبط ما تكون النقط والخطوط نهايات لها . فهي لا يمكنها أبداً أن تقوم بدون خاصية ما ولا بدون صورة . وعلى ذلك حينئذ فإن شيئاً يأتي دائماً من شيء آخر مطلقاً كما سبق بيانه في غير هذا الموضع . وهو يأتي من شيء موجود بالفعل وبالكمال اما من جنسه أو من صورته . مثال ذلك النار هي تكون بالنار والرجل هو يكون بالرجل أعني بحقيقة ، بكمال ، لأن الصلب لا يمكن أن يأتي من مجرد كيف الصلب . والمادة هي المادة لجوهر جسماني أعني مادة جسم خاص معين مادام الجسم لا يمكن أبداً أن يكون شيئاً مشتركاً . وهي هي ذاتها سواء في العظم أو في كيف العظم قابلة للانفصال في نظر العقل . لكن غير قابلة للانفصال في الالين الا ان يفترض أن الخواص يمكنها أن تنفصل عن الاجسام الحائزة لها .

§ ٧ - بين حينئذ على حسب هذه المناقشة أن النمو في الاشياء ليس تغيراً يأتي من عظم بالقوة المحضة دون أن يكون له امتداد ما بالفعل وبالكمال لأن كيف المشترك حينئذ يكون قابلاً للانفصال . وقد سبق فيما تقدم في غير هذا الموضع أن هذا كان شيئاً محالاً . وفوق ذلك . فإن تغيراً من هذا القبيل ينطبق على الخصوص لا على الندو بل على الكون . لأن النمو ليس الا ازديادا في عظم موجود من قبل كما أن الذبول ليس الا انتقاصاً له . فأنظر لماذا يلزم أن يكون أولاً للجسم الذي ينمو عظم ما . وبالنتيجة لا يمكن أن النمو الذي يمر الى واقعية العظم يأتي من مادة مجردة من كل عظم لأن هذا أولى به أن يكون كوناً لا أن يكون نمواً حقاً .

بين جميع الكائنات التي تشترك فيها - الا أن يفترض - كما يزعم ارسطو أن أملاطون اضره في نظريته في المثل . - الخواص - أو الكروف .

§ ٧ - من عظم بالقوة المحضة - ر . ما سبق في آخر الفقرة الثانية . - كيف مشترك - لاحظ فيلوبون انه توجد هاهنا رواية اخرى وان في بعض النسخ الخطية تحريفاً في حرف واحد به يكون اللفظ دالا على « الملو » بدل « كيف المشترك » . وقد حاول فيلوبون أن يبرر استقامة التعبيرين جميعاً . ولكن التعبير الذي اتخذته يظهر لي أنه الأفضل . و « كيف المشترك » هاهنا يجب أن يصرف الى المثل . والتعبير الثاني يمكن أن يستند الى آخر الفقرة الآتية . - في غير هذا الموضع - على رأى فيلوبون في الكتاب الرابع من الطبيعة ، ولكن لم أجد في ذلك الكتاب الرابع هذا المعنى ، بل يوجد في الكتاب الاول منها شيء من هذا القبيل . ب . ٥ ف ١٢ ص ٤٦٠ من ترجمتنا - تغيراً من هذا القبيل - يعنى يمر من القوة الى الفصل ، من الامكان المحض الى الوجود الحقيقي . وفي الحق أن هذا يكون كوناً لا نمواً . فإن الشيء يولد لا انه نمو . - أولا - أضفت هذه الكلمة لتكميل الفكرة . - واقعية العظم - يعنى الذي يدفع عظم الشيء الى أبعد ما يمكن . ان يتبلغ من النظام الطبيعي للشيء . - أولى به أن يكون كوناً - تكرير لما قيل آنفاً .

§ ٨ - فالأفضل حينئذ أن نأخذ بهذا البحث من جديد كما لو كنا في البداية تماما وأن نبحث ثانيا عما يمكن أن تكون هي أسباب نمو الاشياء ونقصها بعد أن أثبتنا ماذا يعنى بنما أو نقص . ففى شيء ينمو يظهر إذا أن جميع الاجزاء بلا استثناء تنمو . كما انه فى النقص جميع اجزاء الشيء يظهر أنها تصير أكثر فأكثر صغيرة . وفوق ذلك فإن النمو يظهر أنه يحصل بأن شيئا ينضم الى الجسم والاضمحلال بأن شيئا يخرج منه . ولكن النمو لا يمكن أن يحصل بالضرورة الا بشيء مالا جسماني أو جسماني فإذا كان باللاجسماني فالجزء المشترك يكون قابلا للانفصال ومن المحال أن توجد مادة منفصلة عن كل عظم كما قيل آنفا . وإذا كان بشيء ما جسماني حصل النمو فينتج عنه أن هناك جسمين فى حيز واحد بعينه أى حيز الذى ينمو وحيز الذى يفعل النمو وذلك هو أيضا محال .

§ ٩ - بل لا يمكن أن يقال أن نمو الاشياء ونقصها يمكن حصولها بالطريقة عينها التى بها يأتى الهواء من الماثلثا مادامت حينئذ كتلة الهواء

§ ٨ - فالأفضل حينئذ - يظهر أن المناقشة كانت الى الآن من الجد بحيث لا محل لاعادتها بل يكفى الاستمرار فيها . - بعد أن أثبتنا ماذا يعنى - النص ليس عمل هذا القدر من الصراحة ولكن الترجمة التى أعطيها نستند الى شرح فيلوبون . - يظهر إذا - سبك العبارة يؤيد تفسير المفسر الاغريقى للفقرة السابقة . - الجزء المشترك - ر - ما سبق فى الفقرة السابقة وما سبيل فى الفقرة التاسعة . فإن الجزء المشترك لا يمكن هاتما أن يدل الا على الهيولى مجردة عن كل صورة ومشترك بالنتيجة لجميع الاجسام . وهذا تجريد محض . وفى هذا الموضع أيضا يوجد فى بعض النسخ الخطية تحريف فى حرف واحد فيقرأ « الحلو » بدلا من « الجزء المشترك » وقد عولت على هذه العبارة الأخيرة كما سبق . ويحاول فيلوبون أن يؤول العبارة ككلاهما مع أن الاصل الذى تحت نظره يظهر انه يوجد فيها لفظ « الحلو » لا « الجزء المشترك » . - كما قيل آنفا - فى الفقرة السابقة . وهذا التفصيل يظهر أنه يؤيد التعبير الذى اخترته - جسمين فى حيز واحد بعينه - مبدأ قرره ارسطو مرارا فى الطبيعة . وقد احتفظ به علم الطبيعة الجديد فى نظرية علم قبول الاجسام للمداخلة .

§ ٩ - التى بها يأتى الهواء من الماء - يعنى متى أخذ الماء لى سبب ما أن يتبخر ويتغير الى هوا . ر - الميتورولوجيا ك ١ ب ٩ ف ٢ ص ٥٥ من ترجمتنا . - كتلة الهواء - المشاهدة مضبوطة ولكن لا يظهر لم أن القنماء كان عندهم طريقة ما لتحقيقها . - لجسم جديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - لفنائه . - لأن الماء مفروض ضدا للهواء . - لهذا الذى هو مشترك هذا يؤيد ترجمتنا للجزء المشترك فى الفقرتين ٧ و ٨ . - هذا الجزء المشترك - زدت قليلا على عبارة النص ايضا كما لها . - فلا الماء لما - لانه فى الواقع قد باد لينقلب الى هوا . - يلزم أن يكون هناك جسم - وهو اذا « الجزء المشترك » أى الهيولى التى ليست مع ذلك جسما فعليا .

قد صارت أعظم مقدارا . اذا ليس في هذا مجرد نمو للماء بل هذا هو كون
 لجسم جديد فيه تغير الجسم الاول وهذا هو فساد لضمه . وليس ذلك
 نمواً لا لأحدهما ولا للآخر . ولكن اما أن ليس هذا نمواً لشيء واما انه
 نمو لهذا الذي هو مشترك بين الشيتين الذي كان والذي فسد على السواء
 وهذا الجزء المشترك هو جسم أيضاً . فلا الماء ولا الهواء نما فقط
 أحدهما باد وإنعلم في حين أن الآخر كان ويلزم أن يكون هناك جسم
 ما دام انه وجد نمو .

§ ١٠ - ولكن هناك أيضاً محال جديد لانه يلزم عقلاً حفظ الشروط
 الضرورية التي يلزمها لا يمكن ادراك الجسم الذي ينمو أو الذي ينقص
 وهي ثلاثة أحدها هو أن كل جزء ما يصير أكبر في عظم ينمو ، مثلاً اذا
 كان من اللحم فإن جزءاً ما من اللحم ينمو . والشرط الثاني هو أن النمو
 يحصل بانضمام ما إلى الجسم . وثالثاً وأخيراً يلزم أن الشيء ينمو وأن
 يبقى معاً ، وفي الواقع حينما شيء يكون أو يبيد مطلقاً فهو لا يبقى البتة .
 ولكن حين يعاني استحالة أو نمواً أو نقصاً فإن هذا الشيء مع أنه ينمو
 أو يستحيل يمكث ويبقى هو بعينه . فها هنا إنما هو كيف الشيء وحده
 هو الذي لا يبقى بعده هو هو . وهناك إنما هو العظم نفسه الذي لا يبقى
 هو بعينه . وحينئذ اذا كان النمو هو بحق ما قد زعم فإنه الشيء النامي
 يمكن اذا ان ينمو بدون أن شيئاً يأتي وينضم اليه وبدون أن هذا الشيء
 يبقى كما انه قد يمكن أن يفنى بدون أن شيئاً يخرج منه وبدون أن
 الشيء النامي يبقى . ولكن يلزم مطلقاً حفظ هذه الشروط مادام انه
 افترض أن النمو هو في الواقع كما قد ذكر .

§ ١١ - وقد يمكن أيضاً أن يسأل ما هو بالضبط هذا الذي ينمو ؟

§ ١٠ - محال جديد - أضفت هذه الكلمة الأخيرة ما دام أنه قد نيه آتفاً إلى
 محالات أخرى . - عقلاً - عبارة النص بالضبط هي : « بالمقل في نظر العقل » .
 - الشروط الضرورية - عبارة النص ليست بهذا الضبط تماماً . - الجسم الذي ينمو
 - عبارة النص أدخل في باب علم التمييز لانه يقول : « هذا الذي ينمو » - وهي
 ثلاثة - وهذه الثلاثة للشروط هي حقيقة جندا ولا يكاد يمكن اليوم أن يقال أحسن من
 هذا . - وإن يبقى - يعني أن ييسقى هو ما هو كما كان من قبل الا من حيث
 امتداداته فانها تكبر أو تصغر . - يكون أو يبيد - تلك هي حركة الكون والفساد
 اعني المرور من اللاوجود إلى الوجود أو من الوجود إلى اللاوجود . - يمكث ويبقى -
 ليس في النص الا كلمة واحدة - حفظ هذه الشروط - التكرير ليس في النص
 على هذا القدر من التمام .

§ ١١ - ما هو بالضبط هذا الذي ينمو - يظهر هاهنا أنه لا محل للشك وانه
 هو الجسم عينه الذي ينمو بمثله هذا الذي يأتي وينضم اليه . - في جسم انسان -

هل هو الجسم الذى اليه يأتى وينضم شيء ؟ مثلا متى فعل تنبب بعينه نمو الفخذ فى جسم انسان فهل الفخذ نفسه هو الذى يصير أصغر ؟ ولماذا هذا الذى يسمن الفخذ أعنى الغذاء لا ينمو هو أيضا ؟ وفى الواقع لماذا أن الاثنين لا ينموان معا ؟ لأن هذا الذى ينمو وهذا الذى ينسى يكونان أعظم كما هى الحال عند مزج الماء والتبديد فان كمية كليهما تصير أعظم على السواء . أليس يمكن أن يقال ان هذا يرجع الى ان الجوهر فى حالة يمكث ويبقى فى حين أنه فى الحالة الأخرى الجوهر ، وهو هاهنا ، جوهر الغذاء يبيد ؟ وما هنا أيضا إنما العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج كما هى الحال حين يقال على المزيج انه من التبديد لان المزيج كله يفعل فعل التبديد لا فعل الماء .

١٢ - والامر كذلك أيضا بالنسبة للاستحالة فإذا ، مثلا ، بقى اللحم ومكث دائما ما هو وإذا طرأ على اللحم كيف أصلى لم يكن من قبل

• اتلفت هذه الكلمات • - لا ينمو هو أيضا - قد يمكن : لا يعطى هذا الزمن القضية صورة الاستفهام فيقال : • فى حين ان هذا الذى يسمن الفخذ لا ينمو • - يكونان أعظم - الصلابة مبينة لان المزيج من الاثنين هو فى الحق اكبر من كليهما على حدة • ولكن كليهما على حدة لم يكبر الا ان يكون المقصود هو ذلك المعنى المتلوى فى المثال الآتى - كمية كليهما - هذا ليس صحيحا فان كمية التبديد وكمية الماء يتقيان كما كانتا • ولكن مزيجهما وتغيره هو الأعظم فاذا قيل انه يوجد من الماء أكثر أو من التبديد أكثر فليس ذلك الا تجاوزا فى اللفظ • - العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج - وهذا أيضا ليس من الصحة بئس كان اذ لا يقال للمزيج انه من الماء او من التبديد بل يقال انه ماء محبر

§ ١٢ - والامر كذلك أيضا بالنسبة للاستحالة - يعنى أن فى ظاهرة الاستحالة توجد أيضا الشروط بعينها كما فى ظاهرة النمو • - بالتبسيط قد استحال - هذا هو المعنى الحق للاستحالة • فان الكيف وحده قد تغير ولكن الجسم بقى هو بعينه • - فى جوهره الخاص الذى لم يستحل - هذه الجملة لا توجد فى بعض النسخ الخطية • وليست أيضا فى شرح فيلوبون • ولكن يظهر لى أنه يمكن قبول المعنى الذى أعطيه فى ترجمتى منه • - هذا الذى يحيل - أو بعبارة أخرى أكثر ضبطا «علة الاستحالة» • - شأنه كشأن مبدأ الحركة - الذى يفعل أن الشيء ينمو ويذبل • - فى الشيء النامي وفى الشيء المستحيل - هذا تطابق أيضا بين النمو وبين الاستحالة • - المبدأ المحرك - هنا للحركة وهناك للاستحالة • ولم يقبل الشراح الاغريق هذه النظرية بشأهما فعلى رأى فيلوبون أن الاسكندر الافروديزى كان ينازع فى أن مبدأ الاستحالة والنمو موجود دائما فى الجسم الذى يستحيل أو الذى ينمو • وهذا المبدأ هو غالبا فى الجسم المرئى الذى يجلب للأخر النمو أو الاستحالة • - يصير فيه هواء - هذا هو جزأ أكثر مما يلزم ولا يزال غامضا • وكان يلزم أن يزداد عليه أن الماء بصورته هواء مثلا يتمسك بها دام أنه صار أعظم فقد انقطع عما كان هو ما هو من قبل • - وهو يعانى هذا التغير - ليكون المعنى أبين من ذلك كان يلزم إيراد مثال خاص ما كان ليترك أقل شك • - والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد - فانه فى ذلك الجسم الذى يسبب التغير لئلى يتأنيه

فالحكم حيثئذ بالبساطة قد استحال ولكن أحيانا هذا الذى يحيل الشيء .
 أما أنه لا يعاني شيئا هو نفسه فى جوهره الخاص الذى لم يستحل وأما
 أحيانا أنه يستحيل هو أيضا . ولكن هذا الذى يحيل شأنه كشأن مبدأ
 الحركة هو فى الشيء النامى وفى الشيء المستحيل لأنه فىهما يوجد المبدأ
 المحرك . وقد يمكن أيضا أن هذا الذى يدخل فى الجسم يصير فيه أعظم
 كالجسم الذى يقبله ويستفيد منه سواء بسواء مثلا إذا كان العنصر الذى
 يدخل يصير فيه هواء . ولكنه وهو يعاني هذا التغير يفسد والمبدأ المحرك
 لا يكون فيه بعد .

§ ١٣ - بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات يلزم محاولة
 استكشاف حل هذه النظرية مع التسليم بالشروط الآتية دائما :

ان النمو ليس ممكنا الا بأن يمكث الجسم النامى ويبقى وانه لا شيء
 يمكنه أن ينمو بدون أن شيئا ينضم اليه ولا أن ينقص بدون أن شيئا
 يخرج منه . وانه فوق ذلك كل نقطة محسوسة حيثما اتفق من الجسم
 انماى . أو الناقص تصير أكبر أو اصغر . وأن الجسم ليس خلوا وان
 جسمين لا يمكن البتة أن يشغلا حيزا واحدا بعينه وأخيرا أن الجسم
 الذى يحصل فيه النمو لا يمكنه أن ينمو بالاجسمانى .

§ ١٤ - وسننصل الى الحل المطلوب بقبولنا بادىء بدء ان الاجسام

§ ١٣ - بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات - يرى فيلوبون أن ارسطو
 لم يبسط الى الآن الا الآراء العامة فى علل النمو والذبول وانه يشرع منذ الآن فى بسط
 منهجه الخاص . - استكشاف حل هذه النظرية على ما يفهمها ارسطو . - والشروط
 الآتية - ليست عبارة النص على هذا المقدار من الصراحة . ومع ذلك فان هذه الشروط
 قد سبق علما آنفا ف ١٠ . - محسوسة - يعنى مادية . وقد ألح فيلوبون فى أهمية
 هذه الكلمة التى بدونها على رايه لا يستقيم المعنى . - أن الجسم ليس خلوا - لا يظهر أن
 هاهنا روايات أخرى كما كان فيما سبق فى الفقرة السابقة . - أن جسمين لا يمكن
 البتة أن يشغلا حيزا واحدا بعينه ذلك ما نسميه الآن علم مداخله الاجسام . -
 بالاجسمانى - قد حافظت على عموم اللفظ الاغريقى وهو مفهوم .

§ ١٤ - الاجسام ذوات الأجزاء غير المتشابهة - يمثل لها الشراح الاغريقى بالوجه
 واليد ... الخ . التى تنمو بنمو اللحم والدم والعظم التى هى اجسام متشابهة الأجزاء
 لا انها تنمو بأن وجها او يدا تأتى فتضم اليها ر . ما يلى ف ١٥ ر لأن الاول
 ليست الا مركبة من الثانية - معلوم أن هذا هو منطبق أركسافوراس فى « متشابهات
 الأجزاء » ويمكن الاطلاع أيضا على أول « تلويح الحيوانات » . فان الاجسام المتجانسية
 الأجزاء هى التى فيها الأجزاء دائما هى بعينها والتى هى متشابهة للكل . على ذلك
 جزيئة من اللحم هى دائما دم . وجزء من العظم هو عظم دائما . ولكن جزء اليد ليس
 يدا وجزء الوجه ليس وجها . لذلك ترى لماذا ان هذه الاجسام مكونة من أجزاء غير
 متجانسية . - يعنى مزيج سيوضح فيما بعد فانه يمكن أن يعنى بها على السواء أن
 المادة هى التى تنمو او انها للصورة فقط . - نوعها وصورتها - ليس فى النص : لا =

ذوات الاجزاء غير المتشابهة يمكن أن تنمو لانه انما هي الاجسام ذوات الاجزاء المتشابهة هي التي تنمو لان الاولى ليست الا مركبة من الثانية ويلزم بعد هذا التنبيه الى انه متى ذكر اللحم والعظم واى جزء آخر مشابه لهما من الاجسام فذلك يمكن أن يؤخذ بمعنى مزدوج كما هي الحال بالنسبة لجميع الاشياء الاخرى التي لها نوعها ولها صورتها في المادة ، لان المادة والصورة هما مسميان على السواء لهما وعظما . فالقول بأن كل جزء كيفما اتفق من جسم ينمو وبأن عنصرا جديدا يأتى وينضم اليه فذلك بيان ممكن باعتبار الصورة ولكنسه ليس كذلك باعتبار المادة . ويجب أن يرى أن الحال هاهنا كالحال حينما يقاس الماء بمقياس يبقى هو بعينه فان الماء الذى يجيء بعد هو آخر ودائما آخر . كذلك بهذه المثابة تنمو مادة اللحم ولا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق . ولكن الجزء الفلانى يسيل والجزء الفلانى يتنضم . فليس يوجد ضم ولا يحصل الضم الا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل ومن النوع .

g ١٥ - ولكن بالنسبة للاجسام المركبة من اجزاء غير متشابهة مثلا بالنسبة لليد فمن الاشد وضوحا أن كلها ينمو بحالة متناسبة لانه في هذه الحالة ما دامت مادة النوع مختلفة فهي أسهل تميزا عما يكون بالنسبة للحم وبالنسبة للاجسام ذوات الاجزاء المتشابهة . من أجل ذلك حتى على ميت يظهر انه لا يزال يعرف اللحم والعظم بأكثر سهولة من أن يميز فيه اليد والزراع وحينئذ فمن وجه يمكن أن يقال ان كل جزء كيفما

= كلمة واحدة . - المادة والصورة هما مسميان على السواء - يظهر ان المادة اول بهذه التسمية من الصورة . - باعتبار الصورة - في الحق أن الصورة النوعية تبقى ولكن يلزم ايضا ان المادة تنمو . - باعتبار المادة - هذا يظهر عليه اثر الدقة أكثر من أثر الصحة . - بمقياس يبقى هو بعينه - فان الماء الذى يس على التعاقب من هذا المقياس يمكن أن يختلف ولكن صورة المقياس لا تختلف وهذا حق ولكن المثل لم يوجد حسر . اختياره لان المقياس لا يمكن أن ينمو القول وأرد بصدد ايضاح النمو . - الماء الذى يجيء - عبادة النص « الذى يجيء » فقط . فأردت تحرير الفكرة برفع بعض الشيء من عموم العبارة . - تنمو مادة اللحم - يظهر أن هذا يناقض ما أثبت سابقا وهو أن النمو لا يقع الا باعتبار الصورة لا باعتبار المادة . - لا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق - على رغم ما يعتقد العامة . - الجزء الفلانى يسيل - والواقع ان الاجسام المهيئة هي في سيلان دائم للجزيئات التي تلتقي منها وللعناصر الجديدة التي تقبلها بلا انقطاع . - لا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل - وضعت لفظ « شكل » لا لفظ « صورة » لان تعبير النص مختلف ايضا .

g ١٥ - المركبة من اجزاء غير متشابهة - الخن المعطى في النص كاف في البيان فان اليد لا تتركب من ايد كما يتركب الدم من الجزيئات النوعية . - بحالة متناسبة - هذا ليس من الضبط على الغاية . - مادة النوع - أو مادة « الصورة » - مادة اليد =

اتفق من اللحم ينمو ومن وجه آخر لا يمكن أن يقال إن كل جزء ينمو .
 فيحسب الصورة قد انضمت شيء ما لكل جزء كيفما اتفق ولكن لا بحسب
 المادة . ومع ذلك فإن الكل صار أعظم لأن شيئاً جاء وانضم إليه . وهذا
 الشيء يسمى الغذاء ويسمى أيضا الضد . ولكن هذا الشيء لا يزيد على أن
 يتغير في النوع بعينه كمثل ما يأتي الرطب ينضم إلى اليابس وبانضمامه
 إليه يتغير بأنما يصير هو نفسه يابسا . وفي الواقع يمكن معا أن الشبيه
 ينمو بالشبيه وبجهة أخرى أن يكون ذلك باللاشبيه .

§ ١٦ - وقد يمكن أيضا أن يتساءل عما هو بالضبط ذلك الشيء .

- متضاعفة التركيب . جلد أوتار ودم وعظم وبرية عضلات الخ - فهي أسهل تمييزا
 - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - اليد والذراع - (عبارة مشابهة لهذه
 في كتاب النفس ك ٢ ب ١ ف ٩ ص ١٧٦ من ترجمتنا) لأن اليد والذراع هما عضوا
 فعل فحتى تطلعا عن العمل فكانهما غير موجودين . - ولكن لا بحسب المادة - بنفس
 السبب الذي ذكر فيما سبق في آخر الفقرة ١٤ . - الكل - مركب مما من صورة
 ومادة . - الضد - هذا التعبير ليس واضحا جدا . - والأولى أن تنمو الاجسام بالمشابهة
 كما سيحيى . - يأتي الرطب ينضم إلى اليابس - مثال ذلك أن يسقط الماء على سطح
 جاف ويتبخر عليه . - أن الشبيه ينمو بالشبيه - تكاد هذه أن تكون قاعدة في الفلسفة
 القديمة . ولكن هذا العموم مبهم قليلا . ومع أن الاجسام في الحق تنمو يتمثل العناصر
 الجديدة فإن هذا الإيضاح ليس كافيا لتعريف ظاهرة النمو المعقدة .

§ ١٦ - الشيء - تعبير النص هو أيضا أقل تعيينا من ذلك . وإن ما ينسب
 الجسم يجب أن يكون له صفة خاصة بها يمكن أن يتمثل في الجسم وينقلب إلى جوهره .
 - هذا العنصر الجديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - الجسم بالقوة -
 يعني بعبارة أخرى أنه يمكن أن يصير الجسم يتمثل فيه . - إذا كان اللحم هو الذي
 ينسب - كالأغذية التي نأكلها فتتحول إلى دم ولم لتكوين حياتنا وانما جسمنا . -
 بالفعل وبالكمال - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - أن يفسد - أو « يفسد » .
 كذلك الحيز الذي نطعمه هو بالقوة دم ولم . ولكنه في حقيقته الخاصة لم يكن يصعد
 أحدهما ولا الآخر - يحصل كون - أو « تولد » - في ذلك الشيء - فإنه هي عبارة
 الأصل بنصها ويظهر أن فيها مبالغة لأنه لا يمكن أن يقال أن اللحم هو في الحيز ولو
 أن الحيز بعملية الهضم يتغير جوهريا ويصير دما . ومع ذلك زدت كلمة « بالضبط » .
 - بهذا العنصر الجديد - عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . - أعاني
 اختلاطا - اضطررت هنا إلى أن أزيد النص بيانا . - يمكن أن يبقى نبيذا - ذلك
 ممكن في الواقع إذا كانت كمية الماء المصبوب قليلة بحيث لا تغير طبيعة المزيج تقريبا
 محسوسا . - أم - كلمة النص « و » . - كما أن النار تحرق - المقارنة غاية في
 الصحة على أكثر ما كان يعتقد أرسطو . إن الفسيولوجيا في أيامنا هذه قد وجدت في
 تمثيل الأغذية نوعا من الاحتراق فإن القوى الحيوية هي نوع من النار يحول الأغذية التي
 تدخل في أجسامنا . - بالفعل وبالكمال - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - الجوهر
 الباطن الذي له قوة الانماء - عبارة النص مبهمة جدا وقد اضطررت إلى زيادة ضبطها
 في الترجمة - بالفعل وبالكمال - هنا أيضا ليس في النص إلا كلمة واحدة =

الذى يتحدثون نمو . واضح أن هذا العنصر الجديد يجب أن يكون الجسم بالقوة . مثلا إذا كانت اللحم هو الذى ينمى يجب أن يكون لها بالقوة مع أنه بالفعل وبالكمال شيء آخر . وهذا الشيء الآخر يجب أن يفسد ليصير لحما . على ذلك حينئذ ليس هو فى ذاته ما يصير إليه . لأنه إذا يفضل كون لا مجرد نمو . ولكن الشيء الذى ينمو هو بالضبط فى ذلك الشيء فماذا لقي الجسم بهذا العنصر الجديد حتى أنه نما هكذا ؟ اعانى اختلاطا كما يصب الماء فى النبيذ بحيث أن المزيج كله يمكن أن يبقى نبيذا ؟ أم كما أنه النار تحرق متى تلامس شيئا قابلا للاحتراق ، كذلك الأمر فى الجسم الذى ينمو والذى هو لحم بالفعل وبالكمال ، الجوهر الباطن الذى له قوة الأبناء هل يفعل لحما حقيقيا بالفعل وبالكمال من اللحم بالقوة الذى اقترب منه ؟ يلزم إذا أن يكون هذا العنصر الجديد مع الآخر ومقترنا به فى الوجود لأنه لو كان منعزلا لحصل كون حقيقى . وعلى هذا النحو يمكن إيجاد نار من النار الموجودة من قبل بالقاء الحشب فوقها . وهذا بهذه الطريقة ليس إلا نموا فى حين أنه متى كان الحشب نفسه يحترق فهما هنا كون حقيقى .

§ ١٧ - لكن الكم مأخوذا على معناه الكلى لا يكون هاهنا إلا كما قد يمكن أن يكون الحيوان الذى لا هو إنسان ولا أى حيوان خاص . وبالفعل الحال هاهنا بالنسبة إلى الكم كالحال هنالك بالنسبة إلى الكلى . فحينئذ اللحم والعظم أو اليد أو الأعصاب والأجزاء المتشابهة من هذه الأعضاء

= هذا العنصر الجديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - مع الآخر ومقترنا به - قد زدت على الأصل بل فصلت الجملة لأن النص هنا غاية فى الإيجاز . ولكنى لا أرى المعنى جليا تماما . فإن « المسح والاقتران » قد يفهم بحسب المكان بل وبحسب الجوهر . وعلى هذا المعنى الأخير يكون مجرد تمثل - كون حقيقى - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - من النار الموجودة من قبل . - ليس النص على هذا القدر من التوسع . - متى كان الحشب نفسه يحترق - ليس التعبير واضحا قدر الكفاية لأن الحشب لا يحترق بنفسه بل يلزم دائما تقريبه من النار . - فما هنا كون حقيقى - زدت أيضا هذه الكلمة الأخيرة . - فإن هذا الكون إنما هو كون ظاهرة جديدة .

§ ١٨ - مأخوذا على معناه الكلى - عبارة النص أقل تحميना . ومن الصعب جدا تحصيل ذلك الفرق الدقيق ويمكن ترجمته أيضا هكذا : ولكن ليس الكلى هو الذى يصير هنا كمية من الحيوان - على طريق العموم لا الخصوص . - فإن الحيوان بوصف أنه مفهوم كلى لا يوجد ولكن الذى يوجد هو هذا الحيوان الفلانى الخاص أو ذلك الذى فيه يتحقق المعنى الكلى للحيوان . - إلى الكم - بالمعنى الكلى . - إلى الكلى - يعنى « المثال » . - فإن الكم مفهوما على المعنى لكلى لا يوجد إلا كما يوجد الحيوان بالمعنى المجرد . - الأجزاء للثبات - أى الأجزاء المنعزلة التى لا تفرق بعضها عن بعض والتى هى جميعا متشابهة . - كمية ما من مادة - كل هذه التمايزات يمكن أن تظهر دقيقة بل غاية فى الدقة ولكنها صحيحة والطواهر نفسها من الدقة بحيث يلزم ألا يدهش من صعوبة وصفها وتقريرها - كمية مقدرة - أضفت هذه =

تنمو لأنه كمية ما من مادة تأتي فتنضم إليها بلا شك ولكن بدون أن تكون هذه المادة كمية مقدرة من لحم . فمن جهة أن العنصر الجديد هو الواحد والآخر بالقوة ومثلا كمية معينة من لحم بهذا المعنى فهذا العنصر على هذا الوجه ينمى الجسم لأنه يلزم أن يصير من اللحم ، ومن اللحم بكمية معينة . ولكن فقط من جهة أن العنصر المضاف هو من اللحم أنه يمكنه تغذية الجسم . وبذلك كان الغذاء والنمو يختلفان أحدهما عن الآخر عقلا . من أجل ذلك أيضا الجسم هو مغذى كل الزمن الذي يعيشه ويمكنه بل الزمن الذي يقناه ولكنه لا ينمو بلا انقطاع . في الحق أن التغذية هي مماثلة للنمو وتشبه به ولكن كونهما مختلف . على ذلك حيث أنه بما أن العنصر الذي يأتي فينضم هو بالقوة فكمية ما من اللحم يمكنها أن تنمى اللحم . ولكن فقط من جهة أنه لحم بالقوة يمكنه أن يكون غذاء .

§ ١٨ - وهذه الصورة أو هذا النوع بلا مادة هي في المادة كقوة لا مادية . ولكن إذا تجيء فتنضم إلى الجسم مادة ما هي لا مادية بالقوة

= الكلمة الأخيرة لبيان الفكرة . ويتطبيق هذا على الأغذية التي تختفى بها نجد في الحق أن الحيز هو كمية تأتي فتضاف إلى الحما . ولكن في الحق أيضا أنه لم يكن بعد من اللحم تماما العنصر الجديد . ليس النص على هذا القدر من الضبط . الواحد والآخر بالقوة - ينمى أخذا بشرح فيلوبون ، من اللحم بالقوة بطريقة عامة وأيضا كمية ما من اللحم بالقوة أيضا أو بصارة أخرى يلزم أن العنصر الجديد يمكن أن يصير مما لحما وكمية ما من اللحم بانضمامها إلى الجسم يمكنها أن تعطيه النمو الذي يأخذه . العنصر المضاف - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . يمكنه تغذية الجسم - عبارة النص هي «أنه ينمى» - عقلا أو ربما «يحددهما» - الذي يقناه - ويمكن ترجمته أيضا هكذا : «بل إلى أن يقسه» - في الحق - أضفت هاتين الكلمتين . ولكن كونهما مختلف - تمييز معروف وغالب الاستعمال في منهج أرسطو . على ذلك حيث أنه - تلخيص للنظرية السابقة التي يظهر أنها دقيقة جدا وصحيحة جدا مما .

§ ١٨ - هذه الفقرة كلها غامضة جد الغموض . ومن المحتمل أن النص فيها محرف فيما يظهر . على أنه وارد في النسخة التي شرحها فيلوبون فيما يظهر على ما هي عندنا اليوم وأنه لم يجد فيها صعوبة ما غير أن شرحه لم يأتنا ببيان خاص يجلو غوامضها . بلا مادة ... في المادة ... لا مادية . كل هذه التكاثرات موجودة في الأصل . - الكم ... هذه النقط التي وضممتها هنا تقليدا لبعض النashرين من شأنها أن تدل على احتمال وجود بياض في الأصل ولكن الواقع أنه ليس لدينا إلا مجرد ظن لم يبق عليه دليل ما . فهذه الاجسام اللامادية - في النص استتم إشارة لجمع مذكر يظهر أنه لا يتعلق بشئ مذكور ويشير في النفس الظن بوجود النقص الذي أشرت إليه . وقد افترض مفسر جامعة كويمبر وجود رواية أخرى تنص على علامة على حرف متحرك . ولكن هذه الرواية الأخرى لا تكاد تجلو غموض النص . فقل رأيهم أن القصدا هنا هو التمثيل بالزمار حيث يمكن تمييز الصورة زيادة على المادة كما في كل آلة أخرى . وهذه الفرض لا يمزق حجاب الظلام عن هذه الجملة ويجب تركها كما هي مع الاعتراف بأنه لا يمكن توضيحها . -

مع أن لها أيضا بالقوة الكم . . . ، فهذه الاجسام اللامادية ستكون اذا
 أعظم . ولكن اذا كانت هذه المادة المضافة تصل الى حد ألا تستطيع أن
 تكون شيئا واذا كان الماء كذلك بامتزاجه أكثر فأكثر بالنبيذ يصل الى أن
 يصيره أكثر فأكثر مائيا وإلى أن يخلطه أخيرا تماما الى ماء فحينئذ يمكنه
 أن يجر الى فساد الكمية ولكن الصورة والنوع يبقيان كما كانا .

= هذه المادة المضافة - عبارة النص - غاية في عدم التحين وقد ظننت أن من الواجب أن
 تكون أكثر تحيينا وضبطا في الترجمة . - تكون شيئا - هاهنا حافظت على عبارة النص في
 كل عمومها لأنى خفت أن أحرقها اذا حاولت أن أجعلها أقل عموما . - فان لا تكون شيئا
 تفيد من غير شك ان المادة المضافة لن يمكنها ان تتمثل في جوهر الجسم الذي تضاف اليه
 - فساد الكمية - يظهر ان الاول ان يقال «فساد الكيفية» ولكن ليس هنا رواية اخرى .
 الصورة والنوع - ليس في النص الا كلمة واحدة . - يبقيان كما كانا - يظهر على ضوء
 ذلك تبعا لنفس المثل الذي اوردته المصنف ان الصورة والنوع يبقيان ما دام النبيذ يخلط
 عنانيا الى ماء باضافة السائل الذي صب فيه .

الباب السادس

الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض - في اختلاطها - رأى ديوجين الابلوني -
لأجل ادراك أن العناصر تفعل أو تنفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتماسهها -
الاعتنى المختلفة لهذه الكلمة - الفرق بين الحركة والفعل - الحرك غير المتحرك لا حاجة به
فروقة الى مس الشيء السلى يحركه - الشيء المتحرك يمكن الا يمس شيئا هو ايضا في
توحيته - آخر نظرية التماس .

§ ١ - لما انه يلزم عند دراسة المادة وبالنسبة للعناصر أن يقال باديء
بيده ما اذا هى تكون أو لا تكون واذا كان كل واحد منها أزليا أو اذا كانت
مخلوقة بأى وجه ما . ومع أنها مخلوقة اذا كان يمكنها كلها أن تتكاون
بطريقة واحدة أو اذا كان أحدها هو أسبق من الآخر فينتج من ذلك أن من
الضرورى أن تعين جيذا بادئ الامر الاشياء التى لم يتكلم عنها حتى هذه
الساعة الا بطريقة جد مبهمه وغير كافية جدا .

§ ٢ - وفي الحق كل أولئك الذين يقبلون الخلق للعناصر أنفسهمها
كما يقبلونه بالنسبة للمركبات التى تنتج عنها يقتضرون فى ايضاح كل
شيء على الاجتماع والافتراق وعلى الانفعالية وعلى الفعل . ولكن الاجتماع
ليس الا اختلاطا ولم يحد لنا جليسا ما يجب علينا أن نعنى باختلاط
الاجسام . ومن جهة أخرى ليس من الممكن كذلك أن تحصل استحالة
ولا افتراق أو اجتماع بدون موضوع يفعل وينفعل . لان أولئك الذين
يقبلون تعدد العناصر يجعلونها تولد من الفعل والانفعال المتكافئين بين
العناصر بعضها والبعض الآخر .

§ ١ - لما انه يلزم - قد حافظت على اسلوب الجملة فى النص الاغريقى كما هى مع
انها طويلة فى الترجمة فيما يظهر . - اذا كانت مخلوقة - او «تكون» . - التولم يتكلم
عنها - يحتمل ان يكون المقصود بهذه العبارة فلاسفتين اسلافهوان ارسطو لم يقصد الكلام
عن نظرياته الخاصة - جد مبهمه وغير كافية جدا - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

§ ٢ - يقبلون الخلق - عبارة النص هى « الذين يخلقون » الذين يولدون ، الذين
يكونون .

يقتضرون فى ايضاح كل شيء - ليس النص صريحا بهذا القدر . - على الانفعالية - لكلا
أقول «الانفعال» - ليس الا اختلاطا - ربما لا يكون المعنى محكما . - لم يحد لنا جليسا - عبارة
النص اشد ابهاما قليلا . - بدون موضوع يفعل وينفعل - هذا الموضوع هو ذلك الذى هو
غير أن ينقطع كونه يمكنه على التلقين أن يقبل الاضداد كما سيجي بيانه فى الفقرة الثالثة .

§ ٣ - ومع ذلك يلزم دائما الوصول الى القول بأن كل فعل يأتي من مبدأ واحد أحد . فانظر كيف أن ديوجين كان عنده الحق اذ يقرر انه اذا كانت كل العناصر لم تكن تأتي من واحد فلا يمكنها أن يكون بينها لافعل ولا قابلية للفعل على طريق التكافؤ وان الحار مثلا قد لا يمكن أن يبرد ولا البارد أن يسخن من جديد . وكان يقول ليست الحرارة ولا البرودة هي التي تتغير احدها في الاخرى بل من البين بذاته أن الموضوع هو الذي يعاني التغير . وبالنتيجة كان يستنتج ديوجين أن في الاجسام التي فيها يمكن وجود فعل وانفعال يلزم بالضرورة أن يكون لها طبيعة واحدة هي موضوع لهاتين الظاهرتين . ولا شك في أن تقرير أن جميع الاشياء هي في هذه الحالة قد لا يكون تقريراً صحيحاً فان هذا لا يلاحظ في الواقع الا في الاجسام التابعة بعضها لبعض .

§ ٤ - لكن اذا أريد استيضاح الفعل والانفعال والاختلاط بجلاء لزم بالضرورة أيضا دراسة ماهو التماس بين الاشياء . ان الاشياء لا يمكنها حقيقة الفعل والانفعال احدها بالآخر حين لا يمكنها التماس على التبادل . واذا لم تكن قد تلامست سابقا بأي وجه ما فلا يمكنها أبدا أن تختلط احدها بالآخر . فيلزم اذا اولا حد هذه الظواهر الثلاث التماس والاختلاط والفعل .

§ ٥ - فلنصدر عن هذا المبدأ : وهو أنه بالنسبة لجميع الاشياء

§ ٣ - كل فعل - عبارة النص غير محددة ولكن اضطررت كما فعل المصنف الى أن اكرر الكلمة عينها التي استعملت آنفا . - ديوجين - على تقدير الابلوني . - كل العناصر لم تكن تأتي من واحد - عبارة النص تستخدم بالبساطة ضمير جمع فالترجمة زيادة البيان في الترجمة . - لا فعل ولا قابلية للفعل - يعني فعل بعضها في بعض بالتكافؤ هذه . - تحتمل الفعل التي تفعله تلك . - وكان يقول - أضفت هذه الكلمات لأن أسلوبه النص يسمح بإضافتها . - الموضوع - يعني الجسم بعينه الذي يكون بالتناوب باردا أو حارا والذئبع بقاءه يمكن أن تتغير حاله وكيفية وجوده . - كان يستنتج ديوجين - أضفت هذه الكلمات للسبب السابق . - موضوع لهاتين الظاهرتين - ليس النص على هذا التوسيع . - التابعة بعضها لبعض - بمعنى أنها يمكنها أن يفعل بعضها في بعض . وربما أمكن ترجمة العبارة هكذا : « في الاشياء التي يوجد فيها تكافؤ بين بعضها والبعض الآخر » .

§ ٤ - يجلب أضفت الكلمة المفهومة بالسهولة من السياق والتي تهم الفكرة . - بين الاشياء . - أضفت هاتين الكلمتين .
- هذه الظواهر الثلاث - قد يمكن ترجمتها هكذا : « هذه الكلمات الثلاث » فان عبارة النص غير محددة تماما .

§ ٥ - بالمعنى الخاص - معنى هذا في شرح فيلوپون أن المقصود هنا هو التماس المادى المحض وقد يقال ان نسيمة تفسد الذي وجهت اليه ولكن هذا المساس هو معنى مضى =

التي فيها الاختلاط يلزم مطلقا انها يمكنها أن تتلامس بينها • وإذا كان الواحد يفعل والآخر ينفع بالمعنى الخاص فيلزم أيضا أن يكون هذا التماس ممكنا • هذا هو سببنا في الكلام بادية بدء على التماس •

§ ٦ - لكن كما أن أكثر الكلمات الأخرى هي مأخوذة على عدة معان تارة بطريق التواطؤ وتارة بالاشتقاق من كلمات أخرى سابقة عليها كذلك يقع هذا التنوع في الإطلاق اللفظي بالنسبة للفظ التماس • ومع ذلك فإن التماس بالمعنى الخاص لا يمكن أن ينطبق إلا على الأشياء التي لها وضع ولا وضع إلا للأشياء التي لها مكان لانه يلزم أن يعني بالتماس وبالمكان كما يعني الرياضيون سواء آكانا أى المكان والتماس منفصلين عن الأشياء أم كانا يوجدان بأى وجه ما • وحينئذ إذا كان كما بين سابقا أن تماس هو أن تجتمع النهايات فيمكن أن يقال أن هذه الأشياء تتلامس على التي ، وهي ذات أعظام وأوضاع معينة ، نهاياتها مجتمعة معا •

§ ٧ - ولكن لما كان الوضع خاصا بالأشياء التي لها أيضا أين وكان انفصل الاول للآين هو الفوق والتحت مع المقابلات الأخرى من هذا القبيل ، ينتج منه أن جميع الأشياء التي تتلامس يجب أن يكون لها ثقل أو خفة

= وليس هذا هو المعنى الذي يقصده ارسطو من التماس ، أو التماس اذ يطبقه على الأشياء • ما سيحيى ف ١٠ - أن يكون هذا التماس ممكنا - عبارة النص بالبساطة هي : هو التماسية لهذه الأشياء يلزم ان يكون الامر كذلك « فاثرت زيادة البيان »

§ ٦ - تارة بطريق : التواطؤ - ر • اول المقولات ب ١ ص ٥٢ من ترجمتى • - بالاشتقاق هذا هو ما يسمى بالمشقة استمادها • ر • المقولات ب ١ ص ٥٤ • - سابقة عليها - يعني أبسط وأعم وقد يمكن حمل هذا المعنى على مجرد التقدم بالزمان • فان أصل الكلمة متقدم على المشتق الذي يخرج منه • - هذا التنوع في الإطلاق اللفظي - ليس الاصل صريحا هكذا كما يعنى الرياضيون - كان حق هذا ان يوضح وكان يلزم ان يقال بالضبط كيف يفهم : لرياضيون التماس والمكان • - المكان والتماس - أضفت هاتين الكلمتين ليكون البيان احرى آكانا منفصلين عن الأشياء - يرى فيلوبيون أن هنا كان منعب فيثاغورث الذي اتخذه افلاطون منعبا له اذا صدقت : لانتقادات التي وجهها ارسطو الى نظرية المثل • - أم كانا يوجدان بأى وجه ما - مثلا في الأشياء التي لا تكون منفصلة عنها جوهريا • - كما بين سابقة • - الطبيعة ك ٥ هـ ف ١٤ و ١٥ ص ٣٠٤ و ٣٠٥ من ترجمتنا • - أن تجتمع النهايات - عبارة النص هي : معناه وهذه الكلمة تطلق على الاجتماع في المكان كما تطلق عليه في الزمان • - نهاياتها مجتمعة معا - الشأن في هذه الجملة كما هو في التنبيه السابق •

§ ٧ - الفصل الاول - يعنى الفصل الاظهر والذي يقرع الحواس بادية الامر • ر • الطبيعة ك ٣ ب ٧ ص ١١٤ من ترجمتنا • - مع المقابلات الأخرى من هذا القبيل - يعنى البمين واليسان والامام والخلف الخ • - ينتج منه - هذه النتيجة ليست حتمية فيما يظهر • ولكن في نظريات ارسطو لما أن الحركة الى الفوق تستلحق الحفة والحركة الى التحت تستلحق الثقل فالجسم لا يمكن ان يكون له مكان الا اذا كان ثقيلًا أو خفيفًا • - او هاتان الخاصتان •

أو هاتان الخاصتان معا أو على الأقل إحدى الاثنتين . وهذه الاشياء من هذا النوع إنما هي القابلة للفعل وللانفعال فبين إذا بذاته أنه يجب لاستنتاج أن تلك الاشياء تتلامس بالطبع وانها بما هي أعظم من منفصلة ومتمايزة فنهاياتها واقعة طرفا لطرف ويمكنها أحدهما أن يحرك والاخر أن يتحرك على التكافؤ أحدهما بالآخر . ولكن لما أن المحرك لا يحرك بالطريقة عينها التي بها الشيء المحرك يحرك في دوره وإن هذا الأخير لا يمكن أن يحرك إلا بما هو واقع في الحركة هو نفسه في حين أن الآخر يمكنه أن يحرك مع بقائه هو نفسه غير متحرك فحين البين انه يمكننا تطبيق هذه التمايزات عينها على الجسم الذي يفعل لأنه حتى في اللغة العامة يقال أيضا على السواء أن الذي يحرك يفعل وأن الذي يفعل يحرك .

§ ٨ - ومع ذلك يوجد هنا فصل ما فينبغي التمييز : ذلك أن كل ما يحرك لا يمكنه دائما أن يفعل كما سنرى بالمقابلة بين ما يفعل وبين

= ما - هذا غير مفهوم الا على طريق المقارنة ، فان جنسا هو ثقيل بالنسبة لجسم معين وتخفيف بالنسبة لآخر . - إحدى الاثنتين - على هذا في نظريات ارسطو ان الارض ليس لها الا الثقل ولنار ليس لها الا الخفة . وأما الهواء والماء فلهما في آن واحد الخفت والثقل فبما تقارنتهما بهذين العنصرين الآخرين اللذين هما طرفان . - طرفا لطرف - عبارة النص هي معناه كما سبق . - أحدهما ان يحرك والاخر ان يتحرك - عبارة النص على هذا الایجاز وليست أكثر وضوحا . - مع بقائه هو نفسه غير متحرك - ر . كل نظرية المحرك الاول غير المتحرك في الطبيعة ٨ب و ٨ص ٥٠٧ وما بعدها من ترجمتنا ر . أيضا ما بعد الطبيعة ٨٧ب و ٢٠٣ ترجمة كوزان . - هذه التمايزات عينها على الجسم الذي يفعل - ليس النص صريحا بهذا القدر . - وإن الذي يفعل يحرك - هذا الخلط بين الفعل وبين الحركة لا يفهم جد الفهم الا اذا انحوت أنواع الحركة الثلاثة التي قررهما ارسطو وهي الثقل والاستحالة والنمو . وبين انه يوجد فعل في الثلاثة جميعا . ومع ذلك فان ارسطو في الفقرة التالية قد هين فرقا بين فعل وبين حرك .

§ ٨ - التمييز - وأيضا « أن يكون الحد مع التمييز » هذا هو معنى التعبير الاغريقي في قوله : بالمقابلة - نلتقي هاتين ليس واضحا جليا . وماهنا أكثر تفصيلا وريانا : الفعل والتحريك ليسا جديين متساويين ومتكافئين فيلزم تمييزهما . ولاجل ان يفهم جيدا الفصل الذي فصلهما يلزم مقارنة جديين آخرين : الفعل والانفعال . كما سنرى . . . فان جسيما لا ينقل - عبارة النص غير محددة فلزم أن تكون الترجمة أكثر ضيقا . - تأثيرا أو شهوة - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - مجرد استحالة - يعنى بدون أن يكون هناك ثقل ولا خفة في المظم بالزيادة أو بالنقص . - في حالة ما يصير حارا - النص اقل صراحة . فان الجسم يكون في مجرد استحالة متى صار حارا بعد ان كان باردا أو أبيض بعد ان كان أسود . - له من السعة أكثر - فان الحركة يمكن أن تكون بالثقل أو الاستحالة أو النمو وأما الفعل فلا ينطبق الا على الاستحالة وحدها . - وثبينة من البين - هذه النتيجة ليست من البين على ما يظن المؤلف فيما يظهر ولا تنتج بوضوح مما تقدم

ما يفعل فإن جسما لا يفعل الا فى الاحوال التى فيها تكون الحركة
تأثرا أو شهوة . ولا توجد شهوة الا فى حالة ما يكون بالجسم مجرد
استحالة ، مثلا فى حالة ما يصير حارا أو يصير أبيض . ولكن معنى
التحريك له من البسطة أكثر مما لمعنى الفعل . وحينئذ من البين أن
المحركات أحيانا يجب أن تلامس الاشياء التى تحركها وأحيانا لا تلامسها .

§ ٩ - حد التماس مأخوذاً على أعم معناه ينطبق على الاجسام التى
لها وضع بما أن أحد الجسمين فى التماس يمكن أن يحرك وبما أن الآخر
يمكن أن يتحرك وبما أن المحرك والمتحرك ليس بينهما نسبة الا نسبية
الفعل والانفعال .

§ ١٠ - فى الاحوال الأكثر عادية الشئ الذى لمس يلمس الشئ
الذى لمسه لان كل الاشياء تقريبا التى يمكننا مشاهدتها هى واقعة فى
الحركة قبل أن تحرك أيضا فى دورها . وفى كل الاحوال يظهر أن هناك
ضرورة الى أن الشئ الذى لمس يلمس الشئ الذى يلمسه . ولكننا نقول
انه قد يجوز أحيانا أيضا أن المحرك وحده يلمس الشئ الذى يعطيه

§ ٩ - مأخوذاً على اعم معناه - وفى الوقت عينه على معناه الخاص - ينطبق على
الاجسام التى لها وضع - وما سبق فـ - أحد الجسمين فى التماس - النص ليس
صريحا هكذا - الانسبة الفعل والانفعال - عبارة النص هى : فى الاشياء التى بينها فعل
وانفعال .

§ ١٠ فى الاحوال الأكثر عادية - يظهر ان كل هذه الفقرة استطراد لا يتصل لزوما
بما تقدم . - التى يمكننا مشاهدتها - او التى امامنا - قبل أن تحرك أيضا فى دورها -
ليس : النص صريحا هكذا ولكن المعنى لا ريب فيه . - لا يلمس الآخر هذا ممكن معنويا
كما يشته نكثل الوارد فى آخر الفقرة ولكن من الجهة المادية يتلامس الشيئان بالتبادل .
ومن المحال ان شيئا يلمس آخر من غير ان يلمسه هذا الآخر . وان الفعل قد يأتى من
جهة واحدة دون ان يقابل بمثله ولكن التماس كما يدل عليه لفظه هو دائما متكافئ . وان
مثل المحرك غير المتحرك ليس قاطعا لان اتصال الحركة يمكن ان يقع على مسافة ومن غير
تماس حقيقى الاجسام المتجانسة - هذا التعبير مبهم قليلا . وقد فسره فيلوبون بأن فهم
أن المقصود هو الاجسام المركبة من مادة واحدة بينهما لانها بذلك تستطيع أن ترد الفعل
الذى تقبله . ما سنأتى فى الباب السابع فـ - فيما يظهر - ربما كان الواجب ان
يكون التعبير أكثر تأكيداً . - فيلزم ان يمس - ان نظرية المحرك غير المتحرك قد بسطت
باسهوب فى الطبيعة كـ وفى ما بعد الطبيعة كـ ١٢ بـ ٨ . فان المحرك غير المتحرك يعنى : قد
ينقل الحركة التى يخلقها بطريقة مقابلة لما تنتقل به الحركة للاشياء التى تتركها مشاهدتنا
فى هذه الدنيا وليس من المحتمل بهذا المعنى أن الله يمس الكائنات كما تلامس الكائنات بعضها
بعضاً . - يمسنا - هذا التعبير الذى اضطرت الى أن استعمله لا يظهر أنه مناسب تماما
فى لغتنا وإن كان أكثر مناسبة فى اللغة الاغريقية . ولكنه ليس الا على طريق المجاز فان
هذا المس المعنوى لا دخل له فى التماس المادى الذى هو موضوع البحث فى هذا الباب كله .

الحركة ، وان الشيء الملموس لا يلمس الاخر الذى يلمسه . ولما أن الاجسام المتجانسة لا تحرك الا متى حركت هى أنفسها فيلزم فيما يظهر أن جسما ملموسا يلمس هو أيضا . وبالنتيجة اذا كان محرك ما ، مع كونه هو نفسه غير متحرك ، يؤتى الحركة ، فيلزم أن يمس الشيء الذى يحركه دورًا أن يمس هو نفسه شيء . وعلى ذلك فى الواقع نقول أحيانا على الشخص الذى يؤذينا أنه يمسنا من غير أن نمسه نحن أنفسنا .

§ ١١ - ذلك ما كنا نبغى أن نقول على التماس معتبرا فى الاشياء الطبيعية .

§ ١١ - ذلك ما كنا نبغى أن نقول - يمكن تقريب هذه النظرية كلها بالنظريات التى ذكرت ولكن باختصار فى الطبيعة فهـ بـ ف١٣ و١٢٦ ا٢ فان المنهج فى الموضعين واحد . - فى الاشياء الطبيعية - لافى الاشياء المجردة والرياضية .

الباب السابع

نظرية الفعل والانفعال - آراء الفلاسفة - ديمقريطس هو الذى أجابهم على الموضوع
سبب خطأ الفلاسفة - الشبيه لا يمكن أن يقبل أى فعل من الشبيه - العلاقة الضرورية بين
الفعل والفعل - الشبه والفرق بينهما - توفيق رأيين متعارضين في تمييز الفعل المشابهة
بين الحركة وبين ظاهرتي الفعل والانفعال - المحرك الاول يمكن أن يكون غير متحرك - الفاعل
الاول يمكن أن يكون كذلك لا منفصلا - ختام نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ - تعقبيا لما تقدم نوضح ماذا ينبغي أن يعنى بفعل وانفعال .
ولقد تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا نظريات متخالفات بينها في هذا
الموضوع . ومع ذلك فإنهم متفقون بإجماع على أن الشبيه لا يمكن أن يقبل
شيئا من الشبيه لأن الواحد منهما ليس أشد فاعلية ولا انفعالية من
الآخر . وإن الاشباه لها كفياتها متماثلة مطلقا . ثم يزداد أن الاجسام
غير المتشابهة والاجسام المختلفة انما هى التي لها فعل وانفعال على طريق
التكافؤ بعضها في بعض . مثال ذلك حينما تطفأ نار بنار أكبر منها يزعم
فلاسفتنا أن النار التي هى أقل انفعلت في الواقع بمقتضى مقابلة الاضداد
بما أن كثيرا هو ضد لقليل .

§ ٢ - ديمقريطس هو الوحيد ، خلافا لجميع الآخرين ، الذى قدم

§ ١ - بفعل وانفعال - لم يمكن أن اجتمع في لغتنا عبارات تجعل كلمات النص أكثر
وضوحا . وقد يمكن أن يترجم ايضا هكذا : «أن يكون فاعلا وقابلا» . يفعل وينفعل هما
المقولاتان الاخيرتان للمقولات العشر . المقولات بعفأو؟ من ترجمتنا . - تلقينا من
الفلاسفة السابقين لنا - يلاحظ فيلوبون أن ارسطو يبقى على عهد طريقته العادية من بسط
النظريات السابقة قبل بسط نظريته الخاصة . - ان الشبيه لا يمكن أن يقبل شيئا من
الشبيه - ذلك هو أحد المبادئ التي قد يوجد منها عدد عظيم في الفلسفة القديمة لا تستند
الى مشاهدات وافية وليست الا نتائج سابقة لاوانها ومنطقية محضة . - غير المتشابهة
والاجسام المختلفة - هذا التكرير هو في النص . - فعل وانفعال . أو انما هى الفاعلة
والقابلة . - بنار أكبر - يظهر انه ليس هنا اختلاف حقيقى . فان النار الأقل هى تماما
مشابهة للنار الاقوى من جهة كونها نارا وفقط احداها التهمت الاخرى . ولكنه لا ينبغي
التشدد في طلب الضبط الى علم ذلك الزمان . - بما أن كثيرا هو ضد لقليل - هذا حق
ولكنه لا ينتج منه ان نارا صغيرة تكون ضدا لنار كبيرة . ومع ذلك هنا ما كان يجب أن
يكون ليصير المثل صحيحا وحقيقا بالانطباق .

§ ٢ - ديمقريطس هو الوحيد - يظهر أن ارسطو في جميع مؤلفاته يحضل كثيرا
بديمقريطس ونظرياته وهنا يطبق الحق على الأقل بالجزء ضد جميع الفلاسفة السابقين .
وأيا خاصا - كلمة النص ليس لها معنى محدود بهذا القدر . وربما افادت أن ديمقريطس
قرر رأيا صوابا من بعض الوجوه ومعارضاً للنظريات السابقة . - من المتشابهة والمتماثلة -
ليس في النص الا كلمة واحدة .

فى هذا رأيا خاصا • فهو يقرر ان هذا الذى يفعل وهذا الذى يقبل هو
فى الحقيقة مماثل ومشابه لانه لا يوافق على أن أشياء مختلفة ومتغايرة
تماما يمكنها أن تقبل أياما بعضها من بعض • وإذا كان بعض الأشياء ،
مع كونها متغايرة بينها ، لها بعضها على بعض فعل ما متكافئ فهذه
الظاهرة ، على رأيه ، تقع فيها لا بما هى متخالفة بل بما هى على الضد
من ذلك لها نقطة ما من المشابهة والمائلة •

§ ٣ - تلك هى اذا الآراء التى قررت قبلنا • ولكن الفلاسفة الذين
قرروها قد يظهر أنهم تناقضوا فيما بينهم ، والسبب فى اختلافهم فى
هذا الصدد هو انه فى مسألة يلزم فيها اعتبار مجموع الموضوع لم يعتبروا
فيه هؤلاء وهؤلاء الا جزءا واحدا •

§ ٤ - وفى الحق أن ما هو شبيه تماما ولا يغير مطلقا بأى وجه
ما لا يمكنه مطلقا أن يحتل شيئا ولا أن يقبل شيئا من قبل شبيهه •
لماذا ، فى الحق ، ان أحد الشئيين يفعل دون الآخر ! فإذا كان ممكنا أن
الشيء يقبل بأى طريقة من شبيهه اذا يمكنه أن يقبل أيضا من ذاته •
وحينئذ مع التسليم بهذا فينتج منه أن لا شيء فى الدنيا يكون غير قابل

§ ٣ - تلك هى اذا الآراء - قد يرى أن بسط الآراء السابقة موجز بعض الشيء
ولكن يجب علينا فى هذا الصدد ان نثق بصديق أرسطو الذى ما سعى البتة فى الخط من اقدار
اسلامه على رغم التهمة التى اتهم بها باكون • - مجموع الموضوع - ليس النص على هذا
القدر من الضبط • ومع ذلك فان الفكرة التى يعبر عنها أرسطو هى عريقة فى الصحة •
وذلك يرجع الى القول بان هذه المذاهب على الصوم اولى بها ان تكون غير تامة من ان تكون
باطلة •

§ ٤ - أن يحتل شيئا ولا أن يقبل شيئا - ليس فى النص الا كلمة واحدة • ولكن
لما أنه يوجد فيه أداة نفى اردت أن أوفيه القوة بالفعلين ولو أن المعنى واحد تقريبا - من
قبل شبيهه - يعنى مما هو على جهة الإطلاق والتماثل مشابه له • - أحد الشئيين - زدت
هاتين الكلمتين • - يفعل او يفعل • - يمكنه أن يقبل أيضا من ذاته - يعنى يحتل
فصلا يحدثه هو نفسه فى نفسه ، وهذه النظرية دقيقة فيما يظهر • - مع التسليم بهذا او
بعبارة أخرى اذا افترض أن تشبيهه يفعل فى التشبيه وان شيئا يفعل مباشرة فى نفسه • -
غير قابل للفناء ولا غير متحرك - قد قرر أرسطو دائما : انه يوجد فى الدنيا أشياء غير قابلة
للفناء وانه بالاقول المحرك الاول هو غير متحرك • - يمكنه ان يعطى الحركة لنفسه - ليس
لنص على هذا الضبط ويمكن ترجمته ايضا هكذا : «لنفسه وان ما هو مغاير له تماما وليس
له وجه أدنى تماثل يمكنه ان يعطيه لنفسه على السواء » • وقد ظهر لى ان المعنى الآخر
افضل من جهة النحو • - وفى الواقع - لا يظهر ان ارتباط المبادئ هنا واضح - البيضاء
الأمثلة لا يظهر انها قد احسن اختيارها • - من قبل خط - ان بالاولى سطح كما يفسره
فيلويون • - بالعرض والواسطة - ليس فى النص الا كلمة واحدة • - الخط او السطح
عفوا من تلقاء انفسها - ربما صحت ترجمتها أيضا وبالتبادل •

للفناء ولا غير متحرك اذا فرض أن الشبيه بما هو شبيه يمكنه أن يفعل ما دام حينئذ كل موجود أيا كان يمكنه أن يعطي الحركة لنفسه ويعطيها أيضا على السواء للموجود المغاير تماما والذي ليس له به تماثل ما . وفى الواقع أن البياض لا يمكنه أن يقبل أى فعل من قبل خط ولا أن خطا ينقل بشيء من قبل البياض الا ما ربما يكون بالعرض والواسطة : مثلا فى حالة ما اذا كان الخط بالمصادفة أبيض أو أسود . لأن الاشياء لا يمكنها أن تغير طبيعتها عفوا من تلقاء أنفسها متى لم تكن أضدادا بعضها لبعض أو غير آتية من أضداد .

§ ٥ - ولكن لما أن فعل وانفعل ليسا بالطبع خاصية أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة وانهما لا يكونان الا فى الاشياء الاضداد بعضها لبعض أو التى بينها تضاد ما فينتج من ذلك ضرورة أن الفاعل والقابل يجب أن يكونا شبيهين ومتحدلين بجنسهما بالاقبل وأن يكونا غير متشابهين ومتضادين بنوعهما على هذا تريد الطبيعة ان الجسم يقبل فعل الجسم والطعم يقبل فعل الطعم واللون فعل اللون ، وعلى جملة من القول أن شبيها مجانسا يمكن أن يقبل فعلا من قبل الشيء المجانس . والسبب فيه أن جميع الاضداد هى فى جنس واحد ، وأن الاضداد تفعل بعضها فى بعض وتقبل بعضها من قبل البعض الآخر . اذا يلزم ضرورة أن ، من وجه ، الفاعل والقابل يكونان متشابهين وفى الحين عينه يلزم أيضا أن يكونا غير متشابهين ومتغايرين بينهما .

§ ٦ - ما دام اذا يلزم أن يكون الفاعل والقابل ههما متحدلين

§ ٥ - أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة - ليس فى النص الا كلمة واحدة - تضاد ما ليس النص على هذه الصراحة - بجنسهما . . . بنوعهما - هذا التمييز سيصلح فيما بعد للتوفيق بين الآراء المتعارضة للفلاسفة السابقين - يقبل فعل - أو بعبارة أخرى مماثلة لعبارة النص : « يقبل من الجسم » وهذا التعبير مع ذلك مبهم وكان الاول ايضا - مجانسا - أو من الجنس بعينه - ما سبق ب١٠٠ - اذا يلزم ضرورة - تكرير لما سبق آنفا بالحرف تقريبا .

§ ٦ - ما دام اذا . . . الفاعل والقابل - تكرير آخر يساعد مع ذلك على ايضاح الفكرة أكثر منه على اطالتها - نسب الاضداد - ر . المقولات ب ١١ ف ٦ ص ١٢٢ من ترجمتنا . مطلقا - أو على العموم - ان النار تسخن - ربما كان التعبير عاما جدا وربما كان يلزم ذكر مفعول كان يقال مثلا : « تسخن الجسم الذى تفعل فيه » . وأن البرد يبرد هذا التكرير غير المفيد موجود كذلك بالنص - يحيل الى ذاته - هاهنا ايضا العبارة قليلة الضبط ولو أن المعنى صحيح جدا - تحول الشيء الى ضده - النص غاية فى الاجازة واضطرت الى بسطه - الذى ينقل يتغير بهذا الذى يفعل - قد يكون فى العبارة بعض التجاوز لأن الشيء الذى يسخن لا ينقلب نارا - مفض الى الضد - النص يستخدم تمبيرا يشعر بنوع من الحركة . وهذا الذى حاولت تحصيله فى ترجمتى .

ومتشابهين في الجنس ولا متشابهين في النوع وأن هذه هي نسب الاضداد
 فينتج من هذا جليا أن الاضداد والاوساط تفعل وتقبل على طريق التكافؤ
 بعضها ازاء البعض الآخر . فان فيها مطلقا يحصل فساد الاشياء وكونها .
 لذلك فبسيط جدا أن النار تسخن وأن البرد يبرد وعلى جملة من القول
 أن الشيء الذي يفعل يحيل الى ذاته الشيء الذي يقبل فعله . ما دام ان
 هذا الذي يفعل وهذا الذي يقبل هما ضدان ، وأن الكون هو على التحقيق
 تحول الشيء الى ضده . ينتج منه أن بالضرورة الذي ينفعل يتغير بهذا
 الذي يفعل . وعلى هذا النحو فقط يحصل كون مفض الى الضد .

٧ - هذا هو الذي يوضح جيدا كيف أن فلاسفتنا من غير أن
 يكرروا صراحة الاقوال أعيانها يمكنهم مع ذلك على الوجهين أن يصلوا الى
 استكشاف الطبع والحق . وعلى هذا نقول تارة انه الموضوع نفسه هو
 الذي يتفعل متى قلنا ان فلانا يبرأ وأنه يدفأ وأنه يبرد وأنه يعانى
 انفعالات من هذا القبيل . وتارة أيضا نقول مثلا ان البرودة هي التي
 تصير ساخنة أو ان المرض هو الذي يصير الصحة وعلى الوجهين العبارة
 صادقة .

٨ - والامر كذلك أيضا فيما يخص الفاعل فانا نقول أحيانا
 انه هو فلان الذي يسخن الشيء الفلاني ومرة أيضا ان الحرارة هي التي
 تسخن . لانه تارة هي المادة التي تقبل الفعل وتارة أيضا الضد هو
 الذي يقبل . على ذلك فانه ينظر الاشياء من هذه الجهة زعم بعضهم أن

٧ - فلاسفتنا - عبارة النص اقل ضبطا - الطبع والحق ليس في النص الا كلمة واحدة
 - انه الموضوع - يعنى الموجود الذي له الكيف المحد لان يتغير وكيف مضاد - البرودة
 يعنى الكيف ذاته . وقد لا يكون التمايز بينا في النص ولانه على هذا التمايز يعتمد في التعليل
 فكان الازم ان يكون التعبير اظهر من هذا . وقد اجاد فيلويون ايضاح هذه الفقرة كلها ولان
 انه اطال في الايضاح . هي التي تصير ساخنة - في هذا التعبير شيء من الغرابة في
 النص وفي ترجمتي ايضا - وعلى الوجهين العبارة صادقة - يعنى سواء قصد الى الموضوع
 او قصد الى الكيفية نفسها التي تتغير .

٨ - والامر كذلك - يعنى انه يمكن ان يجرى هذا التمايز بالنسبة للفاعل والقابل
 اللذين هما متحدان بالجنس ومختلفان بالنوع . فلان الذي يسخن الشيء الفلاني - ليس
 النص على هذا القدر من البيان . ان الحرارة هي التي تسخن - من جهة أنه هو الموضوع
 ومن جهة أخرى انها هي الكيفية أو كما سييجى - بعد في النص من جهة المادة ومن جهة
 أخرى الضد . من هذه الجهة - يعنى بالنظر الى المادة التي هي مقولة بالاشتراك على
 الفاعل والقابل معا . من جهة مخالفة - يعنى بالنظر الى الكيفيات المتضادة التي احدها
 تتغير الى الاخرى . ان الامر على الضد من ذلك تماما - ما منق ببيانته في آخر الفقرة
 الثالثة حيث يمين أرسطو على كلتا النظريتين انها لم تعتبر الا جزءا من الموضوع الذي
 كان يجب فحصه في مجموعة .

الموجود الذى يفعل والذى يتفعل يجب أن يكون بينهما شيء من التماثل .
وان الآخرين بنظرهم الاشياء من جهة مخالفة زعموا أن الامر على الضد
من ذلك تماما .

§ ٩ - ولكن التذليل الذى يمكن عمله لايضاح ما هو يفعل ويتفعل
هو نفسه الذى به يوضح ما هو يحرك ويتحرك . وعلى ذلك لفظ المحرك
يحمل أيضا على معنيين . فأولا الشيء الذى فيه يوجد مبدأ الحركة يشبه
أن يكون المحرك ما دلم المبدأ هو أول العلل وثانيا أنما هو الحد الاخير
بالاضافة الى الشيء الذى هو محرك والى كون الشيء .

§ ١٠ - وتنطبق الملاحظة نفسها على الفاعل ، وعلى هذا النحو نقول
على السواء ان الطبيب هو الذى يبرىء أو هو النقيض السلسلى أمر به
للمريض . وحيث لا شيء يمنع من أن المحرك الاول فى الحركة التى
يعطيها يبقى هو نفسه غير متحرك . بل أحيانا قد تكون هناك ضرورة الى
أن يكونه ولكن الحد الاخير يجب دائما لاجل أن يحرك أن يكون أولا قد
حرك هو نفسه .

§ ١١ - وفى الفعل أيضا الحد الاول ليس متأثرا ولا قابلا ولكن

§ ٩ - التذليل الذى يمكن عمله - الجملة قلقة بعض الشيء فى الترجمة كما هى كذلك
فى النص . ولكن المعنى بين . فان يفعل ويتفعل يستوضح معناهما كما يستوضح معنى
يحرك ويتحرك . لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين - تماثلا اذا كان القصد المحرك الاول
والمحرك الابتدائى - أو المحرك التابع الذى يمكن أن يكون الاخير والاخير بالنسبة للمتحرك
أى الشيء المحرك . - الشيء - اخترت التعبير بهذا اللفظ المبهم مجازة للنص . - يشبه
أن يكون المحرك - أو - يشبه أن يحرك . - المبدأ هو أول العلل - بتعريف كلمتى المبدأ
والعلة يبتدىء الكتاب الخامس من كتاب ما بعد الطبيعة . - الحد الاخير - معنى المحرك
الثانوى الذى هو الاقرب الى المتحرك . - الشيء - زدت هذا المضاف اليه ويمكن أن توضع
بدله « الظاهرة » .

§ ١٠ - الملاحظة نفسها - النص أشد ابهاما . وبعبارة أخرى « أن لفظ الفاعل يمكن
أن يحمل على معنى مزدوج مثل لفظ المحرك » . - الذى أمر به للمريض - زدت منه
الكلمات التى تظهر أنها ضرورية لتتام الفكرة . فان الطبيب هو المحرك الاول والعلة الاولى للشفاء
والتيبيل الذى أمر به للمريض هو المحرك الثانوى والعلة التبعية للصحة المستردة . - فى
الحركة التى يعطيها - هنا رواية أخرى عديدة الأهمية استجبا بعض الناشرين ولكنها
لا تساوى الرواية التى اثبتناها فى القيمة . - تكون هناك ضرورة - راجع نظرية المحرك
الاول غير المتحرك فى كتاب الطبيعة ك ٨ ب ٦ و ٧ و ١٥ من ترجماتنا . الحد الاخير -
« المحرك الاخير » .

§ ١١ - وفى الفعل أيضا - كما فى الحركة . - الحد الاول - عبارة النص غير محدودة
اصلا . ويمكن ترجمتها أيضا « العلة الاولى » . - ليس متأثرا ولا قابلا - ليس فى النص
الا كلمة واحدة . - يمكنه أن يفعل - زدت هذه الكلمات . - يأتى به - زدتها =

يلزم أن الحد الأخير ، ليكنه أن يفعل ، يفعل أيضا هو ذاته بفعل ما بآدى به . كل الأشياء التى ليست من مادة واحدة بعينها تفعل دون أن تقبل هى أعيانها وأن تظل غير قابلة . مثال ذلك صناعة الطب فانها مع فعلها الصحة لا تقبل أى فعل من قبل الجسم الذى تشفيه . ولكن الغذاء مع فعله الصحة يقبل ويلقى هو نفسه أيضا تأثيرا ما لانه إما أن يسخن أو يبرد أو يعانى انفصالا آخر كيفما اتفق فى حين انه يفعل . ذلك لانه من جهة الطب هو ما هنا ، بنحو ما ، كالمبدأ فى حين أن الغذاء ، بنحو آخر ، هو الحد الأخير الذى يمس العضو الذى يفعل فيه . على ذلك حينئذ كل الأشياء الفاعلة التى ليس لها صورتها فى المادة تبقى غير قابلة ، وكل التى لها صورتها فى المادة يمكن أن تقبل فعلا ما ، ونقول أيضا ان المادة هى واحدة على السواء بعينها بالنسبة لى واحد ما من الجدين المتقابلين ونعتبرها انها بالنسبة لهما جنسهما المشترك . ولكن ما يمكنه أن يصير مناخنا يجب ضرورة أن يسخن حينما الشيء الذى يسخن يكون حاضرا وقريبا منه . فانظر لماذا أن بين الأشياء التى تفعل بعضها ، كما قلت آنفا ، هو غير قابل والآخر على ضد ذلك يمكن أن يقبل وكيف أن الامر واحد بعينه بالنسبة للفواعل كما هو بالنسبة للمحركة ، فان هناك فى الواقع المحرك الاول هو غير متحرك وهنا بين الفواعل انما الفاعل الاول هو غير القابل وبمعزل عن كل انفعال .

§ ١٢ - ولكن اذا كان الفاعل علة كما هى حال المحرك متواء بسواء

= أيضا . - التى ليست من مادة واحدة بعينها - هى والأشياء التى تقبل فيها . - لا تقبل أى فعل - عبارة النص « لا تقبل شيئا » - يقبل ويلقى - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - تأثيرا ما - عبارة النص غير ملحوظة . - يسخن . . . يبرد - فى ظاهرة الهضم التى بها الجهاز الهضمي يتمثله . - كالمبدأ - أو يوجه ما المحرك الاول والمبدئى . - هو الحد الأخير - هنا أيضا ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - التى ليس لها صورتها فى المادة - يعنى التى هى والقابل التى تفعل فيه ليست من مادة واحدة . هذا الاسلوب كثير التكرار عند أرسطو ولكنه هنا غير محل للشك بحسب شرح فيلوبون . فان القرينة تسوغ تفسير الشارح . - يمكن أن تقبل فعلا ما - فى حين أنها تحلت فعلا فى الشيء . الواقع تحت تأثيرها . - من الجدين المتقابلين - أو بعبارة أخرى « بالنسبة للفاعل وبالنسبة للقابل » . - جنسهما المشترك - زدت الكلمة الأخيرة . ر . ما سبق فى الفقرة الخامسة . - الشيء الذى يسخن - عبارة النص غير مطبوعة . - كما قلت آنفا - فى اول الفقرة السابقة . - المحرك الاول - يعنى الملة ايا كانت التى هى اول ما يعين الحركة . والظن أنه يلزم أن يخص اسم المحرك الاول ببدا الحركة الكلية . فانه لا يراد هنا الا حركة جزئية تقوم بها محركات عديدة بعضها تواجع بعض . هنا - زدت هذه الكلمة لتكون المقابلة تظهر . - غير القابل وبمعزل عن كل انفعال - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

§ ١٢ - الفأية التى من اجلها يحدث كل الباقي - أو : « اللهم » كما هى عبارة النص . - الصحة ليست فاعلا - لانها الفأية التى ينشئها الطبيب والمريض . قال الطبيب هو المحرك

فمن اين يجيء ان مبدأ الحركة ، اى الغاية التى من اجلها يحدث كل الباقي ، لا يحدث هو نفسه فعلا ؟ مثال ذلك الصحة ليست فاعلا ولا يمكن تسميتها كذلك الا بالمجاز المحض . ومنذ يوجد الفاعل ينتج منه ان القابل الذى يقبل الفعل يصير شيئا ما ، ولكن متى تكون الكيفيات حاصلة تماما وحاضرة فليس للفاعل أن يصير فانه قد كان كل ما يجب أن يكونه . ان صور الاشياء وغاياتها يمكن أن يقال انها كيفيات وعادات فى حين أن المادة انما هى التى بما هى مادة قابلة تماما . على هذا حينئذ النار لها حرارتها فى المادة واذا كانت الحرارة شيئا ما قابلا للانفصال عن مادة النار فلا يمكنها أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر . ولكنه محال من غير شك أن الحرارة تكون منفصلة عن النار التى تسخن واذا كان ثم أشياء منفصلة بهذه المثابة فان ما قلناه آنفا لا يكون صادقا الا بالنسبة لتلك .

§ ١٣ - وعلى الجملة نقف عند هذه الاعتبارات المتقدمة فى ايضاح ماهية فعل وانفعال لنبين بأى الاشياء يتعلق أحدهما والاخر وبأى طريقة يكون الفعل والانفعال وكيف يكونان .

الاول . والادوية التى يأمر بها تفعل تحت لونه لبلوغ الغاية التى هى الشفاء والصحة .
- القابل الذى يقبل الفعل - ليس النص على هذه الصراحة . - يصير شيئا ما - يعنى يكسب كيفا جديدا يعطيه اياه الفعل الواقع عليه . - حاصلة تماما وحاضرة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - كل ما يجب أن يكونه - أضفت هذه الكلمات انما للمعنى .
- صور - او « أنوع » . فان صور الاشياء هى طبيعتها الخاص والنهاى . - كيفيات وعادات - فى النص كلمة واحدة . لان الكيفيات والعادات لما انها أشياء مكتسبة وذاتة فليست محلا لكتفى . فان الشيء هو ما هو . فليس يصير شيئا آخر بان يكسب كيفية جديدة مخالفة .
- قابلة تماما - من حيث انها هى المادة التى تقبل على التعاقب الاضداد التى تتناوب عليها بالنور . - لها حرارتها فى المادة - التعبير مطلق قليلا على رغم الايضاحات التى تقدمت .
- عن مادة النار - أضفت هذه الكلمات تكميلا للمعنى . - أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - عن النار التى تسخن - أضفت هذه الكلمات .
- ما قلناه آنفا - او بعبارة أخرى « هذه الاشياء تكون غير قابلة البتة ولا يمكنها أن تخضع لفعل أى كان » . ر . هذه النظرية نظرية الجوهر والصورة فى الطبيعة ك ابيه ص ٤٧٣ وما بعدها من مرجعنا .

§ ١٣ - وعلى الجملة - النص ليس صريحا مكثا . ولكن هذه الفقرة هى فى الواقع محصل كل ما سبق . - وبأى طريقة . . . وكيف - هذا الجزء الخاص من المسألة سهل . ايضا فى الباب الذى يلى بطريقة اخص واوضح مما ما هنا .

الباب الثامن

نقص النظرية التي تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجوهر المادية بالمسام -
رأى الفلاسفة القدماء - استشهاد من أمبيدقل - لوكيس وديمقريطس هما أقرب إلى الحق -
وحدة الوجود محال وكذلك ثباته - غرائب ضلالات الفلاسفة القدماء - عرض نظرية
لوكيس - عرض نظرية أمبيدقل - مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما وبين
نظرية لوكيس - استشهاد من طيماروس افلاطون - مقارنة بين افلاطون ولوكيس -
اعتراضات على نظرية افلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية الفلوات - استحالة قبول وجود
الذرات رفهم من أين جاءت الحركة - الرؤية من خلال الاوساط تصير غير قابلة للايضاح -
خاتمة نقص النظرية التي تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال في الاشياء .

§ ١ - لنعرض مرة أخرى كيف أن ظاهرتي الفعل والانفعال
ممكنتان . من الفلاسفة من يرى انه حينما يعاني شيء أثرا ما على جهة
الانفعال ، فذلك أن الفاعل الذي يفعل الاثر نهائيا وبطريق الاصلية ينفذ
في ذلك الشيء بواسطة مسام أو قنوات . يقولون اننا كذلك نرى واننا
نسمع واننا ندرك جميع الادراكات الاخرى للحواس . وفوق ذلك اذا
امكن ان ترى الاشياء من خلال الهواء والماء والاجسام الشفافة فذلك بأن
هذه الاجسام لها مسام غير مدركة بالبصر لسبب صغرهما ولكنها مع ذلك
شديدة الانضمام مرصوفة بنظام وترتيب ، وكلما تكون الاجسام أكثر
شفافية كان لها من هذه المسام عدد أكثر .

§ ٢ - وعلى هذا النحو استبان بعض الفلاسفة الاشياء كما فعل
أمبيدقل مثلا . ولكن لم تقصر هذه النظرية على الفعل وعلى الانفعال بل
زعم أن الاجسام لا تختلط الا متى كانت مسامها متناسبة المقياس على

§ ب ٨ ف ١ - مرة أخرى - ويمكن أيضا ترجمتها : « من جهة نظر أخرى » .
- ظاهرتي الفعل والانفعال - ليس النص واضحا هكذا وقد اردت أن أجعله أبين خصوصا
في ابتداء باب ١٠ - من الفلاسفة من - يقصد الى أمبيدقل كما تدل عليه الفقرة التالية .
- يطاني شيء أثرا ما على جهة الانفعال - النص أكثر ايجازا . - نهائيا - راجع
ما سبق ب ٧ ف ١٠ و ١١ . - وبطريق الاصلية - لانه يفعل بتماس مباشر وبلا
واسطة . - مسام أو قنوات - ليس في النص الا كلمة واحدة . - ندرك لادراكات
- تكرار الكلمات هنا في النص . - هذه الاجسام - أو هذه العناصر لان عبارة النص
غير مائة . - نظام وترتيب - ليس في النص الا كلمة واحدة .

§ ٢ - كما فعل أمبيدقل مثلا - وهو الذي يلزم أن ينسب اليه :الرأى المعروض
في الفقرة السابقة دون أن يذكر صاحبه . - على الفعل وعلى الانفعال - عبارة النص
بالضبط هي « الفاعلات والمتفعلات » أي الاشياء التي تفعل والتي تقبل الفعل . -

طريق التكافؤ . وقد اختط لوكيبس وديمقريطس بأحسن من غيرهما الطريق الحق ووضحا كلا بكلمة واحدة بأن صدرا عن نقطة الابتداء الحقيقية انتى يعينها الطبع . وفى الواقع ان بعض القدماء قد ظن ان الموجود هو بالضرورة واحد وغير متحرك فعلى رأيهم الخلو لا يوجد . وأنه لا يمكن أن توجد حركة فى العالم مادام انه لا يوجد خلو منفصل عن الاشياء . وكانوا يزيدون على ذلك انه لا يمكن ايضا ان يوجد تعدد مادام انه لا يوجد خلو يقسم الاشياء ويعزلها . على أن دعوى ان العالم ليس متصلا لكن الموجودات التى تؤلفه متعامة مهما كانت منفصلة فذلك يرجع الى القول بأن الموجود متعدد وليس هو واحدا وأن الخلو موجود . وأنه اذا كانا الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة فى جميع الاتجاهات فمن ثم لا توجد بعد وحدة لاي ماكان بحيث انه لا يوجد ايضا تعدد . وأن الكل هو خلو كله ، يقولون ، انه اذا فرض أن العالم شرطه على نحو وشرطه على آخر فذلك ايضا يحتمل ما يكرن بفرض مجازفه

= متناسبة المقياس على طريق التكافؤ - يعنى أن الجسمين يمكن أن يدخل أحدهما فى الآخر بحيث يتحصل منهما مزيج حقيقى . وقد مثل فيلويون بالنبيذ والماء فان مساهمتهما متناسبة القياس فى رأيه ما دام أن هذين السائلين يمتزجان . وعلى ضد ذلك مسام النار ومسام الخشب فانها لما كانت غير متناسبة القياس كانت النار تقسم الخشب ولا تختلط به . - بأحسن من غيرهما - استخلص هذا المعنى من شرح فيلويون . - نقطة الابتداء الحقيقة التى يعينها الطبع - ليس للنص على هذا الضبط تماما . - بعض القدماء . - يقصد برمينيد ومدرسة ايليا كما يقول فيلويون . - فعلى رأيهم - أضفت هذه العبارة التى مضبوتهامتنش مع سياق النص وكل ما هو وارد الى آخر هذه الفقرة خاص برأى برمينيد ومدرسة ايليا ذلك الرأى الذى هو مبسوط بطريقة قلقة وغامضة . راجع مناقشة مشابهة لهذه وابطلا لمذهب برمينيد وميليسوس فى الطبيعة ك ١ ب ٢ وما بعده ص ٤٢٣ من ترجمتنا . - وأنه لا يمكن أن توجد حركة - هذه النظرية على علاقات الخلو والحركة هى منسوبة بالصراحة الى ميليسوس فى كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٥ ص ١٨٩ من ترجمتنا . - منفصل عن الاشياء - أضفت الكلمتين الاخيرتين . - وكانوا يزيدون على ذلك - هذه الكلمات ليست صريحة فى النص ولكن هذا المعنى يفهم من سياق الجملة . - أنه لا يوجد خلو - ليس النص على هذه الصراحة . - يقسم ويعزلها - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - ليس متصلا - واحدا كنا كانت تزعم مدرسة ايليا . - مهما كانت منفصلة - ليس النص على هذا الوضوح . - اذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة - واذا يؤول أمره الى لا شيء بالقسمة نفسها التى ذهب بها الى اللانهاية . - فمن ثم لا توجد بعد وحدة لاي ما كان - أو بمباراة أخرى وحدة الاشخاص تنعدم مع الاشخاص أعيانها ولما انه لا يوجد بعد من ثم تعدد ممكن فالكل يكون خلو . - شرطه على نحو - يعنى أن الاتصال يكون فى شرط العالم والخلو فى الشرط الآخر . - يقولون أضفت هذه الكلمة للدلالة على أن ذلك بقية ممارضات برمينيد وأصحابه . - على رأيهم - أضفتها للفرض المتقدم . - لا يوجد حركة فى العالم - وهذا هو المبدأ الاساسى للمدرسة ايليا وهو أن الموجود واحد وغير متحرك . راجع نقض هذه النظرية فى الطبيعة ك ١ ب ٢ وما يليه ص ٤٢٣ من ترجمتنا .

فيه لانه حينئذ الى اى نقطة ولماذا الجزء الفلانى من العالم يكون كذلك
ومليثا فى حين أن الجزء الفلانى الآخر مقسوم ؟ وبهذه الطريقة يوصل
أيضا على رأيهم الى تأييد انه بالضرورة لا يوجد حركة فى العالم .

٣ - بالصدور عن هذه النظريات وبمعاندة شهادة الحواس
والاستهانة بها بحجة أنه ينبغي اتباع العقل فقط انتهى بعض الفلاسفة
الى التصديق بأن العالم واحد غير متحرك وغير متناه لانه ان لم يكن
كذلك فان الحد بحسبهم لا يمكن الا أن يحاد الخلو .

٤ - تلك هي اذا نظريات هؤلاء الفلاسفة وتلك هي الاسباب
التي دفعتهم الى فهم الحق على هذا النحو ، ولا شك فى أنه اذا استمسك
بالتدليل العقلية المحضة فذلك يشبه ان يكونا مقبولا ولكن اذا أريد
اعتبار الحوادث الواقعية فيوشك ان يكون من الجنون تأييد آراء كهذه .
لانه لا يوجد مجنون ذهب الى هذه النقطة من الضلال ان يجد أن النار
والثلج هما شئ واحد بعينه . ولكن خلط الاشياء الجسيمة لذاتها بالتى
لا تظهر لنا كذلك الا بالاستعمال من غير أن يرى فيها مع ذلك أى فرق
مابينها ، ذلك لا يمكن أن يكون الا نتيجة لتيه حقيقى للعقل .

٥ - فاما لوكيس فانه كان يظنه محيطا علما بالنظريات التى ، مع
كونها متفقة مع الحوادث الواقعية المدركة بالحواس ، لم تكن ، بحسب

§ ٣ - بمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها - يلزم الانتباه الى هذه العبارات
الشديدة التى توصى بقوة باتخاذ نهج المشاهدة دون النظريات المنطقية المحضة . راجع
أيضا الفقرة السابقة . - بعض الفلاسفة - برمينيد وعلى العموم مدرسة ايليا . - ان
لم يكن كذلك ... بحسبهم - أضفت هذه الكلمات التى ظهر لى انها ضرورية لبيان
الفكرة . ومع ذلك فان الفقرة لا تزال غامضة ولم أر فيلويون يفسرها فى شرحه لانه
يلا شك لم يكن ليوجد فيها أدنى صعوبة .

§ ٤ - الحق - ربما كان أحسن أن يقال « الحقيقة » التدليل العقلية المحضة
- ليس النص على هذا القدر من التاكيد . - فذلك يشبه ان يكون مقبولا - أو أيضا :
« ان الاشياء تشبه أن تمضى على هذا الوجه » . - اذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية
- راجع مقدمتى لكتابه الميتودولوجيا على نمط المشاهدة عند القدماء وعلى الاخص عند
أرسطو ص ٤٦ وما بعدها . - يوشك أن يكون من الجنون - من الصعب أن تصاب
نظريات مدرسة ايليا العقلية المحضة بأكثر من هذه الشدة . - الاشياء الجسيمة لذاتها -
هذه النقطة لم يشرها أيضا فيلويون وفيها خطأ . فان كلمة النص التى ترجمتها
« الجسيمة لذاتها » فيها ابهام وهى تدل على الاشياء الطيبة كما تدل على الجسيمة . وقد
يكون المعنى أن أرسطو يسيب على مدرسة ايليا أنها تقسم قاعدة الاخلاق بخلطها بين
الخير والشر . وهذا المعنى هو الذى ارتآه بعض الشراح لتأخيرين .

§ ٥ - فاما لوكيس - راجع عن آراء لوكيس وديقريطس فى الخلو كتاب
« الطبيعة ككتاب ٢ » وما بعدها ص ١٨٧ من ترجمتنا . ومع ذلك فان أرسطو يبين =

مذهبه ، لتعرض للكون ولا للفساد ولا للحركة ولا للتعدد في الموجودات . ولكن بعد هذا التسامح الذي أسداه الى حقيقة الظواهر قد أسدى غيره الى أولئك الذين يقبلون وحدة الموجود بحجة انه لا يوجد حركة ممكنة بدون الخلو . ويقبل القول بأن الخلو هو اللاموجود وأن اللاموجود ليس هو شيئا مما هو موجود . واذا ، على رأيه ، الموجود بالمعنى الخاص هو متعدد للغاية . والموجود على هذا المعنى لا يمكن أن يكون واحدا . وعلى العكس أن هذه العناصر تكون غير متناهية في العدد وتكون فقط غير ماثية بسبب لطافة حجمها للغاية . ويزيد على ذلك لوكيبس أن هذه الجزيئات تتحرك في الخلو لانه يقبل الخلو ، وأنها بإجتماعها تسبب كون الاشياء وبانحلالها تسبب فسادها ، وأن الاشياء تفعل أو تنفعل تبعا لما أنها تتماس على طريق التكافؤ . وأنها على ذلك ليست هي شيئا واحدا بعينه ، وأنها بتركبها واشتباكها ببعضها ببعض تكون العالم كله . ويستنتج لوكيبس من هذا أن التعدد لم يكن ليخرج البتة من الوحدة الحقة كما أن الوحدة لا يمكن أن تأتي أيضا من التعدد الحق وأن كل هذا هو محال على الاطلاق من جهة ومن أخرى . وأخيرا كما أن أمبيدقل وبعض الفلاسفة الآخرين يزعمون أن في الاشياء لفعل الذي تقبله وتعاينه هو يحصل فيها بواسطة التسامح فكذلك يرى لوكيبس أيضا أن كل استحالة للاشياء وكل أنفعال لها إنما يحصل على هذا النحو نفسه وأن الانحلال والفساد يكونان بواسطة الخلو ، والنمو حاصل كذلك بواسطة الجزيئات الجامدة التي تدخل في الاشياء .

= عليه هنا شدة الاهتمام بلوكيبس أكثر منه في كتاب الطبيعة حيث يقول عنه وعن استاذة « انهما لم يظلا عتبة المسألة » . - يحسب مذهب - زدت هذه العبارة لانتظام الفكرة - ولا للحركة ولا للتعدد - وبالمجلة كل ما تشهد لنا لحواس بأنها حقائق بيئة . -

الذي أسداه الى حقيقة الظواهر - ليس النص على هذه الصراحة . - الا موجود ليس هو شيئا مما هو موجود - يظهر أن هذا هو تكرير محض ولكنه وارد في النص . - على رأيه - أضفت هاتين الكلمتين . - متعدد للغاية - أظن أن هذا هو الرواية الحقة وهي متفقة مع سبب النص وفي بعض النسخ « ملء للغاية » ملء بالتمام . وليس بين الروايتين الا تغيير حرف واحد . - هذه العناصر - التزمت هنا أن اوضح التعبير الذي جعله النص غير مجد . - لطافة حجمها للغاية - تلك هي الذرات المقبولة أيضا عند ديمقريطس استاذ لوكيبس . - ويزيد على ذلك لوكيبس - ليس النص على هذا الضبط ولكن المعنى الذي أعطيه يستفاد من أسلوب الجملة الاغريقية نفسها . - شيئا واحدا بعينه - ليس في النص الا كلمة واحدة . - العالم كله - أضفت هذه العبارة لكيلا أكرر ما قيل آنفا . - ويستنتج لوكيبس من هذا - ليس النص على هذه الصراحة . - الذي تقبله وتعاينه - ليس في النص الا كلمة واحدة . - بواسطة التسامح - ر . ما سبق حرف ا . - بواسطة الخلو - تكرير لما قيل آنفا في هذه الفقرة نفسها . - التي تدخل - أو التي « تتولج » .

٦ - وأما أمبيدقل فينبغي ضرورة أن يقول قول لوكيبس تقريرا
لانه يقول بأنه يجب أن يوجد جزئيات جامدة وغير قابلة للتجزئة اذا كانت
المسام ليست متصلة مطلقا . ولما أن هذا الاتصال للمسام محال لانه حينئذ
لا يمكن وجود شيء جامد ، الا أن يكون هو المسام ، والكل بلا استثناء
لا يكون بعد الا خلوا ، فحينئذ يلزم على رأى أمبيدقل أن الجزئيات التى
تتماس تكون غير قابلة للتجزئة وأن المسافات وحدها التى تفصلها تكون
خلوات ، وهذا هو ما يسميه المسام . وهذه الآراء هى أيضا آراء لوكيبس
فى الفعل والانفعال فى الاشياء .

٧ - تلك هى الايضاحات التى أعطاها عن الوجه الذى تكون به الاشياء
تارة فاعلة وتارة متفعلة . وحينئذ يرى مبلغ ماعليه فى الحقيقة هؤلاء
الفلاسفة وكيف يعبرون آراءهم فى هذا الصدد مؤيدين مذاهب تكاد تكون
مطابقة للحوادث .

٨ - ولكن فى نظريات فلاسفة آخرين كأمبيدقل يلح ، بجلاء أقل ،
كيف يترك كون الاشياء وفسادها واستحالتها والطريقة التى بها تقع
هذه الظواهر . فعلى رأى البعض أن العناصر الأولية للأجسام هى غير

§ ٦ - وأما أمبيدقل - ر . ما سبق ف ٢ حيث يظهر أن أمبيدقل أنزل من أجل
هذه النظرية فى منزلة أدنى من ديمقريطس ولوكيبس . - جزئيات جامدة وغير قابلة
للتجزئة - وفى هذا المعنى يقرب أمبيدقل من مذهب الذوات . - ليست متصلة مطلقا
- يعنى تلامس مباشرة بعضها بعضا . ولكن فكرة المسام عنها تستلزم ضرورة حواجز
جامدة تفصلها وتعرلها بعضها عن بعض . - هذا الاتصال للمسام . النص ليس على هذا
القدر من الصراحة وعبارته غير محددة . ولكن المعنى مع ذلك لا يمكن أن يكون محال للشك
الا أن يكون هو المسام - وربما كان أحسن « بجانب المسام » . - على رأى أمبيدقل -
زدت هذه الكلمات . - التى تتماس - وتكون بنوع ما حواجز للمسام . - وحدها هذه
الكلمة ليست فى النص ولكن ظهرت لى مفيدة فى اتمام الفكرة . - هى أيضا آراء لوكيبس
- نتيجة وتكرير لما قيل فى أول هذه الفقرة .

§ ٧ - تارة فاعلة وتارة متفعلة - أو أيضا « تفعل وتفعّل » . - هؤلاء الفلاسفة
- هذا ينطبق بالأخص على لوكيبس وديمقريطس . - تكاد تكون مطابقة للحوادث - د .
ما سبق ف ٤ .

§ ٨ - كأمبيدقل - هذا يشبه أنه مناقض لما قيل فى ف ٦ حيث آراء أمبيدقل
معتبرة لصيقة بآراء لوكيبس التى ووفق عليها . - فعلى رأى البعض - يعنى الفلاسفة
الآخرين ما عدا أمبيدقل . - غير قابلة للتجزئة - هى الجواهر الفردة . - تركيب
الأجسام فى البداية - تكرير لما سبق . - العظم - مها كان . - يعنى غير متناه فى
الصغر مادام الامر خاصا بالذوات . - ان النار ذاتها عنصر ذو فيما سياتى ف ٢ ب
ف ٦ رأى أمبيدقل فى النار التى هى على رايه خليط وبالنسبة ليست عنصرا حقيقيا . -
وقد ايد افلاطون النظرية عنها بالنص أقل صراحة . - فى « طيناموس » د ر . ترجمة
كوزان ض ١٦١ و ١٦٧ وما بعدها . - الا سطوحا - ربما لم يقل افلاطون ذلك صراحة =

قابلة للتجزئة ولا تختلف بينها الا بالصور ، ومن هذه العناصر تتركب الاجسام فى البداية وانها تتخلل فى النهاية . ولكن من جهة أمبيركل فقد يرى على كفاية الوضوح أنه يبلغ بكون الاشياء وفسادها الى العناصر أنفسها . على أنه كيف يمكن أن يكون وأن يفسد العظم المثلث لهذه العناصر ؟ هذا هو ما ليس بينا البتة فى مذهبه . بل زيادة على ذلك أن هذا مالا يستطيع تبينه مادام أنه ينكر أن النار ذاتها عنصر كما ينكر أيضا على السواء وجود جميع العناصر الاخرى . وقد أيد أفلاطون النظرية عينها فى طيمائوس لانه فضلا على أن أفلاطون يعبر فى هذه النقطة مثل لوكيبيس فإن أحدهما يقبل أن التى لا تتجزأ هى جوامد والآخر أنها ليست الا سطوحا ، وأن أحدهما يقرر أن جميع الجوامد التى لا تتجزأ هى محدودة بأشكال عددها غير متناه والآخر أن لها أشكالا متناهية ومضبوطة . والنقطة الواحدة التى فيها يتفق الاثنان جميعا أنهما يقبلان وجود التى لا تتجزأ وتحديدها بأشكال .

٩ - إذا كان حقا أن من ذلك فى الواقع تأتى أكوان الاشياء وفساداتها فمن ثم يوجد عند لوكيبيس لأدراكها طريقتان الخلو والتماس . وعلى هذا النحو ، على رأيه ، أن كل شئ قد يكون متميزا ومنقسما . ولكن عند أفلاطون الأمر على الضد ليس الا التماس وحده مادام أنه يرفض وجود خلو . وقد تكلمنا فى بحوثنا السابقة على مذهب السطوح التى لا تتجزأ ، وأما الجوامد التى لا تتجزأ فليس هاهنا محل لفحص أطول من ذلك عن نتائج هذه النظرية التى نلعبها الآن الى جانب .

١٠ - ولكن اذا نحن استطرдна بعض الشئ نقول انه ضرورة فى هذه المذاهب كل مالا يتجزأ فهو يجب أن يكون غير منفعل لانه لا يمكن

= ولكن هذا هو النتيجة الضرورية لنظرياته . - متناهية ومضبوطة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - والنقطة الواحدة التى فيها يتفق الاثنان - ليس النص على هذه الصراحة . - وجود التى لا تتجزأ - لا يظهر أن أفلاطون يقبل مذهب الجوامد الفردة تماما على النحو الذى يظهر أن أرسطو يقوله هنا .

§ ٩ - فساداتها - أو « انفصالاتها » وكلمة النص ليست أكثر من ذلك ضبطا . على رأيه - زدت هذه العبارة - قد يكون متميزا ومنقسما - وضعت هاتين الكلمتين لأوفى قوة كلمة النص الواحدة . - الا التماس وحده - يعنى أن السطوح بتلاصها تنتهى بان تتركب الاجسام ولا أمدى هل هذا هو فى الحق معنى نظرية أفلاطون . - فى بحوثنا السابقة - ر . كتاب السماء ك ٣ ب ١ ف ١٤ وخصوصا ب ٧ و ٨ حيث نظرية أفلاطون منقوضة بالتطويل . - السطوح لا تتجزأ - هذا هو مذهب أفلاطون . - أما الجوامد التى لا تتجزأ - هذا هو مذهب الجوامد الفردة الذى هو مذهب لوكيبيس - نتائج هذه النظرية - ليس النص بينا هكذا .

§ ١٠ - فى هذه المذاهب - أضفت هذه الكلمات الى ظهرت فى ضرورة لاتمام =

أن يكون منفعلا وقابلا أى فعل ما الا بالخلو الذى هو غير مقبول عندهم . وهو كذلك لا يمكنه ان يحدث أى فعل ما فى أى شيء اتفق مادام انه لا يمكن أن يكون لا صلبا ولا باردا مثلا . وفى الحسب أنه من السخف الاقتصار على تخصيص الحرارة بالشكل الكرى وحده فقط لانه من ثم يكون بالضرورة الكيف المضاد ، أعنى البرودة ، يتعلق بشكل آخر غير الكرة . ولكن اذا كان هذان الكيفان يوجدان فى الاشياء ، أعنى الحرارة والبرودة ، فيكون من السخف الاعتقاد بأن الحفة والثقل والصلابة والرخاوة لا يمكن أن تكون فيها أيضا . وانى أعترف بأن ديمقريطس يزعم أن كل ما لا يتجزأ يمكن أن يكون أكثر ثقلا اذا كان أكبر حجما بحيث انه ، بالبين بذاته أيضا ، يمكن أن يكون أكثر حرارة .

١١ - ولكنه من المحال ، متى كان الامر على ما يقال ، أن تلك التى لاتتجزأ لا تقبل تأثيرا ما بعضها من قبل البعض الآخر ، وأن ماهو متوسط الحرارة مثلا لا يقبل تأثيرا من قبل ما له حرارة أكثر منه للغاية . ولكن اذا كان الصلب يقبل تأثيرا فالرخو أيضا يجب أن يقبل تأثيرا لانه لايقال على شيء انه رخو الا مع الاستحضار الذهني لفعل يمكنه احتماله مادام الجسم الرخو هو بالضبط هذا الذى يطاوع الضغط بسهولة .

١٢ - ومع ذلك ليس أقل سخفا ألا يقبل فى الاشياء مطلقا شيء الا الصورة واذا تقبل الصورة فمن السخف ألا يفترض فيها الا واحدة إما

= الفكرة التى يجيؤها تفسير فيلوبون . - الذى هو غير مقبول عندهم - أضفتها للسبب المتقدم . من السخف - هذا التفسير القاسى قد كرر عدة مرات فى هذه الفقرة ولكنه وارد فى النص كما هو فى الترجمة . - الشكل الكرى وحده فقط . - ر . طيماسوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٥٣ و ١٦٧ وما بعدها . وربما لا تكون عبارة طيماسوس من التأكيد على ما يزعم ارسطو . - اذا كان ابر حجما - النص هنا بين الدقة لما به من الایجاز . ويظهر مع ذلك أن كل النوات قد يجب أن تكون متساوية بينها وان احدها لا ينبغي أن تكون أكثر ثقلا من الاخرى .

§ ١١ - على ما يقال - النص أقل بيانا . - لا تقبل تأثيرا - أولا تنفعل . - ما هو متوسط الحرارة - هذا هو الواقع المعلوم الذى هو توازن الحرارة . فان شئتين غير متساويتى الحرارة يصيران متساويتين بأن يفعل أحدهما فى الآخر . - ولكن اذا كان الصلب يتقبل - ليس النص على هذه السعة . - يطاوع الضغط بسهولة . - ر . الميتورولوجيا ك ٤ ب ٤ ف ٦ وما بعدها ص ٢٩٨ من ترجمتى .

§ ١٢ - ومع ذلك ليس أقل سخفا - هذا الانتقام موجه على الاخص بغير شكك لى أفلاطون . - الصورة - هذا التعبير محمول هنا على معنى مهم ما دامت القرينة تدل على أن معنى الصورة أيضا الخاصة . وفى الواقع أنه الحار والبارد خاصيتان وليسته حورتين بالمعنى الخاص . - لهاتين الظاهرتين لتقابلتين - أضفت الكلمة الأخيرة .

مثلا البرودة واما الحرارة لانه لا يمكن أن يوجد طبع واحد بعينه لهاتين الظاهرتين المتقابلتين .

١٣ - وفي الحق اذا من المحال أيضا على سواء أن يفترض أن الموجود مع بقاءه واحدا يمكن أن تكون له عدة صور لانه بما هو لا يتجزأ قد يعاني تغيره المختلفة في النقطة عينها . وبالنتيجة فعبتا يفعل ، فيبرد مثلا ، وبهذا عينه يحدث أيضا فعلا آخر أو بل يقبل أى تأثير آخر اتفق .

١٤ - يمكن استخدام هذه التنبيهات أنفسها بالنسبة لجميع التغيرات الأخرى لانه سواء قبل القول بجوامد لا تتجزأ أو قبل القول بسطوح لا تتجزأ فالتنتائج تكون هي أنفسها مادام ليس ممكنا أن اللامتجزئة تكون تارة أكثر تخلخلا وتارة أكثر كثافة اذا لم يوجد خلو في اللامتجزئة .

١٥ - وكذلك من السخف على السواء تماما افتراض أن أجساما صفارا هي غير قابلة للتجزئة وأن أجساما كبارا لا تكونه . ففي الحالة الحاضرة للأشياء يفهم العقل في الواقع أن الاجسام الكبرى يمكن أن تنفتت بأسهل جدا من الصغرى مادام أنها تتحلل بدون عناء لانها كبيرة وأنها تتلاصق وتتصادم في كثير من النقط . ولكن لماذا اللامتجزئة قد توجد مطلقا في صفار الاجسام بالاولى من أن توجد في الكبار ؟

١٣ - مع بقاءه واحدا - ليس النص على هذه الصراحة . - تنغيره المختلفة - زدت الكلمة الأخيرة . - في النقطة عينها - الكلمة التي استعملت في النص غير محددة فاضطرت الى زيادة الضبط . - يحدث أيضا فعلا آخر - المعنى ليس جليسا وكان يقتضى توسعا في التعبير . - أى تأثير آخر اتفق - هنا أيضا ترجمتى أكثر ضبطا من النص .

١٤ - بجوامد لا تتجزأ - هذا هو منهج لوكيس وديمقريطس . - بسطوح لا تتجزأ - هذا هو منهج أفلاطون . و - ما سبق ف - أن اللامتجزئة - عبارة النص ليست محدودة تماما . - في اللامتجزئة - هذه هي عبارة النص بعينها .

١٥ - أجساما صفارا - الجواهر الفردة مفروض أنها على نهاية ما يمكن من الدقة بحيث تعزب عن مشاهدتنا . وقد استنتج أنها غير قابلة للقسمه لانها أصغر من أن تقسم .

- ففي الحالة الحاضرة للأشياء - عبارة النص هي : « الآن » . - تتحلل - قد يكون أول «تجزئة» . - وإنها تتلاصق وتتصادم في كثير من النقط - ليس في النص الا كلمة واحدة . - مطلقا - ليس في النص الاغريقى الا هذه الكلمة وحدها والتعبير اوجز مما ينبغي وكان يلزم التوسع فيه لجعل المعنى أبين من ذلك . فاذا كانت الجواهر الفردة غير قابلة للتجزئة بطبيعتها فصغرهما وكبرهما لا دخل له فسواء كانت كبيرة أم صغيرة فانها تظل غير قابلة للتجزئة وعلى ما جيلها الطبع .

١٦ - وفوق ذلك كل هذه الجوامد هل هي من طبع واحد بعينه أم هل هي تختلف بعضها عن بعض بما أن بعضها من النار والآخر من الأرض بحسب كتلتها ؟ فإذا لم يكن إلا طبع واحد بعينه لجميعها فماذا عسى أن تكون العلة التي قسمتها ؟ بل لماذا بتماسها لا تجتمع كلها بالتماس في كتلة واحدة بعينها كالماء حينما يلامس الماء ؟ فإن الماء الأخير المضاف لا يختلف في شيء عن الماء الذي كان يتقلعه . ولكن إذا كانت هذه التي لا تتجزأ يختلف بعضها عن بعض فحينئذ ماذا تكون ؟ بين بذاته أنه يلزم التسليم أن هذه هي مبادئ الظواهر وعللها أولى من أن تكون مجرد أشكال لها ، ومن جهة أخرى إذا قيل إنها مختلفة الطبع فحينئذ يمكنها بتلاصها المتبادل أن تفعل أو تنفعل بعضها بالآخر .

١٧ - أكثر من ذلك ، ماذا سيكون المحرك الذي يوقعها في الحركة ؟

§ ١٦ - وفوق ذلك - رد آخر بعد الردود السابقة . - كل هذه الجوامد - المعتبرة أنها جواهر فردة أو ذرات غير قابلة للقسمة . - بما أن بعضها من النار - على حسب ما يظهر أنه ينتج على الخصوص من النظريات المقررة في طيناسوس . - التي قسمتها - أو « فصلت بعضها عن بعض » . وهنا القسمة أو الفصل يشبه أنها ترجع أيضا إلى مجرد عدم المشابهة . - بتماسها - أو « بعد أن تلامست على طريق التبادل » . - في كتلة واحدة بعينها - عبارة النص غير مجدية . - كالماء - المثل على الأقل واضح جدا لأن الماء ينضم إلى الماء بلا أدنى عناء . وإن الذرات يجب أن تجتمع بعضها مع بعض على هذا النحو بسبب تماثلها الطبيعي . - الماء الأخير - هذه هي عبارة النص بعينها . - المضاف - هذه الكلمة ليست في النص . فحينئذ ماذا تكون ؟ - هذا سؤال موجه إلى مذهب أفلاطون ومذهب لوكييس الذي يريد أرسطو بلا شك أن يعيب عليه أنه لم يلج في هذه النقطة قدر الكفاية . - مجرد أشكال لها - المسلم بها في نظريات أفلاطون ونظريات لوكييس . - إذا قيل - ليس النص على هذه الصراحة . - تفعل أو تنفعل - في حين أنه في المذاهب التي يطن فيها أرسطو تعتبر الجواهر الفردة غير قابلة للانفعال . ر . ١٠ ما سبق ف ١٠

§ ١٧ - ماذا سيكون المحرك الذي يوقعها في الحركة ؟ ليس النص على هذه المسألة . - مخالفا لها - يعني أجنبيا منها وخارجا عنها . - ما لا يتجزأ قابلا - وهو في النص أيضا بصفة المفرد ولكن الجمع ربما كان أولى ما دام المقصود هو الجواهر الفردة . فإن ما لا يتجزأ يصير قابلا بما هو يقبل ويعاني الحركة التي يوصلها إليه المحرك . - إذا كان كل ما لا يتجزأ يحرك نفسه - من غير أن يتلقى الحركة من الخارج . - محرك في جزء ومحرك في جزء آخر - قد وضح في « الطبيعة » أن المحرك الذي يعطي الحركة الذاتية لنفسه يجب أن يفهم على أن له جزأين أحدهما يتلقى الحركة التي يعطيها له الآخر . مع أنه يبقى بأكمله غير متحرك . ر . الطبيعة ك ٨ ب ٦ ف ٩ ص ٦٠١ من ترجمتنا . - في الشيء بعينه - وهو محال لأن الضدين لا يجتمعان في آن واحد في شيء واحد بل يجب أن يتعاقبا عليه . - بالعدد - أو بالشخص . - بل بالقوة أيضا - يعني أنها يمكن أن تنفعل بالضدين معا . وكلمة بالقوة هنا ليس لها معناها المادي .

إذا كان هذا المحرك مخالفا لها فحينئذ يكون مالا يتجزأ قابلا . وإذا كان كل مالا يتجزأ يحرك نفسه فاما أن يصير قابلا للتجزئة بما هو محرك في جزء ومحرك في جزء آخر واما أن يجتمع النقيضان في الشيء بعينه معا . وحينئذ تكون المادة واحدة لا بالعدد فقط بل بالقوة أيضا .

١٨ - وحينئذ هؤلاء الذين يزعمون أن التغاير التي تقبلها الاجسام تكون بحركة المسام يجب عليهم أن ينتبهوا ، لانهم اذا سلموا بأن الظاهرة تقع حتى لو كانت المسام مليئة لاستعاروا حينئذ للمسام وظيفة غير مفيدة قطعا مادام أنه اذا انفعل الجسم في هذه الحالة بالطريقة عينها يمكن افتراض أنه ، بدون أن يكون له مسام وبما هو نفسه متصل ، قد يمكنه أيضا أن يقبل بالتمام كل ما يقبل .

١٩ - ولكن كيف يمكن أن يحصل النظر بالطريقة التي يفسر بها في هذا المذهب ؟ ليس أكثر امكانا في الواقع أن يمر بالتماسات من خلال الاشياء الشفافة منه في خلال المسام اذا كانت المسام كلها مليئة . فأن يكون الفرق اذا بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة مادام أن الكل سيكون مليئا على السواء ؟ بل اذا كانت هذه المسام ذاتها مفترضة خالية واذا كان فيها اجسام فحينئذ تعود الصعوبات أنفسها . ولكن اذا افترضنا ان المسام ذات امتدادات صغيرة بحيث لا تستطيع بعد أن تقبل

§ ١٨ - يجب عليهم أن ينتبهوا - ليس النص على هذا القدر من الضبط فظننت واجبا على أن أقسم الجملة والفكرة لاجعلها أكثر بيانا . - حتى لو كانت المسام مليئة - أو « مملوءة » بالمواد التي يمكن أن تتجاوزها لتفعل في الاجسام وتغيرها بأية طريقة كانت . - انفعل ... بالطريقة عينها - ويعاني الفصل الذي قد يعانيه بدون أن يكون له مسام او اذا كانت المسام خالية . - كل ما يقبل - أضفت هذه الكلمات .

§ ١٩ النظر - من خلال الاوساط وكما قيل آنفا « من خلال الاجسام الشفافة » التي هي مفترضة ذات مسام يمر منها الضوء . - بالتماسات - حفظت عبارة النص على حالها مع كونها غامضة . ولم يك شرح فيلوبون ليزيل هذا الغموض . وقد ينبغي أن يفهم أن الضوء انما يلامس سطوح الاجسام الشفافة وينفذ فيها هكذا . - اذا كانت المسام كلها مليئة - بجسم يكون : الضوء مضطرا لطرده امامه لياخذ مكانه ويحتاز الجسم الشفاف . - بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة - ليس في النص هذا التردد الذي ظهر لي ضروريا لتبيين الفكرة : - ما دام أن الكل سيكون مليئا على السواء ؟ - اما باتصال الجسم نفسه واما بامتلاء المسام . - هذه المسام - بالنص غير محدود تماما . - الصعوبات أنفسها - التي جرى على بيانها . ويقال في الجزئيات الموجودة في المسام ما كان يقال أولا في المسام أنفسها . - أن الصغير خال - حفظت بناء جملة النص على ما هو عليه . والمراد بالصغير ما هنا الجسم القليل الامتداد . - أن الخلق هو شيء آخر غير مكان الجسم - الفكرة غامضة قليلا ولم أجد في شرح فيلوبون شيئا يوضحها على قدر الكفاية .

أى جسم اتفق فإن من سغه للرأى أن يتصور أن الصغير خال وأن الكبير ليس كذلك مهما كانت سعته وأن يتمشى بالاعتقاد إلى أن الخلو هو شيء آخر غير مكان الجسم بحيث أنه ، كما هو بين بذاته ، يلزم أن يكون الخلو دائما على مقدار مساو للجسم نفسه .

٢٠ - وعلى جملة من القول فإنه غير مفيد افتراض مسام . فإذا كان جسم . لا يفعل فى آخر بمسه فلن يفعل أيضا بأن يخترق مسام . وإذا كان انما يفعل بالمس فحينئذ ، حتى يكون مسام ، تفعل الاجسام أو تقبل الفعل كلما وضعها الطبع أحدها تلقاء الآخر فى علاقة من هذا القبيل .

٢١ - والحاصل أنه يرى من كل ماتقدم أن تصور مسام على الوجه الذى فهمها به بعض الفلاسفة انما هو خطأ كامل أو فرض باطل . فان الاجسام بما هى قابلة للتجزئة مطلقا فى كل جهة فمن السخرية افتراض مسام مادام أن الاجسام بما هى قابلة للتجزئة يمكنها دائما أن تنفصل .

§ ٢٠ - وعلى جملة من القول - هذا هو محصل المناقشة السابقة . وقد أستنتج أرسطو أن نظرية الفعل والانفعال لا حاجة بها إلى فرض المسام الذى تخيله بعض الفلاسفة . فى آخر - أضفت هاتين الكلمتين . - وإذا كان انما يفعل بالمس - يعنى بأن يلمس مباشرة الشيء الذى يقع عليه فعله . - كلما وضعها الطبع - ليس النص على هذا القدر من الضبط .

§ ٢١ - انما هو خطأ - ملخص كل هذه المناقشة . - قابلة للتجزئة مطلقا فمن كل جهة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - أن تنفصل - وتعمل لانفسها مسام كما سره فيلوبون .

الباب التاسع

تفاصيل جديدة على نظرية كون الاشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة - الانفعال - التي تحصل عند التماس وعلى بعد - توضع ديمقريطس لمح الكسفي - تحول اشكال الاجسام اذ تتغير بحال دون ان تتغير بالكل - خاصة نظرية الفعل والقابل -

§ ١ - أما نحن فاننا صاعدين الى المبدأ الذي طالما قررناه نعيد ايضاح الطريقة التي بها الكون والفعل والانفعال تقع في الاجسام . في الواقع اذا كان شيء له الخاصة الفلانية تارة بالقوة المحضة وتارة بالفعل وبالكمال واذا كان يمكنه بالطبع ان يفعل في واحد معين من اجزائه ولا يفعل في الآخر ولكن في مجموعته يفعل بنسبة ماله من هذه الخاصة فمن البين انه سيفعل أكثر أو أقل تبعاً لما ان هذه الخاصة فيه أكثر شدة أو أقل . على هذا الوجه على الاخص قد يمكن بكثير سهولة التسليم بوجود المسام ، وتكون حالها على ذلك في الاجسام كما هو الحال في المعادن تمتد أحياناً عروق متصلة من المادة القابلة لانفعال ما .

§ ٢ - على ذلك كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً كان غير

§ ٦ ب ١ - المبدأ الذي طالما قررناه - وهو التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل كما سيورد في السطور الآتية . - بالقوة المحضة - أضفت كلمة « المحضة » - بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة . فان التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل هو أحد المبادئ الاساسية لمذهب المشائين . ولكن قد يرى ان تطبيقه هنا ليس واضحاً جداً بل ولا ناقصاً جداً لايضاح نظرية المسام . - واذا كان يمكنه بالطبع . . . - قد تركت للجملة اليونانية طولها كله لكيلا اغير تأليفها في النص . - قد يمكن بكثير سهولة التسليم - غيرة النص ليست على هذا : لقد من البين ولو ان عبادتي في الترجمة ليست على ماكنت اريد ان تكون من الجلاء - وتكون حالها على ذلك في الاجسام - في الحق انها لا تكون بعد مسام بل تكون فقط بعض اجزاء من مادة الجسم أكثر قابلية من غيرها لقبول لاثم الفلاني أو الفلاني . - كما هو الحال في المعادن - المشاهدة مع ذلك حقة . وليس ولا واحد الا شاهدا . - القابلة لانفعال ما . - ليس النص على هذا القدر من البيان .

§ ٢ - كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً - أو بعبارة أخرى الا يكون مستجمعا للشرائط المطلوبة ليفعل أو ليعتد فلما دهم ان الشيء لا يمكن ان يفعل في نفسه وكان الشيء لا يفعل في الشيء ولا يقبل منه . - كان غيرقابل - بمعزل عن كل فعل وكل افعال آت من ذاته . - لا تلامس بينها - بلا واسطة . - أولا تلامس أغيارا - تصلح : اذا كوسطاء للوصول الى الشيء الذي عليه يقع الفعل . - ان يفعل - بأن ينقل الى الجسم الحرارة التي تلقاها . - وينفعل - بأن يقبل مباشرة حرارة النار التي يجب ان ينقلها .

قابل . ويجرى هذا المجرى أيضا متى كانت الأشياء لا تلامس بينها أو لا تلامس أغيارا يمكنها بطبيعتها أن تفعل أو تنفعل أعنى مثلا انه ليس فقط النار تسخن بالتماس ولكنها تسخن أيضا على مسافة لان النار تسخن الهواء والهواء يسخن الجسم لان الهواء بطبعه يمكن أن يفعل وينفعل معا .

§ ٣ - ولكن متى يقال ان شيئا يمكن أن ينفعل في واحد من أجزائه ويمكنه إلا ينفعل في آخر فينبغي ايضاح ماذا يعنى بذلك بعد الحد المعطى في المبدأ ، فاذا كان في الواقع العظم ليس هو مطلقا قابلا للتجزئة في جميع الجهات لكن فيه شيئا ما جسما كان او سطحيا يكون غير قابل للتجزئة فيه فقد ينتج من ذلك أنه لا يوجد بعد من عظم يمكن أن يكون يكله قابلا ، بل قد لا يكون بعد من شيء يمكن أن يكون متصلا . وحينئذ اذا كن ذلك خطأ وكان كل جسم قابلا للتجزئة دائما فلا يهم بعد أن يكون الجسم مقسوما فعلا وبهذه الصفة قابلا للتماسات أو يكون بالبساطة قابلا للتجزئة لانه ما دام يمكن أن يكون مقسوما في نقط التماس ، كما هو المسمى ، يمكن اعتباره كأنه مقسوم حتى قبل أن يكون ويكون قابلا للقسمة ما دام أنه لا شيء مما هو محال يكون أبدا .

§ ٢ متى يقال به يمكن ترجمتها أيضا « متى أقول » فإن الفرق بينهما غير يسير في النص . بعد الحد المعطى في المبدأ - قرب الترجمة من النص بقدر ما استطعت ولكن الفكرة لا تزال غامضة ولم يفسر فيلوبيون في جلائها شيئا . فقد ينتج من ذلك - عبارة النص ليست مضبوطة ولكن هذا المعنى يظهر أنه ينتج لزوما مما يل - . يمكن أن يكون يكله قابلا - ر . الفقرة السابقة . - يمكن أن يكون متصلا - لان الفترات منعزلة بعضها عن بعض وما دامت منفصلة هكذا لا يمكن أن يكون لها الاتصال الذي هو ضروري لتأليف جسم . - وكان كل جسم قابلا للتجزئة - منه هي نظرية أرسطر المبسطة مرارا في « الطبيعة » - مقسوما ... قابلا للتجزئة - هذا هو ما بالفعل وما بالقوة . - في نقط التماس - عبارة النص هي : « بحسب التماسات » - لا شيء . بما هو محال يكون أبدا - هذا المبدأ يدهى للنهاية ولكن لا يرى وجه اتصاله بما سبق . وقد أفرغت جهدي في استجلاء هذه الفقرة فلم أتجع ولم أجد لتفراج بما فيه من بيان توماس قد نجحوا في ذلك أيضا . وماك تفسيرا يساعد بالاقبل على تسلسل المعاني : « لكي تقهر ماهية الفعل والانفعال في الأشياء يلزم التسليم بأنه من المحال أن شيئا يقبل فعلا ما » « في واحد من أجزائه ولا يفعله في الجزء الآخر » فالتى أما أن يكون يكله قابلا واما أن يكون يكله فاعلا . فاذا سلم بالذرات فيحينئذ يمكن ألا يكون الشيء بعد قابلا بكليته ولكن بذلك أيضا ينقطع عن أن يكون متصلا . واذا فذهب الذرات جائل . وكل عظم هو دائما وعلى الإطلاق قابل للقسمة دون أن يمكن الوصول الى جزئيات لا تنجزا . ويكاد لا يهم ما اذا كانت القسمة واقعة ماديا أو ممكنة امكانا متجرما على وجه ذهني صرف . ويتكى أمكان حصولها ليكون الجسم الخارج منها له ذاتها وحدته وإن يكون بالنتيجة في مجموعه اما فاعلا واما قابلا .

§ ٤ - وان ما يجعل سخيفا تماما تقرير ان الفعل والانفعال
يخلصان غلى هذا النحو بشق الاجتماع هوان هذه النظرية تمحو الاستحالة
وتفسدها . وعلى هذا نحن نرى ان جسما بعينه دون أن ينقطع عن أن يكون
متصلا هو تارة سائل وتارة متجمد دون أن يقبل هذا التحول لا بقسمة
أجزائه ولا باتحادها ولا بنقلتها ولا بتماسها كما يزعم ديمقريطس . لان
الجسم ما كان ليغير وضعه ولا ليغير مكانه ولا ليغير طبعه ليصير متجمدا
بعد أن كان سائلا . وليس يرى أيضا أن الاشياء المتصلبة والمتجمدة تكون
حالا غير قابلة للقسمة في كتلتها بل الجسم بأكمله يكون على السواء سائلا
واحيانا يصير بأكمله صلبا ويتجمد .

§ ٥ - وأخيرا ، في هذا المذهب قد لا يمكن بعد وجود نمو الاشياء
ولا اضمحلالها لانه لا جسم يمكن ان يصير أكبر اذا لم يكن هناك الا مجرد
اضافة واذا لم يتغير بأكمله على أثر اختلاط بشي أجنبى أو على اثر تغير
ما يحصل فيه .

§ ٤ - الفعل والانفعال - النص غير محدد تماما ولكنى أحدد المعنى اعتمادا على تفسير
فيلويون . - على هذا النحو - يعنى بواسطة المسام التى أفرستها بعض الفلاسفة .
بشق الأجسام - حفظت عبارة النص بعينها ، فان الجسم هو بنحو ما مشقة بالمسام
التي تتخللها . - تمحو ... وتفسدها - ليس في النص الا كلمة واحدة . -
الاستحالة - يعنى أن في هذا المذهب لا يمكن ادراك ظاهرة الاستحالة . - دون أن ينقطع
عنى أن يكون متصلا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - تارة متجمد
يضرب فيلويون مثالا لذلك اللبن الذى هو تارة سائل وتارة متجمد . وقد يمكن التذكير
الشراح أن المقصود أيضا هو الماء فانه تارة سائل وتارة جليد . - بتماسها - على تقدير
بأجسام أخرى . - كما يزعم ديمقريطس - وفى الحق هذه هى كل ما ينسب ديمقريطس الى
النرات من الخواص . - متجمدا - أو جليدا . - حالا - أى في النظام الحالى للطبع . - غير
قابلة للقسمة في كتلتها - يفهم سان توماس من هذا انه لا حاجة بأن تتجمد الاشياء أو
تتجلد الى أن تتخلل ذرات غير قابلة للقسمة بل هى تكاد هذا التغير في جوهرها الذاتى
على السواء - أى في جميع أجزائه بدون أن بعضها يعانى التغير الذى تقاومه الأخرى .

§ ٥ - فى هذا المذهب - أضحت هذه الكلمات لتبيين الفكرة . - قد لا يمكن بموجود -
يعنى أنه لا يمكن توضيح ما هو نمو الاشياء أو اضمحلالها . - الا مجرد اضافة - بأن تأتى
الذرات فتتضم الى الجسم لتنمية وتزيد حجمه أو أنها تستحب منه لتقصه أو لتهلكه -
يقضى أجنبى - - أضحت الكلمة الأخيرة . - يحصل فيه - النص ليس على هذا القدر من
الضيق .

§ ٦ - ونحن نقتصر على ما أتينا به من القول فيما يتعلق بكون الاشياء
مفعلاً وتناسلها وتحولاتها المتكافئة . وهذا يكفي على سواء ليفهم على أى
النواحي هذه النظريات تكون ممكنة وكيف لا تكونه بحسب الايضاحات
التي أعطيت عنها أحيانا .

§ ٦ - نحن نقتصر - هذا ملخص مضبوط لكل هذا الباب والابواب السابقة من أول الباب
السابع . وإن أردتوا بعد أن فصح مكانا لتوضيح المذاهب الأخرى لم يكفد بفسح المجال
الخاص من الايضاح ما كان يستدعيه من البيان والاطلاق .

الباب العاشر

نظرية الاختلاط - من الفلاسفة من انكر ان الاشياء امكنها ان تختلط فيما بينها -
ابطال هذه النظرية - المعنى العلم لشروط الاختلاط - الطبع المختلف للاجسام المختلطة -
الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق - لكي يوجد اختلاط بين الاشياء يلزم ان يوجد
بينها تجانس بل شيء من التناسب - للنقطة من التبدل في كمية من الماء سهولة الاختلاط
ولو صعوبته تبعا للتخالف في طبع الاشياء وصورتها - مخالفة نظرية الاختلاط .

§ ١ - بقي علينا أن نفحص ما هو اختلاط الاشياء . وشتتبع هاهنا
النمط عينه كما فيما سبق لأن هذا هو ثالث الموضوعات التي تصدينا
لفحصها في بداية هذه البحوث . يلزم اذا أن ننظر ما هو الاختلاط وما هو
الشيء القابل لان يختلط وما هي الاشياء التي يمكن أن يقع الاختلاط بينها
وكيف تتحقق هذه الظاهرة .

§ ٢ - ومن جهة أخرى يمكن أيضا ان يرتساءل عما اذا كان يوجد
حقيقة بالفعل اختلاط للاشياء او ان هذا ليس الا ضلالا . لانه يمكن ان
يظن ان شيئا لا ينبغي البتة أن يختلط بآخر كما يزعم بعض الفلاسفة .
يقولون أنه في الواقع حينما الاشياء التي اختلطت تبقى بعد أيضا ولم تكن
لتستحيل لا يمكن أن يقال انها الآن أكثر اختلاطاً مما كانته من قبل ،
ولكنها دائما في الحال بعينها . فاذا اخذ احد الشئيين ان يبيد في الاختلاط
لا يمكن بعد أن يقال أنهما اختلطا ولكن فقط أن احدهما يوجد وأن الآخر لا
يوجد بعد ، في حين ان الاختلاط لا يمكن في الحق ان يقع الا بين شيئين

§ ب ١٠١ - ثالث الموضوعات - اى مع الكون والفساد ومع الفعل والانفعال . - في
بداية هذه البحوث - فيما سبق ب ١٠١ لم يتكلم ارسطو ولا على الكون والنمو والاستحالة .
وكان يظهر ان هذه الثلاثة الموضوعات التي عول على الاشتغال بها . ولست أرى انه
قبة في أي موطن آخر على نظرية الاختلاط . - ماهو الاختلاط - الاسئلة الموضوعات
الاختلاط هي مماثلة للاسئلة التي وضعت فيما سبق على الكون ب ١ وعلى الفعل ب ٧ .
ومن هذه الجهة فان المؤلف مصيب في قوله انه يتبع النمط الذي اتبعه من قبل §

§ ٢ - ومن جهة اخرى - من المذاهب ما ينكر ان اختلاط الاشياء ممكن البتة . وذلك
للمذاهب هي على ما يظهر تلك النظريات التي يلزم مناقشتها بادى بدء لانها تنهب الى حد
هوذا الفلاسفة بالغبط . - يقولون - اضيفت هذه الكلمة التي تفهم من الاستيقاق ما دام
فانكار المسألة والقبض عليها . بعض الفلاسفة - لا شيء يعين في هذا الباب من ههنا
ان الذي سيعتمد فيما يلي انما هي الادلة على نفي امكان الاختلاط . - يزيدون . . . على ذلك
اضيفت هذه الكلمات للسبب التلخيص .

يوجدان على السواء • ويزيلون ، أخيرا ، على ذلك انه لا يوجد بعد اختلاط ، بهذا السبب عينه ، اذا كان الشيئان اللذان يجتمعان يفسدان كلاهما بالاختلاط لانه من المحال قطعا ان أشياء لم تكن بعد البتة يمكنها ان تختلط •

§ ٣ - هذه النظرية ، كما يرى ، الغرض منها ان يتعين فيماذا يختلف اختلاط الاشياء عن كونها وعن فسادها • وايضا في اى شيء يختلف الشيء المختلط عن الشيء الكائن وعن الشيء الفاسد ، لانه من اتيين أنه ينبغي أن يكون الاختلاط مغايرا بافتراض انه واقع بالفعل • ومتى وضحت هذه المسائل تنحل المسائل التي وضعناها لانفسنا من قبل •

§ ٤ - ذلك هو السبب في أنه لا يمكن أن يقال أن المادة اختلطت بالنار التي أحرقتها حتى ولا انها تختلط بها وقت ما تحرقها ، كما انه قد لا يمكن ان يقال انها تختلط بنفسها في اجزاء النار كما لا تختلط بالنار نفسها • بل يقال ببساطة أن النار تكونت وان المادة القابلة للاحتراق قد فسدت • كما انه لا يمكن ايضا ان يقال لا عن الغذاء ولا عن صورة الحاتم ان الاولى باختلاطها بالجسم والثانية باختلاطها بالشمع قد أعطتا شكلا ما للكتلة بتمامها • ينبغي الاعتراف أيضا بأنه لا الجسم ولا البياض ولا بالاختصار ، كصفات الاجسام وتغايرها يمكنها أن تختلط بالاشياء مادام انه يرى على الضد من ذلك أن الاثنين يقيان • كذلك ايضا البياض والعلم

§ ٢ - عن كونها وعن فسادها • مما سبق بـ ١ وما يليه • متى وضحت هذه المسائل - تلك هي ادلة الفلاسفة الذين يتكزون الاختلاط • تنحل المسائل التي وضعناها لانفسنا من قبل - في بداية هذا الباب عينه •

§ ٤ - ذلك هو السبب • - هذا فرق بين الاختلاط وبين الكون أو الفساد • - المادة حصلت كلمة النص بعينها ، ولكن المادة هنا معناها الجسم القابل للاحتراق : الخشب او أية مادة اخرى تغذى النار • - انها تختلط بنفسها - يعنى ان الخشب يختلط بالخشب • - في اجزاء النار - أضفت الكلمة الأخيرة • - كما لا تختلط بالنار نفسها - قد أتت بقدر ما استطعت التكرير الموجود في النص واعتملت في ايضاح هذه الفقرة كلها على تفسير فيلوبون تكونت • • فسدت - حصل فيه كون لاحدهما وفساد للآخر ولكنه لم يحصل فيه اختلاط • - كما أنه لا يمكن أيضا ان يقال - هذا فرق بين الاختلاط وبين الزيادة - صورة الحاتم - أضفت الكلمة الأخيرة التي يدل عليها السياق فيما يلي • وربما كان اختار الثلثين غير حسن لان الغذاء يمكن أن يعتبر كأنه مختلط بالجسم الذى ينمي • ولكن بالبدئية طابع الحاتم لا يختلط به • - لا الجسم ولا البياض - حفظت عبارة النص على ايجازها • فان البياض والجسم الذى هو أبيض لا يختلطان ولكن البياض هو في الجسم • - كصفات الاجسام وتغايرها - التي هي في الاشياء ولكن بدون ان تختلط بها • - ان الاثنين يقيان عبارة للنص أكثر ايهما ، ويجب أن يعنى بالاثنتين الجسم والكيفيات التي تكيفه • البياض والعلم - يعنى كيفين عوضا عن جسم وكيف • - الكيفيات أو الخواص النص غير محتند البتة • - التي ليست قابلة للانفصال - على تقدير دعوى الموضوعات التي هي فيها وكل هذه الفقرة متلفة جدا بل ربما كانت دقيقة فيما يظهر •

فى الواقع لا يمكنها أن يركبا خليطا ولا أيضا أى واحد من الكيفيات أو
الخواص التى ليست قابلة للانفصال .

§ ٥ - وأيضا يخدع نفسه من يقرر ان الاشياء جميعها كانت سابقا
مندمجة وان الكل قد وجد مختلطا لان كلا لا يمكن البتة ان يختلط بكل
على السواء . يلزم دائما ان كلا الشيئين المذنين يختلطان يمكن أن يبقى
على حدة . وحينئذ فإن كيفيات الاشياء لا يمكنها ان تكون منفصلة عنها
ابدا . ولكن لما ان من بين الاشياء بعضها تكون بالقوة المحضة والآخر
بالفعل المحض فينتج من ذلك ان الاشياء التى تختلط يمكنها من جهة ان
تبقى بعد ومن جهة اخرى الاتبقى . فاذا كان فى الواقع الخليط الحاصل
من الاختلاط هو شيئا مخالفا فانه يكون كذلك دائما بالقوة للشيئين
الذين كانا يوجدان قبل أن يختلطا وقبل أن ينعدموا فى الخليط . وهذا
انما هو على التحقيق الجواب على المسألة التى أثارها النظرية التى تكلمنا
عليها آنفا . ويظهر ان الاختلاط تتألف من اشياء كانت من قبل منفصلة
ويمكن ان تكون ايضا من جديد . وعلى ذلك الاشياء المختلطة لا تبقى
بالفعل كما يمكن ويبقى الجسم والبياض الذى يشخصه . وليست هى
كذلك تكون فاسدة ، سيان احد الاثنين على حiale والاثنان جميعا معا ما
دامت قوتها محفوظة دائما .

§ ٦ - ولكن لنندع هذا الى ناحية ولننتقل الى المسألة الآتية التى

§ ٥ - وأيضا يخدع نفسه - هذا نقد موجه الى انكساغوراس الذى كان يرى أن جميع
الاشياء فى الاصل كانت مختلطة فى العاء قبل أن يأتى العقل ويرتب العالم . - الطبيعة
الجديدة حيث تنقض نظرية انكساغوراس من ٤٥٥ من ترجمتنا . - كيفيات الاشياء -
٥ - الفقرة السابقة . - بالقوة المحضة . - بالفعل تلحق - اضيفت الصفتين . - شيئا مخالفا
للشيئين الذين يكونان الخليط . - فى الخليط - اضيفت هاتين الكلمتين . - الجواب على
المسألة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - التى تكلمنا عليها آنفا - فى اول هذا
الباب . - ايضا من جديد - بعد ان حصل الخلط . - الذى يشخصه - اضيفت هاتين الكلمتين
قوتها . - يعنى امكان رجوعهما الى ما كان عليهما قبل الاختلاط .

§ ٦ - للمسألة الآتية - يعنى التى ترتبط بالمسائل التى تقدمتها والتى هى بقية لها
يمكن حواسنا ان تدركه - ربما كانت المسألة على هذا الوجه غير موضوعة وضعا حسنا فان
الاختلاط هو دائما قابل لان تدركه حواسنا ولكن حواسنا تارة تميز العناصر التى تتركب
منها الخليط وتارة لا تميزها . - مثال ذلك - ليس النص واضحا هكذا - بوجه محسوس
او «بحواسنا» - هل يوجد فيها حينئذ اختلاط او لا يوجد ؟ - هذا هو اول انواع الاختلاط
فان الحواس لا يمكنها بعد ان تميز العناصر التى ركبته . - ولكن ليس ممكنا أيضا - احببت
أن أصوغ هذه الجملة فى صيغة الاستفهام حتى تكون مقابلة للجملة التى سبقتها . وهذا هو
التعبير الثانى للاختلاط فان الشيئين يبقيان باعتبار أن اجزائهما انما اجتمعت بعضها الى
بعض . - التبن مختلط بالحب - مثل فى غاية الوضوح وهذا المثل ليس البتة كمزج الماء
والنبيذ اذ ان فيه أحد السائتين لا يمكن مطلقا تمييزه عن الآخر كما كان ذلك مفروضا فى
الايضاح الاول .

تتضمن في معرفة ما اذا كان الاختلاط هو شيئا يمكن حراصنا ان نتركه .
 مثال ذلك حينما الاشياء المختلطة تكون مقسومة الى اجزاء من الصغر
 بمكان وتكون موضوعة على قرب بعضها عند بعض حتى لا يعود احدها
 متميزا من الآخر بوجه محسوس فهل يوجد فيها حينئذ اختلاط أو لا يوجد؟
 ولكن ليس ممكنا أيضا أن في الخلط الأشياء كيفما اتفقت تكون موضوعة
 أجزاء أجزاء بعضها بجانب الأخرى ؟ لأن هذا يسمى أيضا اختلاطا وعلى هذا
 النحو يقال ان التبن مختلط بالحلب حينما يكون موضوعا بجانب كل حبة
 تبنه .

§ ٧ - اذا كان جسم هو قابلا للتجزئة واذا كان جسم متى كان
 مختلطا بجسم آخر يجب ان يكون مجانسا له فقد يلزم أن كل جزء اتفق
 من الخليط ينضم الى جزء آخر اتفق . ولكن بما ان الجسم لا يمكن البتة
 أن يكون مقسوما الى أجزائه الصغرى وبما أن الانضمام ليس هو البتة
 الاختلاط بل هو شيء آخر تملأ فبالبين لا يمكن ان يقال بعد ان الاشياء
 اختلطت متى حفظت خواصها على ما كانت في جزئيات صغيرة . حينئذ يكون
 الضم ولكن لا يكون لا خلط ولا مزج ، وحده جزء من الخليط لا يمكن بعد
 أن يكون هو الحد الذي قد يعطى للخليط بتمامه . اما نحن فنقول انه
 لكي يوجد اختلاط حقيقى يلزم أن الشيء الخليط يكون مركبا من أجزاء
 متجانسة ، وكما أن جزءا من الماء هو ماء كذلك أيضا يجب أن يكون أى
 جزء اتفق من الخليط . ولكن اذا لم يكن الاختلاط الا انضمام جزئيات
 الى جزئيات فليس يوجد ولا واحد من الاحداث التى أتينا على تحليلها .
 وانما يكون فقط في نظر الاعين أنه الشئتين يظهر أنهما مختلطتان . وكذلك
 الشيء عينه يظهر مخلوطا للرأى فلان الذى ليس له نظر نفاذ في حين أن
 « لينسيه » يجد أن ليس هناك اختلاط .

§ ٨ - ان التجزئة لا تفسر الاختلاط كما لا يفسره اجتماع جزء

§ ٧ - اذا كان جسم هو قابلا للتجزئة - يظهر ان هذا هو رد من ارسطو على النظرية
 السابقين . وعلى هذا الوجه فهم فيلوبون وسان توماس هذه الفقرة . ولكن المعارضة ليست
 بينا في النص الذى بقي غامضا على رغم جهدى فى استجلاؤه ولم أستطع أن أجعل الترجمة
 أجلى منه بكثير . - الى أجزائه الصغرى - يعنى أن القسمة لا يمكن أن تصل الى جواهر فردة
 وانها (الى القسمة) ممكنة دائما كما يقرره ارسطو بالاقل فى النص ان لم تكن فى الخارج
 - الانضمام - يمكن ترجمتها أيضا التاليف . - فى جزئيات صغيرة - كالحب والتبن اللذين
 من الكلمتين اللتين استعملتهما فى الترجمة . - اختلاط حقيقى - أضفت كلمة حقيقى زيادة
 فى بيان الفكرة . - الشيء الخليط - يعنى الناتج المتحصل من الاختلاط . - جزئيات الى
 الى جزئيات - ليس النص على هذه الصراحة . ولا واحد من الاحداث التى أتينا على تحليلها
 ليس النص على هذه الصراحة . - فى نظر الاعين - لافى الواقع .

§ ٨ - ان التجزئة لا تفسر الاختلاط ، النص غير محدد ، وقد اخترت المعنى الذى

«اتفق بجزء آخر ما دامت التجزئة لا يستطاع حصولها بهذه الطريقة .
 وحينئذ اما ألا يكون اختلاط مسكنا واما انه يلزم اتخاذ نحو آخر
 من النظر لكي ييسط كيف يمكن أن تقع هذه الظاهرة . ولندكر بديا أن
 من بين الاشياء ، كما قلنا ، بعضها فاعلة والاخرى قابلة لفعل تلك ،
 بعضها له تأثير مكافئ وهي تلك التي مادتها واحدة بما هي مستطبعة ان
 تفعل بعضها في الاخرى او تنفعل بعضها بالاخرى على السواء . واخرى
 تنقل مع بقائها غير قابلة للانفعال وتلك هي التي مادتها ليست واحدة ،
 وهذه ليس فيها اختلاط ممكن . من هذا يرى كيف ان الطب لا يختلط
 بالاجسام ليفعل الصحة وثانذا الصحة لا تختلط به أيضا .

§ ٦ - بل من بين الاشياء التي يمكنها أن تفعل وتنفعل على طريقه
 التكافؤ كل تلك التي تكون سهلة التجزئة ، حينما يختلط منها عدد عظيم
 بعدد قليل من اشياء آخر وكمية عظيمة بكمية اقل عظميا لا تنتج على
 التحقيق اختلاطا بل نقوا للعنصر الغالب . وحينئذ أحد الشيتين المختلطين يتغير
 في الذي هو غالب . على ذلك نقطة من النبيذ لا تمتزج بكمية من الماء تكون
 عشرة آلاف ضعف . لانه في هذه الحالة النوع يتحلل ويتغير بتلاشي في
 كتلة الماء كلها . ولكن متى كانت الكميتان متساويتين تقريبا فحينئذ
 كل عنصر يفقد من طبعه ليأخذ من طبع العنصر الذي هو أغلب . فالمزيج
 لا يصير واحدا منهما مطلقا بل يصير شيئا وسطا ومشتريكا .

§ ١٠ - فبين اذا أنه لا يكون اختلاط الا حينما تكون الاشياء التي
 تفعل لها مقابلة ما بينها لانها اذا يمكن أن تقبل تأثيرا ما بعضها من بعض .
 ومن الاشياء الصغيرة ما يزيد اختلاطها بالاشياء الصغيرة باقتربها منها
 لانها حينئذ تتخلل بأسرع وبأسهل بعضها في بعض . ولكن كمية كبيرة
 تحت فعل كمية كبيرة أيضا لا تنتج هذه النتيجة الا مع الطولي .

= عيبه فيلويون . كما لا يفسره اجتماع - الشأن هنا كما في الملاحظة السابقة - ما دامت
 التجزئة لا يستطاع حصولها - يعني أنها تقف عند حد الفرات أو الأجزاء التي لا تتجزأ
 التي لم يقبلها أرسطو البتة . - اتخاذ نحو آخر من النظر - ليس في النص الا كلمة
 واحدة مبهمه وقد ظننت أنه يجب على تحديد المعنى . - ولندكر بديا - أضفت هذه الكلمات
 التي تدل القرينة على مفهومها . - كما قلنا - ر . ما سبق في الباب السابع . - الطب
 - يظهر لي أن في اختيار المثل شيئا من القرابة وقد نبه فيلويون مثل هذا التنبيه .
 § ٩ - التي تكون سهلة التجزئة - كنقطة من الماء في كمية من النبيذ . - نمو -
 . مهما كان ضعيفا مع ذلك بنسبة الاشياء المختلطة . - للعنصر الغالب - في المزيج النهائي .
 - فالمزيج لا يصير - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - مطلقا - أضفت هذه
 الكلمة .

§ ١٠ - مقابلة ما - عبارة النص هي « تضاد » . - يمكن أن تقبل تأثيرا ما - في
 حين انها تحدث فعلا ما . يزيد - أعني بأكثر سهولة وبأسرع ما يكون كما يدل عليه
 الكلام الآتي . - لا تتج هذه النتيجة - أو « الاختلاط » .

§ ١١ - على ذلك بين الأشياء القابلة للتجزئة والمنفصلة الأشياء التي تتحدد بسهولة يمكنها أن تختلط . لأن هذه الأشياء تنقسم بلا عناء الى أجزاء صغيرة . وهذا إنما هو بالتحقيق ما يعنى بقولنا تتحدد بسهولة . مثال ذلك السوائل من بين جميع الأجسام هي الأكثر قابلية للمزج لأن السائل من بين الأشياء القابلة للتجزئة هو الذى يتعين ويتحدد بأسهل ما يكون بشرط ألا يكون دبقا . فان الأجسام الدبقة لا تزيد على أن تصير جملة الحجم أضخم وأعظم ولكن حينما يكون أحد الشيعتين المختلطين هو وحده المنفصل أو أنه يكون كثيرا وأن الآخر يكون قليلا جدا فالخليط الناتج من الاثنين إما ألا يكون أعظم البتة أو ألا يكاد يكونه . وهذا هو ما يقع بالنسبة للتصدير مختلطا بالنحاس لأنه يوجد بعض أجسام حائرة بعضها بالنسبة للبعض الآخر وهي تكون من طبع مشكل . فيمكن أن يلاحظ أن تلك الأجسام لا تختلط الا اختلاطا ناقصا وإلى حد معين . فقد يقال ان أحدهما هو مجرد مأوى في حين ان الآخر هو الصورة . وهذه على التحقيق هو ما يحصل بالنسبة لهذين الجسمين اللذين سميا آنفا . لأن التصدير الذى هو كمجرد تغير للنحاس يدون مادة يكاد يتلاشى بالتنام ويتعمد بالخليط الذى لا يعطيه الا لونا ما . وتحصل الظاهرة عينها أيضا بالنسبة لأجسام أخرى .

§ ١١ - القابلة للتجزئة والمنفصلة - يعنى التى يمكن بسهولة أن تنقسم وأن تقبل فعلا بأعضها من قبل البعض الآخر . وربما كان يلزم أن يقال « فاعلة » بدل « قابلة للقسمة » . ولكن ليس ولا نسخة واحدة تغطى هذا التصحيح . - التى تتحدد بسهولة - مثل السائل الذى ضرب فيما على يوضح كاملا ماذا يعنى بهذا . - يتعين ويتحدد - ليس فى النص إلا كلمة واحدة : - الأجسام الدبقة - عبارة النص غير صحيحة ولكن المعنى الذى اتخذته هو الذى اتخذته فيلوبون . وبدل من الأجسام الدبقة قد يمكن أن يفهم أن المقصود هو السوائل على العموم التى يامتزاجها تصير الكلية الكلية أكثر عظما . - ولكن حينما يكون أحد الشيعتين المختلطين - ليس النص على هذا القدر من البيان . - هو وحده المنفصل - على تقدير « في المزج » . ولكن العبارة غير جلية ويجب أن يفهم أن أحد الجسمين الممزجين يعمل بشدة في الآخر ويبتله بحيث يتلاشى . - ألا يكون أعظم البتة - لأن أحدهما يتلاشى بالتنام بوجه التزج فى المزج . - حائرة - النص هنا يتخذ عبارة مجازية مضحكة فانه يقول : « رتى » ولم أجد ما يقابلها فى لغتنا . وذلك مجاز جرى ويظهر أن فيلوبون قصد له أيضا . على أن المثل المضروب لذلك يفهم معنى هذه النقطة . - الا اختلاطا ناقصا - وحينئذ لا يكون هذا اختلاطا حقيقيا ما دام أن أحد الجسمين يتلاشى بالكلية تقريبا . - هو الصورة - أو النوع . - اللذين سميا - زدت هاتين الكلمتين لأصم المعنى . - كمجرد تغير بدون مادة - يعنى الصورة أو النوع التى تكوّن الخليط من غير أن تغير مادته مطلقا وحده يظهر أنه غاية فى الدقة والحق . - لونا ما - الذى ليس هو لون التصدير والذى لا يعمل لون النحاس الا بعض الشيء .

§ ١٢ - فيرى إذا بحسب جميع التفاصيل المتقدمة أن الاختلاط ممكن وأنه هو ما هو ويرى كيف يكون وما هي الأشياء التي بينها يمكن أن يحصل وهي تلك التي يمكنها أن تبين سر بعضها من قبل البعض الآخر والتي هي قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة . وأن الجواهر من هذا القبيل ليست تفسد ضرورة في الاختلاط ولكنها لا تبقى فيه بعد مطلقاً بأعيانها ، فإن اختلاطها ليس مجرد ضم وأن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس . ولكن يقال على شيء أنه مختلط متى كان وهو مستطيع أن يتحدد بسهولة يمكنه أن يفعل وينفعل معاً وأنه يختلط بشيء له أيضاً هذه الخواص أعيانها لأن الشيء المختلط لا يكونه البتة إلا بالإضافة إلى شيء يكون وإياه من المتفقة أسماؤها (هو مونيم) . والحاصل أن الاختلاط هو اجتماع الأشياء المختلطة مع استحالة لها .

§ ١٢ - فيرى إذا - محصل مضبوط لكل نظرية الاختلاط . - أن الاختلاط ممكن .
 ح . ما سبق ف ٢ . - هو ما هو بحسب النظريات الخصوصية لأرسطو ، هذا هو موضوع كل هذا الباب . - قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة - كالمسائل . - ليست تفسد ضرورة - لأنها تبقى فيه بالقوة .
 وأن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس - ليس النص على هذا القدر من الضبط .
 ولكن المعنى الذي اتخذته ينتج مما قيل سابقاً في الفقرة السابقة : فن التبين والحب ليسا مختلطين بالمعنى الخاص ولكنهما منضمان . - يقال على شيء أنه مختلط - هك
 التعريف الحقيقي للاختلاط على رأي أرسطو . - يكون وإياه من سمعة أسماؤها (هو مونيم)
 ويض ناشرى الكتاب يقول « مجانسا له » (هو مجين) وهمنه ربما كانت الجسمين ويظهر أن بيان توماسين اختارها . - والحاصل - النص ليس على هذا : التفسر
 من الصراحة .

الكتاب الثاني

الباب الأول

نظرية عناصر الأجسام - عددها - شاهد من إميليل - المادة ليست منفصلة عن
الأجسام كما هو في طيمولوس اللاتون غيما وتظهر - نفس هذه النظرية - أنها حجة بجزئها
بالجزء الآخر - شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة - نظرية جديدة على البساط -
المنصرفة للأجسام - قيمها ونظريتها .

ف ١ - سبق الكلام على الاختلاط وعلى التماس وعلى الفعل وعلى
الانفعال ووضح كيف ان هذه الظواهر تقع في الاشياء التى تكابد تغيرات
طبيعية . وقد عولج زيادة على ذلك كون الاشياء وفسادها المطلقان وبين
يأتى طريقة وفى اى الاحوال ولماذا هما يحدثان . وقد درست على السواء
الاستحالة وحالة الوجود المستحيل . وفى النهاية قد بينت فصول كل
واحدة من هذه الظواهر . والآن يبقى علينا ان ندرس ما يسمى عناصر
الأجسام لان الكون والفساد فى كل الجواهر التى تركيبها الطبيعة لا
يمكن ان يظهرها بدون الأجسام التى تدركها حواسنا .

§ ٢ - من الفلاسفة من يزعمون ان جميع العناصر مكونة من مادة
واحدة بالحقيقة والعدد ويفترضون انها هى الهواء او النار أو جسم ما

§ ٣ ٢ ب ١ ف ١ - سبق الكلام على الاختلاط - تلخيص لكل ما سبق فى
الكتاب الاول فان نظرية الاختلاط قد عرضت فى الباب العاشر منه . وعلى التماس -
فم يكن ذكر التماس الا عرضا لانه لم يفرد للتماس نظرية خاصة . ر ١ ب ٦ .
وعلى الفعل وعلى الانفعال - ر ١ ب ٦ و ٧ وما يليهما - التى تكابد تغيرات طبيعية -
يصرف النظر على التغيرات التى تحدثها الصناعة أو ارادة الإنسان و . ما سبق ف ١ ب .
١ ف ١ - كون الاشياء وفسادها المطلقان - ر ١ ب ٦ و ١ و ٣ وما بعدها . -
الاستحالة وحالة الوجود المستحيل - ر ١ ب ٤ . - فصول كل واحدة من هذه
الظواهر - فى أثناء بيان كل واحدة من تلك النظريات الخاصة قد بينت الفصول التى
تفصل كل واحدة من الظواهر التى كانت على التعاقب موضع الدرس .

§ ٢ - هى الهواء - كما كان يعتقد ديموقريطس الأيلوني وأتكنسيمين . - أو النار
كما كان يعتقد هيرقليطس الايفيزوسى وهيباس كما روى فيلوبون . - جسم ما وسط
كلنا هنا منسوب اكسينندروس الذى كان يفترض تحصرا خامسا أخذنا من طبع الاربعه
الآخرى وهو مع ذلك متجزئ عنها ز . - جاعلين هذه المادة - ليس النص على هذا الكبر من
الصرحة . - هؤلاء النار والارض - كما هو منسوب بزمينيد . - وأولئك الهواء ثالثا -

وسيط بينهما جاعلين هذه المادة جسما جوهريا متميزا تماما ومنفصلا .
 وآخرون يرون انه يوجد أكثر من عنصر واحد ويقبلون حينئذ على السواء :
 هؤلاء النار والارض ، وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين المتقدمين . وآخرون
 مثل أمبيدقل يزيدون الماء كعنصر رابع . وفي هذه المذاهب المختلفة
 انما هو بإجماع هذه العناصر واقتراقها أو استحالتها يعطل كون الاشياء
 وفسادها .

§ ٣ - فلنسلم بلا أدنى صعوبة أن هذه الاوليات للاشياء يمكن
 بفاية الموافقة ان تسمى مبادئ وعناصر وانه انما يتغيرها بتجزئة أو تركيب
 متكافئ أو أى نوع آخر من التغيير الذى تعانيه يأتى كون الاشياء وفسادها .
 ولكن يخلع المرء نفسه بالتسليم بأنه يوجد مادة واحدة بعينها خارج جميع
 العناصر وجعلها منفصلة وجسمانية . لان من المحال أن هذا الجسم اذا كان
 مدركا بحواسنا يمكن أن يوجد من غير أن يعرض اضدادا ما . ويلزم
 ضرورة أن هذا اللامتناهي الذى اتخذه بعض الفلاسفة مبدءا لهم يكون خفيفا
 أو ثقيلًا باردا أو حارا .

§ ٤ - ولكن الطريقة التى شرح بها هذا المبدأ فى « طيمائوس » ليس
 فيها شيء من الضبط لانه لم يقل على وجه جلى ما اذا كان هذا الاصل
 لجميع الاشياء متميزا ومنفصلا عن العناصر . والمحقق هو أن طيمائوس لم
 يرجع فى واحد منها الى هذا المبدأ ولو انه قال مع ذلك انه الموضوع
 السابق لكل ما يسمى بالعناصر كما أن الذهب هو على الاسبقية موضوع

مع العنصرين - ذلك كان منحب يود الشيزوى اذا صدق تفسير فيلويون . - مثل
 أمبيدقل - انما هو ثالثا أمبيدقل الذى ينسب اليه لمرئى نظرية العناصر الاربعة . -
 أيضا الطيبة ٣ ب ٧ ف ٩ وما بعدها من ترجمتنا .

§ ٣ - هذه الاوليات للاشياء - حفظت عبارة النص بنقلها . - أى نوع آخر من
 التغيير مثلا لا يمكن الا الاستحالة عند المذاهب التى لا تقبل الا عنصرا واحدا لانه يتغير
 هذا العنصر الوحيد الى ما لا نهاية له تتكون جميع الظواهر الأخرى . - وجسمانية -
 هذه هى ترجمة الكلمة الواردة فى النص بالضبط . - اذا كان مدركا بحواسنا - ويجب
 أن يكون ما دام انه جوهرى ومنفصل عن جميع الاخرى . - من غير أن يعرض اضدادا
 ما - عبارة النص هى « بلا تضاد » . - هذا اللامتناهي - لو « هذا غير المحدود » .
 § ٤ هذا الاصل لجميع الاشياء - ر - ترجمة طيمائوس افلاطون لكوزان ص ١٥٢ .
 - متميزا ومنفصلا عن العناصر - النقد حق ان لم يكن مهما جدا . - على الاسبقية

اخذت هاتين الكلمتين . - موضوع المصنوعات الذهبية ز . طيمائوس ص ١٥٤ من
 ترجمة كوزان . - على الصورة التى التى بها الينا - وفى الواقع أن طيمائوس لا يتكلم
 الا على التصاور المتعاقبة لسبيكة الذهب ولا يتكلم البتة على كونها الاصل . - ان قسم
 الاشياء - التمييز ليس واضح البيان ، وهو يعينه الذى استخدمه طيمائوس فى هذا .

المصنوعات الذهبية . ومع ذلك فإن هذا الايضاح ليس حجة على الضورة التي التي بها الينا . فإنه يجوز تماما انطباقه على الحالات التي يوجد فيها استحالة بسيطة ، ولكن بالنسبة للحالات التي فيها كون وفناء يكون محالا أن تسمى الاشياء بالتي منها تأتي . صدق طيماوس اذ يقول انه لا دخل في باب الحق أن يقرر أن كل مصنوع من الذهب هو ذهب لكن مع ان عناصر الاشياء تكون جامدة فإنه يجوز بتحليلها الى حديد السطوح . ومجال أن سطوحا تكون المادة الاولى التي يكلوننا عنها § ٥ - نحن أيضا نعرف انه يوجد مادة ما للجسام التي تتركها حواسنا ولكن هذه المادة التي منها يأتي ما يسمى بالعناصر ليست منعزلة البتة بل هي توجد دائما مع اضداد . على أن هذا الموضوع قد درس في موطن آخر بأوسع من ذلك وأصبط § ٦ - على أنه لا أن الاجسام الأول يمكن أيضا بهذه الطريقة أن تأتي من المادة فيلزم التكلم على هذه الاجسام مع التسليم بأن المادة هي المبدأ والمبدأ الأول للاشياء ولكنها غير منفصلة عنها وانها موضوع الاضداد . فإن الحار مثلا ليس هو مادة البارد كما أن البارد ليس مادة الحار . ولكن المادة هي موضوع الاثنين .

= الموضع ٢ فإنه يمكن أن يقال على التي المصنوع من سبيكة الذهب انه ذهب ولكن بالنسبة للتي التي يتكون والذي يتولد من لا شيء لا يمكن أن يعطى اسم التي التي خرج منه با دام أنه لم يأت من شيء آخر . - والتي منها تأتي - اذا كان الامر يصعد الكون إليها تنعدم اذا كان الامر يصعد الضداد . - صدق طيماوس - ليس النص على هذه الصراحة . لا دخل في باب الحق أن يقرر - ر . طيماوس لأفلاطون من ١٥٤ ترجمة كوزان . - الى حد السطوح - ر . كتاب السماء ٣ ب ٧ وما بعده . فإن لأفلاطون حل الاجسام الى سطوح قد نزع منها كل حقيقة . وإن التحليل البالغ الى هذا الحد الصمد قد اقتضاه - يكلوننا عنها - أضربت هذه الكلمات .

§ ٥ - نحن أيضا نعرف - ليس النص على هذا القدر من الفصيح . - منها يأتي ما يسمى بالعناصر - هذه الفكرة لا تظهر أنها عريضة في الصحة . - وأن المراد بالمادة هنا اما هو حال منطقية للجسام أكثر منه حالا حقيقية . فقد يمكن حينئذ أن هذه الجثة لم تكن الا تديلا أضافه الى النص بعض المفسرين . ومع ذلك فإن هذه الجملة موجودة في نص فيلويون . - ليست منعزلة البتة وباقية على طريق الاستقلال عن الاجسام كالمادة التي أخطأ أفلاطون . على رأي أرسطو . في قبولها . - مع اقتضاد - فإن إثباتها دائما كيف يميزها لا انفكاك لها عنه - في موطن آخر - في الطبيعة ك ١ ب ٨ خصوصا ف ٢٠ س ٤٨٤ من ترجمتنا . وفي كتاب السماء ك ٣ - بأوسع من ذلك وأصبط - ليس في النص الا كلمة واحدة .

§ ٦ الاجسام الأول - حفظت للنص عبارته بتمامها . ولكن المراد هنا هو المنتشر مع جميع الاجتماع الخاصة التي تركبها على حسب نظريات أرسطو التي هي أيضا مثلا - أضربت هذه الكلمة . - ليس هو مادة - بل هو الضد وتحت الضدين الموضوع الذي يكيفانه على طريق التناوب .

§ ٧ - حينئذ بادئ به الجسم الذى هو مدرك بالقوة باحساسنا هذا هو المبدأ ثم بعد ذلك تأتى الإضداد كالحار والبارد مثلا . وفى المقام الثالث النار والماء والعناصر الأخرى المشابهة . هذه الاجسام كلها تتغير تغيرا بعضها الى بعض ولكن لا بالطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون ، لأنه بحسب نظرياتهم قد لا يكون بعد حتى ولا الاستحالة ، وإنما هى المقابلات بالاضداد هى التى لا تتغير بعضها الى بعض . على انه لما كانت تلك هى مبادئ الاجسام فلا بد مع ذلك من دراسة كيفياتها وعددها لان الفلاسفة الآخرين استخرجوا ذلك فى مناهجهم بعد أن قبلوها على طريق الفرض ولكنهم لا يقولون لماذا هذه الاضداد لها الطبع الفلانى وإنما فى العدد الذى نراها عليه .

§ ٧ - الجسم الذى هو مدرك - هو المادة المفهومة على المعنى المنطقي أى المحسوسة بالقوة ولكنها ليست مدركة الا على شكل واحد من الاثنين . - النار والماء - يعنى الاطعمة والعناصر مع جميع الاجسام الخاصة التى تركيبها على حسب نظريات أرسطو التى هى أيضا نظريات الاقدمين . - الطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون - المعنى ليس بنا وقد جعله الأجاز فى التعبير غامضا . فان أمبيدقل وفلاسفة آخرين يرون العناصر غير قابلة للتغير مطلقا ومن ثم لا يمكن أن يفهم مع عدم قابلية التغير نظرية الاستحالة مهما كانت مسلما بها . - وإنما هى المقابلات - ليس النص على هذا العدد من الصراحة .
- فى مناهجهم - . أضفت هاتين الكلمتين .

الباب الثاني

حد الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس - تعدد الاضداد الأصلية التي يعرضها
الجسم المحسوس باللمس - فصول هذه الاضداد - الفصل الثمانين للبارد والحر والجاف
والسائل - علاقة جميع الفصول الأخرى بهذه الفصول الأربعة الأصلية .

§ ١ - ما دعنا نبحث فيما هي مبادئ الجسم المدرك بحواسنا أعني
الجسم الذي يستطيع اللمس أن يدركه وما دام أن جسمنا يعرفنا إياه
اللمس هو الذي يكون حسه الخاص هو اللمس فينتج بالبداية أن جميع
المقابلات بالاضداد التي يمكن مشاهدتها في الجسم لا تؤلف أنواعه ومبادئه
ولكنها إنما هي فقط أنواع ومبادئ الاضداد التي تخص حاسة اللمس .
أن الأجسام تتميز بأضدادها ، ولكن بأضدادها التي يمكن لللمس أن يبينها
لنا . لذلك نرى لماذا أنه لا البياض ولا السواد ولا الحرارة ولا البرودة ولا
أي واحد من الاضداد المحسوسة ليس عنصرا للأجسام .

§ ٢ - وهذا لا يمنع أن يكون النظر حاسة اسمى من اللمس
وبالنتيجة أن موضوع النظر هو اسمى أيضا . ولكن النظر ليس عرضا
للجسم الملموس بما هو ملموس بل هو يرجع إلى شيء مغاير تماما يمكن مع
ذلك أن يكون متقدما عليه بطبعه .

§ ب ٢ ف ١ - الجسم المدرك بحواسنا - الجسم المادي والمحسوس . - أعني
الجسم الذي يستطيع اللمس أن يدركه - يلاحظ فيلويون بحق أن أرسطو يشتغل أولا
بحاسة اللمس لأن هذه الحاسة أكثر الحواس ادراكا ممكنة . فإن من الأجسام التي تخفى
على نظرنا ما ندركه بحواسنا . وذلك كالهواء إذ بينما لا يمكننا أن نراه يؤثر في إحساسنا
بأن يلامسنا . - يعرفنا إياه اللمس - عبارة النص هي : « جسم قابل لللمس » . -
التي يمكن مشاهدتها في الجسم - أضفت هذه العبارة لبيان الفكرة تماما . - لا تؤلف
أنواعه ومبادئه - هنا التفوق الذي لحاسة اللمس يتفوق تمييز الكيفيات الأولى والثواني
للأجسام ويذكر به . تلك هي النظرية التي قبلتها بعد ذلك المدرسة الأيقونية . ليس
عنصرا للأجسام - عبارة النص : « لا تكون عناصر » .

§ ٢ - أن يكون النظر حاسة اسمى . - كتاب النفس ك ٢ ب ٧ ص ٢٠٨
من ترجمتنا في نظرية الرؤية . - من اللمس . - كتاب النفس ب ١١ ص ٢٢٧ .
أن موضوع النظر هو اسمى أيضا - ر ١ أول ما يصد الطبيعة : ك ١ ب ١ ص ١٢١
من ترجمة كوزان الطبعة الثانية . فإن أرسطو يجعل فيها النظر أعلى من تبيين جميع
الحواس كما فعل هنا . - ليس عرضا . - أو « كيفا » . - إلى شيء مغاير تماما
يقتضيه عبارة النص على عدم تقدمها . - متقدما عليه بطبعه . - أي للشيء الحساس
بحاسة اللمس .

§ ٣ - حينئذ بالنسبة للملحومات أنفسها يلزم الفحص والتمييز بين الفصول الأولى لها ومقابلاتها الأولى بالأضداد . المقابلات والمضادات التي يبينها لنا اللمس هي الآتية : البارد والحار ، اليابس والرطب ، الثقيل والخفيف ، الصلب واللين ، الدبق والغريك ، الأملس والخشن ، الكثيف والمتخلخل . من بين هذه الأضداد الثقيل والخفيف ليسا لا فاعلين ولا منفعلين لأنه ليس لانهما يفعلان أحدهما في الآخر أو لانهما ينفعلان أحدهما من الآخر أعطيا الاسم الذي يحملانه . ومع ذلك يلزم أن العناصر يمكن أن تفعل وتنفعل بعضها من بعض على طريق التكافؤ ما دام أنها تختلط وتتغير على طريق التكافؤ بعضها إلى بعض .

§ ٤ - ولكن الحار والبارد واليابس والرطب هي مسماة كذلك لأولها لأنها تفعل والآخرى لأنها تنفعل . فان الحار هو الذي يجمع ما بين الجواهر المتجانسة لأنه التفريق الذي يقال عن النار أنها تفعله إنما هو في حقيقة الأمر تركيب الأشياء التي من نوع واحد ما دام أن الذي يحصل إذا هو ان النار تخرج الجواهر الغريبة وتنفيها . والبرد على ضد ذلك يجمع ويركب على السواء الأشياء التي من نوع واحد والتي ليست من نوع واحد ، ويسمى سائلا ما ليس محدودا في صورته الخاصة ولكنه يمكن مع ذلك ان يقبل بسهولة صورة . واليابس على ضد ذلك هو ما كان بئالة من صورة محددة تماما في حدودها الخاصة لا يقبل صورة جديدة الا بعناء .

§ ٣ - بالنسبة للملحومات أنفسها - حفظت كلمة النص بعينها التي لا خفاء في معناها بعد الإيضاحات السابقة . فان الملحومات هي الأجسام التي تعرفها لنا حاسة اللمس فقط . - النص والتمييز - ليس في النص الا كلمة واحدة . ومقابلاتها الأولى بالأضداد - عبارة النص : « التضاد » . - لأنها يفعلان أحدهما في الآخر - عبارة النص ليست على هذا الوضوح . - أعطيا الاسم الذي يحملانه - عبارة النص أكثر إيجازا .

§ ٤ - أولاها لأنها تفعل - يظهر أن فعل البارد وفعل الحار متكافئان تماما وإلهما يفعلان ويقبلان على السواء . ويعني بأولها الحار والبارد وبآخرها اليابس والرطب وقد عني فيلاريون بأن يوضح في طلبنا لماذا يجعل أرسطو من البارد والحار عنصرين فاعلين ومن اليابس والرطب عنصرين منفعلين . ر . عن هذه النظرية كلها الكتاب الرابع من الميتافيزيقيا ب ١ وما بعده . ص ٢٧٣ من ترجمتنا - هو الذي يجمع - وهذا المعنى أن الحار يفعل . - الجواهر المتجانسة - هذا يقال خصوصا على الجواهر التي تسبح وتغوب تحت فعل النار فيكون قوامها اذا كالمسائل . - في حقيقة الامر - زدت هذه الكلمات - تخرج ... وتنفي - ليس في النص الا كلمة واحدة . - البرد على ضد ذلك يجمع - وهل هذا المعنى فالبرد هو فاعل كالحرارة . - والتي ليست من نوع واحد - فان الثلج يجلد ويجمع غالبية الجواهر الأكثر تنافرا . - ما ليس محدودا في صورته الخاصة - فان المسائل لم يكن البتة الا صورة الحار له . أما هو نفسه فليس له صورة في كنهه . - في حدودها الخاصة - أي في سطحه الظاهر الخاص . - صورة ... حدود - النص يتختم لفظا واحدا للدلالة على صورة في صورة .

§ ٥ - من هذه الفصول الاول انما يأتى المتخلخل والكثيف والدقيق والفريك والصلب واللين والفصول الأخرى المشابهة . اذ فان جسماً له خاصية امكان أن يملأ الاين بسهولة يتصل بالسائل لأنه غير مخدد هو نفسه وانه يخضع من غير أدنى عناء الى فعل الشيء الذى يلمسه تاركاً ذاته تأخذ صورة ذلك الشيء . كذلك المتخلخل يمكنه أن يملأ الاين على سواء لانه لا تم يكن له إلا أجزاء خفيفة وصغيرة كان يجيد الماء ويلاص تماماً وهذه خاصية تميز على الخصوص الجسم المتخلخل . حيثئذ بالبدئية المتخلخل يقارب السائل في حين أن الكثيف يقارب اليابس . ومن جهة أخرى الدقيق يتعلق أيضاً بالسائل لان الدقيق ليس الا نوعاً من السائل مع بعض كفيات كالزيت . ولكن الفريك يتعلق باليابس لان الفريك انما هو النام اليبس . ويمكن القول بأنه لم يتجدد الا لجوده من كل سائل . ويمكن أن يقال أيضاً ان اللين جزء من السائل لان اللين هو ما يطاوع عند التواءه على نفسه ودون أن ينتقل كما أن السائل يفعل هذا الفعل بالاضبط أيضاً . تلك هى العلة في ان السائل لم يسم ليناً في حين ان اللين يتعلق بصنف السائل وأخيراً فالصلب يتعلق باليابس لان الصلب هو شيء من المتجدد والليابس .

§ ٦ - على أن يابساً وسائلاً لفظان يحملان على معان شتى ، فان السائل والمبتل يمكن ان يعتبرا كقائمين لليابس كما ان اليابس والمتجدد هما مقابلان للسائل . وكل هذه الخواص المختلفة تتعلق بالسائل واليابس

§ ٥ - من هذه الفصول الاول ليس النص على هذا القدر من الصراحة . والفصول الأخرى المشابهة - التى قد لا تكون الا ثانوية بالنسبة للفصول الاول للبارد والحار واليابس والرطب . - له خاصة امكان أن يملأ الاين - ليس في النص الا كلمة واحدة . ويمكن أيضاً ان يفهم من الاية « الامكنة الفارغة او التجاويف » كما فهم فيلوبون . - يتصل بالسائل - عبارة النص بالاضبط : « هو من السائل » أى جزء منه . - خفيفة وصغيرة - هذا غير صحيح تماماً وان السطح مهما يكن متخلخلاً فانه لا يحسن أن يملأ الاين بحسب الوضع الذى يعطى اياه . - يتعلق أيضاً بالسائل - من السائل » كما ذكر في المتخلخل .

— كالزيت - كان يمكن ايجاد مثل أكثر انطباقاً . - من كل سائل - أو « من كل رطوبة » . - ودون أن ينتقل - كمال الماء الذى تنفصل جزئياته في حين أن الجسم اللين تبقى جزئياته متصلة مع مظهرتها للضغط الواقع عليها - يتعلق بصنف السائل - وهو من السائل . - من المتجدد - هذا هو لفظ النص بعينه تركته على عيونه .

§ ٦ يابساً وسائلاً - أو « يابساً ورطباً » وقد آثرت كلمة سائل حتى تكون مقابلته أظهر بالمبتل الذى سيأتى ذكره . - اليابس والمتجدد - ربما يمكن أن يقال أيضاً (اليابس والمتجدد) - هذه الخواص المختلفة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - على المعنى الاول لهاتين الكلمتين . ر . الملاحظة في ب ٣ . - المتفتح . أو « المنصور » . - يتصل بالسائل - ر . ملاحظتنا على هذا التعبير في الفقرة السالفة .

محمولين على المعنى الاولى لهاتين الكلمتين ، لانه من حيث ان اليابس هو مقابل للمبتل وان المبتل هو ما كان به على سطحه سائل غريب في حين ان المتنقع هو ما به السائل الى باطنه . ولما أن اليابس هو على ضد ذلك ما كان خلوا من كل سائل غريب فبين بذاته انه المبتل يتصل بالسائل في حين ان اليابس المقابل له يتصل باليابس الاولى .

§ ٧ - ويجرى هذا المجرى أيضا في السائل والمتجمد فان السائل لما كان ما به رطوبة خاصة وانجمد ما هو خلوا منها يجب أن يستنتج منه ان هذين الكيفيتين أحدهما يتعلق بصنف السائل والاخر بصنف اليابس .

§ ٨ - فبين حينئذ أن كل الفصول الاخرى يمكن أن يرجع بها الى الأربع الاولى وان هذه لا يمكن أن ينزل عددها الى أقل من ذلك لان الحار ليس هو والرطب أو اليابس شيئاً واحداً كما ان الرطب ليس هو لا الحار ولا البارد . كذلك البارد واليابس ليسا تابعين أحدهما للآخر كما أنهما ليسا تابعين للحار ولا للرطب . والحاصل انه لا يوجد ضرورة الا هذه الأربعة الفصول الاصلية

§ ٧ - في السائل ... بصنف السائل - يظهر أن هنا تكراراً في الكلمات لا فائدة به وقد اضطرت أن أتبع الاصل . ولم يفسر فيليون هذا العيب الذي ربما لم يفتن له .

§ ٨ - كل الفصول الاخرى - التي ذكرت ووضحت بعد الفصول الاربعة الاولى والاصلية - الى الاربعة الاولى - البارد والحار واليابس والرطب - الى أقل - يعني الى اثنين بدل اربعة - والرطب - أو « السائل » - الاصلية - أضفت هذا الوصف .
الكتاب الرابع من الميتيورولوجيا ج ١ .

ب ا ب الثالث

تركيب العناصر بين بعضها والبعض - ليس منها الا اربعة لان الاضداد خارجة عنها -
نظريات سابقة على عدد العناصر - برمينيد - افلاطون - امبيكل - طبع العناصر المختلفة
الامكنة المختلفة التي يشغلها في الاين .

§ ١ - لما انه يوجد اربعة عناصر وان التراكيب الممكنة لحدود اربعة
هي ستة ، ولكن أيضا لما ان الاضداد لا يمكن أن تزودج بينها ما دام
المبارد والحار واليابس والرطب لا يمكن البتة أن تتلصق في شيء واحد
بعينه ، فبين أنه لا يبقى الا اربعة تراكيب للعناصر . فمن جهة ، حار
ويابس ، حار ورطب ، ومن جهة أخرى بارد ويابس ، بارد ورطب .

§ ٢ - تلك هي نتيجة طبيعية لوجود الاجسام التي تظهر بانها
بسيطة : النار والهواء والماء والارض ، فالنار حارة ويابسة والهواء حار
ورطب ما دام ان الهواء نوع من البخار . والماء بارد ومائل واخيرا الارض
باردة ويابسة . ينتج منه أن توزيع هذه الفصول بين الاجسام الاول
يفهم جد الفهم وأن عدد هؤلاء وهؤلاء هو على تمام التناسب .

§ ٣ - وفي الحق ان كل الفلاسفة باعترافهم للاجسام البسيطة بانها
عناصر قبلوا منها تارة واحدا وتارة اثنين وتارة ثلاثة وتارة اربعة .

§ ٤ - فاما الذين لم يقبلوا منها الا واحدا فاضطرون الى توليد كل
الأخرى من تكثيف هذا العنصر او تخفيفه . وبالتبع يقبلون مبداين

§ ١ - لما انه يوجد اربعة عناصر - منه هي عبارة : لنص ولكن الحار والبارد ، واليابس
والرطب اولي بها ان تكون خواص للعناصر من أن تكون عناصر بالمعنى الخاص . - أن تزودج
بينها - لانها تتفاسد . - أنه لا يبقى الا اربعة تراكيب - ليس النص على هذه الصراحة .
- رطب - أخذت اللفظ الأكثر استعمالا عادة ولكن اللفظ الاغريقي يفيد سائلا كما يفيد رطبا .

§ ٢ التي تظهر بانها بسيطة - أسلوب هذه العبارة لا يدع محلا لاقول شك في بساطة
العناصر بالاطلاق على حسب نظريات ارسطو . وقوله تظهر بانها بسيطة يفيد أن بساطة
العناصر يمكن أن تحقق بالمعاينة . - والماء بارد ومائل - اخترت هنا لفظ سائل بدل رطب
لأنه أنسب للماء .

§ ٣ - للاجسام البسيطة بانها عناصر - الظاهر أنه ينتج من هذه الفقرة أنه ولا واحد
من الفلاسفة قد قبل أكثر من اربعة عناصر . ومع ذلك فإن ارسطو نفسه في الميتافيزيقيا
قبل فيما يظهر خامسا وهو الاثير . ز . الميتافيزيقيا ك . ا . ب ٣ ف ٤ ص ٩ من ترجمتنا .
§ ٤ - تكثيف . . . او تخفيفه - ر . الطبيعة ك ١ ب ٦ ص ١ ص ٤٦١ من
ترجمتنا . - هذا العنصر - أضفت هاتين الكلمتين لتتام لفكرة . - القواعد المؤلفة - او

المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد لأنها في هذا المذهب هي الفواعل
المؤلفة والعنصر الوحيد يكون خاضعا لفعالها بما هو مادة .

§ ٥ - وأما الفلاسفة الذين هم كبرميتيد يقبلون عنصرين النار
والارض ، فيعتبرون العناصر الوسيطة الهواء والماء مزيجا من ذينسكم
العنصرين . كذلك الحال عند الذين يقبلون عناصر ثلاثة كما فعل أفلاطون
في تقاسيمه لان عنده العنصر الوسط ليس الا مزيجا . وحينئذ الذين
يقبلون عنصرين والذين يقبلون ثلاثة يوشك أن يكونوا على اتفاق تام لولا
أن بعضهم يقسم العنصر الوسط الى اثنين وأن الآخرين يتركون له
وحدته .

§ ٦ - ومنهم كماييدقل من يعترفون جليا بأربعة عناصر غير أنه هو
أيضا ينزلها الى اثنين لأنه يقابل بالنار كل العناصر الأخرى مجتمعة .
فعل رأى أمبيدقل يكون لا النار ولا الهواء ولا أي واحد من العناصر
الأخرى بسيطاً بل مزوجاً . فإن الأجسام البسيطة هي جميعها بسيطة

« الصانعة » - خاضعا لفعالها - ليس النص على هذه الصراحة . - بما هو مادة - أهل
لان تقبل الاضداد على التماثل .

§ ٥ - كبرميتيد - في الطبيعة ك ١ ب ١ ف ١ أن المبداين المتسويين الى برميتيد
حما المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد وليس هما النار والارض مع أن النار يمكن أن
تشخص بالحار والارض بالبارد . - في تقاسيمه - قد يظهر أن هذا يدل على عنوان
خاص لمؤلف لأفلاطون ولكن فيلويون بناء على قول مفسرين سابقين يؤكد أن المؤلف
النسوب الى أفلاطون تحت هذا الاسم كان منتحلا . ويرى الاسكندر الأفروديزي أن
المقصود هنا هو تلك الآراء غير المكتوبة لأفلاطون التي يرويها أرسطو بالصرحة في
الطبيعة ك ٤ ب ٤ ف ٤ ص ١٥٠ من ترجمتنا . وقد ظن شراح آخرون أن المقصود هو
التقاسيم المبينة في محاوراة أفلاطون المنونة « السفسطائي » . ويظهر أن تفسير الاسكندر
هو الأقرب للاحتمال . - ليس الا مزيجا - كما يرى برميتيد . - يوشك أن يكونوا
على اتفاق تام - ما دام أنه مزيج في عرف الطرفين . - العنصر الوسط الى اثنين - قد
لا يكون هذا مطابقا تماما لما قيل آنفا فإن برميتيد يظهر أنه يقبل عنصرين وسطين لا
واحدا ولا يمكنه أن يدمج الهواء والماء .

§ ٦ كماييدقل - ر . ما سبق ب ١ ف ٢ - كل العناصر الأخرى مجتمعة
- ليس النص على هذا الضبط . - فعل رأى أمبيدقل - أضفت هذه العبارة لأنه يظهر
لي أن كل ما سياتي لا يمكن استناده الا الى أمبيدقل . وهذا تفسير بان توماس وجامعة
كودبرا . ويظهر أن فيلويون يظن أن هذه هي فكرة أرسطو الخاصة . - بل مزوجاً به
من الصورة والهويلى كما يقول فيلويون . - الأجسام البسيطة - عبارة النص غير
محددة وهي « البساطات » ومن الجائز أن يكون المراد هنا الأربعة العناصر الخاصة بالحار
والبارد واليابس والرطب . وعلى الرغم من الجهد الذي بذلته لا تزال هذه الفقرة قلقة
غامضة . - الجسم المشابه للنار - هو المركب من الحار واليابس . ر . ما سبق ف ٢ -
- ولكنه مع ذلك - ليس النص على هذه الصراحة . - الجسم المشابه للهواء - وهو المركب من

بلا شك ، ولكنها ليست مع ذلك متماثلة . مثلا الجسم المشابه للنار هو من نوع النار ولكنه مع ذلك ليس بانضبط نارا . والجسم المشابه للهواء هو من نوع الهواء دون أن يكون هواء . وكذلك الحال في بقية العناصر . ولكن النار هي افراط في الحرارة كما أن الثلج افراط في البرودة لأن التجلد والتليان هما افراطان من جنس ما أحدهما للبارد والثاني للحر . فإذا كان إذا الثلج هو تجلد السائل والبارد ، فالنار تكون أيضا تليان الحار واليابس . فأنظر لماذا لا يمكن أن يتولد شيء لا من الثلج ولا من النار .

§ ٧ - الأجسام البسيطة بما هي في عدد الأربعة تتعلق اثنين اثنين بكل واحد من مكاني الأين . فالهواء والنار ههما من المكان المائل نحو الحد الأقصى . والأرض والماء بالمكان الذي هو نحو المركز وأن العناصر الطرفية والمخالصة أكثر من غيرها هي النار والأرض . والعناصر الوسطى والأكثر تمازجة هي الماء والهواء . وفي كل طائفة أحد الاثنين هو ضد للآخر لأن الماء ضد النار والأرض ضد الهواء ما دام أن لها في تركيبها كيفيات متضادة .

الحار والرطب . ر . ما سبق ف ٢ . - التجلد والتليان - من الغريب أن ترى هاتان الظاهرتان متقابلتين في نظريات القدماء . وقد لزم أن تشرق قرون عديدة حتى ينتج هذا التقابل نتائج العلية فيؤسس عليه ميزان الحرارة (الترمومتر) هذه الآلة العجيبة التي تقيس درجات حرارة الأجسام . - فأنظر لماذا لا يمكن أن يتولد شيء - لا يظهر أن المعاني مرتبطة جد الارتباط بعضها ببعض وقد يمكن أن تكون هذه الجلية ليست . لا تفريلا .

§ ٧ - الأجسام البسيطة - جاء في عبارة النص بعينها ويظهر أن أرسطو هنا يرجع الى الكلام على منعبه الخاص وأن ليس المراد هنا : الكلام على المذاهب الخاصة لاميبدقل . - يمكن واحد من مكاني - الفوق وال تحت . - الأين - أضفت هذه الكلمة ١٠ - من المكان المائل نحو الحد الأقصى - عبارة النص غير محددة قليلا ومع أني حددتها نوعا ما فلم أبلغ جعلها أجل بيانا . - الذي هو نحو المركز - نلاحظ هنا الملاحظة السابقة . - العناصر الطرفية - يعني التي هي في النقط الأكثر مقابلة من الأين للمركز وللحيط الأقصى . - والمخالصة أكثر من غيرها - هذا يجب أن يعني به حركة هذه العناصر أولا من أن يعني به تركيبها . وقد يمكن أن يقال « الاظهر » في اتجاهها . - والأكثر تمازجة - هذه هي عبارة النص بعينها ولكنه يلزم أن يفهم أن هذا ينطبق خصوصا على الحركة . - هو ضد للآخر - في الطاقة الأخرى . - الأرض ضد الهواء - التقابل ليس بين الظهور . - كيفيات متضادة - أنظر ما على .

§ ٨ - ومع ذلك فعلى القول بالاطلاق الاربعة الاجسام البسيطة لا يتعلق كل واحد منها الا بكيف واحد . على ذلك الارض هي من اليابس أكثر من أن تكون من البارد والماء هو من البارد أكثر من أن يكون من السائل . والهواء هو من السائل أكثر من أن يكون من الحار والنار هي من الحار أكثر من أن تكون من اليابس .

§ ٨ - فعلى القول بالاطلاق - زدت لفظ « القول » . - الا بكيف واحد - عبارة النص غير محدودة . - أكثر من أن تكون - هذا يناقض قليلا مفهوم قوله « على الإطلاق » في أول الجملة . - من البارد أكثر من أن يكون من السائل - يظهر أن الأمر على ضد ذلك أن الماء سائل أكثر منه باردا . فهو سائل قبل كل شيء ولكن المنحجب الذي وضع هنا يقتضي هذا التناظر في الوضع . فقد تركت السيولة للهواء وربما قد يمكن أن يقال أيضا بدل: لسيولة السائلة .

الباب الرابع

نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض - فصول العناصر فيما بينها يمكن أن تكون أكثر أو أقل عددا - سهولة التبدل وصعوبته - أمثلة مختلفة بحسب تجاوز العناصر أو البعد بينها في النظام الذي هي مرتبة به وبحسب تدلل كليات العناصر أو تقابلها - خاتمة الجزء الاول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر .

§ ١ - بعد أن بينا فيما سبق أن الاجسام البسيطة يكون بعضها بعضا على طريق التكافؤ وأن المعاينة الحسية تدلنا على أنها تتكون بهذه الطريقة لانه ان لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة ، ما دامت الاستحالة لا تنطبق الا على كليات الاشياء التي يمكن لمسها ، فيلزمنا أن نقول بأى طريقة يحصل تغير العناصر بعضها الى بعض وما اذا كان ممكنا أنه كل عنصر يتولد من كل عنصر أو اذا كان هذا ممكنا فقط بالنسبة للبعض ومحالا بالنسبة للبعض الآخر .

§ ٢ - فإذا كان ثم أمر بديهي فذلك هو أن كلها يمكن بالطبع أن تتغير بعضها الى بعض لان كون الاشياء يروح الى الاضداد ويحيى من الاضداد . وكل العناصر لها تقابل بعضها بالنسبة الى البعض الآخر لان فصولها أضداد وحينئذ في بعض العناصر الفصلان هما ضدان ومثال ذلك في الماء والنار فان أحدهما يابس وجار في حين أن الآخر سائل وبارد . وبعض العناصر الاخرى ليس لها الا واحد من الفصلين كاللهواء والماء فان أحدهما هو سائل وجار والثاني بارد وسائل .

§ ١ - بعد أن بينا فيما سبق - ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١ ص ٢٦٥ من ترجمتنا . ويظهر بناء على هذه الفقرة ان كتاب السماء كان في فكرة المؤلف مرتبطا بهذا الكتاب كما يعتقد المفسرون اذ وضعوا ، لكتابين أحدهما تلو الآخر . - المعاينة الحسية - عبارة النص « المس » - لانه ان لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة الدليل ليس جيد البيان : إذ أن الاستحالة مختلفة عن الكون وانها تقتضيه . فانه يلزم أن يوجد الشيء قبل أن يستحيل ولكن وجود العنصر لشيء لا ينتج منه أن هذا العنصر يأتي من عنصر آخر . - التي يمكن لمسها - ر . ما سبق ب ٢ ف ١ . - تغير العناصر بعضها الى بعض - يمكن مراجعة كتاب السماء وكتاب الميتورولوجيا أيضا ك ١ ب ٢ و ٣ من ترجمتنا . § ٢ - أمر بديهي - بالتدليل أكثر منه بالمشاهدة . - يروح الى الاضداد - حفظت عبارة النص على قرط ايجازها . ومع ذلك فهي مفهومة بسهولة بعد التفاصيل التي تقدمت . فان الشيء يتكونه ينهب من الوجود الى الوجود وعلى ضد ذلك بفساده ينهب من الوجود الى اللاوجود فهو يجاوز ضدا لينهب الى الضد الآخر . - لها تقابل - اتخذت لفظ اعم من لفظ النص الذي هو « تضاد » - فصولها اضداد - ر . ما سبق ب ٢ ف ٢ .

٣ - وحينئذ فمن البين أنه على العموم كل عنصر يمكن بالطبع أن يأتي من كل عنصر . وليس من الصعب الاقتناع بهذا بأن يشاهد كيف تحصل الظاهرة بالنسبة لكل عنصر على حدته . لانه سيروى أن كلها تأتي من كلها . والفرق الوحيد انما هو أن التغير يتكون بكثير أو قليل من السرعة وبكثير أو قليل من السهولة . وكلما كان بين العناصر نقط ارتباط تحولت بعضها الى بعض سراعاً جداً . وما ليس بينها نقط ارتباط تتغير ببطء . وعلة ذلك ان شيئاً واحداً بمفرده يتغير بأسرع من عدة . وعلى ذلك فالهواء يأتي من النار بتغير أحد الكيفين ليس الا ، ما دام أن أحدهما يابس وحار والثاني حار وسائل . وينتج منه أنه اذا كان اليابس مغلوباً بالوسائل فيتكون الهواء ثم انه من الهواء يتكون الماء اذا كان الحار هو المغلوب بالبارد لان أحدهما كان وسائل وحاراً والثاني كان بارداً ووسائل فيكفي اذا آن الحرارة وحدها تتغير لاجل أن يتكون الماء .

٤ - وبهذه الطريقة عينها أيضاً أن الأرض تأتي من الماء وأن النار تأتي من الأرض لان هذين العنصرين أيضاً لهما أحدهما قبل الآخر نقطة جمع ووصل فأن الماء وسائل وبارد والأرض هي باردة ويابس حيث انه اذا كان السائل هو المغلوب تتكون الأرض . ومن جهة أخرى بما أن النار يابسة وحارة والأرض يابسة وباردة فإذا فسد البارد فمن الأرض تتكون

- فان أحدهما هو وسائل - قد اضطررت للاحتفاظ بلفظ « وسائل » المطبق على الهواء كما هو أيضاً في النص .

٣ - بأن يشاهد - وصية جديدة بشط المشاهدة . - نقط ارتباط - ربما كان أصح أن يقال « تركيب » ممكن . فان الحد المستعمل في النص فيه تفاوت لم أسنح تصحيحه مباشرة . ر . الفقرة الآتية . - تحولت - أو « مرت من واحد الى الآخر » . أحد الكيفين - ليس النص على هذا التقدير من الصراحة . - كان - قد حافظت على أسلوب النص وهذا يتعلق بالنظريات التي بسطت آنفاً . - يابس وحار - حار وسائل - أي أن كفي الحار يجتمعان ما دما متماثلين . فلا يبقى للتغير الا اليابس والوسائل . - كان وسائل - حفظت صيغة الماضي الناقص كما هي في الاصل .

٤ - نقطة جمع ووصل - ترجمت هنا بوضوح معنى الكلمة الاغريقية التي هي خاصة بالاشياء التي يمكن جمع أجزائها التؤلف كلا بعد أن فصلت .

- هو المغلوب - بالكيف : الآخر الذي هو أقوى منه . فان السائل المغلوب يتلاشى ولا يبقى من الكيفين الا البرودة التي هي الكيف المشخص للأرض . - فمن الأرض تتكون النار - كل هذه النظريات تظهر لنا غريبة في هذه الايام ولكن يجب الرجوع الى زمن أرسطو . وقد كانت هذه النظريات مقبولة بلا نزاع الى القرن السادس عشر . - العناصر التي تتعاقب - ليس في النص : لا كلمة واحدة غاية في عدم التحديد ، فان العناصر المتعاقبة هي التي لها كيفيات مشتركة . - جمع ووصل - ر . ما سبق في اول هذه الفقرة .

النار • فیری حیثئذ أن كون الاجسام البسيطة يحصل بالدور وطريقة
التغير هذه هي أسهل الطرق لان العناصر التي تتعاقب لها دائما بينها
نقط جمع ووصل •

§ ٥ - والماء يمكن أيضا أن يأتي من النار والارض من الهواء
وبالعكس يمكن أن يأتي أيضا الهواء والنار من الماء ومن الارض • ولكن
هذا التحول هو أصعب لان موضوع التغير أشياء أكثر عددا • وفي الواقع
لاجل أن تأتي النار من الماء يلزم أن يفسد أولا البارد والسائل
وكذلك لاجل أن يأتي الهواء من الارض يلزم أن البارد واليابس
يفسدان • وهذا اللزوم واجب أيضا لاجل أن الماء والارض يأتیان من
النار ومن الهواء لانه يلزم حیثئذ أن يكابد الكيفان التغير •

§ ٦ - وأيضا الكون الذي يحصل بهذه الطريقة هو أبسط •
ولكن اذا فسد احد كیفی كل واحد من الاثنين فيكون التحول أسهل
غير أن هذا التحول لا يحصل بعد حیثئذ من الواحد الى الآخر على
طريق التكافؤ • غير أنه من النار ومن الماء تأتي الارض والهواء •
ومن الهواء ومن الارض تأتي النار والماء • وفي الواقع اذا فسد
بارد الماء ويابس النار يتكون الهواء لانه لا يبقى بعد الا حار أحدهما
وسائل الآخر • ولكن اذا فسد حار النار وسائل الماء تتكون الارض
لانه لا يبقى حیثئذ الا يابس أحدهما وبارد الآخر •

§ ٧ - وكما هو الامر في الهواء والارض يكون في تكون النار

§ ٥ - والماء يمكن أيضا أن يأتي من النار - ليس بين الماء والنار نقطة مشتركة
ما فلجل أن يتغير أحدهما الى الآخر لا بد من الوسطاء • وما هنا الهواء هو الذي له
نقط مشتركة بينه وبين الماء من جهة وبينه وبين النار من جهة أخرى • - هذا التحول -
عبارة النص أشد ابهاما • - البارد والسائل - اللذان هما كيفا الماء • - البارد واليابس -
كيفا الارض الخاصان • - الكيفان - لفظ النص غير محدد •
§ ٦ - الكون - كون العنصر الجديد الناتج من تحول العناصر الاخرى • - لا يحصل
بعد حیثئذ من الواحد الى الآخر - وحيثئذ يوجد جسم ثالث مكون من الكيفين الباقية •
ينازع فيلوپون في صحة هذه النظرية التي هي مع ذلك كما يقول هو كانت مقبولة عند
الاسكندر الافروديزي •

- غير أنه من النار ومن الماء - لا يظهر أن للماءى متعاقبة تماما • - يتكون الهواء
عنصر مخالف للنار والماء اللذين أنتجا • - تتكون الارض - الملاحظة عنها • - يابس
... وبارد - اللذان هما كيفا الارض •

§ ٧ - سائل أحدهما - لسائل يظهر أن استعماله خاص بالماء دون سواء • ولكن
في هذه النظريات يلزم قبوله أيضا بالنسبة للهواء لان لفظ وطبي يظهر أنه أحسن استعمالا =

والماء لانه اذا فسد حار الهواء مع يابس الارض يتكون الماء مادام انه
سببى سائل أحدهما وبارد الآخر . ولكن حينما يكون المنعقد هو سائل
الماء وبارد الارض تتكون انثار لانه يبقى حار أحدهما ويابس الآخر وهما
الكيفان الخاصان بالنار .

§ ٨ - وهذا الايضاح لكون النار يتفق جدا مع الحوادث التي
يشهد بها الحس لانه انما هو اللهب الذى هو على الاخص نار واللهب
ليس الا الدخان المحترق والدخان يتركب من هواء وأرض .

§ ٩ - فى العناصر التى تتوالى وتتعاقب ليس ممكنا متى كان
أحد الكيفين قد فسد فى واحد أو فى الآخر أن يحصل مرور وتحول
للعناصر الى اى جسم آخر لان البواقي التى تبقى فى الاثنين هى اما
متماثلة أو متضادة . وحينئذ لا من بعضها ولا من الآخر يمكن أن
يتحصل جسم . مثال ذلك اذا فسد يابس النار واذا فسد أيضا
سائل الهواء لا توجد نتيجة ممكنة مادامت الحرارة هى التى تبقى من
طرف ومن آخر . وكذلك الحال فيما اذا كانت هى الحرارة التى تنعدم
من الاثنين فانه لا يبقى بعد الا ضدان وهما اليابس والسائل ،
ويجرى هذا المجرى فى جميع الاحوال الاخرى ما دام أنه فى الاحوال
التى من هذا القبيل يبقى دائما تارة الكيف المائل وتارة الكيف
المضداد ، وعلى هذا فمن البين حينئذ انه لاجل تكوين العناصر مارة

= فى بعض الاحوال . ويمكن أيضا أن تستعمل كلمة « لطيف » للهواء ولكن هذه الكلمة
لا توافق تماما كلمة النص . وهما : الكيفان الخاصان بالنار - ر . ما سبق
ب ٣ ف ٢ .

§ ٨ - وهذا الايضاح لكون النار - ليس النص على هذه الصراحة . - يتفق جدا
مع الحوادث - لا يظهر ان هذا الاتفاق تام كما يظن المؤلف ولكن هنا لا يمنع من أن
النمط الذى يوصى باتباعه وحق ولو انه لم يحسن تطبيقه . - الدخان يتركب من
هواء وأرض - لان الدخان على رأى أرسطو هو تبخر الخشب . ر . الميتورولوجيا ك ٤ ب ٩
ف ٤٢ ص ٣٣٩ من ترجمتنا .

§ ٩ التى تتوالى وتتعاقب - مثال ذلك الهواء بعد النار والماء بعد الهواء والارض
بعد الماء ما دامت العناصر الاربعة مرتبة على هذا النظم . - مرور وتحول - ليس فى
النص الا كلمة واحدة .

- البواقي التى تبقى فى الاثنين - ليس النص على هذه الصراحة . - نتيجة ممكنة
- يعنى جسما ثالثا مخالفا للجسمين الذين انتجناه . - الحرارة هى التى تبقى - وفى
هذه الحالة هى النار . - ضدان - يترافعان ولا يمكنهما أن يجتمعا ما دام انهما يتفاضلان
على التكافؤ . مارة ومتغيرة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - من واحد الى واحد

ومتغيرة من واحد الى واحد يكفي أن كيفاً واحداً يفسد • ولكن بالنسبة للعناصر التي تمر من اثنين الى واحد فقط • هنالك يحتاج الى فساد عدة كيفيات •

§ ١٠ - وعلى جملة من القول فإنه قد وضع ان كل عنصر يتولد من كل عنصر وقد بين بأية طريقة يحصل تحول بعضها الى بعض •

- التعبير ليس بينا جدا ولم أزد على ان حصلته بعينه • - كيفاً واحداً - الكيف المتضاد والنص ليس على هذا القدر من الضبط • - عدة كيفيات - كلمة النص في غاية الإبهام •

§ ١٠ - وعلى جملة من القول - عبارة النص هي بالبساطة : « حينئذ » •

الباب الخامس

بقية نظرية تبدل العناصر - من الحال ألا يوجد إلا عنصر واحد منه تأتي كمال العناصر الأخرى - في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيقي للعناصر المختلفة - شاهد من ميلموس لافلاطون - عرض جديد للطريقة التي بها تتغير العناصر بعضها إلى بعض - يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك - نسبة العناصر الأطراف بعضها إلى بعض ونسبة العنصر الأوسط - المخلوط الضرورية لهذا التحول - لا يمكن التمشي إلى اللانهاية في أي واحدة من الجهتين - البيان الحرفي لهذا المبدأ .

§ ١ - التفاصيل السابقة لآتمنعنا تقدير هذه المسائل على ضوء آخر . فإذا كانت مادة الأجسام الطبيعية هي . كما يرى بعض الفلاسفة الماء والهواء أو عناصر من هذا القبيل فيلزم أن تكون واحدا أو اثنين أو عدة من هذه العناصر . وفي الحق لا يمكن ألا تكون جميع الأشياء إلا عنصرا واحدا أحدا . مثلا أن الكل لا يكون إلا هواء أو ماء أو نارا أو أرضا مادام التغير يحصل في الاضداد . وفي الواقع نفرض أن الكل هو من الهواء وإن الهواء يبقى في جميع التغيرات فسيحصل من ثم مجرد استحالة ولن يحصل بعد كون .

§ ٢ - ولكن في هذا الافتراض عينه ليس ممكنا ، فيما يظهر ، أن يكون الماء في آن واحد هواء أو أي عنصر آخر مشابه . فسيوجد دائما بين الكيفيات تقابل وخلاف حيث لا يكون للنار إلا واحدا من الطرفين الحرارة مثلا . ولكن النار لن يمكنها البتة أن تكون بالبساطة هواء حارا لأن هذا إنما هو استحالة . ولا يظهر أن الأمور تقع على هذا النحو . ومن جهة أخرى إذا فرض على العكس أن الهواء يأتي من النار فهذا التغير لا

§ - التفاصيل السابقة - ليس النص على هذه الصراحة . - على ضوء آخر - عبارة النص بالضبط هي : « هكذا » يعني « بالطريقة الآتية » . - فإذا كانت مادة الأجسام الطبيعية - يجب أن يعني ما هنا بالأجسام الطبيعية أولا بعض العناصر ثم بعد ذلك جميع الأجسام التي تؤلفها العناصر الأولية بتراكيبها . كما يرى بعض الفلاسفة وعلى الأخص فلاسفة ملوثة يوناني . عنصرا واحدا أحدا - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - ما دام التغير يحصل في الاضداد - وإن تقبل واقعية التغير المدرك بحواسنا - في جميع التغيرات أضفت هذه الكلمات لبيان الفكرة .

§ ٢ - أن يكون الماء - بعض الناشرين ثبت النار بدل الماء ، وأظن أن هذه هي الرواية الحق لانها هي وحدها التي تتفق مع كل ما على . ويظهر أن فيلوبون أيضا على ذلك . ولكني لم أجسر على تغيير النص لأن هذا التغيير لا يستند إلى أية نسخة مخطوطة . - بين الكيفيات - أضفت هاتين الكلمتين لتمام المعنى . =

يمكن حصوله الا بالتغير من الحرارة الى ضدها فهذه الكيفية المضادة ستكون اذا في الهواء حينئذ سيكون الهواء شيئا باردا وبالنتيجة من المحال أن تكون النار هواء حارا لانه قد ينتج منه أن العنصر الواحد قد يكون حارا وباردا في آن واحد . وسيوجد حينئذ خلاف هذين العنصرين شيء ما آخر شبيه بمائلا وهو أية مادة أخرى عامة للائنين .

§ ٣ - قد يكون التدليل عينه منطبقا في حق كل عنصر آخر غير الهواء ولا يمكن أن يوجد منها واحد قد يكون المنبع الوحيد الذي منه تكون قد خرجت الاخرى كلها . وليس يوجد خلاف هذه العناصر عنصر آخر وسيط ، كأن يكون مثلا عنصرا وسطا بين الهواء والماء أو بين الهواء والنار ، أثقل من الهواء والنار وأخف من كل الاخر . لان هذا الوسيط حينئذ يكون بمقابلة الاضداد هواء ونارا معا . ولكن ثاني الضدين هو العلم وبالتالي لا يمكن أن يثبت هذا العنصر الوسيط وحده ، كما يقوله بعض الفلاسفة ، عن اللامتناهي وعن الحاوي . فيلزم اذا لما أن كل واحد من العناصر المعروفة يمكن ان يكون على السواء هو ذلك الوسيط واما الا يمكن ولا واحد منها أن يكونه .

= واحد من الطرفين - هذه هي كلمة النص بعينها أثبتنا وربما قد لا تكون الكلمة المغتارة . - الحرارة - بافتراض أن الهواء حار ومائلا كما سبق في ف ٢ و ٣ . - الأمور تقع على هذا النحو - ليست عبارة النص على هذه الصراحة . - أن الهواء يأتي من النار - كما افترض أفلاطون أن النار هي التي كانت تأتي من الهواء فيلزم أن الهواء يمكن أن يأتي من النار أيضا ما دام أنه لم يفترض الا عنصر واحد أحد . - من الحرارة - التي هي في النار بالبداية . - الى ضدها - الذي هو البرودة . - هذه الكيفية المضادة - ليس في النص الا اسم اشتراك غير محدد . - وسيوجد حينئذ - هذه هي النظرية التي سيقف عليها أرسطو فيما يلي . - أية مادة أخرى عامة للائنين - هي المادة بالقوة المحضة لا بالفعل والتي يمكنها أن تقبل على التناوب صورة كل واحد من الاضداد ونوعه . ر . طيمولوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٢٢

§ ٣ - في حق كل عنصر آخر غير الهواء - النص مبهم جدا . - قد يكون المنبع الوحيد - النص مبهم جدا أيضا . - عنصر آخر وسيط - كما كان يرى أليكسيمندروس على رواية فيلوبون . - هو العلم - ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ ف ١٠ ص ٤٨٠ منسج ترجمتنا . فان العلم هو ثاني الضدين بمعنى أن هذا الضد الثاني لا يوجد الا متى انقطع وجود الآخر . - وعن الحاوي - حفظت لفظ النص على إبهامه . ر . على اللامتناهي الطبيعة ك ٣ ب ٦ ف ٤ ص ٩٧ من ترجمتنا . الفلاسفة الذين يشير اليهم هنا أرسطو بلا شك هم أتباع فيثاغورث . ر . كذلك أيضا الطبيعة ف ١٢ ص ١٠٠ . - يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط - ليس النص على هذا القدر من البيان . ولكن المعنى الذي وقيناه ظاهرا من شرح فيلوبون .

§ ٤ - ولكنه اذا لم يكن اجسام محسوسة سابقة على تلك
العناصر التي نعرفها هي كل هذه الموجودة ، فيلزم حينئذ اما ان تثبت
العناصر الى الابد كما هي دون ان يتغير بعضها الى بعض واما ان يتغير
على الدوام . يمكن ان يسلم ايضا امكان تغيرها جميعا او ان بعضها
يمكن ان يتغير وأن الاخرى لايمكنها ذلك كما قال افلاطون في طيمائوس
ولقد وضع فيما سبق ان العناصر تتغير بالضرورة بعضها الى بعض
ولكنه قد بين ايضا انها لا تتغير بسرعة على السواء تحت هذا التأثير المتبادل
وان التغير يحصل أسرع بالنسبة لتتغير بينها نقطة صلة أعني كيفامشتركا
وابطأ بالنسبة لتلك التي ليس لها من ذلك . فاذا لم يكن اذا الامتقابلة
واحدة بالاضداد على حسبها تتغير الاجسام فيلزم بالضرورة حينئذ ان
يوجد جسمان لان الهيولى انما هي التي تصلح وسطا للضدين غير
مدرك وغير منفصل ولكن لما انه يوجد بالمعينة عناصر اكثر فان اقل
ما يمكن ان يوجد من المقابلات انما هو اثنان ومتى وجد اثنان فلا يمكن
ان يوجد ثلاثة حدود فقط بل يلزم مطلقا أربعة كما قد تدل عليه
المشاهدة . وهذا انما هو عدد التراكيب اثنان اثنان لانه ولو أنها
سنة في المجموع الا ان منها اثنان لا يمكن البتة ان يكونا لانها ضدان
احدهما للآخر . ومع ذلك فقد عولجت هذه المسائل فيما سبق .

§ ٥ - مع ان العناصر تتغير بعضها الى بعض فان من المحال ان
يوجد مبدأ التحول لافى أحد الطرفين ولا في الوسط . واليك ما يشته
فاما الطرفان فانه ليس ممكنا ان تكون كل الاشياء من النار كما انها
لا تكون كلها من الارض ، لان هذا يرجع الى القول بان الكل يتولد من
النار او ان الكل يتولد من الارض . ولكن لا يمكن ان يقال ايضا ،
كما يريد بعض الفلاسفة ، ان الوسط هو المبدأ وان الهواء ينقلب الى

§ ٤ - اجسام محسوسة - عبارة النص غير محددة . فالعناصر التي نعرفها -
زدت « التي نعرفها » . كما هي - زدت ايضا . كما قال افلاطون في طيمائوس
- ر . طيمائوس ترجمة كوزان ص ١٦٦ وما بعدها . فيما سبق - ر . ما سبق ب ٣
و ٤ . أعني كيفامشتركا - زدت هذه العبارة على جملة التذييل - مقابلة واحدة
بالاضداد ليس في النص الا كلمة واحدة . للضدين - أضفت هذ الجار والمجرور لانها
الفكرة . ر . الطبيعة ك ١ ب من ترجمتنا . عناصر أكثر - ليس النص على هذه
الصراحة . فيما سبق - ر . ما سبق ب ٣ ف ١

§ ٥ - مبدأ التحول - عبارة النص هي بالبساطة « مبدأ » . من النار ١٠٠٠
من الارض - بان النار والارض هما العنصران الطرفان . الهواء ينقلب الى نار - بما
ان الهواء عنصر وسيط . الماء ينقلب الى هواء - الملاحظة عينها . اكرر - أضفت
هذه الكلمة . ان يتغير بعضها الى بعض - لان الاطراف هي اعداد متشابهة ولكنها
لا تتبدل على طريق التكافؤ .

نار وإلى ماء ولا أن الماء ينقلب إلى هواء وإلى أرض • لأنى أكرر أن الأطراف لا يمكن البتة أن يتغير بعضها إلى بعض •

§ ٦ - على ذلك يلزم إيجاد نقطة وقوف ولا يمكن من جهة ولا من أخرى السير إلى اللانهاية على خط مستقيم لانه يترتب عليه وجود مقابلات وأضداد غير متناهية العدد لعنصر واحد أحد • فلنرمز للأرض بحرف ا وللماء بحرف م وللhواء بحرف ه وللنار بحرف ن • فاذا تغير ه إلى ن وإلى م فالتقابل يكون بين ه ، ن • ولنفرض أن هذين الضدين هما البياض والسود • ومن جهة أخرى اذا تغير ه إلى م فسيكون تقابل آخر لان م ، ن ليسا متماثلين ولتكن مقابلة السيولة واليبوسة مرموزا لليبوسة بحرف ي وللسيولة بحرف س فاذا كان حينئذ الابيض هو الذى يمكث ويبقى فيكون الماء سائلا وأبيض ، فاذا لم يكن أبيض فيكون أسود مادام أن التغير لا يحصل الا إلى الاضداد • فيلزم حينئذ بالضرورة أن يكون الماء اما أبيض واما اسود ويمكن افتراض انه فى الحالة الاولى • وبالطريقة عينها أيضا يى اليبوسة يكون لحرف ن وحينئذ ن أعنى النار تتغير كذلك إلى ماء لانها الضدان ، والنار كانت سوداء أولا ثم يابسة بعد ذلك كما كان الماء سائلا أولا ثم أبيض •

§ ٧ - فبين اذا أن كل العناصر يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض • والكيوف الباقية ستوجه فى (١) الأرض كما يوجد فيها نقطتنا الاجتماع والارتباط الاسود والسائل مادام أن هذين الكيفين لم يتربكا معا بعد بأية طريقة كانت •

§ ٦ - يلزم إيجاد نقطة وقوف - التى هى أحد الطرفين • - إلى اللانهاية على خط لستقيم - يعنى من غير أن يرتد على عقبيه لينعبد من جديد من الطرف الثانى إلى الطرف الاول كما ذهب أولا من الطرف الاول إلى الطرف الثانى ومع ذلك فان هذه الفكرة ليست بيّنة بيانا كافيا • - مقابلات وأضداد - ليس فى النص الا كلمة واحدة • - فلنرمز للأرض بحرف T (بالفرنساوية وقد وضع بدلها فى النص العربى حرف ا) فى النص أخذت حروف الرمز من أوائل أسماء العناصر كما نبه عليه فيلوبون كما فعلت فى الترجمة • ومع ذلك فان هذا المثل الخرف لم يأت بايضاح كبير • - البياض والسود • نبه سان توماس بحق إلى أن هذه الامثلة ليست مختارة وان هذه ليست هى الكيفيات العادية للعناصر م ، ن ليسا متماثلين - بل هما ضدان بالعرف العام ما دام أنهما الماء والنار • - السيولة - يمكن أن تترجم أيضا « الرطوبة » • - أعنى النار كتغير كذلك إلى ماء - كل هذه التباير هى نظرية محضة ولا تتطابق حقيقة الواقع فى شىء • والمؤلف ما هنا ليس متمسكا بنهج المشاهدة الذى طالما أوصى به •

§ ٧ - أن كل العناصر - قد يكون من الممكن تخصيص هذه القضية التى هى اعم مما ينبغي بعض الشىء وقصرها على عنصرى الأرض والنار • - الكيوف الباقية - يعنى =

§ ٨ - وهالك البرهان على أنه لا يمكن هاهنا أن يتمشى الى اللانهاية مبدأ اعتمدنا عليه من قبل ان نقرر الايضاح الذى سبق ، وذلك هو أنه اذا فرض أن النار المرموز لها بحرف ن تتغير الى عنصر آخر ولا ترجع الى الوراء وانها مثلا تتغير الى ر فمن ثم يكون بين النار وبين ر مقابلة بالاضداد مختلفة عن المقابلات المذكورة آنفا مادام أن ر لا يمكن ان تكون مماثلة لاي واحد من العناصر المرموز لها بالحروف ا ، م ، ه ، ن ولنفرض ان الكيف ك هو كيف ن وان الكيف ي هو كيف ر فتكون ك حينئذ لكل العناصر ا ، م ، ه ، ن لان كل هذه العناصر يتغير بعضها الى بعض ولكن مع التسليم بأن هذا لم يوضح بعد فاذن من البين على الاقل انه اذا تغير ر من جديد الى عنصر آخر فمن ثم يكون تقابل آخر بالاضداد ويكون بين ر و بين النار ن . وتكون الحال كذلك دائما بالنسبة للحد المزيد وأنه يوقع دائما مقابلة مع الحدود السابقة بحيث انه اذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعند فتكون كذلك مقابلات غير متناهية بالعدد لعنصر واحد أحد . واذا كان هذا ممكنا فمن ثم يكون من المحال ان يعطى أى قول شارح وأن يوضح كون أى عنصر ما مادام انه يلزم ، اذا كان واحد يأتى من الآخر ، أن يجتاز من المقابلات عدد ما ذكرنا بل وأزيد منه

= التى لم يتألف أحدهما مع الآخر بعد . - نقتلنا الاجتماع والارتباط - يعنى الكيفيات المشتركة للعنصرين والتى بها يمكن أن يجتمعا ويتركبا بحيث أن أحدهما يتغير الى الآخر . § ٨ - مبدأ اعتمدنا عليه - ر . ما سبق ف ٦ . - الايضاح الذى سبق - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - ولا ترجع الى الوراء - يعنى اذا توالى التغير على خط مستقيم واذا لم تتغير النار على التعاقب الى هواء وماء وأرض لتتغير الارض بعد ذلك الى ماء وهواء ونار . - المذكورة آنفا - ر . به ٥ و ٦ . - لا يمكن أن تكون مماثلة - يعنى أن « ر » تكون مفروضة عنصرا خامسا خارجا عن النار والهواء والماء والارض . - الكيف « ك » - عبارة النص هى فقط « ك » . - فتكون « ك » حينئذ لكل العناصر - ما دام أنه للعنصر « ن » بواسطة « ر » ولسائر الاخرى بواسطة « ن » - للحد المزيد - كما زيدت « ر » على أربعة العناصر الاخرى . - اذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد - يجب أن يعنى بالحدود العناصر الجديدة التى قد تفترض تلو العنصر الخامس لما افترض الخامس تلوها للاربع الاول . - لعنصر واحد أحد - ما دام أن جميع العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض على التعاقب . - أى عنصر ما - عبارة النص غير محددة - ما ذكرنا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - بل وأزيد منه - هذا غير مفهوم تماما ما دام قد افترض أن عدد الاوساط غير متناه .

- لبعض العناصر - عبارة النص غير محددة ويظهر لى أن هذا يرجع بالضرورة الى العناصر . : اذا كانت الاوساط غير متناهية بالعدد - كما افترض سابقا ، فإن الهواء والنار هما مع ذلك عنصرا متجاوران كلاهما فاذا لم يكن تغير أحدهما الى الآخر على طريق التكافؤ فمن باب أولى العناصر المتباعدة كالنار والارض .

ورنتج من ذلك أنه بالنسبة لبعض العناصر لا يكون تغير ممكن البتة ، مثال ذلك اذا كانت الاوساط غير متناهية بالعدد وهذا لازم اذا كانت العناصر غير متناهية بالعدد هي نفسها ، وعلى ذلك مثلا لا يكون تغير من هسواء الى نار اذا كانت المقابلات التى تجتاز هي غير متناهية بالعدد .

§ ٩ - وأخيرا كل العناصر أيضا تنتهى الى عنصر واحد لانه يلزم أن تكون كل هذه المقابلات متعلقة اما بالمقابلات من أعلى بالعناصر التى هي أسفل من ن واما بالمقابلات من أسفل بهذه العناصر نفسها بحيث أن الكل ينتهى الى واحد .

§ ٩ - وأخيرا - أضفت هذه الكلمة لبيان أن هذا هو تمام كل ما سبق . ومع ذلك فلا يرى قوة هذا البرهان المبني على فرض عنصر خامس وسلسلة متناهية من العناصر حتى لو فرض أنه لا يوجد الا أربعة عناصر فما دام أنها يمكن أن يتغير بعضها الى بعض كما يفرضه أرسطو فإنه يظهر أيضا أنه يمكن أيضا أن تنتهى الى واحد . ومع ذلك فأنى لست وأنها بأن يكون المراد هنا هو العناصر ما دام أن عبارة النص غير معينة كما فى بعض الفقرات الأخرى . ومن الممكن أن تكون جميع الاوساط هي التى تنتهى الى واحد . - كل العناصر أيضا تنتهى الى عنصر واحد - حفظت ضم التمييز الموجود فى النص . وما زالت هذه الفقرة منقطة على الرغم من توضيحات فيلوبون الذى يستند مع ذلك الى الإسكندر الأفروديزى . والظاهر أن هذا الأخير كان لديه نص أرسطو كما وصل إلينا ، ومن المحتمل أنه لا محل لافتراض أى تعريف ما هنا . وإن الفكرة العامة لهذا التبدل هي مع ذلك جلية وإن كانت التفاصيل ليست دائما كذلك . فكل رأى أرسطو أن أربعة العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض . ولكن هذا التغير لا يصح أن يكون غير متناه ويلزم الاستمرار بالأربعة العناصر التى تدركها حواسنا وبالأربع الكيفيات التى تشخصها وتميزها . وقد قرر سان توماس هذه الفقرة بالاختصار الذى ليس من عادته . ولم يكن هذا الإيجاز ليساعد على جلاء المعنى .

الباب السادس

إبطال نظرية أمبيدل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة إلى الكم أم بالنسبة إلى الأثر والتناسب - على مله أمبيدل نمو الأشياء يرجع إلى مجرد جمع - أنه لا يفسر أيضا كون الأشياء ، بل إخضعه لسلطان الصائفة ، ولا حلة للحركة الأصلية ولا طبع الناس الخلقى - شواهد مختلفة من شعر أمبيدل .

§ ١ - حينما يرى أن فلاسفة يقبلون تعدد عناصر الاجسام وينكرون في آن واحد أن العناصر تتغير بعضها إلى بعض ، كما يفعل أمبيدل ، قد يمكن أن يسألوا في شيء من النعش كيف يستطيعون إذا أن يقرروا أن العناصر هي قابلة للمقارنة بعضها ببعض . هذا مع ذلك هو ما يزعمه أمبيدل إذ يقول :

« لان العناصر كلها كانت متساوية فيما بينها »

فاذا كانت المساواة في الكم لزم أن يوجد بين الأشياء المقارنة شيء مشترك يصلح لقياسها ، مثال ذلك إذا كان من كوتيل (ربع لتر) واحد من الماء يمكن ايجاد عشرة كوتيلات من الهواء فذلك بأن العنصرين كانا من بعض الوجوه شيئا واحدا ما دام أن قياسهما واحد .

§ ٢ - فاذا كانت الأشياء ليست قابلة للمقارنة هكذا بالنسبة إلى الكم أي أن الكمية الفلانية مضارعة الكمية الفلانية فيلزم على الأقل أن تكونه بعلاقة الأثر الذي يمكن أن تحدثه . مثال ذلك : إذا كان كوتيل

§ ب ٦ ف ١ - حينما يرى - ليس النص على هذه الصراحة . - في آن واحد - أضفت هذه الكلمات حتى تكون المقابلة بين المعاني أظهر . - كما يفعل أمبيدل - ر . ما سبق ب ٣ ف ٦ - قابلة للمقارنة - التعبير مبهم ولم أشأ أن أزيد عليه ما يعينه . وإن الأمثلة التي استذكر فيما بعد مستقل من إيهامه شيئا . - كانت متساوية - هاهنا أيضا قد حصلت عبارة النص على ما فيها من عدم التبيين . - فاذا كانت المساواة في الكم - على تقدير المادى ليقابل بكم القوة الذي سيجهى الكلام عليه فيما يل . - يمكن ايجاد عشرة كوتيلات من الهواء - أو « إذا كان كوتيل من الماء يقابل عشرة كوتيلات من الهواء » وهذا ليس إلا مجرد فرض وليس معناه أن أرسطو يظن أن هذه هي في الواقع النسبة بين الهواء والماء .

§ ٢ - الأشياء - أو « العناصر » - مضارعة - أو « آتية من » =

من الماء يمكن ان يحدث من البرودة ما تحدثه عشرة كوتيلات من الهواء
فحينئذ تكون العناصر قابلة أيضا للمقارنة بينها بعلاقة الكمية لا من حيث
هى بالضبط كمية مادية ولكن من حيث انه يمكنها أن تحدث فعلا ما .

§ ٣ - قد يمكن أيضا مقارنة القوى أو الطاقات ليس فقط بمقياس
الكمية مباشرة بل أيضا بالتنسيب والتشبيه . على ذلك يمكن أن يقال ان
الشيء الفلاني حار كما أن الشيء الآخر أبيض . فكاف التشبيه تبين علاقة
المشابهة اذا كان المعنى هو الكيف ، فان كان المقصود الكم فهي تقييد
المساواة . ولكن من السخف ، فيما يظهر ، أن الأجسام التي لا يمكن أن
تتبدل بعضها ببعض لا تكون قابلة للمقارنة فيما بينها بعلاقة المشابهة وان
تكون فقط بمقياس قوتها ولان الكمية الفلانية من النار مثلا يمكن أن
تكون أيضا حارة وتحدث الحرارة التي تحدثها الكمية الفلانية من الهواء
التي هى أعظم منها . وفي الواقع أن جوهرنا من هذا الطبع اذا كانت
كميته أعظم يمكنه أن يصير بالتنسيب مكافئا لانه سيكون والاخر من
جنس واحد .

§ ٤ - أزيد على ذلك انه على حسب مذهب أمبيدقل لا يوجد نمو
ممکن الا النمو الذى يحصل بالجمع وهكذا هو يفترض أن النار تنمو
بالنار حين يقول :

« الأرض تنمو الأرض والهواء ذاته ينمو الهواء »

= - الاثر الذى يمكن أن تحدثه - ليس النص على هذا الوضوح . - يمكن أن يحدث
من البرودة - كل من حق هذه العبارة أن تكون أوسع مما هى . - مادية - أضفت
هذا الوصف . - أن تحدث فعلا ما - عبارة النص بالضبط هى : « بما هى مستطبعة
شئنا ما » .

§ ٣ - القول أن الطاقات - ليس فى النص الا كلمة واحدة . مباشرة - أضفت
هذه الكلمة لبيان الفكرة . - بالتنسيب والتشبيه - ليس فى النص الا كلمة واحدة . -
فكاف التشبيه - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - ولكن من السخف فيما
يظهر - الرأى الذى ينتظمه أرسطو هنا يجب أن يكون مستندا أيضا الى أمبيدقل على رغم
أن هذا التعيين لم يذكر فى النص صراحة . - قابلة للمقارنة فيما بينها - لم يذكر فيما
سبق أن هذا الرأى هو رأى أمبيدقل . - المشابهة - أو « التنسيب » - مثلما أضفت هذه
الكلمة . - الكمية الفلانية من الهواء التى هى أعظم منها - فى نسبة حرارة الهواء الى
حرارة النار . أما القاعدة فهى مع ذلك صحيحة . فان جسمين مكيفين بكيف واحد يمكن
أن يوازن بينهما بالزيادة على أضعف الاثنين .

§ ٤ - أزيد على ذلك . . . هو يفترض - ليس النص على هذا القدر من الظهور . -
حين يقول - أضفت هاتين الكلمتين . - تنمو الأرض - عبارة النص بالضبط : « تنمو
نوعها الخاص » وقد بين أرسطو فيما سبق أن نمو الاشياء لا يمكن أن يحصل بمجرد
الإضافة ك ١ ب ٩ ف ٨ . - ولا يظهر - يحال على المرجع السابق .

حينئذ ليس هذا اذا الا مجرد اضافة ولا يظهر أن الاشياء التى تنمو
يمكن أن تنمو هكذا .

§ ٥ - ولكنه أعسر أيضا على أمبيدقل أن يوضح كون الموجودات
فى الطبع لان كل الموجودات التى تولد وتتكون بحسب القوانين الطبيعية
أو تولد دائما بطريقة منتظمة أو بالاقل على الغالب بهذه الطريقة ،
والموجودات التى تتكون على ضد هذا النظام الثابت أزلا أو بالاقل الأكثر
فى العادة هى ثمرة علة اتفاقية وثمره المصادفة . فما هو الفاعل اذا فى
أن من انسان يولد انسان أما دائما وعلى حسب قاعدة ازلية وإما بالاقل
بحكم العادة الغالبة ، كما أن من القمح يأتى دائما قمح لا شجرة زيتون ؟
أم هل العظام لا تتكون أيضا بالطريقة عينها ؟ كلا ان الاشياء لا تكون
بالمصادفة وبالتفاق كما يقول أمبيدقل بل هى تتكون بنوع ما من العقل .

§ ٦ - فما هى اذا العلة فى كل هذه الظواهر ؟ انها ليست فى
الحق لا الارض ولا النار ، وليست كذلك العشق والتنافر لان أحدهما
ليس علة الا لتأليف الاشياء والاخر لتفريقها . تلك العلة انما هى أصل
لكل شيء . وليست فقط كما يقول أمبيدقل :
« اختلاط وتنافر للاشياء المختلطة »

فهى ليست اذا ما يسمى بالمصادفة وليست هذه بعلة . لانه ممكن
تماما أن يوجد أحيانا اختلاط اتفاقى ومشوش .

§ ٥ - على أمبيدقل - أضفت هاتين الكلمتين اللتين تفهمان من صوغ النص . -
فى الطبع بصرف النظر عن الاشياء التى توجدنا صناعة الانسان . - علة اتفاقية
وثمره المصادفة - ان ابطال نظرية المصادفة هذا هو مطابق تمام المطابقة ، حتى فى لفظه
أحيانا للنظرية الواردة فى الطبيعة ك ٢ ب ٤ ف ٦ و ٨ ص ٣١ و ٣٢ من ترجمتى وأيضاً
فى الباب الخامس وما يليه . - أم هل العظام لا تتكون أيضاً - لا يرى جيداً لماذا مثل
بالعظم هنا . وان كان أمبيدقل فى الحق يستعمل هذا المثل غالباً . - كما يقول أمبيدقل
- ر . - الطبيعة ك ٢ ب ٨ ف ٣ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتنا . - بنوع من العقل -
أو « بنوع ما من الفطنة » .

§ ٦ - انها ليست فى الحق لا الارض ولا النار - هذه الجملة واردة على صيغة
تهكمية . - العشق والتنافر - المبدآن العظيمان عند أمبيدقل . ر . - الطبيعة ك ٧ ب ١
ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . - انما هى أصل لكل شيء - يعنى صورته الجوهرية .
وكان يمكن أرسطو أن يترقى أيضاً الى أعلى من ذلك ويتساءل الام يجب أن يرجع فى
أصل كل شيء . - وليست هذه بعلة - أو نوعاً من التناصب والنظام . وان اللفظ
المستعمل فى النص هو فى غاية السعة . - لانه ممكن تماماً - يظهر أن فيلوبون لم
يفهم هذه الجملة الصغيرة لانه لم يفسرها . - اتفاقى ومشوش - ليس فى النص الا
كلمة واحدة .

§ ٧ - إذا ما هو علة لكل واحد من الموجودات الطبيعية إنما هو تركيبها ، إنما هو الطبع الخاص لكل واحد منها مما لا يقول عنه أمبيدقل كلمة واحدة . بل يمكن التأكيد بأنه لم يدرس الطبع حقيقة ولو أن الطبع هو بالضبط النظام والخير لجميع الأشياء . ولكن أمبيدقل لا يشهد مطلقا إلا بذكر الامتزاج والاختلاط ومع ذلك فليس هو التنافر بل هو العشق الذى فصل العناصر وهما على رأيه متقدمان على الله ذاته لأن عناصر أمبيدقل هي أيضا آلهة .

§ ٨ - أنه لا يتكلم كذلك على الحركة إلا بطريقة غاية فى العموم لأنه لا يكفى أن يقال أن التنافر والعشق هما اللذان يعطيان الحركة إذا لم يعين أن العشق ينحصر فى أن يسبب النوع الفلانى من الحركة والتنافر فى أن يسبب النوع الفلانى منها . وحينئذ كان يجب على أمبيدقل هاهنا إما أن يحد الأشياء بالضبط ، أو أن يتصور فرضا ما ، أو أن يوضح توضيحا قويا أو ضعيفا مع ذلك ، أو أن يخلص منه بأية طريقة أخرى .

§ ٩ - رد آخر . أن الاجسام هي تارة متحركة بالقسر وضد الطبع وتارة هي ذات حركة طبيعية . مثال ذلك النار تتجه الى فوق من غير أن يكون ذلك بالقسر ولا تتجه الى تحت إلا بالقسر فالحركة الطبيعية هي ضد الحركة القسرية فبالنتيجة كما أنه يوجد حركة قسرية يوجبها أيضا حركة طبيعية . فهل هو إذا العشق أو ليس هو العشق الذى يكون هذه الحركة الأخيرة ؟ متى كان للأرض حركة تحملها الى تحت فانما هي حركة

1

§ ٧ - إنما هو تركيبها - والترجمة الحرفية هي : « كونها على ما هي عليه » . ومع ذلك فإن هذا غير صحيح جدا فإنه لا يمكن أن يقال أن تركيب الموجودات هو علتها الحقيقية . - النظام والخير لجميع الأشياء - على هذا المعنى يمكن القول بأن هذا هو علتها القائية . - الامتزاج والاختلاط - ليس فى النص إلا كلمة واحدة . - العشق الذى فصل - لا يظهر أن هذا مطابق تماما لآراء أمبيدقل . وفى الحق أنه لأجل الجمع يلزم أولا التفريق ولكن أمبيدقل إنما يستند التفريق الى التنافر . - على رأيه - أضفت هاتين الكلمتين لبيان الفكرة . - الله ذاته - آله أمبيدقل هو « السقوروس » الذى يحيط بكل شيء فتارة يتوسط بالتنافر وتارة ينقبض بالعشق . ر . الطبيعة ك ١ ب ٥ ف ٤ فى التعليقات ص ٤٥٥ من ترجمتنا .

§ ٨ - غاية فى العموم - ويمكن أن يترجم أيضا - : « أبسط مما ينبغى » فإن عبارة : النص تؤدى المعنيين . - إذ لم يعين - ليس النص على هذه الصراحة . - بالضبط - زدت هذا القيد لتعام المعنى . - يخلص منه بأية طريقة أخرى - عبارة النص فيها من طابع المألوف للمرقى نحو ما فى العبارة التى ترجمناها بها .

مضادة للائتلاف وتشبه الانفصال . اذا يكون التنافر هو أولى من العشق
فى ان يكون علة الحركة الطبيعية وبالنتيجة يكون العشق اولى من التنافر
فى انه مضاد للطبع . فاذا لم يكن لا التنافر ولا العشق يكونان الحركة
فلا يكون للجسام أعينها لحركة ولا سكون . ولكن هذا انما هو نتيجة
باطلة .

§ ١٠ - يعترف أمبيدقل ان الاجسام بالبدئية فى حال حركة لان التنافر
هو الذى فصلها . والا يثير قد ارتفع فى الملا الأعلى لا بواسطة التنافر
ولكن كما يقول أحيانا أمبيدقل بضرب من المصادفة :

« الهواء حينئذ يطير هكذا ولكن فى الغالب على خلاف ذلك »

وأحيانا يقول أمبيدقل أيضا ان النار اضطرت ان تتجه بالطبع الى فوق
وان الاثير قد جاء .

« يتكىء بقوة على قواعد الارض »

وأخيرا يعلمنا أمبيدقل أن العالم هو مسير الآن بالتنافر كما كان
سابقا مسيرا بالعشق سواء بسواء .

§ ٩ - رد آخر - ليس : النص على هذا القدر من التعيين . بالقدر وضد الطبع -
ر . الطبيعة ك ٨ ب ٤ ف ٢ ص ٤٨١ من ترجمتنا وما بعدها . - كما انه يوجد حركة
قسرية على تقدير « بحسب نظريات أمبيدقل » . - هذه الحركة الاخيرة - زدت وصف
« الاخيرة » ليتعين المعنى . - تحملها الى تحت - وفى نسخ أخرى ربما كانت هى الاكثر
عددا « الى فوق » بدلا من « الى تحت » . ولكن هذا لا يتفق مع تقارن النص . فان
أرسطو يرد بأنه حتى لو كانت الارض محمولة الى تحت بحركتها الطبيعية فان الحركة
أشبه بالتفريق منها بالجمع . ما دامت الارض أو بعض أجزائها على الأقل تتجه الى
المركز حيث النار يجب ان تلقاها بحركة قسرية لتنضم اليها . - فانما هى حركة
مضادة - ليس النص مثل : لترجمة فى الوضوح . وفى كل هذه الفقرة شيء من
الحفاء . - للائتلاف - زدت هذه الكلمة . - الحركة الطبيعية - التى تفرق بين الاشياء
بدلا من أن تجمعها والتى توجه النار الى فوق فى حين أنها توجه الارض الى تحت . -
لا للتنافر ولا العشق - فى منضم أمبيدقل . - نتيجة باطلة يقبل أرسطو كقاعدة لا
تحتل الجدل أن الحركة موجودة . ر . الطبيعة ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ٤٣٦ من ترجمتنا .

§ ١٠ - يعترف أمبيدقل - النص لا يذكر هنا أمبيدقل وعبارته هى : « الاجسام
يظهر أنها فى حركة » . ولكن هذا بالبدئية يرجع الى منضم أمبيدقل كما تبينه
لقرينة . - الهواء حينئذ يطير هكذا - هذا البيت يمينه قد استشهد به فى الطبيعة
ك ٢ ب ٤ ف ٦ ص ٣٢ من ترجمتنا . - وأخيرا يعلمنا أمبيدقل - بهذا الاسلوب
التهكمى موجود فى النص .

§ ١١ فماذا هو اذا على رايه اشرك الاول والعلة الاولى للحركة؟ حقا ليس هو العشق والتنافر ولو ان كليهما مع ذلك يستبب نوعا ما من الحركة واذا كانا هما المحرك الاول الذي يوجد فيكونان المبدأ الحقيقي للاشياء .

§ ١٢ - وأخيرا فليس أقل سخفا أن يفترض ان النفس تأتي من العناصر أو أنها واحد من العناصر لانه كيف تتكون اذا الاستحالات الخاصة للنفس ! مثال ذلك كيف يفهم أن يكون لها أو لا يكون لها صنعة الموسيقى ! كيف يفهم الذكر والنسيان ! من البين أنه اذا كانت النفس من النار يكون لها بما هي نار جميع الكيفيات التي تتعلق بالنار . واذا كانت النفس مزيجا من العناصر كان لها كيفيات الاجسام وليس ولا واحد من كيفيات النفس بجسماني . على أن هذه المناقشة تتعلق بدراسة غير هذه قطعا .

§ ١١ - على رايه - زدت هاتين الكلمتين لانه يظهر لي أن الكلام لا يزال مسوقا الى ابطال مذهب امبيدقل . - نوعا ما من الحركة - فان العشق يجمع العناصر والتنافر يفرقها وفي هذا نوع مزدوج من الحركة . - واذا كانا هما المحرك الاول - النص ملتبس ويمكن أن يفهم على عدة معان . فأما فيلوبون فلم يوضحه وأما سان توماس فإنه أعطى المعنى الذي اخترته تقريبا .

§ ١٢ - وأخيرا - أضفت هذه الكلمة لأبين في آن واحد أن هذا هو آخر الانتقادات الموجهة الى نظرية امبيدقل ولأبين أن هذا الدليل الاخير منابر للدلالة السابقة . - الاستحالات - أو « الكيفيات » ولكنني حصلت لفظ النص بذاته . - الخاصة للنفس - يعنى كل التأثيرات الاخلاقية أو العقلية . - من النار . . . بما هي نار . . . بالنار - هذا التكرير هو في النص . فالفرض الاول انما هو أن النفس هي عنصر النار مثلا . والفرض الثاني انما هو انها مزيج من العناصر . - بدراسة غير هذه قطعا - وفي الحق أن هذه المناقشة موجودة في كتاب النفس ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ١١٢ من ترجمتنا . حيث يعيب أرسطو كما يعيب هنا نظرية امبيدقل التي استشهد لها بعدة آيات من الشعر تشتمل عليها .

الباب السابع

بقية أبطال مذهب أمبيدل - متى انكر ان العناصر يمكن ان تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العنصرية المختلفة - شاهد من أمبيدل - صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست اقل عقلا متى سلم باحادية المادة - تعين نظرية جديدة فيها تكون الاعتماد هي التي يفعلها التكرار - تكون جميع جواهر الطبيعة .

§ ١ - نأتى الى ما يختص بالعناصر التي منها الاجسام مركبة . جميع الفلاسفة الذين يقبلون عنصرا مشتركا أو الذين يقبلون أن العناصر تتغير بعضها الى بعض يجب عليهم بالضرورة أن يعترفوا أيضا بأنه اذا تحقق أحد هذين الفرضين تحقق الثانى على السواء . ولكن هؤلاء الذين لا يريدون أن العناصر يمكن ان يتوالد بعضها من بعض ولا ان يأتى كل واحد من كل واحد الا أن يكون كما يجيء اللبن من حائط ، هؤلاء انما يقررون نظرية باطلة لانه حينئذ كيف يجعل من هذه العناصر العظام أو اللحم أو أى جوهز آخر مشابه .

§ ٢ - فى الحق انما هذه الصعوبة تبقى . والى هؤلاء الذين يقبلون أن العناصر تتوالد يمكن أن توجه اليهم مسألة كيف تبلغ هذه العناصر أن تكون شيئا مغايرا لها أنفسها ؟ . مثال ذلك اذا كان من النار يأتى الماء واذا كان من الماء تأتى النار فذلك لان بينهما موضوعا مشتركا . ولكن

§ ب ٧ ف١ - التي منها الاجسام مركبة - ليس المقصود هنا بعد كون العناصر بعضها من بعض بل تركيبها لتؤلف جميع الاجسام الموجودة فى الطبيعة . - عنصرا مشتركا - يعنى المادة التي بالقوة هي العنصر المشترك لجميع الاجسام . - أحد هذين الفرضين - يعنى ان العناصر لها مادة مشتركة اذا تغير بعضها الى بعض . وانها اذا تغيرت هكذا فذلك ان لها مادة مشتركة يجيء اللبن من حائط - فان اللبن يكون الحائط بما هي مضاف بعضها الى بعض وليست مركبة ومتحدة بعضهما مع بعض . كذلك العناصر تكون مجموعة ولا تتحد لتكون الاجسام التي تتخل هي فى تركيب . أن المقارنة صحيحة ولكن العبارة ليست من السعة على ما ينبغي وهذا المثل المشتمل المضروب لا يخلو من بعض الشذوذ . - أو أى جوهز آخر مشابه - يعنى متجانس تماما . وفى المنهج الذى ينتقده أرسطو لا تكون العناصر الا مجموعة بعضهما مع بعض وليست متربة حقيقة .

§ ٢ ان العناصر تتوالد - هذه هي النظرية المضادة لنظرية أمبيدل الذى كان يعتقد أن العناصر غير قابلة للتغير . - شيئا مغايرا لها أنفسها - لافتراض أن أربعة العناصر هي اصل لجميع الاجسام التي نشاهدها ون الاجسام هي شديدة التميز عن العناصر

من العناصر يخرج في الحق أيضا اللحم والنخاع فكيف تتكون هذه الجواهر ؟

§ ٣ - بأى وجه يمكنها أن تتكون على حسب نظريات هؤلاء الذين يتبعون مذهب أمبيدقل ؟ بالضرورة ليس بين هذه العناصر الا جمع كما نجتمع مواد حائط يتكون من آجر واحجار . فى خليط من هذا القبيل تبقى العناصر هى ما هى وتوضع أجزاء أجزاء بعضها الى جانب البعض الآخر . وحينئذ على هذا المنوال ، بناء على هذه النظريات ، انما يتكون اللحم وسائر الاشياء المشابهة له .

§ ٤ - ولكنه ينتج منه أن النار والماء لا يخرجان البتة من جزء كيفما اتفق من أجزاء اللحم ، كما فى تصاوير الشمع من هذا الجزء يمكن أن تخرج كرة ومن ذلك يخرج هرم . فكل ما يرى هو ان الواحد والآخر من هذين الشكلين يمكن أن يأتى أيضا على السواء من كل واحد من جزأى الشمع . وعلى هذا النحو حينئذ أن من اللحم يخرج عنصرا النار والماء وانه قد يكونان معا من أى جزء اتفقا ولكن مع ميلادى امبيدقل لا يكون تعبير هذا ممكنا ويلزم أن كل عنصر يأتى من مكان آخر أو من جزء آخر كما فى الحائط فانه من مكان مختلف تأتى الآجرة والحجر .

التي تكونها . وانها لمشكلة أن يعرف كيف يمكنها أن تأتى منها . - اذا كان من النار بأتى الماء . - ما سبق به ف٦ - من العناصر - عبارة النص غير معينة .

§ ٣ - الذين يتبعون مذهب أمبيدقل - والذين يعتقدون أن العنصر غير قابلة للتغير دون أن يمكن أن تتغير بعضها الى بعض . - كما تجمع مواد حائط - النص اقل صراحة من آجر واحجار - فان المواد مجموعة بعضها الى بعض مجرد جمع وليست متحدة معا . - بناء على هذه النظريات - زدت هذه الكلمات لاتمام الفكرة . - وسائر الاشياء المشابهة له يعنى كل الاشياء التي لتجانسها المطلق لا يمكن أن تميز فيها العنصر التي دخلت فى تأليفها . ويمكن أن تصاغ هذه القضية فى صيغة الاستفهام .

§ ٤ - ولكنه ينتج منه - حافظت على لفظ الاصل على ترده . - لا يخرجان البتة - على تقدير معناه يعنى ان النار والماء ، مجتمعين مجرد اجتماع ، ليسا البتة مطلقا متحدين فى التراكيب التي يركبانها . - من جزء كيفما اتفق من أجزاء اللحم - حيث تكون متماثلة تمام التماثل . - فى تصاوير الشمع - ليس لنص على هذا القدر من الصراحة - من كل واحد من جزأى الشمع . - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

- أمبيدقل - زدت هذا الاسم الذى تعينه القرينة . - تعبير هذا ممكنا - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - من مكان آخر - التعبير بالمكان معناه هذا الجزء ، والمثل الآتى يفهم المعنى تماما . - فان الآجرة موضوعة بجانب الحجر ، وذلك انما هو فى موضع آخر أى فى محل آخر من الحائط .

§ ٥ - كذلك الحال أيضاً بالنسبة للفلاسفة الذين لا يقبلون إلا مادة واحدة لجميع العناصر فإن شأنهم لا يخلو من الحيرة فى إيضاح كيفان جوهرها يمكن أن يتألف من عنصرين مثلاً من الحار والبارد أو من النار والأرض فإذا كان اللحم يتكوّن من الاثنين وهو ليس مع ذلك لا أحدهما ولا الآخر ولا مجرد جمع لهذين العنصرين حافظ لطبيعهما الخاص فماذا يبقى إذا ليقبل إلا أن يكون المركب الذى تكون منهما بهذه الطريقة هو المادة المحضة ؟ لأن فساد أحد العنصرين يكون إما العنصر الآخر وإما المادة .

§ ٦ - ولكن من حيث أن الحار والبارد يمكن أن يكونا أقوى أو أضعف فيجب أن يقال أنه متى كان أحدهما بالفعل مطلقاً وبالكمال فلا يكون الثانى بعد إلا بالقوة . ومتى كان الموضوع ليس له مطلقاً أحداً للكيّفين وكان البارد مثلاً هو نصف حار والحار نصف بارد ، لأن الإفراطين إلى جهة أو إلى أخرى يتماحيان على طريق التكافؤ بانترج ، فعينته لا يوجد بالضبط لا مادة محضة ولا واحد أو الآخر من هذين الضدين الموجودين مطلقاً بالفعل وبالكمال ولا يوجد إلا وسيط . ولكن على حسب ما أن أحد الاثنين يمكن أن يكون بالقوة حاراً أكثر منه بارداً أو العكس يكون الجسم فى هذه النسبة عينها بالقوة أكثر حرارة أو برودة مرتين أو ثلاث مرات أو على أية نسبة أخرى .

§ ٧ - على ذلك كل الأشياء الأخرى تأتي من مزج الاضداد أو العناصر . والعناصر أنفسهم تأتي من هذه الاضداد التى هى بوجه ما العناصر بالقوة لا كما تكونه المادة بل بالطريقة التى ذكرت آنفاً . وبهذه

§ ٥ - الذين لا يقبلون إلا مادة واحدة - يظهر أن هدفهم نظرية أرسطو الخاصة ، لأنه يقبل أن جميع العناصر يمكن أن تتغير بعضها إلى بعض ولكنه لا يعتقد أن هذه النظرية نفسها بمنزلة عن كل انتقاد . - جوهرها - عبارة النص هى « شيئاً ما » . - المادة المحضة - أضفت كلمة « المحضة » مع أنها ليست فى النص ولكن القرينة كلها تعين هذا المعنى ، فإن المادة المحضة هى هنا الهيولى أى المادة بالقوة . - أحد العنصرين - النص أقل صراحة . - وأما المادة - على تقدير وبالقوة المحضة فإن العنصرين يتماحيان فى المركب الذى يؤلفسانه ولا يبقى إلا مادة الاثنين فى حالة الوجود .

§ ٦ - فيجب أن يقال - من الممكن أن تكون الجملة استفهامية أو تقريرية على السواء - بالفعل . . . وبالكمال - ليس فى النص إلا كلمة واحدة - مثلاً - زدت هذه الكلمة . - إلى جهة أو إلى أخرى - ليس بالنص على هذا القدر من الصراحة .

- مادة محضة - زدت الصفة كما فى الفقرة السابقة . - إلا وسيط - ومع ذلك فإن تعيين هذا الوسيط صعب لأنه يتعلق بحساسية كل مشاهد . - أحد الاثنين - ليس النص أكثر تعييناً فى العبارة .

الطريقة تكون النتيجة التي تتحصل مزيجا في حين أنها بالطريقة الأخرى
أنما هي المادة المحضة .

§ ٨ - ومع ذلك فالاضداد أيضا هي قابلة على معنى الحد الذي أعطى
في بحثنا الأول . مثال ذلك الحار بالفعل هو بارد بالقوة والبارد بالفعل
هو حار بالقوة أيضا بحيث أنهما لولا موازنة تامة لتغير أحدهما إلى الآخر .
ويجرى هذا المجرى في جميع الاضداد الأخرى التي يراد ذكرها . وعلى هذا
انحو أن العناصر بديا تتغير ثم أن منها بعد ذلك تأتي اللحوم والعظام
وسائر الجواهر المشابهة فيصير الحار باردا والبارد حارا بمقدار ما تقترب
من الحد الأوسط . فهناك لا يوجد بعد لا أحد الضدين ولا الآخر .
فالأوسط متعدد وليس قابلا للتجزئة . كذلك الأمر أيضا في السائل
واليابس ، وأما العناصر الأخرى من هذا القبيل حينما تكون قد وصلت
إلى الوسط تكون اللحم والعظام والجواهر المشار إليها .

§ ٧ - كل الأشياء الأخرى - يعني كل الأجسام المركبة والمختلطة كما نشاهد في
الطبيعة كلها - بوجه ما العناصر - زدت كلمة « العناصر » أخذنا بشرح فيلوبون . كما
تكونه المادة - التي هي ليست شيئا إلا بالقوة وليس لها حقيقة فعلية في حين أن الاضداد
لها تلك الحقيقة الفعلية - التي ذكرت آنفا - في الفقرة السابقة . - مزيجا من جوهرين
بالفعل يؤلفان جوهرًا جديدًا بامتزاجهما - المادة المحضة - زدت كلمة المحضة .
§ ٨ - في بحثنا الأول - ر . ما سبق فـ ٦ . ويطن فيلوبون أن المقصود هنا نظرية
الفعل والانفعال المبسطة في الكتاب الأول . ر . ما سبق فـ ١ ب ٧ فـ ٥ . الحار بالفعل
يمكن ترجمتها أيضا : « الجسم الذي هو حار بالفعل ... الخ » البارد بالفعل - أو « الجسم
الذي هو بالفعل وبالحال بارد » .

- لولا موازنة تامة - عبارة النص هي « أن لم يكونا متساويين » - لتغير أحدهما إلى الآخر
يعني أن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر على التعاقب بما أن أحد الضدين قد صار كائنًا
وأحال الآخر إلى ألا يكون إلا بالقوة - التي يراد ذكرها - زدت هذه الكلمات - تتغير -
بعضها إلى بعض - تأتي اللحوم والعظام - في هذه الأيام تعترف الكيمياء العضوية كذلك
بأن المركبات تأتي من اتحاد الأجسام البسيطة . غير أن الأجسام البسيطة ليست هي التي
كان يقبلها القدماء . والعلم يمكنه أن يبين بالتحاليل المضبوطة كيف تتألف التراكيب -
بمقدار - لفظ النص هو « حينما » الخ - الضدين - أضفت هذا اللفظ - الوسط متعدد
- ر . في هذه النظرية الطبيعة فـ ٨ بـ ١٢ فـ ٩ ص ٥٣٢ من ترجمتنا وأيضًا فـ ١٢ بـ ١٢
ص ٢٨٠ - وليس قابلا للتجزئة - وذلك ما لا يسمح له بأن يتكيف على التعاقب بكييفيات
متضادة - كذلك الأمر أيضا في السائل واليابس - يظهر أن هذا تكرير لما سبق بيانه
آنفا على جميع الاضداد الأخرى .

الباب الثامن

التركيب العلم للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضدا العنصرين الاوكرين ظاهرة التقدية التي يستشهد بها مبتدا لهذه النظرية - كيف ان النار هي العنصر الوحيد ، من العناصر البسيطة ، التي يظن نفسه .

§ ١ - كل العناصر المختلطة المنتشرة حول المكن المركزي هي مركبة من جميع عناصر البسيطة . وعلى هذا فان فيها جميعها من الأرض لأن كل واحد من هذه الاجسام هو الاحسن ، وعلى الغالب ، في المكان الخاص به . ويوجد أيضا من الماء في كل المختلطة لانه يلزم أن تكون المركبة محددة وان الماء من بين الاجسام البسيطة هو الوحيد الذي يتحدد بسهولة . ومن جهة أخرى فان الأرض لا يمكنها البقاء بدون الرطب الذي يمسكها مجتمع . وإذا خلت تماما من الرطب سقطت ترابا .

§ ٢ - تلك هي العلل في وجود الماء والأرض في جميع الاجسام المختلطة : ولكنه يوجد فيها أيضا هواء ونار . لأن هذين العنصرين هما صدان للأرض وللماء فانه الأرض ضد للهواء والماء ضد للنار بمقدار ما يكون جوهر ضدا لجوهر آخر .

§ ١ ب - حول المكان المركزي - يعنى حول الأرض التي هي في نظريات أرسطو مركز العلم وتحوما تتجه الاجسام ذات النقل . - فان فيها جميعها من الأرض - لأن كل الاجسام المختلطة التي تذكر هنا هي ذات ثقل . - هو الاحسن وعلى الغالب - حفظت عبارة النص على ما هي عليه من عدم التعيين ومعنى ذلك ان ذوات النقل تتجه نحو الأرض وتقف بها في سقوطها . - الخاص به - هذا يمكن ان يعنى به والأرضه او اى واحد من الاجسام المختلطة . كان توماس وأهل جامعة كويمبرا يفهمون ان المقصود هو الأرض . وأما فيلويون فانه يفهم على الضد ان المقصود هو المختلطة التي يتحد مكانها اثناس يمكن الأرض التي هي المركز على السواء . - محددة - أو وان يكون لها شكل محدود تماما . - الرطب الذي يمسكها مجتمع - وهذا انما هو ما يسميه العلم الآن بقوة التماسك . - سقطت ترابا - زدت هذه الكلمة الاخيرة لتمام الفكرة .

§ ٢ - الماء والأرض في جميع اجسام المختلطة - ليس النص على هذه الضميمة تماما - الأرض ضد للهواء - بوزنها وبكيفيةها الخاصة معا . - بمقدار ما يكون جوهر - ر .
القولات به فـ ١٨ ص ٦٨ من ترجمتنا .

§ ٣ - على هذا حينئذ مادامت أكوان الاشياء تأتي من الاضداد فيلزم ضرورة أنه متى وجد طرفا الضدين في الاشياء فان الآخر من- الضدين يوجد فيها على السواء . وبالننتيجة في كل مركب تلغى جميع الاجسام البسيطة .

§ ٤ - يظهر أن ظاهرة التغذية معتبرة في كل واحد من الموجودات تشهد بصحة هذه النظرية . فان كل الموجودات تتغذى بعناصر مماثلة للعناصر التي تركيبها فكلها تتغذى من عدة عناصر بل ان تلك التي يظهر عيها انها تتغذى من عنصر وحيد كالنباتات التي تتغذى بالماء هي تتغذى في الواقع بعناصر عديدة على السواء ذلك بأن الأرض هي دائما ممتزجة بالماء فتري كيف ان الزراع في ريههم الزراعى لا يزيدون على ان يمزجوا الماء بالأرض .

§ ٥ - ولكن من حيث ان التغذية تتعلق بالمادة ومن حيث ان الموجود المتغذى على هذا النحو مع أنه مشمول وعظروف في المادة هو الصورة والنوع فطبيعى أن يظن أنه من بين الاجسام البسيطة النار هي وحدها التي تتغذى . أما سائر الاخرى فهي لا تزيد على أن يكون بعضها بعضا على

§ ٣ - أكوان الاشياء تأتي من الاضداد . ما سبق وأب ٣ وما يليه . طرفا الضدين او بعبارة اطهر «الضدان المتطرفان يعنى الأرض والماء» . الآخر من الضدين - الهواء بما انه ضد الأرض والنار بما انها ضد الماء . ومع ذلك فتلك فروض منطقية محضة . ولكن في الفقرة التالية سيستشهد أرسطو بما هو واقع . وبالننتيجة لا يبين على النتيجة انها مضبوطة الى حد التحرج . جميع الاجسام البسيطة - يعنى العناصر الاربعة الأرض والماء والهواء والنار مع اربعة الكيفيات البارد والرطب واليابس والحار .

§ ٤ - ظاهرة التغذية - عبارة النص هي بالبساطة : «التغذية» . تشهد بصحة هذه النظرية - النص أوجز من ذلك . تتغذى بعناصر مماثلة - القضية عامة ولكنها مع ذلك غير كاذبة . تتغذى ... تتغذى ... كل هذا التكرار هو في الاصل . في ريهم الزراعى - أضفت هذه الكلمة الاخيرة التي تدل عليها القرينة . ان يمزجوا الماء بالأرض - عبارة النص ليست على هذه الصراحة .

§ ٥ - تتعلق بالمادة - حفظت نظم النص ولكنه كان اوضح ان يقال ان التغذية هي مادة الموجود المتغذى . الموجود المتغذى ... هو الصورة والنوع - او بعبارة اخرى «الذات» فحين أن الغذاء الذى يقومه وليس الا المادة . مشمول وعظروف - ليس في النص الا كلمة واحدة . - فطبيعى او «مطابق للعقل» . من بين الاجسام البسيطة - يعنى العناصر الاربعة . وحدها التي تتغذى - ثبه فيلويون على أن هذا على الاخص إنما هو تفسير شعري . لا تزيد على ان - النص ليس على هذا القدر من الصراحة . القدماء - وهذا هو ايضا رأى أرسطو . التي تمثل الصورة - أو «التي تتعلق بالصورة» . نحو المد - يعنى نحو طرف الجهة العليا . من حيث ان المد يعين نوع الاشياء وصورتها فعلى ذلك النار ، فيما يظهر ، تتعلق بالصورة اكثر . ومع ذلك يمكن ان يقال ان كل هذه الفطريات على جانب عظيم من الدقة . التي تعينها - زدت هذه العبارة .

طريق التكافؤ كما زعم القدماء وذلك بأن النار وحدها هي على الاخص
التي تمثل الصورة مادام أنها دائما بطبيعتها الخاص متجهة نحو الحد . وكل
شيء هو بالطبع مسوق نحو المكان الخاص به . ولكن صورة كل الاشياء
ونوعها توجد دائما في الحدود التي تعينها .

§ ٦ - فيرى اذا بما تقدم ان جميع الأجسام تتركب من جميع العناصر
البيسطة .

§ ٦ - فيرى اذا - ملخص الباب - بما تقدم - زدت هذه العبارة - جميع
الأجسام - على تقدير « المختلطة » - من جميع العناصر البسيطة يعنى الأرض والماء والهواء
والنار . ولا حاجة للإلحاح في بيان الفرق بين هذه النظريات وبين النظريات التي قبلها
العلم في الوقت الحاضر وأقرها .

الباب التاسع

الهوى والصورة - المبادئ الاولى للاشياء - ضرورة مبدأ ثالث وهو انه سلة المحركة
ابطال نظرية المثل على نحو ما عرضها افلاطون في الفيديون - ان المثل لا يمكن ان تفسر كون
الاشياء - انها لا تكون - يرى ان طائفة من الاشياء تتكون تحت اعيننا بعقل اخرى - ايضا
النظرية التي تفسر كون الاشياء بحركة المادة - المادة قابلة لا فاعلة - امثلة مختلفة مستخرجة
من طرائق الفن

§ ١ - لما انه توجد اشياء كائنة وقابلة للدثور وأن كل ما يتولد
ويكون يوجبه في المكان الذي يحيط بالمركز فيلزم بديا الكلام على كون
الاشياء مأخوذا في كل عمومه وبيان عدد مبادئه ومن أى طبع هى . وبهذه
الطريقة ندرس بطريقة أسهل الحوادث الجزئية بعد أن نكون قد حصلنا
على معرفة الحوادث العامة . § ٢ - وتلك المبادئ هى هاهنا من حيث
العدد والجنس على ما هى عليه المبادئ التى تكتشف فى الموجودات الازلية
والاول . وأحد هذه المبادئ هو كهيولى والآخر هو كصورة ولكنه يلزم
منها زيادة على ذلك ثالث ينضم الى هذين الاثنين الآخرين . لان هذين
الاثنين ليسا أقدر على تكوين شئ هاهنا منها فى الاول . § ٣ - وعلى هذا
اذا انما هى الهيولى التى فيما يتعلق بالموجودات الكائنة هى العلة فى انها
يمكن أن توجد وألا توجد . فمن بين الاشياء ما توجد بالواجب ، مثال

§ ١ ب ١ - كل ما يتولد ويكون - النص يقول بعبارة أكثر عموما ايضا : « لتولد »
- يوجد فى المكان الذى يحيط بالمركز - هذا التعبير على جانب من الغرابة . فانه يدل
فقط على أن الاجسام المختلطة التى يمكن مشاهدتها توجد على سطح الارض لمختبر مركز
العالم . ومع ذلك فان هذه العبارة لم تظهر لهيلوبون على شئ من الصعوبة فلم يشأ
أن يفسرها . على كون الاشياء - الملاحظات السابقة - الحوادث الجزئية . . . الحوادث
العامة - هذا ليس هو النمط العادى لارسطو وانه ليشتمل من الحوادث الجزئية الى الحوادث
العامة لا من هذه الى تلك . وليس النص من الضبط بقدر ما عليه ترجعتى اياه .
§ ٢ - فى الموجودات الازلية والاول - انما الاجرام السماوية هى المعنوية اولية وغير
قابلة للتغير وانها اوائل كل الاجسام - هو كهيولى - حفظت نظم النص ولكن يمكن ترجمته
كهذا : ويقوم مقام الهيولى . . . مقام الصورة « . - ينضم الى هذين الاثنين - زدت هذه
الكلمات لاحصل كل قوة العبارة الاغريقية . وهذا المبدأ الثالث انما هو العلة المحركة او
بالاولى العلة الفاعلة . ويلزم ان يقارن بهذه النظريات نظريات الكتساب الاول من الطبيعة
ب ٨ ص ٤٧٢ من ترجمتنا .

ذلك الجوهر الازلية ، ومنها ما يجب ألا توجد فبالنسبة للاولى من المحال
ألا توجد ، وبالنسبة للآخرى من المحال أن توجد لانه لا يمكن أن شيئا
يكون على خلاف ما يقضى به الواجب . ولكن هناك أشياء أخرى يمكن أن
توجد والا توجد على السواء . وهذه هي على انتحقيق كل ما هو كائن
وهناك . لان هذه الاشياء تارة توجد وتارة لا توجد . فحينئذ الكون
والفساد لا يتعلقان الا بما يمكن ان يوجد والا يوجد .

§ ٤ - وذلك بما هو هيوولى انما هو علة الاشياء الكائنة . ولكن بما
هو غرض غائى فالعلة انما هي الصورة والنوع . وهذا هو حد الماهية
لكل شيء . § ٥ - ولكنه يجب أن يضاف الى هذين المبدأين مبدأ ثالث .
هذا المبدأ لا يظهر على الفلاسفة انهم لمحوه الا كما فى الحلم ولم يتكلم
عنه ولا واحد منهم بنوع من الضبط فقد ظن بعضهم كسقراط فى
« افيلون » أن طبع المثل قد يكفى لتعبير كون الاشياء . لان سقراط وهو
يعيب على الآخرين انهم لم يقولوا شيئا فى هذا الصدد يفترض ان من
الاشياء التى توجد بعضها هي المثل والآخرى تتلقى هذه المثل التى تشاركها
وأن كون كل شيء هو مسمى بحسب مثاله ، وان الاشياء تتكون متى تتلقى
هذا المثال وانها تفسد متى تعلمه . وبالنتيجة اذا كان كل هذا حقا
فيكون سقراط يرى ان المثل هي بالضرورة علة كون الاشياء وفسادها .

- ليسا اقلر - الهوى والصورة كلاهما عقيم بدون المبدأ الثالث الذى يجزئ فبطيها
القضية بان يجسهما . § ٣ - هي العلة فى انها يمكن ان توجد والا توجد - وقد يمكن
عكس القضية فيقال : ان مكان الوجود وعدم الوجود هو من حيث المادة علة الموجودات
الكائنة - فمن بين الاشياء - او « من بين الجواهر » او « من بين الموجودات » - الجواهر
الازلية يعنى « الاجزء السماوية » - يمكن أن توجد والا توجد على السواء - أو بعبارة
أخرى كل الموجودات الممكنات - كل ما هو كائن - او « ماهو مخلوق » - وهلاك كما هو
اكثر الموجودات الخاضعة لمشاهدتنا .

§ ٤ - الاشياء الكائنة - والهالكة - بما هو غرض غائى - عبارة النص هي بالضبط
من حيث هو فلذا « - انما هي الصورة والنوع - النوع يتحد مع «الثالث» كما سبى بعد
حد الماهية - او «علة الماهية» .

§ ٥ - ان يضاف . . . مبدأ ثالث هو العلة الفاعلة - الا كما فى الحلم - الانتقاد
على جانب من الشدة والاستهانة . - الكتاب الاول ما بعد الطبيعة ترجمة كوزان . ب ٤٥
- فى «الفيلون» - ر . فيلون افلاطون ترجمة كوزان ص ٢٨٢ - طبع المثل - او «الانواع
لان الكلمة هي بعينها انهم لم يقولوا أشياء - هذه العبارة قد تدل على السواء اما على ان
الفلاسفة الذين يظن عليهم سقراط قد نزموا الصمت أو أنهم لم يقولوا شيئا يعتد به -
بعضها هي المثل . . . الخ - تلخيص صحيح للفيلون - كون كل شيء هذا هو نظم النص
بعينه . اذا كان كل هذا حقا - فى هذا القيد نوع من النفى ومن الانتقاد - وآخرون -
لم يقل فيلون من هم هؤلاء الفلاسفة الآخرون ولكن من المحتمل ان يكون المقصود
ديمقريطس ومدرسته - على رأيهم زدت هاتين الكلمتين .

وأخرون على الضد قد ظنوا أنهم يرون هذه العلة في المادة نفسها لانه منها على رأيهم تصدر الحركة .

§ ٦ - ولكن ليس الاولون ولا الآخرون على حق ، لانه اذا كانت المثل هي في الحق عتلا فلماذا لا تكون دائما بطريقة مستمرة ؟ ولماذا هي تكون تارة ولا تكون تارة أخرى مع أن المثل تبقى دائما هي والاشياء التي يمكن أن تشركها ؟ زد على هذا انه يوجد أشياء يرى جليا ان العلة فيها انما هي شيء آخر غير المثال . فانما الطبيب هو الذى يعمل الصحة ، وانما العالم هو الذى يعمل العلم مع أن الصحة ذاتها والعلم ذاته موجودان هما والكائنات اتى يقومان بها . كذلك الحال أيضا في جميع الاشياء المصنوعة بحسب الفن الذى يمكن ان يتمها .

§ ٧ - ومن جهة أخرى حينما يدعى ان المادة هي التي تكون الاشياء بالحركة التي تعطيها ايها فلا شك في ان هذا الرأي هو أكثر موافقة للطبع من نظرية المثل لان ما يحيل الاشياء ويغير أشكالها يمكن ان يظهر أكثر من غيره بمظهر العلة في كونها . وعلى العموم في كل كائنات الطبيعة كما في كل كائنات الفن ينظر عادة الى كل ما يعطيها الحركة كأنه هو الفاعل لها .

§ ٨ - ومع ذلك فان هؤلاء الفلاسفة الاخيرين ليسوا على حق لان الانفعال والتحريك انما هما الخاصتان اللتان تتعلقان بالمادة في حين التحريك والفاعل يختصان بقوة مغايرة تمام المغايرة . وهذا هو ما يمكن مشاهدته أيضا في كل ما يعمل الفن كما في كل ما يعمل الطبع . اذا فليس الماء نفسه هو الذى يوجد الحيوان الذى يخرج من باطنه (بل هو الطبع) .

§ ٦ - ليس الاولون ولا الآخرون - يعنى لا افلاطون ولا الماديين . - عللا - كذلك عبارة النص مبهمة أيضا . - غير المثال - زدت هاتين الكلمتين . - الذى يعمل الصحة . - وبما كان يلزم أن يزاد في الجسم لتوفيه قوة العبارة الاخرية - الصحة ذاتها - يعنى مثال الصحة . - العلم ذاته - يعنى مثال العلم . - هما والكائنات التي يقومان بها - على ذلك يلزم خلاف مثال الصحة ومثال المريض وجود الطبيب وخلاف مثال العلم والتلميذ يلزم العلم الكف لتلقي ما يعلم - بحسب الفن الذى يمكن أن يتمها - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٧ - ومن جهة أخرى - الى انصار المادة يوجه ارسطو القول هنا بعد ان اجاب على افلاطون . - من نظرية المثل - ليس النص على هذا القدر من التعمين - ما يحيل الاشياء - وبما يلزم أن يحمل هذا التعبير على معنى أوسع قليلا من المعنى الذى يعبر به ارسطو عادة .

§ ٨ - الانفعال - او «القبول» - بقوة مغايرة تمام المغايرة - هذه هي الفاظ النص بعينها . ويمكن ترجمتها أيضا بقدرة مغايرة - الذى يخرج من باطنه - ليس النص على =

كذلك ليس الخشب هو الذى يصنع السرير بل هى الصناعة . ومن ثم يمكن استنتاج أن هؤلاء الفلاسفة لم يحسنوا هم ايضا التعبير . وخطوهم ات من أنهم اغفلوا العلة الاهم من جميع العلل بحذفهم الماهية والصورة .

§ ٩ - وينتج منه فوق ذلك أنهم ينسبون الى الاجسام قوى يجعلونها بها تتوالد بحالة ميكانيكية اكثر مما ينبغى بتركهم الى ناحية العلة التى ترجع الى النوع . ولما انه تبعا لقوانين الطبيعة كما يقولون الحار يفرق والبارد يجمد ولما ان كل واحد من العناصر الاخرى يفعل وينفعل على طريقته فان ذلك كاف عندهم فى التقرير بأنه ايضا من هذا او بهذا يكون سائر الاشياء ويفسد . ويظهر لهم أن اليار نفسها تقبل الحركة وتنفعل .

§ ١٠ - يوشك أن يكون هذا الخطأ هو عينه خطأ من يذهب الى اعتبار المنشار وما اشبهه من الآلات الاخرى العلة الحقة لكل ماتصنع ويرجعه اليها بحجة انه بمجرد ما ينشر يلزم ضرورة أن يقطع الخشب وبمجرد ما يصفق بالفارة فهناك ضرورة أيضا أن ينصفق اللوح وهلم جرا . وبالنسبة مع أن النار هى أفعلى العناصر وأنها توصل الحركة الاقوى فانهم لا يرون كيف أنها تفعل وأنها أردأ من الآلات العادية .

§ ١١ - أما نحن فلما أننا تكلمنا فيما سبق على العلل على العموم لم نتصد هاهنا إلا للرس الهيولى والصورة .

= هذا القدر من الضبط . - (بل هو الطبع) - وضعت هذه العبارة بين قوسين لانها لا توجد الا فى بعض المخلوقات وليس ضرورية . وشرح فيلوبون يدل عليها بالاتضاء - الماهية والصورة قد يكون لازماً أن يقال « الماهية الدائمة » .

§ ٩ - ميكانيكية اكثر مما ينبغى - هذه عبارة الاصل بحرفها وليست غاية فى البيان . - الفقرة التالية . ويظهر ان هذا الرد يكاد يدخل بشماه فى غضون الرد المتقدم كما نبه اليه اهل جامعة كويمبرا . أما فيلوبون فانه بناء على رأى اسكندر الافروريزى يظن أن هذا الانتقاد موجه على المحصول الى برمينيد - الحار يفرق - مثلاً حينما يصهر بعض الجواهر - والبارد يجمد - هذا حق فى بعض الاحوال ولكنه ليس حقاً فى جميعها . - من العناصر الاخرى - ليس النص على هذا القدر من التحين - النار نفسها - التى تعتبر اقل العناصر تصير متفعله فى هذا المنصب . - تقبل الحركة - او « تتحرك » .

§ ١٠ - يذهب الى اعتبار المنشار - ر . ما سبق فى اول الفقرة التاسعة . فذلك هى المبادئ الميكانيكية التى اليها ينسب الفلاسفة كون الاشياء - ويرجعه اليها ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - فهناك ضرورة أيضاً ليس النص على هذا القدر من الصراحة أردأ - أى بنظام اقل - العادية - زدت هذه الكلمة .

§ ١١ - فما سبق - يظن فيلوبون أن الرد هنا كتاب الطبيعة ولكن الاون بالمراد هو الكتاب الاول من ما بعد الطبيعة الذى فيه أرسطو قد درس الملل - لم نتصد هاهنا الا لدوس - ليست عبارة النص على هذا القدر من الصراحة .

الباب العاشر

كون الاشياء وفسادها هما متصلان بالحركة ويتعلقان بالنقلة الدائرية للعالم - ضرورة حركتين - النقطة الدائرية المائلة تبعد هذه الضرورة - انتظام الكون والفساد الطبيعيين - ائدة الدورية للكائنات - فعل الله - القوانين الثابتة التي وضعها في ابدية الاشياء انتظام العجيب للعالم - تغير الاجسام انما هو الذي يحفظ مدتها - للحرك الاول غير المتحرك هو البدأ الوحيد للحركة العالقية - اتصال الحركة يتعلق باتصال التحرك .

§ ١ - يلزم ان يزداد على ذلك اعتبار آخر وهو انه بما ان حركة النقطة ازلية كما سبق بيانه فينتج منه بالضرورة انه بهذه المثابة يجب أن يكون كون الاشياء متصلا ايضا على السواء . لان هذه الحركة تسبب الى ما لا نهاية كون الاشياء بان تأتي بالعلة التي يمكنها ان تكون الاشياء ثم تأتي بها ثانية . وهذا يبرهن لنا في آن واحد على ان ما قلناه صحيح وعلى انه كان لنا الحق في أن نجعل النقطة لا الكون هي اول التغيرات . وفي الحق أنه أدخل في باب المعقول أن يجعل ما هو موجود علة لتكوين ما لم يوجد من ان نجعل ما لم يوجد العلة الفاعلة لتكوين ما هو موجود . وان ما هو خاضع للنقلة موجود في حين أن الشيء الذي يكون ويصير هو غير موجود . وذلك ما يجعل أن النقطة متقدمة على الكون .

§ ٢ - بعد ان فرضنا وبيننا أن في الاشياء كونا وفسادا متصلين وان حركة النقطة هي علة تولد الاشياء يجب أن يكون من البين لدينا انه

§ ١ يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر - قد اضطرت الى التوسع في عبارة النص حتى يبيننا هذا الباب على وجه اليق . - كما سبق بيانه - في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٠ ص ٥١٨ وما يليها من ترجمتي . - كون الاشياء - عبارة النص «التولد» - هذه الحركة تسبب الى ما لا نهاية - تلك هي فكرة عظمى في ربط كون الاشياء وفسادها بالعلة العامة التي تحرك العالم . - تأتي ٠٠٠ ثم تأتي بها ثانية - هذه المقابلة هي في النص - ما قلناه - ر - الطبيعة ٨٨ ب ١٠ ص ٥١٨ وما بعدها . حيث ارسطو قد فصل الكلام تفصيلا لاثبات أن الحركة الدائرية هي الاولى والاصلية لجميع الحركات . - ما هو موجود . ٠٠٠ مالم يوجد - عبارة النص : «الموجود» . واللاموجود . - يكون ويصير - ليس في النص الا كلمة واحدة . - متقدمة - او اعلى .

§ ٢ - فرضنا وبيننا واقع الكون والفساد المتصلين للاشياء تشهد لنا به الحواس ، ولا محل لفرضه ولا لثبانه . ولكن فلاسفة معاصرين لارسطو كانوا ينجسوا الى حدتناكاز الحركة . - ر - الكتاب الاول من الطبيعة ب ٣ وما يليه في آن واحد - أخضعت هذا القيد لأحصل =

مادامت حركة النقلة وحيلة فمن المحال ان الكون والفساد يوجدان جميعا في آن واحد مادام انهما ضدان لان علة موجودة وباقية هي بعينها وفي الظروف بعينها لا يمكن البتة أن تعمل الا المعمول بعينه على حسب نظام الطبيعة . وبالنسبة فاما ان الكون هو الازلي واما ان الفساد هو الازلي

§ ٣ - وعلى ذلك يلزم ان يوجد عدة حركات وحركات متضادات اما باتجاهها واما يتفاوتها لان علل الاضداد هي اضداد كذلك . وليست النقلة الاولى اذا على التحقيق هي التي يمكن أن تكون علة كون الاشياء وفسادها . بل النقلة على حسب الدائرة المائلة . فان في هذه النقلة حقا يوجد في آن واحد اتصال لحركة واحدة وامكان لحركتين ، لانه يلزم بالضرورة من اجل ان الكون والفساد يمكن ان يكونا متصلين أن تكون الحركة سرمدية حتى لا تتخلف هذه التغاير نفسها ابدا . ومن جهة اخرى يلزم ان يكون عند الحركات اثنتين لا تكون احدي هاتين الظاهرتين هي التي تبقى وحدها على الدوام .

§ ٤ - وعلى ذلك اذا انما نقلة العالم هي علة الابدية وان ميلا الدائرة انما هو الذي ينتج التقريب أو التباعد لانه قد يمكن أن تكون العلة تارة بعدة وتارة قريبة . وبما ان المسافة غير متساوية والحركة تكون غير متساوية كذلك . وعلى ذلك اذا كانت الحركة بشهادتها وقربها تسبب كون الاشياء فان هذه الحركة نفسها بقابها وابتعادها تسبب فساد الاشياء . وفوق ذلك فانها اذا كونت باقترابها عدة مرات فانها تقسد بابتعادها عدة مرات ايضا لان علل الاضداد هي اضداد بعضها لبعض .

= كل قوة عبارة النص . فاما أن يكون هو الازلي واما أن الفساد هو الازلي - أو عبارة اخرى احد الاثنتين لا الاثنان جميعا .

§ ٣ - حركات متضادات - ر . حد الحركة المضادة في الطبيعة له ب ٧ ص ٢٢٠ وما بعدها من ترجمتنا - على حسب الدائرة المائلة - بناء على هاساتي وبناء على فيلويون . يلزم ان يعنى بالدائرة المائلة دائرة فلك البروج او دائرة سمت الشمس . وبحسب ما تكون الشمس اقرب منا أو أبعد يصل كون الاشياء أو فسادها قد لا تكون نظرية ارسطو صحيحة ولكنها في الحق كيسة للغاية . ان الحركة اللامتغيرة المتعائلة منذ الازل تبقى منطبقه على السماء ولكن الحركة المتفاوتة الحاضيه لها العالم الارضي هي في الشمس والسيارات التي تسرعها اتصال الحركة واحدة وامكان لحركتين - من هنا علنا الكون والفساد المتعاقبين الابديين للاشياء . شئ هاتين . لظاهرتين - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٤ - نقلة العالم - يعنى حركة النقلة الاولية التي تتسلط على السماء والكواكب الثابتة على مذهب ارسطو - ميل الدائرة - زدت المضاف اليه . ان تكون العلة - عبارة النص غير معينة بالمرّة فاضطرت الى تعيينها . - بشهادتها وقربها - هذا يمكن ان ينطبق على الشمس التي هي ليست فقط اكثر او اقل بعدا من الارض بحسب الفصول بل ان نورها هو تارة شاهد وتارة غائب بحسب النهار والليل . =

§ ٥ - يلزم ان يزاد على هذا ان الفساد والكون الطبيعيين يتحققان في زمان متساو . وهذا هو الفاعل في ان زمن مدة كل كائن وزمن حياته يمكن أن تعبر بالعدد وتعين بهذه الطريقة . وفي هذا ترتيب ينتظم جميع الكائنات فان المكث والحياة هما دائما مقيسان بمدة ما تمضي . غير ان هذه المدة ليست واحدة بالنسبة للجميع على السواء . بل هي أقصر بالنسبة للبعض واطول بالنسبة للبعض الآخر . وان المدة التي يقاس بها وجود الكائنات هي بالنسبة لهؤلاء سنة وبالنسبة لهؤلاء هي اكثر في حين انه بالنسبة لموجودات اخرى المقدار هو أقل . § ٦ - ان الظواهر المحسوسة لشاهدة بصدق ما نقوله هنا . متى تطلع الشمس يحصل كون . ومتى تغرب يحصل فساد . وهاتان الظاهرتان تتحققان في أزمان متساوية لان زمن الفساد الطبيعي هو مساو لزمن الكون . ولكنه يقع غالبا ان الفساد اسرع بعله تفاعل العناصر بينها . وفي الحق متى كانت المادة غير منظمة ولا واحدة بعينها في كل مكان لزم ايضا ان الاكوان التي تخرج منها تكون غير منظمة مثلها وان يكون بعضها اسرع والآخر ابطأ . وحينئذ يمكن ان يصير كون البعض فسادا للبعض الآخر ١٥

§ ٧ - على ان الكون والفساد كما قلنا يجب ان يكونا دائما متصلين ولا ينبغي البتة أن يتخلفا للأسباب التي ذكرناها . ومع ذلك فان هذا

= باقتراحه بمجموعات - حفظت عبارة النص على ما بها من تردد . ومعنى ذلك انه يلزم ان تقترب الشمس او تبعد عدة مرات متوالية لتحدث بعض الآثار . - علل الاضداد - أو الاضداد هي علل للاضداد .

§ ٥ - يتحققان في زمان متساو - لا يلزم أن يؤخذ هذا يتخرج أكثر مما ينبغي . فان ارسطو يريد ان يقول ان الزمان الذي فيه يمكن للشمس ان تقسده هو مساو للزمان الذي فيه يمكنها ان تكون . فان دورية الفصول متساوية دائما . - وزمن حياته - لأن مدة الحياة لكل كائن متغيرة بحسب الاوضاع التي وضعها في الطبيعة كما سيقال بعد . ترتيب ينتظم جميع الكائنات - معلوم أن ارسطو كان يهيم دائما منهج المصادفة والاحتمال . - ما سبق بـ ٦ فـ وبالنسبة ٢ بـ ٤ وما بعده .

§ ٦ - الظواهر المحسوسة - كذلك يؤمى ارسطو هنا كما في كل موطن آخر بنسق المشاهدة ٢٠

- متى تطلع الشمس - هذا ليس حقا لا بمقدار ما . وانها لمبالغة في فعل الشمس ان يسند اليها كون جميع الاشياء . - في ازمان متساوية - يعني انه في آخر العام يكون الزمان الذي فيه غابت الشمس مساويا للزمن الذي فيه طلعت . - الفساد الطبيعي - الراجع الى شهادة الشمس او غيبتها . - الفساد اسرع - العلة عينها يمكن ان تفعل في الكون ايضا . - العناصر النص : قل صراحة وقد اضطرت الى جعل الترجمة مضطربة .

§ ٧ - كما قلنا - سواء في هذا الباب ٣ او في الطبيعة ٣ بـ ٥ فـ ٤ ص ٦٤ من ترجمتي =

مفهوم جدا لان الطبيعة كما نقرر تبحث دائما عن الاحسن فى كل الاشياء .
 والوجود هو احسن من العلم ، وقد عددنا فى موضع آخر المعاني المختلفة
 للفظ « وجود » . ولكنه لا يمكن ان الوجود يبقى فى كل الاشياء مادام
 ان بعضها هى اكثر ابتعادا جدا عن المبدأ . وأخذنا بالطريق الوحيد الذى
 يقى نقول ان الله قد كمل الكل بأن جعل التولد متصلا وأبدىا . فالوجود
 هو اذا ملتك ومتصل بقدر ما يمكن لان كونا ابدىا وصيرورة مستمرة
 هما أقرب ما يمكن من الوجود ذاته . وحينئذ فعلة هذا الكون ، كما
 طالما قد قيل ، انما هى النقلة الدائرية لانها هى وحدها التى تكون متصلة .
 § ٨ - فانظر كيف ان جميع الاشياء التى تتغير بعضها الى بعض ، بحسب
 خواصها القابلة والفاعلة ، كالأجسام البسيطة مثلا ، لا تزيد ايضا على
 ان تقلد هذه النقلة الدائرية التى هذه الاشياء تكررهما . وفى الحق
 انه متى كان الهواء يجىء من الماء والنار تجىء من الهواء ثم الماء يجىء فى
 دوره من النار فيمكن القول بأن الكون قد حصل دوريا ما دام أنه رجس
 على نفسه . وعلى هذا اذا فان حركة هذه الظواهر بامتدادها على خط
 مستقيم تقلد الحركة الدائرية وتصبح متصلة .

— كما نقرر — هذا هو أحد المبادئ التى أحسن أرسطو فى تقريرها وحسن استعمالها
 ١٠ - الطبيعة كـ ٨ ب ٧ فى ٦٠ ص ٥١٠ من ترجمتى .— فى موضع آخر — خصوصا فى المقولات
 ب ٢ فى ٢٤ ص ٥٤ من ترجمتى . وفى الطبيعة كـ ١ ب ٢ فى ١٠ ص ٤٣٨ من ترجمتى . وفيما
 بعد الطبيعة كـ ٢ ب ٧ ص ١٠١٧ طبعة برلين .— الوجود يبقى فى كل الاشياء .— على تقدير
 الوجود «الازل» ولكن اضطررت لاستيفاء التردد الواقع فى النص — عن المبدأ — الذى
 كونهما والذى يحفظها لأخذ ايا الطريق الوحيد الذى يقى — ربما كان فى ذلك تفصيل لقدرة
 الله — الله قد كمل الكل — هذه الفقرة تذكر بعض الشيء بنظريات طيماوس التى ربما
 كانت هى التى أوجته متصلا وأبدىا — ليس فى النص الا كلمة واحدة — ملتك ومتصل ...
 كونا ابدىا وصيرورة مستمرة — التنبيه السابق عنه .— من الوجود ذاته — على تقدير «الازل»
 كما طالما قد قيل — فى هذا الباب ذاته وفى الطبيعة كـ ٨ ب ١٢ فى ٤٦ وب ١٣ فى ٥٥ ص ٥٥٠
 و ٥٥٢ من ترجمتى .

§ ٨ — كالأجسام البسيطة — يعنى العناصر العادية الأرض والماء والهواء والنار .— لا
 تزيد ايضا على ان تقلد — ليس النص على هذه الصراحة .— هذه الاشياء تكررهما — أضفت
 هذه الكلمات . ومع ذلك يمكن أن يرى أن هذه المشابهة بين التغير المتكافئ للعناصر وبين
 الحركة الازلية التى تحرك السماء هى مشابهة قسرية . ولكنه يلزم تذكر ذلك المركز العظيم
 المسند الى أربعة العناصر فى نظريات أرسطو .— على :لاخص الميتورولوجيا كـ ١ ب ٢ فى ٣
 ص ٤ وما بعدها من ترجمتنا — وفى الحق انه متى كان الهواء يجىء من الماء — على رأى
 أرسطو أن الماء يتغيره يصير هواً — ثم الماء يجىء فى دوره من النار — لان النار تتغير الى
 هواً والهواء فى دوره الى ماء — تقلد هذا التكرير موجود فى الاصل .

§ ٩ - وهذا يسمح لنا في آن واحد باستجلاء مسألة- يثار تأثيرها أحيانا وهي كيف يمكن ، مع أن كل جسم متمكن في المحل- الخاص به ، ألا تكون الاجسام المركبة منفصلة ومنحلة أثناء المدة غير المتناهية للآزمان . والسبب في ذلك بسيط وهو أنها تتغير وتتحول بعضها الى بعض . فإذا كان كل واحد منها يبقى في محله الخاص ولم يعدله جاره فتكون من زمان طويل قد انفصلت وانعزلت ، فهذه الاجسام تتغير اذا على أثر حركة ثقلة مزدوجة ومن أجل انها تتغير لا يوجد ولا واحد منها يمكن أن يبقى البتة في مكان ثابت ومعين .

§ ١٠ - فيمكن أن يرى اذا بناء على ما تقدم أنه يوجد على الحقيقة كون للأشياء وفساد وما هي العلة فيهما كما أنه يرى ماهو المخلوق والقابل للفساد . ولكن مادام أنه يوجد حركة فيلزم أن يوجد محرك كما بين ذلك في مؤلفات أخرى . وإذا كانت الحركة أزلية يلزم أن يكون موجودا شيء ما أزل أيضا . ولا أن الحركة متصلة فهذا الشيء الذي هو أحد يجب أن يكون هو عينه أبدا غير متحرك ولا مخلوق ولا قابل للاستحالة . حتى مع افتراض أن الحركات الدائرية أمكن أن تكون كثيرة بالعدد فقد يمكن أن تكون عديدة ولكنها جميعها مادامت فانها يجب بالضرورة أن تكون خاضعة لمبدأ واحد أحد . ومن جهة أخرى مادام الزمان متصلا وجب أن تكون الحركة متصلة مثله لانه من المحال أن يوجد زمان بدون حركة . فان الزمان هو اذا العدد لشيء ما متصل أعنى للثقلة الدائرية كما قلنا ذلك بديا .

§ ٩ - يثار تأثيرها أحيانا - أو «يثورها بعض الفلاسفة » - منفصلة ومنحلة ليس في النص الا كلمة واحدة - ويلزم أن يفهم ان المراد هو تحلل الاجسام المختلطة حيث كل واحد من العناصر التي تؤلفها يتجه الى المكان الخاص به فالارض الى تحت والنار الى فوق والهواء والماء الى الاماكن لتتوسطه . أثناء المدة غير المتناهية للآزمان - لان هذه التأثير بطيئة للغاية ويستدعى أزمانا طويلا جدا . - وهو انها تتغير وتتحول - ليس في النص الا كلمة واحدة . - قد انفصلت وانعزلت - التنبيه السابق عينه .

- حركة ثقلة مزدوجة - و ما سبق فـ؟ وهذه الحركة المزدوجة هي التي يحدثها ميل الدائرة الذي هو قارة يبعد الشمس عنا وقارة يقربها منا . وهجسب شرح فيلوبون انما هي الحركة التي تذهب من الشرق الى الغرب والتي ترجع من الغرب الى الشرق . - ومن أجل انها تتغير - وتختلط بعضها ببعض .

١٠ - المخلوق والقابل للفساد - حفظت قصدا عبارة النص على قلة تعيينها - في مؤلفات أخرى - هي الطبيعة كـ ٨ ب ١٥ ص ٥٥٨ وما بعدها من ترجمتي ، وما بعد الطبيعة كـ ٧ ب ٦ وما بعده ص ١٩٢ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية . - أن يكون موجودا شيء ما - قد يكون أكثر بيانا أن يقال : محرك ما أزل . - كثيرة بالعدد . . . عديدة - هذا التكرار موجود في النص .

§ ١١ - ولكن هل الحركة متصلة لان المتحرك الذى يقبلها هو متصل أيضا ؟ أم هل هى كذلك بعلة اتصال المكان الذى تقع فيه ، أريد أن أقول الآن ، أوبعلة اتصال الكيف الذى يكيف الشيء ؟ من البين ان الحركة هى متصلة بسبب أن المتحرك متصل لانه كيف يمكن أن يكون كيف شيء متصلا الا إذا كان ذلك باتصال الشيء نفسه الذى فيه يظهر هذا الكيف ؟ إذا كانت الحركة ليست متصلة الا بسبب المكان الذى هى فيه فهذا لا يمكن حينئذ الا بالاین الذى له وحده خاصية الاحاطة بها لان له عظما ما . ولا يوجد عظم متصل الاعطل الدائرة لان هذا العظم هو دائما متصل بنفسه . وعلى ذلك فالعامل فى اتصال الحركة انما هو الجسم الذى له النقطة الدائرية وانما الحركة فى نوبتها هى العاملة فى أن الزمان يكون متصلا .

— مادام الزمان متصلا — ر . على علاقات الزمان بالحركة الكتاب الرابع من الطبيعة ب ١٤ وما بعده ص ٢٢٤ من ترجمتى . — بديا . يرى فيلويون ان المقصود بهذا كتاب الطبيعة الذى هو يتقدم فى ترتيب الدراسة كتاب السماء وهذا الكتاب ويلزم الرجوع الى الكتاب الرابع والكتاب السابع من الطبيعة .

§ ١١ ولكن هل الحركة متصلة — هذه المسألة المهمة قد طرحت على البحث وحلت فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٥ وما يليه ، وفى الكتاب الثانى عشر من ما بعد الطبيعة ب ٦ وما يليه على وجه فيه بعض المفارقة لما قرر هنا . — اتصال المكان . . . اتصال الكيف . كيف النص على هذا القدر من الصراحة — الذى يكيف الشيء . ٢٥ — زدت هذه الكلبيات لتكوين الفكرة أكثر بيانا . — المتحرك متصل — هذا غير مفهوم تماما . فان الاتصال يمكن أن يكون اما اتصال الزمان او اتصال المادة . — الا بالمكان — عبارة النص اقل ضبطا . — الذى له وحده خاصية الاحاطة بها — وسعت عبارة النص لجعلها أبين . — الاعظم الدائرية . — الطبيعة ك ٨ ب ١٢ : ف ٤١ ص ٥٤٧ من ترجمتى وب ١٤ ف ١ ص ٥٥٢ — دائما متصل بنفسه — لأن المحيط يرجع على ذاته . — الجسم الذى له النقطة الدائرية — والازلية . — يعنى السماء .

الباب الحادى عشر

نظرية تعاقب الاشياء الابدئى المنتظم - على اى مقدار يكون تدخل الوجوب - الاشياء الواجبة والاشياء الممكنة - الوجوب المطلق - الوجوب الاضالى - علاقة الواجب والاذل - كون الاشياء لا يمكن ان يكون لبدئيا الا اذا كان فاعليا - ترتيب الاشياء العجيب - الحركة الدائرية للكل الاعلى تنظم كل الحركات السفلى - حركة الشمس - وحركة الفصول وكل الحركات الاخرى - ابدئية الانواع - فناء الاشخاص المتعاقب - نزلة بعض الجواهر - خاتمة الكتاب .

§ ١ - لما أننا فى جميع الاشياء التى تتحرك بحركة متصلة املا لتكون واما لتستحيل واما بالاختصار لتتغير ، نرى دائما حادثا يوجد بعد آخر وظاهرة تتكون على أثر أخرى بحيث لا يقع لا خلو ولا تخلّف فيلزمنّا أن نفحص ما اذا كان يوجد شيء ما بالواجب أو أنه ممكن فى حق جميع الاشياء ألا تكون اذا لم يكن شيء موجودا بالواجب . وبديهي أن بعض الاشياء هى واجبة وهذا هو الحامل على أن القول على شيء بالتعيين انه سيوجد هو مغاير تماما للقول بأنه يجب أن يوجد . لانه مادام قد حق القول على شيء بأنه سيوجد، فيلزم ايضا ان يحق القول ذات يوم على شيء أنه موجود فى حين أنه متى صدق القول بالبساطة على شيء أنه يجب ان يوجد فلا شيء يمنع من ألا يوجد : مثال ذلك قد يمكن جدا ان انسانا كان يجب ان يمتنزه الا يمتنزه .

§ ٢ - ولكن لما أن من بين الاشياء التى هى موجودة ما يمكن أيضا ألا توجد فبديهي أن يكون الامر كذلك أيضا بالنسبة للاشياء التى تصير

§ ١ - لاخلو ولا تخلّف - ليس فى النص الا كلمة واحدة - اذا كان يوجد شيء ما واجب - على نظرية الوجوب - ر - الطبيعة ٢ ب ٩ ص ٦٦ من ترجمتى .
- بعض الاشياء هى واجبة - تلك هى النتائج الضرورية لفرض ما ولكن الفرض نفسه ليس واجبا . - بالتعيين - زدت هذه الكلمة زيادة فى تحديد الفكرة . - بأنه يجب ان يكون . يوجد فى عبارة النص نحو من الاحتمال ليس موجودا فى التعبير الفرنسي . - بالبساطة - زدت هذه الكلمة ايضا . وربما كان من الاحسن ان يستعاض فى الترجمة عن عبارة « يجب » ان يكون « بعبارة « يمكن ان يكون » فان هذه الصورة الدقيقة من الصعب نقلها من لغة الى لغة اخرى .

§ ٢ - التى تصير وتكون - ليس فى النص الا كلمة واحدة ويلزم الالتفات الى التمييز بين الوجود وبين الصورة . فان أحدهما ازل أو على الاقل باق فى حين أن الآخر حادث وعوّقت . - بالنسبة الى الصورة - جئت بهذا التمييز الذى هو أول ما يوفى عبارة النص لا يمكن الا تكون - يعنى انها واجبة . - المنقلبات الدورية - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

وتكون وأنه ليس هناك أيضاً وجوب . فهل جميع الأشياء التي تكون هي في هذه الحالة أم هل هي ليست فيها ؟ أو ليس يوجد منها ما يجب بالضرورة أن يكون ؟ أو لا يكون الأمر بالنسبة إلى الضرورة كما هو الحال بالنسبة للوجود ؟ أو ليس يوجد أيضاً أشياء لا يمكن ألا تكون في حين أن أخرى يمكن أن تكون ؟ مثال ذلك وجوب أن توجد المنقلبات الدورية وليس ممكناً أنها لم تكن أصلاً .

§ ٣ - والحق هو أنه إنما يلزم بالضرورة أن المتقدم يكون لاجل أن المتأخر يكون أيضاً في دوره . مثال ذلك لكي يوجد بيت يلزم بدياً أن يوجد أساس . ولاجل أن يوجد أساس البيت يلزم ملاط . ولكن هل لأن الأساس قد عمل يكون واجباً أن البيت يقام أيضاً ؟ أم هل ليس هذا واجباً إلا إذا كان البيت نفسه واجباً على الإطلاق ؟ وعلى هذا الوجه إذا من الضروري في الواقع أنه مادام الأساس قد عمل فالبيت يكون أيضاً لأن هذا هو في الحقيقة علاقة المتقدم بالتأخر أنه إذا كان المتأخر يجب أن يكون فيلزم وجوباً أيضاً أن يكون المتقدم قد كان من قبله .

§ ٤ - وإذا كان حينئذ المتأخر واجباً لزم أن يكون المتقدم واجباً كذلك . وإذا كان المتقدم واجباً وكان المتأخر واجباً مثله فذلك ليس بسببه بأية طريقة ما بل فقط لأنه كان المفترض وجوب المتأخر نفسه . وعلى هذا إذا فانه حيثما كان المتأخر واجباً كان التكافؤ . ودائماً حينئذ متى كان المتقدم فواجب أن المتأخر يكون في دوره . § ٥ - إذا سأل التعاقب إلى اللانهاية نازلاً من درجة إلى درجة فمن ثم لا يكون واجباً أن المتأخر يكون مطلقاً . ولكن حتى هذا لا يكون واجباً بحسب الفرض

§ ٣ - المتقدم ... التأخر - الأمثلة التالية تبين معنى هاتين الكلمتين - بيت ... أساس - يكاد يكون هذا المثل هو عين المثل الذي ضرب في الطبيعة كـ ٢ بـ ٩ ؟ ص ٦٢ من ترجمتي لتبيان الفكرة عينها - ملاط - عبارة النص بالفيض والحلاء - إلا إذا كان البيت نفسه - ليس النص على هذه الصراحة - فالبيت يكون أيضاً - ولكن فقط لأنه هو نفسه واجب وليس البتة لأنه يجب ضرورة أن يكون النتيجة للأساس - المتأخر دائماً هو هنا البيت المتقدم - إنما هو الأساس الموضوع ليحمل البناء - الأساس ضروري للبيت ولكن البيت ليس ضروري يا للأساس .

§ ٤ - مثله - زدت هذا اللفظ بسببه - فالبيت ليس واجباً أصلاً بالنظر إلى الأساس في حين أن الأساس واجب بالنظر إلى البيت - كان المفترض - إنما هو بالفرض المصروف أن البيت واجب ولكنه ليس كذلك بالنظر إلى المواد التي تأسس عليها - كان التكافؤ - يعني أن الأول ضروري للثاني بكذا ما يكون الثاني للأول .

§ ٥ - التعاقب - العبارة الإغريقية غير مخصصة - إلى اللانهاية - يفترض الشراح بأن المقصود التناسل على خط مستقيم متناهياً أو غير متناه عوضاً عن تناسل دائري وأجمع على نفسه كتولد العناصر - نازلاً من درجة إلى درجة - عبارة النص هي بالنسبة إلى

الموضوع أننا لانه سيوجد دائما شيء آخر يتقدم بالضرورة على المتأخر - وهذا الشيء الآخر يجب ان يكون بالضرورة ايضا . وبالنتيجة كما انه لا يوجد مبدأ ممكن للانهاية قلن يوجد كذلك حد اول عامل على ان الاخير يجب ان يكون بالضرورة . g ٦ - ولكن حتى في الاشياء التي لها حد منته لا يصدق القول بأنه يوجد وجوب لان تكون الكائنات على الاطلاق مثال ذلك ان البيت قد كان لان الاساس قد كان . لانه اذا البيت كان من غير وجوب وجود دائم بالضرورة فينتج منه ان ما يمكن الا يكون دائما يكون دائما . ولكن شيئا لا يمكن ان يكون دائما من حيث كونه الا اذا كان هذا الكون واجبا لان الواجب والازلي يتمشيان معا . فما يكون وجوبا لا يمكن الا يكون . وعلى هذا اذا كان وجوبا فهو بذلك نفسه ازلي . واذا كان أزليا فهو واجب الوجود وكذلك الحال ايضا اذا كان كون الشيء واجبا فهذا الكون هو ازلي ايضا وما دام أزليا فهو واجب الوجود على سواء .

g ٧ - واذا كان اذا الكون المطلق لشيء هو واجبا لزم ضرورة انه يكون هذا الكون دائريا ويرجع على نفسه لانه يلزم مطلقا اما ان للكون حدا أو أن ليس له حد . فان لم يكن له لزم ان يقع على خط مستقيم او على دائرة . ولكنه ليكون أزليا محال ان يكون على خط مستقيم لانه حينئذ لا يكون له ابتداء لا من تحت كما نرى اخذا بالاشياء التي مستكون ولا منه

«نحو التحق» بحسب الفرض الموضوع أننا - ليس النص على هذا القدر من التحديد ويمكن ترجمته هكذا : « هذا لا يكون واجبا حتى على طريق الفرض » . لانه سيوجد دائما . يعنى قبل الحد الاخير المفروض انه واجب توجد سلسلة حدود متقدمة وهى لانها غير متناهية لا يمكنها ان تنفذ . ومع ذلك فان كل هذه الفقرة غامضة قليلا ويظهر ان فيلويون يشكو من غموضها . عامل على ان الاخير - النص ليس على هذا القدر من الضبط ، ففي الانهاية لا يوجد حد اول ولا حد آخر اذ لا اول لها كما لا آخر لها .

g ٦ . التى لها حد منته - أو «آخر» - لان ... الكائنات - عبارة النص غير محددة . لانه اذا البيت كان - ثابت بالضبط أسلوب النص . ولكن ليس جسيده البيان وبه معان وسواء مجنونة سببت الغموض . وأليك شرحا يطور غموض هذه الفقرة حتى في الاشياء التى لها آخر معين ليس من الضروري دائما أن يتبع المتأخر المتقدم مثال ذلك اساس البيت يمكن ان يعمل دون ان يعمل البيت ضرورة معه مع ان الاساس ضرورى للبيت . لانه اذا كون البيت من غير أن يكون مع ذلك واجبا فينتج منه ان شيئا ممكنا انقطع عن أن يكون ممكنا ليصير واجبا - ما يمكن الا يكون دائما - يعنى ما هو ممكن الواجب والازلي يتمشيان معا - أو «الواجب» هو في آن واحد ازلي ايضا .

g ٧ - دائريا ويرجع على نفسه - هذا أحد المبادئ المهمة المقررة في كتاب الطبيعة ١٢ ب ١٤ و ١٥١ ص وما بعدها . فان الحركة الدائرية هى الوحيدة التى يمكن ان تكون أزلية - للسكون - أو التناسل - لا من تحت . ولا من فوق . وما سبقه فه من تحته يدل على السلسلة النازلة فانه يسار مما هو كائن لإجمل افتراض كل =

فوق اذا أخذنا بالاشياء التى قد كانت • ولكنه يلزم ضرورة ابتداء لتكون من غير ان يكون محسودا وانه يجب ان يكون ازليا • فيوجد اذا ضرورة لان يكون الكون دائريا • وعلى هذا النحو ان التكافؤ او الرجوع يكون واجبا • ومثلا لو أن شيئا كائن بالواجب لكان المتقدم على هذا الشيء هو واجبا ايضا واذا كان هذا المتقدم واجبا يلزم وجوبا أيضا أن المتأخر يكون • • وهاك اذا اتصالا ازليا حقيقيا لانه لا يهم ان يقع الاتصال بين وسيطين او عنة وسطاء • على هذا فالزوجب المطلق لا يوجد الا فى الحركة وفى الكون الدائرى • ومتى وجدت الدائرة فكل شىء يكون او كان بالواجب • وكذلك اذا وجد وجوب فالكون يقع دائريا •

§ ٨ - كل هذا الترتيب هو غاية فى المعقول • وما دام قد بين ايضا فى موطن آخر ان الحركة الدائرية هى ازلية كما هى الحال فى حركة السماء فبديهي ان كل ذلك يقع وسيقع بالواجب وان كل الحركات التى تتصل بتلك والتى تلك تنتجها هى واجبة مثلها لانه اذا كان الجسم الذى يقبل ازليا الحركة الدائرية يوصلها الى جسم آخر فينتج منه ان حركة هذه الاجسام الاخر يجب أن تكون دائرية أيضا ومثلا لما ان النقلة تحصل بطريقة ما فى الافلاك العليا فيلزم ان الشمس تتحرك بالطريقة عينها • ومتى كان هذا هكذا بالنسبة الى الشمس فالحصول بهذه العلة مجرى دائرى وترجع دوريا • وما دامت كل هذه الظواهر العظمى تقع بهذه الطريقة فكل الظواهر السفلى تحصل بالانتظام عينه •

= تماقب الكائنات • من فوق يدل على السلسلة الصاعدة ما دام انه يسلم ماهوكلائن للعود الى ما قد كان • فلا يوجد اذا ابتداء لا من احدى الجهتين ولا من الاخرى والسلسلة غير متناهية فى الجهتين لان الحلق المستقيم يمتد على امتداد غير متناه • يلزم ضرورة ابتداء • هذا يظهر انه يناقض آراء ارسطو المعروفة على ازلية العالم وزد على ذلك انه ليس للدائرة ابتداء بالمعنى الخاص • للكون • النص ليس على هذا القدر من الضبط •

• التكافؤ او الرجوع • ليس فى الاصل الا كلمة واحدة • اتصالا ازليا حقيقيا • ليس فى الاصل الا وصف واحد • وسطاء • التعبير الاغريقى غير محدد بالمرّة لذلك لم اكن اكثر منه ضبطا •

§ ٨ - هو غاية فى المعقول • اعترف دائما ارسطو بنظام الطبيعة المصيب من غير أن يجعل مع ذلك لمشيئة الله وعنايته الالهية دخلا مباشرا • قد بين ايضا فى موطن آخر فى الكتاب الثامن من الطبيعة كما يقول فيلويون • الجسم الذى يقبل ازليا الحركة الدائرية هذا هو المتحرك الاول يعنى السماء او جزء العالم الابعد عن الارض • بطريقة ما • زدت هذه العبارة لتسام الفكرة • هذه الظواهر العظمى • ليس النص على هذا القدر من الضبط • بالانتظام عينه • ليس النص على هذا القدر من الضبط •

§ ٩ - ولكن حينما توجد أشياء تتحقق بالفعل على هذا النحو ومثلاً حينما الماء والهواء يكون لهما هذه الحركة الدائرية ما دام انه لاجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت ولاجل أن تمطر يجب أن يوجد السحاب فكيف يحصل أن الناس والحيوانات لا تعود هي أيضاً على نفسها بحيث أن الشخص نفسه يظهر مرة أخرى ؟ لانه من أن أباك قد كان ، لا ينتج ضرورة أنك كان يجب أن تكون . والذي هو ضروري فقط إنما هو انه اذا كنت فيلزم أن أباك قد كان . والعلة في ذلك هي انه إنما هذا تناسل يقع على خط مستقيم :

§ ١٠ - غير أن مبدأ البحث الذي نتصدى اليه هنا سيكون أيضاً أن نتساءل عما اذا كانت كل الاشياء تعود أيضاً الى أعيانها أو لا تعود وعما اذا كان حقاً ان بعضها يعود بالعدد وبالشخص في حين أن الآخر لا تعود الا بالنوع . بالنسبة لجميع الاشياء التي يمكث جوهرها غير قابل للفساد في الحركة التي يلقيها من البين أنها تبقى دائماً عددياً متماثلة ما دام أن الحركة تطابق حينئذ المتحرك . ولكن كل الاشياء التي على ضد

§ ٩ - لهما هذه الحركة الدائرية - والمتكافئة بحيث ان احدهما تولد الاخرى - لاجل تكوين السحاب يلزم ان تكون قد أمطرت - الميتورولوجيا ١ ك ب ٦ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتي - والعلة في ذلك هي - ليس النص على هذا القدر من التحديد - تناسل أو كون .

§ ١٠ - مبدأ - يظهر أن هذا أول به أن يكون الملخص والمتمم ما دام أن هذه المناقشة هي آخر هذا الكتاب - بالعدد وبالشخص - ليس في النص الا كلمة واحدة لا تعود الا بالنوع - يعني أن الشخص يتغير كمثل الاب الى الابن وان النوع يبقى هو عينه هي الكائنين اللذين يخلف أحدهما الآخر . بالنسبة لجميع الاشياء - جوابه على السؤال الموضوع آنفاً - عددياً متماثلة - وعلى ذلك فالشمس هي دائماً بعينها كما نية اليه فيلويون . فان جوهرها غير قابل للفساد ولا تتغير في الحركات القائمة بها . - الحركة تطابق - عبارة النص بالضببط هي : « الحركة تتبع المتحرك » . وهذه العبارة ليست جلية وفيلويون لم يفسرها . وإلّا أن يريد أن يقول أن الحركة هي ازلية وغير قابلة للفساد كالجسم الذي تحل به .

- لا عددياً - يعني لان الشخص يبقى هو ما هو . - بالنوع - كما يرى هذا من الأب الى الابن . فان الأب يهلك ولكن النوع يبقى منقولاً منه الى الكائن الذي ولده - ذاته عددياً وشخصياً فان الهواء بالنوع هشابه للهواء المتقام الذي دثر . ولكنه ليس هو هو عينه . - هو بحيث انه يمكن ألا يكون - يعني أنه ممكن وليس واجباً . ويلاحظ أن نظرية الابد الازلي لبعض الاجسام والانواع ارتقاء وعظمة جديرة بالكتاب السابع من ما وراء الطبيعة والكتاب الثامن من الطبيعة : وهذا إنما هو أيضاً نفس جنديد المذهب المصادفة والاتفاق الذي طعن فيه أرسطو دائماً . ر . مقدمات الطبيعة لارسطو ص ٩٣ و ١٠٣ وما بعدها من المجلد الاول . ومقدمة كتاب السماء ص ٩٤ وما بعدها .

ذلك جوهرها قابل للفساد فانها يجب ضرورة أن تتم هذه الرجعى لا عدديا بل فقط بالنوع وعلى هذا النحو أن الماء يأتي من الهواء وأن الهواء يأتي من الماء ، يأتي هو في نوعه لكن لا هو ذاته عدديا • غير انه اذا كان من الاشياء ما ترجع عدديا أيضا بأعيانها فليست البتة هى التى جوهرها هو بحيث انه يمكن ألا يكون •

تم كتاب كون الاشياء وفسادها

تحقيق على الكتاب الموصوم

• في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غرغياس •

للمرجمة هذا الكتاب الصغير اعتمدت على طبعة ف. ج. ١٠. مللاخ
المنشورة سنة ١٨٤٦. والمثقولة في مجموعة فيرمين ديديو الاغريقية (١) •
وهذه الطبعة جيدة قد أعادت الى سيرته الاولى بطريقة تورشك ان تكون
نهائية كتابا مهما جدا على ما فيه من نقص • وقد استعان مللاخ لاصلاح
النص فوق اعمال من تقدمه نسخة مخطوطة من مكتبة ليبزج العمومية
يظهر انها اضبط النسخ التي وصلت اليها • وهذه المخطوطة كان قد
استعانها بعض الشيء أولياريوس وهو يعمل لمجموعة فيريسيوس
الاغريقية (طبعة هارلس ج ٣ ص ٢٨٤) • ولم تبتدىء البحوث الادخل
في باب الجدل والنفع الا على يد فلبورن الذي نشر سنة ١٧٠٩ شرحه المسمى:

"Liber de Xenophane, Zenone et Gorgia, Aristotelis vulgu
tributus, passim illustratus".

وبعد اربع سنين هذا ج. ل. اسبلدنج حنر فلبورن في بحثه مدرسة
ميجار فأبرز الجزء الاول من الكتاب «في اكسينوفان وزينون وغرغياس» (٢)
وكان بين يدي اسبلدنج مخطوطة ليبزج استخرج منها عدة اصطلاحات
وبهذه المساعدة تسنى له ان نشر نصا محسنا جدا وقرن به تعليقات ممتعة

(1) Aristotelis de Melisso, Xenophane et Gorgia disputationes, cum
Eleaticorum philosophorum Fragmentis et Ocelli Lucanij qui fertur de
universi naturæ libello, conjunctim edidit, recensuit, interpretatus est
Frid. Guil. Aug. Müllach, Beroln, 1846, XXX — 210. Bibliothèque grecque
de Firmu Didot. Fragmenta philosophorum Graecorum. Pages 270 et suiv.

(2) "Commentarius in primam partem libelli de Xenophane, Zenone
et Georgia, praemissis Vidicijis philosophorum Megaricorum, Beroln,
1793, 8°. XIV — 83.

• وكان اسبلدنج يتبع طبعة اسلبودج في اكثر كتابه •

على الفقرات الأشد غموضاً ، ولكنه لم يقرن به ترجمة • وانما كان الجديد في هذا التحقيق هو أن اسبلدنج كان يجعل الجزء الاول من اكتاب مخصوصا بمذهب ميليسوس وكان يثبت ببراهين قاطعة انه اسم ميليسوس كان يجب أن يستبدل باسم زينون • وقد قبل من يومئذ رأى اسبلدنج هذا واني لذاكر الآن السبب الذي يوجب قبوله •

ولم يستطع اسبلدنج مع فحصه مخطوطة ليبزج مقابلتها بطريقة مضبوطة تماما واعتمده على الاخص على الاصلاح الخفيف الذي عمله فيها أولياريوس • غير أن كر • دان • بك مقرر جامعة ليبزج الشهير الذي كان قد يسر بحوث اسبلدنج قد اخذ على عاتقه اتمام تلك البحوث فنشر في السنة عينها كل الروايات المختلفة في تلك المخطوطة الثمينة على هذا الكتاب وعلى بعض مؤلفات اخرى لارسطو (١) • وهذه النسخة المطبوعة التي اعتد بها ملاخ فضل اعتداد لم تكن ، فيما يظهر ، لتقذر بل لم تكن لتعرف عند علماء اللغة الذين اشتغلوا بعد ذلك اما بأمر مدرسة ايليا على العموم واما على الخصوص بالكتاب الخاص الذي فيه فحصت مذاهب اكسينوفان وهيليسوس • فالمجمع العلمي ببرلين مثلا لم ينتفع بها في طبعته حتى الانتفاع حتى ان ملاخ قد اظهر الاسفل هذا الاهمال الذي كان اتقاؤه ميسورا (٢) •

في سنة ١٨٤٣ أي بعد ائنتى عشرة سنة قد سد تيودور برج بعض هذا النقص فاعتمد على روايات بك ووضع شرحا أمتع من كله ما تقدمه من الشروح (٣) • ومع ان هذا العمل قد كان موضع المدح والامتنان فإنه لم يشن ملاخ عن اعادة النظر من جديد فنشر ، بعد عمل برج بثلاث سنين ، الطبعة والشرح اللذين ذكرتهما آنفا • غير أن ملاخ واسبلدنج لم

(1) *Solemnia Doctorum philosophiae et magistrorum artium a. d. XIV febr. M D CCXCIII antiquo ritu creandorum indicit Chr. Dan. Beckius. Praemissa est varietas lectionis libellorum Aristotelicorum e codice Lipsiensi diligenter enotata.*

وان ذاليل بك من الرجال الذين قد اعطوا في الثلث الاول من هذا القرن التاسع عشر في الدراسات الفلسفية في ألمانيا نهضتها القوية •

(٢) ظهرت طبعة ارسطو العامة التي أنجزها بركو برانديس تحت رعاية المجمع

العلمي ببرلين سنة ١٨٣١ •

(2) *Regiae universitati litterarum Frederico — Alexandrinae D. XXIII mensis Augusti MDCCCLIII sacra saecularia prima agenti gratulatur academia Marburgensis. Praemissa est Theodori Bergkii commentatio de Aristotelis libello Xenophane, Zenone, et Gorgia, Marburgi, 1843.*

يترجما الكتاب مع أن ترجمة كتاب مثل هذا مخروم أشد ضرورة من ترجمة غيره . فظلت خيرا ترجمة لاتينية هي ترجمة جان برناردان فيليشيانو المعلم في البندقية سنة ١٥٥٢ . ولكن مع أن هذه المخطوطة التي ترجمت قليلة التحريف فانه كان من الممكن أيضا بل من النافع تصحيحها وضبطها وقد نقلت في طبعة المجمع العلمي في برلين .

تلك هي الاعمال التي تناولت الكتاب على ميليسوس واكسينوفان وغرغياس حتى الآن . وانه لينبغي أن يضم اليها تحقيق « مهنسرى (دواردفوس) » على غرغياس الليونتيومى (١) اذ انه نشر فيه ، من غير ترجمة النص ، الجزء الذى يتعلق على الاخص بفرغياس ، أى الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب الذى نترجمه ، وذيله بتفسير .

وبعد هذه التفاصيل اللغوية يلزمنا الكلام على الكتاب ذاته : فى آية حال وصل اليها ومن هو مؤلفه على المشهور؟ وما هى قيمته الذاتية؟

أولا ما هو العنوان الذى يجب أن يعنون به هذا الكتاب الصغير ؟ عند القدماء جميعا تقريبا وعند المتأخرين الى بحوث اسبلدنج كان عنوانه المجمع عليه على العموم هو : « فى اكسينوفان وفى زينون وفى غرغياس » . أو بحسب مخطوطة ليبزج فى زينون وفى اكسينوفان وفى غرغياس ، فان اسبلدنج بتقريره شواهد « سمبليسيوس » العديدة من تحاليل هذا الكتاب ابان بطريقة لا تحتل النقض ان المقصود فى الجزء الاول هو ميليسوس لا اكسينوفان فانه فى شرحه المتع على كتاب الطبيعة لارسطو قد نقل فقرات تامة من ميليسوس على الموجود أو الطبيعة . وهى مشابهة حتى فى ألفاظها فى بعض المواطن كل المشابهة للتفاصيل المسطورة فى هذا الكتاب الذى نترجمه . فلما وضع اسبلدنج هذه الموافقات بعضها قبالة البعض الآخر وقارن بينها وجها لوجه لم يعد بعد فى الامكان انكار أن ميليسوس هو الفيلسوف المتكلم عنه فى البابين الاولين .

الى هذا الدليل الذى يكفى وحده فى اثبات المطلوب ينضم دليل آخر وهو أنه فى فهرس « ديوجين اللايرثى » (ك ٥ و ١٧ وف ٢٥ طبعة فرمين ديدو ص ١١٦) ذكر صريح لكتاب ارسطو على مذاهب ميليسوس . وهذا الذكر ليس مفردا بل يؤكد ديوجين أن ارسطو قد نقد أيضا آراء زينون

(1) De gorgia leontino commentatio, interpositus est Aristotelis de Gorgia liber emendatus editus ab. H. Ed. Foss, Halig Saxonum, 1823, 8°. IV — 186. Le traité sur Gorgias et le commentaire sont pages 110 et suivantes.

وكذلك قد بحث بحثا خاصا في مذاهب اتبعها فيثاغورث وأرخيتاس وسبوسيب واکزینوقراط ۰۰۰ الخ .

وفهرس ميناش المجهول واضعه يؤيد شهادة ديوجين اللايرثى وأنه ليزكر أيضا بحوث أرسطو في منهجى ميليسوس وغرياس . وما من شيء أقرب الى الاحتمال من أن يكون أرسطو قد اشتغل بمذاهب ميليسوس اذ ان ما بين ايدينا من كتبه يدلنا على شدة اضطلاعه بجميع الفلسفات المتقدمة على فلسفته . وهو يذكر ميليسوس غالبا . واننا ذاكرون اكثر من مرة ماذا قاله عنه وعن اكسينوفان سواء في علم الطبيعة او في علم ما بعد الطبيعة او في غيرهما .

وعلى هذا فالحق في جانب هاسبلدنجه في أن الجزء الاول من هذا الكتاب يتعلق بميليسوس .

ربما نتساءل كيف كان لهذا الشك سبيل الى هذه النسبة . اذا كان أرسطو ينقد ميليسوس أو فيلسوفا آخر بعينه فيكون واجبا عليه فيما يظهر ان يسميه باسمه اذ لا مسوغ لهذا الاتهام الذى لا يفسر . ولكنه لسوء الطالع لم يفعل ، بل قنع في هذه الكتب بأن يقول دائما : « هو » دون أن يعين أمتسا مرجعا لهذا الضمير . ولا سبيل الى معرفة من هو المعنى بالنقد الا تعرف صاحب المنهج المنقود من مذهبه نفسه . وعلى ذلك فان هذا الكتاب انما كتب بغير عناية في شكله الظاهر على الأقل وأن مؤلفه أيا كان قد أخطأ في أنه لم يكن مبينا حتى لقد احتيج الى فطنة الفلاسفة المتأخرين لسد هذا النقص الذى ربما لا يكون منشؤه الا خطأ ناسخ .

وان ما أقوله هنا عن ميليسوس يوشك أن يكون منطقيا على اكسينوفان أيضا . فانه ليس مسمى كذلك في الجزء الثانى من الكتاب ولكنه مع ذلك لا سبيل الى الشك في امره لأن مذهباه معروفه اكثر من مذاهب ميليسوس . فنسبة ما يقال هنا اليه لا يتطرق اليها الخطأ .

ان هذا اليقين ينسحب من باب اولى على غرياس الذى هو غير مسمى أيضا في أول الجزء الثالث (ب ٥ و ٦) الذى يخصه ولكن براهينه قد نقلت الينا على يد سنكستوس أمبيريكوس (adversus mathematicos exlogicos) ج ٧ ص ٢٨٥ طبعة سنة ١٨٤٢ ج ١ ص ١٣٤ / وأنها تماثل على الاطلاق البراهن التى تراها في هذا الكتاب .

من هذا استنتج أنا العنوان النهائى الذى يجب أن يحمله هذا الكتاب هو « في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غرياس » فان هذا العنوان يتفق

عنا ما وما يحويه الكتاب ، وقد أحسن ملاح في اتخاذه . ومنه الآن لا يمكن الا اتخاذ هذه الصيغة عنوانا لهذا الكتاب كما فعل ملاح . إما أنا فأنى لم اتردد لحظة في اتخاذهما . وفي الحق انه ليقين ان تعيين « زينون في عنوانات النسخ المخطوطة لا مسوغ له . غير اننى سأحاول فيما يلى مقتفيا أثر ملاح اكتشاف المصدر الذى يمكن أن يكون صدر عنه هذا التعيين . والآن أسوق القول الى ما كنا بصددده ، من حيث العنوان لنفرغ منه .

قد راجع بيكر مخطوطتين معنوتين بعنوانين يخالفان العنوان العادى مغفلا فيهما ذكر الاسماء الاعلام . فالعنوان فيهما بالبساطة هو : « كتاب أرسطو على المذاهب » ا : « كتاب أرسطو على مذاهب الفلاسفة » فالعنوان الاول هو لمخطوطة في مكتبة سنت مرك في البندقية q والثانى لمخطوطة في الفاتيكان BG بحسب تعريف بيكر . واختلاف هاتين الروايتين مهم من حيث افتراض أن الشكوك كانت متسلسلة حتى فى الازمان القديمة الى صحة العنوان المشهور . ومن المحتمل أنهم لم يكونوا ليتعرفوا : أكسينوفان وزينون في الجزء الاول والثانى (ب ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) . وتلقاء هذا الغموض استحبوا علم التعيين . فقد كان وسهم الكتاب بأنه « على المذاهب الفلسفية » لامتثالية فيه لانه هو مع ذلك على صناعته صحيح ان لم يكن مضبوطا . وما كنت لاتخذ هذا التوسم دون غيره ولكنه يلزم أن يقام له وزن ولذلك ذكرته .

أما وقد تحدد العنوان وبين على هذه الصورة فمن هو مؤلف الكتاب؟
أأرسطو هو أم هو آخر ؟ .

مخطوطة في الفاتيكان مرقومة RG طبعة برلين تنسب هذا الكتاب الى تيوفراست او على الاقل هي تدرجه ضمن كتب أخرى كلها لتلميذ أرسطو وخليفته . وان ما يجعل لهذا الفرض محلا من الشبه والحق والثقة هو أن سيمبليسيوس في شرحه على كتاب الطبيعة (الورقة 6A) يستشهد بفقرة من تيوفراست فيها ينقل هذا المؤلف عن أكسينوفان آراء مطابقة تمام المطابقة لما نقرؤه في هذا الكتاب . ولا شك في أن هذين السبيين هما الناحلان . برنديس في « تاريخه للفلسفة الاغريقية واللاتينية » (جزء ١ ص ٣٥٨) على أن يسحب هذا الكتاب من أرسطو ليرده الى تيوفراست . ولكن هذا التغيير لم يحل محل القبول من فوق علماء اللغة ولو أنه صادر عن حكم لا يقل عنهم في العلم ولا في الحنق ، فقد صرح م تيودور برج أن هذا الكتاب على رايه ليس أحق بتيوفراست منه بأستاذة .

وإني هنا على رأي مللاخ وأرى كما يرى أن ذلك تجاوز أبعاد جدا مما ينبغي . وقد نهيت الساعه أن هذا الكتاب لم يكن ليكتب بالعناية المطلوبة مادام الفلاسفة الذين تنقد فيه مذاهبهم ليسوا معينين بأسمائهم ولكن في مجموع تأليف أرسطو كما نقلته إلينا القرون كم من غلطات من هذا النوع ، وكم من إهمال في التحرير ، وكم من قطع لم تتم ؛ وكم من صحف مشوشة حتى في أجل كتبه مثل « ما بعد الطبيعة » مثلا ؛ على أن الأسباب التي حملت أرسطو على أن يترك كل مخطوطاته في حالة نقص معروفة . فإنه لم يكده ينشر شيئا مدة حياته . ولم يكن إلا حين ناهزت سنه للخمسين عول على اظهار شيء من تعاليمه . فلما فوجيء بالحركة الموجهة ضده المقلونين بعد وفاة الاسكندر واضطر إلى هجرة آتينا على عجل مشردا منفيًا لم يسكن إلى محل طمأنينة أن عاجلته المنون لا تعرف كيف كانت ولكن المعروف أنها كانت ميتة عتيقة في سن الثانية والستين . فجمع تيوفراسط كل ما كان تركه أستاذه من الأعمال والأوراق ، ولم ينشر منها شيئا هو نفسه أيضا فيما يظهر . وبقية الحكاية معروفة فإن العالم الغربي لم يكن يعرف مؤلفات أرسطو إلا حينما جاء بها من آتينا بعناية « سلاء فرتبت بطريقة حسنة أو شاءت بعناية « أندرونيكوس الرودسي » .

وقد يكون من الغريب أن مخطوطات أهمها المؤلف بحكم الضرورة وأهمها خليفته الأول هي أحسن نظاما في الترتيب من غيرها . فإن التشويش أو بالأولى النقص في كتيبنا هذا لا يطن فيه . بل إني قائل أن هذا الكتاب على ما وجدناه عليه ليس فيه من علم النظام والحزم مثل وفي مؤلفات أرسطو التي لاشك في صحة نسبتها إليه . بل قد يكون هذا الكتاب أبعد عن سوء التأليف فإن الأجزاء الثلاثة التي يتألف منها متميز بعضها عن بعض ومتتابعة من غير خلط ، وعرض المذاهب المنتقدة فيه هو من الوضوح والتنسيق بمكان . وإذا كان لم يتقبل على العموم بقبول حسن فذلك لأن طابعه الأول قد شوهوه بأغلاط شتى تلافتها من بعد ذلك عناية المتأخرين وحققهم حتى لم يبق منها شيء . وإني ألفت إلى هذا نظر القارئ الفطن الذي يريد فحص هذا الكتاب الصغير لأن يأخذ بالطبعة التي أصلها مللاخ وترجمتي هذه .

ومهما يكن هذا الكتاب « في ميليسوس واكسينوقان وقرغياس » ظنينا في نسبتته إلى أرسطو فإنه لا شيء فيه يبعده عن مدرسة المشائين الملاصقة عهدا بأرسطو . وإني لآلقي القيد إلى رأي مللاخ الذي يميل إلى اعتبار هذا الكتاب خلاصة من مؤلفات أرسطو التي ذكرها ديوجين اللايرثي كما ذكرناه آنفا . وقد تكون هذه الخلاصة من وضع بعض المشائين ، كما يحتمل أن يكون تيوفراسط قد اقتبس كذلك من مؤلفات

أرسطو ما رواه عن اكسينوفان كما يذكره لنا سمبليسيوس . وإن في مؤلفات أرسطو لخلاصات من هذا القبيل . والشاهد على ذلك أسلوب « علم الاخلاق الكبير » وأسلوب « علم الاخلاق الى اوديم » فانهما ليسا الا تحاليل ممتعة كثيرا أو قليلا لكتابه « علم الاخلاق الى نيقوماخوس » . ولقد أستطيع أن استنتج انه ان كان هذا الكتاب ليس من عمل ارسطو ولا من عمل تيوفراسط فهو على أقل ما يكون من زمان لا يبعد كثيرا عن زمانهما . وهذا وحده يكفي أن يجعل له أهمية انكارها محال .

ولقد تأخذ بي القيمة العالية لما يحويه هذا الكتاب بالنظر الى تحريره فضلا عن أن ميليسوس واكسينوفان وغرغياس رجال ثلاثة كبار لا يمكن لتاريخ الفلسفة أن يهمل تذكرهم . ولو انهم هنا لم يرتبوا على مقتضى الترتيب الزمني فإن هذا لا ينقص قيمة القول فيهم . ولن تجد في أى كتاب آخر قولاً على ثلاثة الفلاسفة المذكورين مستفيضا كما في هذا الكتاب ولا شك في انه يرغب في أزيد من ذلك ، ولكن هذه المقاطيع هي كل ما لدينا عن مجموع مذاهبهم ، والشكر علينا واجب لمن حفظ الكتاب على هذه الصورة . فان مدرسة ايليا على رغم أغلاطها بالغه غاية المجد وانه الى جانب آرائها الحقيقة الخافية في وحدة الوجود ولا تحركه فمن المشوق الاستماع الى نظرياتها السامية العميقة على وجود الله وقدرته الكلية . وبهذه المثابة فان اكسينوفان الذى يعتبر مؤسس مدرسة ايليا رجل كبير المقام وانه قد تنبأ قبيل سقراط وأفلاطون بنبوءات خلية بهما . وميليسوس وان لم يكن فى مستوى اكسينوفان يستحق على الأقل ألا ينسى . وأما غرغياس فمهما كان مستطائيا فهو لا يحط مطلقا قدر الطائفة التى يضعونه فيها ، وفى الحق حسينا أن نذكر أن أفلاطون وضع تحت هذا الاسم الشهير واحدة من أجمل محاوراته .

ولكن كيف فى النقد الموجه للمدرسة ايليا ومذاهب أهلها يغفل المؤلف أمر زينون ؟ كان اسم زينون فى عنوان الكتاب فى أكثر النسخ المخطوطة فلماذا لم يكن له وجود فى صلب الكتاب ؟ من اين هذا الاغفال وهذا النقص ؟ يرى ملاح بحق أن هذا الكتاب الذى ليس له الآن الا ثلاثة أجزاء كان يجب أن يكون فيما سبق مؤلفا من أربعة أجزاء ، وأن نقد زينون كان يجب أن يتلو نقد اكسينوفان . وهذا الفرض مقبول وقد يستنتج طبعاً من أن أرسطو قد فحص مذاهب زينون كما فحص مذاهب الفلاسفة الثلاثة الآخرين . ويؤيد ملاح هذه القرينة بفقرة فى هذا الكتاب (ب ٥ ف ٣) حيث ذكر فيها اسم زينون عقب اسم ميليسوس بالصراحة . وآلى هذه الفقرة يمكن أن يضاف أيضا فقرتان تكادان تكونان فى المعنى عينه (ب ٦ ف ٦ و ٩) . وهكذا دون أن نخرج من هذا الكتاب الصغير يمكننا أن نجد براهين تكفى للقول بأنه كان لهذا الكتاب جزء رابع

أفرد القول فيه على زينون ولكنه غير موجود الآن . وهذا الجزء كان يأتي في الترتيب عقب الجزء الخاص باكسينوفان .

وفوق ذلك فإن في الفقرة الأولى من الباب الثاني يرى أن ميليسوس مسمى ومقربا من اكسينوفان الذي لا يجيء فحص مذهبه إلا بعد فحص مذهب ميليسوس . فيظهر من المحقق إذا أن غرض مؤلف هذا الكتاب الصغير أن يدرس ميليسوس قبل اكسينوفان . كذلك يوجد هذا الترتيب في فهرس ديوجين اللايرثي . فإن كتاب أرسطو على ميليسوس مقدم على كتبه على غريغياس واكسينوفان وزينون . ولكنه لو روعي الترتيب الزمني كما كان يجب أن يعمل لكان اكسينوفان هو الأول وزينون الثاني وميليسوس الثالث وغريغياس الأخير . لا ينبغي أن يعلق على هذه المسائل من حيث الترتيب الزمني أهمية كبرى . ولكن تعاقب المذاهب لا يوجد فهمه إذا خلطت العصور من غير ترتيب وانما ينفع الفلسفة ذاتها أن يتحرر في ترتيب عصورها بالتسلسل على قدر الامكان .

يوشك ألا يكون من الاهمية بمكان ذكر أن يكون أرسطو هو الذي أخطأ في الترتيب إذا كان هو مؤلف الكتاب أو أن مختصره هو الذي ارتكب هذا الخطأ فأنى تارك الى جانب مسألة الترتيب التي هي مادية محضة لا قول بعض كلمات على الفلاسفة الثلاثة المذكورين في كتابنا هذا .

اشتهر اكسينوفان بأنه كان رئيساً لمدرسة ايليا وهذا هو المجد الذي يسند عادة اليه وان كان أفلاطون في الفقرة الوحيدة التي ذكر فيها اكسينوفان يشير ، فيما يظهر ، الى أن مدرسة ايليا أقدم منه (السفسطائي ص ٢٤١ من ترجمة كوزان - و ص ١١٩ ب ٤٤ من الطبعة الاغريقية في طورينو سنة ١٨٣٩) . لما نفى اكسينوفان من وطنه كولوفون الى يونيا آسيا الصغرى يظهر انه هاجر الى صقلية واحتفى فيها بمدينة زنكل ثم بقطننة ، ثم ذهب الى ايليا التي كان قد أسسها حديثا الفوكيون سنة ٥٣٦ قبل الميلاد على شواطئ اغريقا الكبرى وعلى بحر طرهينيا ، وأنشأ فيها هو نفسه هذه المدرسة التي اشتهرت بها تلك المدينة الجديدة . ولا يدري امات بها ام رجع الى كولوفون . والظاهر انه عمر طويلا حتى سلم بصحة ما نقل اليها من بعض أبيات يقول فيها (١) : ان سنة أربت على الثانية والتسعين . وفي الحق أن هذه الابيات يمكن أن تفسر بمعنى آخر تدل به على أن اكسينوفان كانت سنة وقتئذ سبعة وستين عاما وأن الحوادث التي قيل فيها الشعر حصلت حين لم يبلغ عمره الا خمسة وعشرين ، فانه يقول : « اذا صح اني أستطيع الكلام على هذه الاشياء

(١) ديوجين اللايرثي ك ٩ ب ٢ ص ٢٣٤ طبعة فيرمين ديدو .

بصورة مضبوطة ، • يقول ديوجين اللايرثي : انه ظهرت آثاره نحو السادسة والستين أولبية يعنى نحو السنة ٥٤٠ وبفرض انه كانت سنة في هذا الحين ٤٥ أو ٥٠ سنة فيكون ميلاده متأخرا قليلا عما يفترض له اذ يقال : انه ولد سنة ٦١٧ قبل الميلاد •

وان ما يحمل على الظن بأن ميلاد اكسينوفان يجب أن يكون أقرب من ذلك هو أنه استشهد فيثاغورث (١) الذى ربما قبل آراءه فى التناسخ • ونقد نعلم بشهادة شيشيرون الصريحة (الجمهورية ك ٢٦ ١٥) أن فيثاغورث لم يأت سيباريس وقروطن الا فى سنة ٦٢ أولبية أى السنة الرابعة من حكم طرخان العظيم أعنى سنة ٥٣٠ أفيكون من المحتمل أن اكسينوفان تكلم عن فيثاغورث وهو حى بما تكلم به • وحينئذ ألا يلزم عليه أن ينزل بالعصر الذى عاش فيه وبميلاده الى أنزل من ذلك • واليك هذه الابيات :

« لما رأى ذات يوم كلبا يضربه بالسوط صاحبه »

« أخذته الشفقة بهذا الكائن انشقى »

« فقال : لا تضرب تلك هى روح صديق »

« تعرفته بسماع صراخه »

وقد زاد ديوجين اللايرثي الذى روى هذه الابيات فى ترجمة فيثاغورث - فى موضع آخر (٢) أن اكسينوفان كان يحارب مذهب حكيم ساموس ومذاهب طاليس وايبيمينيد كما أنه كان ينقد بحدة ماكن يصور به هيزود وهوميروس الآلهة وشهواتهم ونقائصهم • وقد كان اكسينوفان يودع أفكاره القصائد والحماسيات التى كان يقرضها • بل قد يكون محتملا أنه كن يرتزق على دأب «رهبسون» بانشاد قصائده ليضطرب السامعين ويستجدى سخاءهم •

واذا كان اكسينوفان قد طعن فى آراء طاليس وفيثاغورث وايبيمينيد فيجب أن يكون متأخرا عنهم وليس محالا أن يكون قد عاش الى زمن الحرب الأولى الميديدية (سنة ٤٩٠ قبل المسيح) •

وهناك واقعة قد لا يستطاع الشك فيها ما دام أرسطو يشهد لها (الميتافيزيقا ك ١ ص ١٤٦ ترجمة كوزان) • وهى أن برمينيد كان تلميذا اكسينوفان • وعلى هذه النقطة كل القماء على وفاق • غير أننا نعلم يقينا

(١) ديوجين اللايرثي ك ٨ ب ٨ ص ٢١٣ طبعة ديديو •

(٢) ديوجين اللايرثي ك ١١ ب ٢ ص ٢٣١ طبعة ديديو •

من أفلاطون (تيبثيت ص ١٥٤ - والسفسطائي ص ١٦٤ ترجمة كوزان)
انه حينما جاء برمينيد آتينا مع زينون كانت سنة ٦٥ سنة (البرمينيد
ص ٦ ترجمة كوزان و ص ٧٥١ طبعة تورينو ١٨٣٩) . وبفرض أن
سقراط كان حديث السن عند حوار برمينيد المنقول لنا في المحاوره
المشهورة بهذا الاسم ولم يكن عمره الا عشرين سنة ، فان هذا ينقلنا الى
سنة ٤٥٠ قبل الميلاد . وعلى هذا الفرض يكون برمينيد قد ولد في سنة
١٥١٥ ولتلقى العلم على اكسينوفان يلزم أن يكون هذا الاخير قد مات في
نحو العهد الذي ذكرناه آنفا .

غير أنى تارك مرة أخرى هذه المجادلات التاريخية (٦) لاقف برهنة
عند آراء اكسينوفان الفلسفية التى لها فى نظرى أهمية أخرى . ولئن
كان فيما يتعلق به نقطة مجمع عليها فانما هى أن أفكاره فى الآلهة ، بل
يمكن أن يقال أفكاره فى الله ، كانت أصح وأرقى من أفكار معاصريه .
وهذا الكتاب الذى نترجمه يكفى وحده فى اثبات هذه الدعوى ، غير أن
الشواهد على ذلك متواترة أكثرها جوهرياً شاهد اكسينوفان نفسه .
ولم تتخذ المسيحية فى أمره فإن كليمان السكندرى (استروماتس ك ٥
ص ٦٠١) يثنى على فيلسوف كولوفون بأنه نزه الله تعالى عن التجسد
وبأنه قال :

« واحد قدبر على كل شيء ملك الاشددين قوة فالله لا يشبهنا لبالعقل ،
ولا بالجسم وان الناس بتصويرهم الآلهة على صورتهم يسندون اليهم
أفكارهم » « وأصواتهم ووجوههم » .

ويرى كليمان السكندرى فوق ذلك أبياتاً أخرى تكرر هذه الفكرة
عينها فى قالب آخر ، وفيها يقول اكسينوفان :

« اذا كان للثيران والاسود أيد تصور كما يصور الناس لاعطت
الآلهة التى » « تصورها أجساماً أشبه بأجسامها ، ولكانت الخيل
تصورهم بصور خيل والثيران » « تصورهم بصورة ثيران »

منذ اكسينوفان قلدت هذه الابيات التى هى غاية فى الحق القف
مرة . ولكيلا يصور الناس الله على صورتهم حين يحاولون تصويره
اضطروا أن يكفوا على الاطلاق عن تمثيله كما يهلى اليه بعض الديانات
المتشددة الى الغاية .

بعد أبيات اكسينوفان يمكن الاستظهار بشهادة أرسطو فى مؤلفاته
الآخرى غير هذا الكتاب الذى نترجمه مثل ما فى الخطابة : (ك ٢ ب ٢٣)

(١) ر . التحقيق الخاص لفكتور كوزان فى الجزء الاول من القطع الفلسفية .

حيث ينقل انه على رأى اكسينوفان أن « من الالحاد الاعتقاد بولادة الالهة وبموتهم لانه على كل واحد من الوجهين تقع برهة لا يكون للالهة وجود » .
وفى موضع آخر بعد هذا بقليل يروى أرسطو جواب اكسينوفان على أهل ايليا الذين كانوا يسألونه : أيجب عليهم أن يقربوا قربانا الى «لوقوتوا» ويجأروا بالنواح عليها ؟ فقال لهم : « اذا صح فى نظركم انها آلهة فلا ينبغى أن تبكوها » فان لم تكن الا هالكة فلا ينبغى أن تقرب لها القرابين .
يسند بلوطرخس أيضا الى اكسينوفان فكرة مماثلة لهذه فيها أن المخاطبين هم المصريون عوضا عن أهل ايليا ، وأوزيريس عوضا عن عذراء لوقوتوا ص ٤٦٣ وأما طريوس ص ٩٣٣ طبعة فرمين ديلو « ايزيد وأوزيريد » .

من هذه الافكار السامية الحققة فى حق الله تفهم علة حنق اكسينوفان على الشعراء الذين كانوا يحطون من الجلالة القدسية والذين هم كهوميروس وهيزيود لا يحجمون عن أن يسندوا الى الالهة كل ما يحط من الشرف فى نظر الناس كالسرقة والزنا والكذب والغدر (سكستونا امبيريكوس بيرون هيبوتيبي ٠ ك اب ٣٣ ص ٩٩ (Adversus Mathem. Physicos) طبعة ١٨٤٢ ك ٩ ص ٦١٢ . (Grammaticos) ك ١ ص ١١٢) .

وفى موضع آخر تكلم أرسطو أيضا على آراء اكسينوفان هذه . وفى كتابه « الشعر » ذكر أن الفيلسوف كان يظن فى المعانى التى يتصورها العامة فى حق الالهة (ر . الشعر ب ٢٥ ف ١١ ص ١٤٢ من ترجمتى) .
وأخيرا ذكر أرسطو اكسينوفان أيضا فيما بعد الطبيعة (ك اب ٤ ص ١٤٦ ترجمة كوزان سنة ١٨٣٨) .

وفى هذا الموضع الاخير لم يحفل أرسطو بنظريات اكسينوفان على الوحدة التى خلطها بالله فلم ير فى هذه النظريات ما ينبغى من الضبط من حيث ان هذه الوحدة ليست عقلية كوحدة برمينيك ولا مادية كوحدة ميليسوس . بل يزيده على ذلك أيضا أن أفكار اكسينوفان فى هذه النقطة أفكار جافية كأفكار ميليسوس الذى لا يفرق بينه وبينه .

ها نحن أولاء قد أتينا على كل ما وجد فى أرسطو تقريرا على اكسينوفان . ولكن تلك الفقرة المذكورة فى « ما بعد الطبيعة » عظيمة الاهمية من حيث انها ترينا رأى أرسطو فى أن مذاهب ميليسوس ليست بعيدة عن مذاهب اكسينوفان . وذلك يدلنا على حكمة الجمع بينهما فى كتاب واحد اذا كان أرسطو هو مؤلف هذا الكتاب وأن لم يكن فكيف تسنى لمؤلف آخر أن يجمع بينهما دون أن يقرب بينهما قسرا . غير أنه كان يلزم مراعاة للترتيب الزمانى أن يتكلم على ميليسوس بعد اكسينوفان . ولكن ربما كان هذا مجرد خطأ مادى فى الوضع سببه اهمال نساخ . ولما

أنه ليس بين الجزأين الخاصين باكسينوفان وميليسوس ارتباط ضروري،
فليس في التشويش مستنكر ولا مستعصى عن الفهم .

أما ميليسوس الذي نضعه في الصف الثاني سواء في الأهمية
والترتيب الزمني فإنه رجل يسترعى الاهتمام وإن كان أقبل رفعة من
سابقه . قد ولد في ساموس كفيثاغورث وتبوأ فيها مركزا عظيما ودافع
عن وطنه بمهارة وشجاعة عند ما حاصره الآتينيون قبل حرب بيلوبونيز
بخمسة عشرة سنة . ولقد نجح ميليسوس في كسر الحصار واتخذ لقومه
منه مخرجاً قادهم به حتى أتلّف أعمال الحصار ووصل إلى أسطول الأعداء
وخر به كله تقريباً . كل ذلك في غيبة بيريكليس الذي كان قد غادر
الحصار لملاقاة السفن الفينيقية الآتية لنصرة مدينة ساموس . فأمكن
المدينة أن تحصل على ما نقصها بالحصار من التموين وذلك بفضل النصر
الذي أحرزه ميليسوس . ولكن الدائرة قد دارت على أهل ساموس حين
رجسح بيريكليس من غيبته فانهزم ميليسوس في حرب برية واضطرت
المدينة إلى التسليم على شروط أقسى ما تكون . لم يذكر طوسيديد الذي
روى هذه الوقائع (ك ١٦٦) ميليسوس ، غير أن بلوطرخس ذكره في
ترجمة بيريكليس (ب ٢٦ ف ٣ ص ١٩٩ من طبعة فيرمين ديدو) على
صورة لا تحتل الشك ، لأنه يقول بالصراحة : أن ميليسوس بن إيتاجين
كان فيلسوفاً . وزاد على ذلك بلوطرخس نقلاً عن أرسطو من غير أن يبين
موضع النقل : أن ميليسوس كان قد هزم قبل ذلك بيريكليس في واقعة
بحرية أخرى . وذلك إنما يعطى من مقسدة ميليسوس الحربية فكرة
أسمى .

ومهما يكن من الأمر فإن من المحقق أن ميليسوس كان به تحت
نياب الفيلسوف وطني وسياسي وقائد بحري ورجل حرب . وذلك من
النسبة في تاريخ الفلسفة بحيث يجب علينا التنبيه إليه كما فعل
بلوطرخس (باب ٣٢ ص ١٣٧٧ طبعة فيرمين ديدو) (Adversus Coloten)
ولما أن ساموس قد ساءها الآتينيون صنوف القسوة فمن المظنون أن
ميليسوس ذلك الوطني الغيور والذي كان له حظ عظيم في مقاومة الفاتحين
لم يشأ أن يبقى تحت الحكم الآتيني وأنه هاجر في هذا الظرف العسير .
وكان ذلك في الأولوية الرابعة والثمانين أي السنة ٤٤١ قبل الميلاد .
وهذا التاريخ مضبوط ومتفق تماماً مع شهادة إبلودور التي نقلها إلينا
ديوجين اللايرثي (ك ٩ ص ٤٣٣ طبعة فيرمين ديدو) .

كذلك لا يرى لماذا لم يمكن أن يكون ميليسوس تلميذا لبرمينيد كما
يقوله أيضاً ديوجين اللايرثي . فإن التواريخ لا تقف دون ذلك . ولما أن
ميليسوس هو من أتباع مدرسة إيليا فيمكن بسهولة أن يكون تلقى مذهبها

من خليفة اكسينوفان . ولقد قرن أرسطو مرات عديدة ذكر برمينيد بذكر ميليسوس في كتاب الطبيعة (ك ١ ب ٢ ف ١ و ٥ ص ٤٣٣ و ٤٣٦ من ترجمتى) ليفندهما جميعا فى نظرية وحدة الموجود ولا تحركه . كذلك فعل أفلاطون فى كتابه «تيتيت» (ترجمة كوزان ص ١٤٤) . وان هذا على التاكيد لا يكفى لاثبات أنه كان بين الفيلسوفين علاقة أستاذ وتلميذ ، غير أن هذه التقاريب لا تنفى هذا الظن الكثير الاحتمال فى شيء (ر . أيضا الطبيعة ك ١ ب ٣ ف ٩ و ب ٤ ف ١) . وفى ما بعد الطبيعة فى الفقرة التى استشهدنا بها آنفا اسم ميليسوس مقترن باسم برمينيد . وكذلك فى كتاب السماء (ك ٣ ب ١ ف ٢ ص ٢٢٣ من ترجمتى) . ومن ذلك أستنتج أن دعوى ديوجين اللايرثى مهما كانت فريدة لا ترفض بهذا الازدراء الذى لاقت من بعض مؤرخى الفلسفة . فان ميليسوس لما هاجر الى ايليا فى اغريقا الكبرى يمكن جيدا أنه قد سمع دروس برمينيد الذى استمر يلقي دروس اكسينوفان .

وعلى جملة من القول لا يعرف شيء عن حياته ، ولكن من العدل أن يفترض أن نهايتها كانت مطابقة لبدايتها .

كان كتاب ميليسوس موسوما « فى الوجود » بل ربما كان موسوما « فى الطبيعة » عنوان شائع جد الشيوع عند أكثر فلاسفة تلك الأزمن القديمة واذ الطبيعة فى مجموعها هى موضوع درسهم حتى يتهيأ لهم تحليل مفصل ما كان ليؤسس الا على مشاهدات أكثر عددا . نحن نعرف مؤلف ميليسوس هذا بالمختصر الموجود فى هذا الكتاب الذى نترجمه وبالشواهد التى نقلها سمبليسيوس فى شرحه على الطبيعة لارسطو اما لانه كان بين يديه النسخة الاصلية لكتاب ميليسوس واما ، وهو الأرجح ، لانه لم يكن لديه الا ملخصات تيوفراست الذى يستشهد به . لا اريد أن اختصر أنا أيضا تلك المختصرات المختلفة ولكنى أقنع بأن أحيل على قطع ميليسوس التى سوف نذكرها بعد أخذنا عن اسبلدنج وملاخ . وفيها يرى مذهب الفيلسوف السموسى ، على ما وصل الينا بالاقل . وزيادة على ذلك يرى لماذا كان كتابنا الصغير آمينا على المؤلف الذى يعرفه للناس فى حين أنه ينقض مذهبه ! .

بعد اكسينوفان وميليسوس لا أقول شيئا عن زينون ما دام كتابنا لا يتكلم عنه وان ذكره الوارد فى عناوين بعض المخطوطات يجب أن يعتبر كسهو . فيبقى غريغياس الذى يجب أن يكون كلامنا عليه موجزا جدا لانه معروف أكثر ولانه لا يكاد يكون الا سفسطائيا (١) .

ولد غرغياس فى ليونتيوم بصقلية نحو الواحدة والسبعين أولمبية وبلغ من الكبر مبلغا عظيما حتى لقد بلغ على ما يظهر الثامنة والتسعين أولمبية أعنى أنه لم يمت الا فى سن الثامنة أو التاسعة بعد المائة كما يقول كل كتاب الزمن القديم بالاجماع . ولا يعرف عن حياته العملية تفاصيل طويلة . أما عائلته فالظاهر أنها كانت ، فيما يظهر ، عائلة ممتازة وكن أخوه « هيروديكوس » ، الذى لا ينبغي أن يلتبس بهيروديكوس السلميرى ، طبيبا حاذقا (ر . غرغياس لافلاطون ص ١٨٥ و ٢٠٩ ترجمة كوزان) . وهذا يدل فيما يظهر على أنه كان فى سعة من العيش وعلى جانب عظيم من الثقافة العقلية . وأما غرغياس فانه اجتهد على الاخص فى الخطابة وكانت فنا مختزعا حديثا وقتئذ حصل منه على اسم كبير فى صقلية وأفاد من تعليمه اياه فوائد أكبر . ولا شك فى أن قدرته الخطابية هى التى أكسبته ثقة مواطنيه اذ استنجدوا آتينا ضد سيراقوزة والمدائن الاخرى الدورية . فبعثوا غرغياس يطلب مساعدة الجمهورية ويظهر أن التاريخ المضبوط لسفارته هذه هو السنة الثانية للولبياد الثامنة واثمانين أى سنة ٤٢٧ قبل الميلاد . ويظهر أن سقراط الذى رآه بلا شك لم يكن ليستهين بفصاحته التى كثر اللغط بشأنها فى آتينا وصارت مصدر ثروة لهذا المعام الحسن البيان (ر . هيباس لافلاطون ص ١٠٠ ترجمة كوزان) . ولقد ظن أن أرسطوفان فى روايته المضحكة عن الطيور كان يريد أن يستهزئ بـ غرغياس لانه كان يرى أسلوبه متنفخا وغير طبيعى . منذ هذه السفارة المشهورة التى ربما أتبعها غرغياس بالعودة ثانية الى آتينا بل بالاقامة فيها لم يعرف لحياته العملية أثر آخر . وكل مايعلم عنه أنه فى آخر حياته أقام فى تساليا حيث استمع اليه « ايزوقراط » وأنه عاش زمنا طويلا فى لارسا أترى مدن تلك الجهة بسبب نفوذ عائلة الالويين . ولئن رجعنا الى كلمة طيبة رواها أرسطو (السياسة ك ٣ ب ٩ ص ١٢٧ من ترجمتى طبعة ثانية) لوجدنا أن غرغياس لم يكن عظيم الاحترام لوطنية اللارسيين ولا يعلم أن هذا السفسطائى الشهير قد مات بين ظهراني هؤلاء . ومع أنه صار من الثروة على جانب عظيم ومن الزهو بحيث إنه وضع لنفسه تمثالا من الذهب فى معبد دلفوس فانه كما يقال كان على بقية من قناعة تضرب بها الامثال . ويقال : ان تقشفه المتناهى هو الذى أطال عمره الى ذلك الحد . ويزعم لوسييان خبثا منه بلا شك أن غرغياس لما مل الحياة ترك نفسه يموت جوعا (Mactobioi ب ٢٣ ص ٦٤٣ طبعة فيرمين ديدو) .

ولم يكن مشرفا مركز غرغياس فى المحاورة التى وضعها أفلاطون وصنماها باسمه . ففيها يبين له سقراط أن فن الخطابة الذى يزعمه ليس

فنا كما يزعم وضيق عليه فى المناقشة حتى بهت بأن جعله يقنع فى التناقض المبين والجهل الى تبرير الظلم والقسوة . وساء دفاع غريغاس عن دعواه الخاسرة غير أنه كان يسبغ عليه من القصص وحسن الذوق ما لم يكن لبولوس وعلى الاخص قليقليس اللذين يسوقان المعانى التى لا يجيدان فهمها سوفا الى النهاية . وينصنان نفسيهما أشياء عمياء للقوة على الحق وللشر على الخير وللضلال على الهدى . ولقد يتعرف من دهاء غريغاس خلقه العام الذى يسند اليه بل ربما كان الى هذا الدهاء أيضا ينسب تأثير مركزه السياسى أيضا فانه لم يكن فى بلده ويجب عليه أن يدارى الاتيين الذين كان ينتظر منهم نصرة وطنه ، يداريهم حتى فى المناقشات النظرية البحتة .

وأما كتاب غريغاس فكان عنوانه « فى الوجود أو فى الطبيعة » ولا يعلم ماذا كان يحوى على العموم ولكنه يرى على قدر الكفاية من كتبنا هذا ماذا كانت فكرته العامة . فى الواقع انما هى لا أدريه مطلقة . وفى هذه النقطة لا محل للتردد فى الحكم فان سكستوس أميريكوس الذى يظهر أنه كان بين يديه نسخة غريغاس نفسها قد نقل آتينا كما بيناه آنفا تحليلا مطابقا تمام المطابقة لما منجده هنا (ك ٧ص ٢٨٥ - ٢٩٠ طبعة ١٨٤٢ Adversus Mathematicos, Logicos). وانه ليضع غريغاس فى صف انفلاسفة الذين يأبون على الانسان أية ملكة للحكم على حقيقة الاشياء وينكرون امكان الاهتداء لذلك . وما ذلك الا مذهب فقير يحوى فى نفسه كما فى كل لا أدريه مطلقة تناقضا ليس منه محيص . ولما تزعزع الايمان بالمنطق تزعزع بالاخلاق على السواء فلا عجب أن يكون سقراط قد أقام حربا عوانا على السفسطائيين الذين يفسدون العقول والاخلاق .

يظهر أن كتاب غريغاس الذى فى عنوانه وحده ازدراء بالنوق العام قد ألف أو ظهر فى الاولوية الرابعة والتسعين أعنى سنة ٤٠٣ قبل الميلاد وكان ذلك فى آخر حرب بيلوبونيز وكان الطرف سيئا للتنازع فى حقيقة الاشياء اذ كانت اغريقا كلها تعاني من الشرور ما لا شبهة فيه . ومتى يمكن أن تكون اللا أدريه فى وقت مناسب ؟ لقد كان ذلك لاربع سنين قبل الحكم على سقراط اذ نشأت ضلالة أخرى كان يمكن للأدري أن يسخر منها كما يسخر من هزيمة آتينا فى نزاعها مع هذا الحكيم جزاء له على ما كاله لها من صنوف التهكم . ومع ذلك فان غريغاس فى شيخوخته الطويلة قد عاش بعد سقراط وهجر أيضا آتينا الى بلاد أقل منها قرى فيها لم تكن لا أدريته لتعزيه بعض الشيء عن نفيه .

ولكى تقدر فكرة غريغاس تقديرا تاما قد أثبت قطعة سكستوس أميريكوس . فمن السهل مقارنتها بكتبنا هذا الذى لها به ارتباط بين .

يجب أن يرى بناء على كل ما تقدم أن كتابنا الصغير مهما كان فيه من النقص والعيوب والغموض حتى بعد البحوث التي تناولته لا يزال على جانب من الأهمية . وحين كان النص مملوءاً بالأغلاط كان يمكن إهماله واعتباره غير معقول تقريباً فأما منذ ملأه فقد أصبح هذا الإزدراء لا محل له وأنا من جهتي دون أن أكون مرتاحاً تماماً لا أجد أن هذا الكتاب أكثر غموضاً من كثير من الكتب الأخرى في مؤلفات أرسطو . مع الإصلاحات التي تناولته والتي هي مقبولة جسد القبول لأن أكثرها قام الدليل على صحته من المخطوطات التي درست خير دراسة ، مع هذه الإصلاحات يقف القارئ جيداً على ما أراده المؤلف وإن أسلوبه لمن البيان على قدر المطلوب . فإن لم تكن هذه الرسالة التي ليست بعد كل شيء إلا مجموع مذكرات إن لم تكن من قلم أرسطو فإنها ليست غير خليقة بأن تنسب إليه كما قد ظن ذلك زماناً طويلاً . وعلى الأخص فليست قليلة الفائدة من حيث تاريخ الفلسفة . وبهذا العنوان وعلى هذا الاعتبار يستوصى بها كل أصدقاء الفلسفة القديمة .

أما فيما يتعلق بموضوع المذاهب وبمركز مدرسة إيليا فقد قلت بعض كلمات في مقلعتي على هذا المجلد . وتصديت لأن أبين في هذا البحث أن الفلسفة الإغريقية جدتنا المحترمة كانت نشأت باجتماع ظروف سعيدة قبل الميلاد بستة قرون في المستعمرات التي أنست على شطوط آسيا الصغرى . وقد أعلنت هذا الحادث كواحد من أعظم تواريخ العقل البشري . وعينت الحوادث السياسية الكبرى التي في وسطها نتجت هذه النتيجة . واستخلصت من هذه اللوحة مهما كان موضعها من قلة الكمال نتائج قد تكون أوسع من إطارها . ألا إنما في تلك البيئة يجب أن نحل فلاسفتنا لفهمهم جد الفهم ولنقدر حق قدرها تلك القيمة السامية لهؤلاء الاساتذة معلمى الحكمة القديمة والذين مهدوا لنا فلسفتنا الحالية والذين لا يزالون يشجعوننا حتى على هذا البعد الشاسع .

فى ميليسوس وفى إكسينوفان وفى غرغياس

مذاهب ميليسوس

الباب الأول

الوجود هو ائلى غير متناه واحد ولا متحرك - أركان الوحدة وراثتها - الاختلاط -
ظاهر الاشياء هو ضد الوحدة - الجذر الذى ينبغى اخذه من شهادة الحواس - ردود على
نظرية الوحدة وعلى الاطلاقية - الآراء المضادة لهذا المذهب - شواهد من هيزيود
لأوبعض فلاسفة آخرين .

§ ١ - هو يقرر أنه ان يكن من شىء فذلك الشىء يجب أن يكون
أزليا ما دام أنه - على رأيه - من المحال أبدا أن يتولد شىء من لا شىء .
وسواء آكان فى الواقع أن الكل قد خلق أم أن الكل لم يكن يخلق فيلزم
على ذلك فى الفرضين أن الاشياء التى خلقت تكون أخرجت من لا شىء
ما دام أنه ما من واحد من جميع الاشياء التى تكونت على هذا النحو كان
يوجد من قبل .

ب ١ - مذاهب ميليسوس - زدت هذا العنوان الذى ليس فى الاصل الاغريقى .
ر . ما سبق فى التحقيق الذى أجريناه على هذا العنوان وعلى نسبة المذاهب التى يشملها
البابان الأولان الى ميليسوس .

§ ١ - هو يقرر - حفظت عبارة النص على ايهامها . وقد كان يحسن أن يسمى
الفيلسوف بالتصريح . ومع العنوان الذى سمحت لنفسى بوضعه لهذا الباب ينهب الشك
فى الشخص المقصود . ولكنى لم أسمح لنفسى بأن أدخل هذه الزيادة على النص نفسه
فى أول جملة وفى بدء هذه الرسالة . وأما فى غضون الابواب فقد زدت اسم ميليسوس
مرات عدة كما فعلت بالنسبة لأكسينوفان وغرغياس ، وفيما يتعلق بالاستناد الى ميليسوس
ر . ما سياتى ب١٤١ . - ان يكن من شىء - ر . ما سوف يلى من قطع ميليسوس
القطعة الأولى . - على رأيه زدت هذه العبارة لأؤدى قوة النص الاغريقى . - أم أن الكل
لم يكن يخلق - وانه لم يكن الا عدد ما من الاشياء كان قد خلق - . فى الفرضين النص
ليس على هذا القدر من الصراحة .

§ ٢ - وأنه إذا قيل أن من الأشياء ما كان موجودا من قبل ومنها ما جاء بعد ذلك لينضم اليه نتج من ذلك أن الكل الذى هو واحد قد زاد بالعدد وبالكَم . وهذا نفسه الذى به يصير أكثر عددا وأكبر يجب أن يأتى أولا من لا شيء لأن الأكثر لا يمكن أن يكون فى الأقل ولا أكبر فى الأصغر .

§ ٣ - ومتى كان الكل أزليا يجب أن يكون بهذا عينه لا متناهيا لأنه لا يكون هناك مبدأ يأتى منه كما أنه لا يكون نه آخر متى بلغه انتهى . وكل لا متناه يجب ضرورة أن يكون واحدا لأنه إذا وجد عدة لا متناهيات بل لا متناهيات اثنتان حدد بعضها بعضا على التكافؤ .

§ ٤ - ولما كان واحدا يجب أن يكون متشابهها فى جميع أجزائه لأنه إذا كان غير متشابه فهذا وحده لا يكون بعد واحدا . ولما لم يكن واحدا كان كثرة . ولما كان الواحد أزليا لا قابلا لأن يقاس متشابهها فى جميع أجزائه يجب أن يكون غير متحرك لأنه لا يمكن أن يتحرك الا فى شيء ينطلق أمامه ولكن الانطلاق لا يمكن أن يكون الا للذهاب فى الملاء أو فى الخلو . فمن جهة الملاء لا يمكن بعد أن يقبل شيئا ومن جهة أخرى الخلو نفسه ليس شيئا .

٥ - لما كان الواحد هو ما قلنا آنفا ينتج من ذلك أنه لا يمكن أن يلحقه تعب ولا ألم ويجب أن يكون سليما وبغير مرض . كما أنه لا يمكن أن يغير وضعه ليتخذ أحسن منه ولا أن يتحول ليأخذ نوعا آخر ولا أن يختلط بشيء آخر . وفى كل هذه الاوضاع الواحد يصير كثرة وإذا يكون اللاموجود هو المتولد . والموجود يكون هو الذى قد فسد بالضرورة .

- التى تكونت على هذا النحو - والتى هى بالنتيجة ليست ازلية .
 § ٢ - أن الكل الذى هو واحد - عبارة النص هى بالبساطة « الواحد » بالعدد وبالكَم - عبارة النص : « يصير متعددا وأعظم » .
 § ٣ - كان الكل أزليا - ر . ما سوف يجىء فى قطع ميليسوس القطعتين ٣٠٢ . بهذا عينه لا متناهيا - يكاد يكون ذلك تكرارا لأن الازلى ليس الا اللامتناهى فى المدة . - حدد بعضها بعضا على التكافؤ - تلك هى العبارات عينها التى ينقلها سمبليسيوس . ر . ما سوف يجىء من قطع ميليسوس القطعتين ١٠٣ .

§ ٤ - يجب أن يكون متشابهها فى جميع أجزائه - راجع قطع ميليسوس القطعة ٤ . - ويجب أن يكون غير متحرك - راجع القطعة ٤ . - فى شيء ينطلق أمامه راجع القطعة ٥ من قطع ميليسوس - الخلو نفسه ليس شيئا - راجع القطعة الآتية الذكر .
 § ٥ - لا يمكن أن يلحقه تعب ولا ألم - يمكن أو تحل هذه العبارة على المادى أو على المعنوى على السواء . ر . القطعة ٤ من قطع ميليسوس . - سليما وبغير مرض - ربما كانت هذه المعانى أشتق مما ينبغى وفيها يعتبر الواحد كما لو كان جسدا انسانيا ر . القطعة ١١ . - هو المتولد - هذه هى عبارة النص الاغريقى بالضبط .

٦ - وكل هذا محال مطلقا . وفى الحق إذا كان الواحد مقولا على الخليط لانه تألف من عدة اشياء فيلزم حينئذ ان يكون مسبوقا بوجود عدة أشياء وأن هذه الاشياء تكون قد تحركت بعضها نحو الاخرى . وليس الاختلاط فى الواقع الا تركيب عدة أشياء فى شيء واحد أو انما هو كجمع بين الاشياء المختلطة عن طريق التصنيف . وعلى هذا النحو قد تختلط الاشياء لانها تنفصل بعضها عن الاخرى . ولما أن هذا الجمع يحصل فى سحق الاشياء فقد يجب أن يوجد جليا كل واحد منها برفع الاشياء الاولى التى اختلطت باقترابها بعضها من بعض . وليس توجد واحدة من هاتين الحالتين .

٧ - وهكذا على هذه الطريقة تكون الاشياء ، على رأى ميليسوس ، متكررة ولا تظهر لنا البتة بوحدة ، وبالنتيجة لما أنه ليس ممكنا أن يكون الحال هكذا على هذا الوجه وأنه لا يمكن أن تكون الاشياء متكررة فيلزم القول بأن هذا ليس الا ظاهرا خداعا كما أنه مع ذلك يوجد كثير من الاشياء تخدع حواسنا وتغرها ولكن العقل يؤكد لنا ان تلك الاشياء ليست موجودة ، بل هو يؤكد لنا أن الموجود لا يمكن أن يكون كثرة وأنه واحد أزلى لا متناه متشابه فى جميع أجزائه .

٨ - وحينئذ هل تكون عنايتنا الاولى بعدم قبول كل ظاهر وألا نشق منه الا بما هو الاحق ؟ ولكن اذا كان كل ما يظهر لنا أنه حق ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا فقد نحسن صنعا بعدم قبول

§ ٦ - اذا كان الواحد مقولا على الخليط - ر . على نظرية الاختلاط ما سبق فى كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ - التصنيف - يظهر أن الكلمة التى استخدمها النص هنا كانت خاصة بلهجة الإبرياتين . ر . تفسير سبليسيوس على كتاب السماء الورقة ١٥٩ - لانها تنفصل - أو يمكن أن تنفصل . ومن المحتمل أن يكون لفظ فصل ما هنا مأخوذا على معنى تمييز - فى سحق الاشياء - هذه هى عبارة النص وان لم تكن مضبوطة تماما .

§ ٧ - على رأى ميليسوس - زدت هذه العبارة لاحصل النص فى كل قوته . - ليس الا ظاهرا خداعا - تلك هى لا أدريه مدرسة إيليا التى بايتائها العقل أكثر مما ينبغي لم تبق للحواس ما يتناسب معها ر . فيما سوف يجرى شيئا من هذه المعاني فى القطعة ١٧ من قطع ميليسوس . - العقل يؤكد لنا - اذ طبق هذا فى حق الله فالنظرية لا جدال فيها فوحدة إلهيته بدئية فى حكم العقل كلا نهائيه وكامل قدرته . ولكن ذلك لا يمنع تكثر الكائنات بأشخاصها ويلزم العقل التسليم به من غير أن يستطيع مع ذلك أن يفسره .

§ ٨ - هل تكون عنايتنا - صيغة الاثبات هنا أولى فيما يظهر ولكنى اضطرت الى اتباع النص . وهذا المر هو آتم ما تركه لنا الاقدمون على نمط مدرسة إيليا ومنطقها - كل ظاهر - أو كل ما يظهر لعقلنا لان المراد هنا ليس هو الظاهر الحسى =

هذه القاعدة أيضا : أنه لا شيء البتة يمكن أن يأتي من لا شيء لأنه ربما كان هذا أيضا واحدا من تلك الآراء القليلة المصدق والكثيرة العدد التي نحن جميعا قد تصورناها بواسطة ادراكات قليلة المصدق أو كثيرته .

٩ - ولكن إذا كانت كل ادراكاتنا ليست فاسدة وإذا كان بعض أحدها صحيحا فيلزم أن يختار اما الرأي الذي قام الدليل على صحته واما الآراء التي تظهر أنها أحق . لأن هذه الأخيرة تكون دائما أمتن من الآراء التي يجب أن يدلل عليها من بعد بمساعدة تلك المبادئ الأولى .

١٠ - فلنسلم ، إذا شئت ، بأن هذين الرأيين مضادان أحدهما للآخر كما يفترض ميليسوس : بادئ بدء أنه عند تأييد الكثرة يضطر الى استخراجها من الوجود . ثم لما كان هذا محالا وجب أنه يستنتج من ذلك أن الموجودات ليست متكررة والموجود بما هو موجود فقط هو لا متناه وبما هو لا متناه هو واحد .

١١ - نزع من أن هذين الرأيين لا يشتركان لأحدهما ولا الآخر أن الموجود هو واحد وأنه كثرة . ولكن إذا كان أحد الاثنين أحق وأمتن

= ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا - ليس النص على هذا القدر من السمة . - بعدم قبول هذه القاعدة أيضا - الامر على العكس من ذلك فإن مدرسة إيليا قد قبلت هذه القاعدة كل القبول واتخذتها أساسا لنظرياتها على الأزلية ووحدة الموجود . - قليلة المصدق - ليس النص على هذا القدر من التيقن ، ولكنه على التحقيق يشمل هذا المعنى .

§ ٩ - كل ادراكاتنا ليست فاسدة - في هذا التحفظ شرف عظيم لمدرسة إيليا ويجب اعتباره والاعتداد به . فإن السفسطائيين وعلى الخصوص فروطاغوراس قد ذهبوا بعيدا في المعنى المضاد بأن قرروا أن الانسان هو معيار الكل وقد جرهم هذا الإفراط الى لا أدية غريغياس المطلقة . ر . فيما يلي الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب وتحليل مذهب غريغياس الذي قام به سكستوس أمبريكوس . - اما الرأي الذي قام الدليل على صحته - مبدأ جميل قد كرره فيما بعد أفلاطون وديكارت بصورة أخرى ليست أشد جزمًا . - التي تظهر أنها أحق - والتي هي غير قابلة للايضاح وصالحة ، من ثم ، لايضاح سائر البقية . هذا هو المذهب العظيم لارسطوطاليس في الانالوطيقا الثانية . وهذا هو الأساس الذي اليه يستند كل برهان سواء أكان هذا الأساس مكتسوبا أو مخيا . ر . ترجمتنا لالوطيقا الثانية ، منطق أرسطو ج ٣ ك ١ ب ٢ ص ٩ .

- بمساعدة تلك المبادئ الأولى - التي هي في ذاتها غير قابلة للبرهان لأنها بديهية .

§ ١٠ - كما يفترض ميليسوس - عبارة النص هي فقط « كما يفترضه » ر . ما سبق ف ١ والتحقيق . وهذه الجملة كلها قلقة في ترجمتنا كما هي كذلك في النص الاغريقي . - يضطر الى استخراجها من الوجود - ر . ما سبق أنفا ف ١ .

§ ١١ - نزع - قد لا تكون عبارة النص على هذه الصراحة . - فتكون النتائج التي تستنتج - أو النتائج التي تستخرج منها . على أن من البين أن المبدأ الذي يسار =

فتكون النتائج التي تستنتج منه هي أيضا أجلى وضوحاً • فإن كان لنا هذان الاعتقادان معا أن لاشيء يمكن أن يأتي من لاشيء وأن الموجودات هي متكررة ومتحركة قلما أن هذا الأخير يظهر لنا حقيقاً بالثقة فهو أولى من الآخر بتصديق الناس • وبالنتيجة إذا كانا هذان الرأيان هما متضادين في الواقع وإذا كان من المحال أن شيئاً يأتي من لاشيء وأن الموجودات متعددة فإن هاتين النظريتين تتباطلان وتتفاسدان على التكافؤ

١٢ - لكن لماذا إذا يكون رأى ميليسوس أحق ! انه يمكن أيضاً تأييد الرأى المضاد مادام أن ميليسوس قد وضع استدلاله من غير أن يكون قد دّل على أن الرأى الذي يصدر عنه هو الحق أو على الأقل أنه أمتن من الرأى الذي يقصد الى أن يبرهن على فساده • وهذا من جانبه ليس الا فرضاً محضاً أن يرى أن مجيء الأشياء من لاشيء أشبه بالحق من أن تكون متعددة •

١٣ - ولقد أصاب من قال على ضد ذلك هاهنا أن أشياء لم تكن قد كانت وإن كثيراً من الأشياء أخرج من العدم • وليس هؤلاء الذين افتكروا هذه الأفكار من أناس كيفما اتفق • بل هم مشهورون بأنهم أعقل الناس • مثال ذلك قال هيزيود :

« كان العماء موجوداً قبل كل الأشياء »

منه بما أنه هو ذاته أمتن فالبرهان الذي ينتج منه هو أمتن أيضاً • هذان الاعتقادان - العبارة الإغريقية تدل مباشرة على « فرضين وهميين » • - لاشيء يمكن أن يأتي من لاشيء - هذا حق متى طبق على موجودات الطبيعة ولكنه ليس حقاً بهذا المقدار متى طبق في حق الله • ونحن لا نكون الأمر متعللاً بالله فيلزم أن يوصل الى خلق حقيقي • - الموجودات هي متكررة ومتحركة - كما تشهد لنا به حواسنا شهادة غير مجرعة • - هاتين النظريتين تتباطلان - وحينئذ يمكن أن شيئاً ما يأتي من العدم وإن الموجودات هي متحركة •

§ ١٢ - رأى ميليسوس - عبارة : النص غير معينة ولا تسمى ميليسوس ر • ماسبق ف ١ • - ما دام أن ميليسوس - التنبيه السابق • - الذي يقصد الى أن يبرهن على فساده - عبارة : النص ببساطة « التي عليه يبرهن » • - ليس الا فرضاً محضاً • - الحد الذي يستعمله النص هاهنا هو بعينه من جهة الاشتقاق الذي في الفقرة السابقة • أشبه بالحق - أو بعبارة أخرى أن الخلق من العدم أكثر احتمالاً من وحدانية الوجود • فإنه يمكن أن يفهم على وجه أحسن أن الأشياء أتت بها من لاشيء من أن يفهم أنها متعددة • والسبب في ذلك أن التعدد بديهي فيما يظهر في حين أن الخلقة تختفي في ظلمات الماضي والبداية •

§ ١٣ - قد كانت - هذه الجملة في المخطوطات واردة على صيغة النفي لا على صيغة الإثبات كما ينسب اليه م • ملاخ • وقد اقترح اسبلدنج محوها • وإنى أرى كما يرى م • ملاخ أنها ضرورية لتتابع المعاني • من أناس كيفما اتفق - من العوام هيزيود راجع •

» ثم ظهرت الارض ذات الصدر الفسيح

» وهى الاساس الازلى لكل ما تحمل

»

» ثم بعد ذلك العشق الذى هو أقدر الآلهة » .

فعلى رأى هيزيود سائر الاشياء تولد من هذا ولكن المبادئ الاول لم تتولد من شيء .

١٤ - ومن الفلاسفة من يقولون بأن لاشيء يكون وأن الكل يصير وهم يؤكدون كذلك أن كل الاشياء التى تصير تولد من أشياء غير موجودة . وبالتنتيجة يمكن أن يقال ان عند بعض الفلاسفة الصيرورة يمكن أن تنتج حتى من اللاموجود .

= التيجونى : لبيت ١١٦ وما بعده ص ٣ من طبعة فيرمين ديلو . وان هذه الايات التى لم يستشهد بها ها هنا بالنص موجودة فى الطبيعة لارسطو . ك ١ ب ٢ ص ٧ من ١٤٢ من ترجمتنا وفى ما بعد الطبيعة ك ١ ب ٣ ص ١٣٨ من ترجمة كوزان .

- لم تتولد من شيء - أولى بهذا أن يكون نتيجة مستخرجة من افكار هيزيود لا فكرة من افكاره الخاصة .

§ ١٤ - ومن الفلاسفة - كان من الحس أن يسمى هؤلاء : لفلاسفة الآخرين - بأن لا شيء يكون أو يوجد -.. ولأن الكل يصير - قد يكون هذا هو رأى هيرقليطس اذ يظن أن كل الاشياء هى فى مد أبدى - تولد من أشياء غير موجودة - :لنتنتيجة بيذة بذاتها فيما يظهر وان ما يصير لم يكن قبل أن يصير . الصيرورة يمكن أن تخرج حتى من :للاموجود - أو أن الاشياء التى تتولد تخرج من أشياء ليست موجودة .

الباب الثاني

تمة تفنيد ميليسوس - ردود على مما انه ليس شيء يأتي من لا شيء - تولد الاشياء وكونها بعضها من بعض على التكافؤ - نظريات امبيكل وانكسافوراس وديمقريطس وبرمينيد وزيون - شواهد من شعر امبيكل وهزيود - الوجود ليس ضرورة واحدة ازلية ولا متناهية .

١ - نحن لا نشغل ببحث ما اذا كان مايقوله ممكنا أو ممتنعا . لكن هنا نقطة يجب علينا أن نعيرها بعض الالتفات وهي ما اذا كانت مثل تلك النتائج تنتج بلا تخلف من فروضه أو اذا كانت الاشياء يمكن أن تكون ضد ما يعتقد لانه يمكن في الحق أن يكون الواقع مخالفا تمام المخالفة .

٢ - فهو يقرر بادىء بدء انه ليس شيء يمكن ان يأتي مما هو ليس موجودا . ولكن يرد عليه هذا السؤال : أمن الضروري اذا أن تكون جميع الاشياء بلا استثناء غير مخلوقة ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تأتي الاشياء بعضها من بعض وأن هذه السلسلة يمكن أن تمتشى الى مالا نهاية ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تتكون رجعي دائرية بحيث ان الواحد يأتي من الآخر وأنه على ذلك يوجد دائما موجود ما وأن كل واحد قد أمكن أن يخرج على هذا النحو من جميع الآخر على التكافؤ في عدد غير متناه من المرات ؟ على هذا المعنى لا شيء يمنع أن الكل قد خلق وأصير حتى مع التسليم بذلك الفرض أنه ليس شيء يمكن البتة أن يأتي من لا شيء . وبما أن الموجودات على ذلك غير متناهية فيمكن اذا ، كما يشاؤه ، أن تسمى بجميع الاسماء التي لا تناسب الا الوحدة لانه يطبق هو أيضا على اللامتناهي كيفية انه كل وانه يسمى كلا .

٣ - ما اذا كان ما يقوله - ميليسوس وقد حفظت النص على ما فيه من عدم التعمين الشخصي . - بعض الالتفات - وربما يمكن أن يقال « التفاتا جديا » . - من فروضة - أو « المبادئ التي يسلم بها »

٤ - فهو يقرر بادىء بدء - ليس :نص على هذا القول من الضبط وعبارته عامة وهي ما دام قد تقرر . . . الخ . - بلا استثناء - زدت هذا القيد لاحصل كل قوة العبارة :لاغريقية . - غير مخلوقة - ر . ما سبق في الفقرة الاولى حيث هذا التحفظ بعض الاشياء هي ازلية وغير مخلوقة والبعض الآخر ليس كذلك . - أن تأتي الاشياء بعضها من بعض - هذا ممكن بلا شك ولكن لا بد بادىء بدء من افتراض وجود بعض اشياء تكون ازلية بالنتيجة . وهذا الاعتراض لا يرد مباشرة على نظرية ميليسوس . - رجعي دائرية - هذا هو ما ذكر آنفا بعبارة أخرى . ولكن الكون ليكون على التكافؤ يلزم ضرورة أن يكون مسبوقا بوجود ما قد لا يكون ازلية وياقيا . - يوجد دائما موجود ما - مؤقت ووسيط ولكن التعاقب مع ذلك هوائي اذ لم تكن الموجودات ازلية =

٣ - حتى من غير أن يفرض أن علد الموجودات غير متناه يمكن أن يفهم أن كونها دائري . فإذا كان كل بصير وان لا شيء يوجد كما يزعم بعضهم فكيف يوجد اذا أشياء أزلية ؟ ولكن ميليسوس يتكلم عن الموجود كأنه كائن وكأنه مسلم به على الإطلاق . فانه يقول : « اذا الموجود لم يصبر واذا هو يكون فيلزم أن يكون أزليا » . وهذا انما هو تسليم بأن الوجود يتعلق ضرورة بالاشياء .

٤ - وأكثر من ذلك انه مع الافتراض ، بقدر ما يراد من الافتراض ، بأن اللاموجود لا يمكن أن يصير وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم البتة كما الذى يمنع أيضا أن من الاشياء ماتوله ومنها ما تكون أزلية ؟ تلك انما هى نظرية أمبيدقل نفسه . فانه مع أنه مسلم وفقا لرأى ميليسوس بأن من الممتنع أن أى شيء اتفق يخرج مما لم يكن وأنه لا سبيل مطلقا لأن شيئا وجد مرة يمكن أن ينعدم البتة « مادام أن الموجود يبقى دائما حيث أمكن وضعة » مع كل هذا لا يزال هذا الفيلسوف يؤيد أن من الاشياء ماهو أزلى كالنار والماء والارض والهواء وأنه انما من هذه الاشياء أتت وتأتى جميع الآخر . وعلى رأيه ليس للموجودات كون آخر غير هذا . وأن الكون ليس فى الحقيقة الا اختلاطا وتحللا . وهذا مايسمى عاميا كون الاشياء وطبعها .

= ان الكل قد خلق - فى التعاقب لا فى البدء . - انه كل وأنه يسمى كلا - وبعبارة أخرى : لامتنا هى هو كل وهذا هو ما يسمى بالكل .

٣ - كونها - بعضها بواسطة البعض الآخر . - دائري - وبالنتيجة على التكاثر، فان الثانى يكون الاول كما أن الاول قد كون الثانى . - كما يزعم بعضهم - هرقليطس وفروطاغوراس مثلا . - ولكن ميليسوس - عبارة النص : - ولكنه « ن » ما سوف يجيء القطعة الاول وما يلها من قطع ميليسوس . - فانه يقول - هذه الصيغة تدل على أن القول المروى هو من كلام ميليسوس .

٤ - بأن اللاموجود لا يمكن أن يصير - يعنى أن ما لم يكن لا يمكن أن يكون أبدا . - وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم - وأنه أزلى . - من الاشياء - التى هى موجودة أو التى وجدت فيما سبق . - نظرية أمبيدقل - لم يذكر آبيات أمبيدقل بنصها ولكن المعنى قد حصل بالضبط . ر . قطع أمبيدقل البيتين ١٠٢ و ١٠٣ طبعة فرميين دبلو ص ٣ . - وفقا لرأى ميليسوس - ليس الاسم فى النص الاغريقى ولكنه يستنتج من العبارة نفسها التى استخدمها مؤلف . - ما دام أن الموجود يبقى دائما - هذا الشاهد بيت من آبيات أمبيدقل روى بمعناه بالضبط دون لفظه . ر . البيت ١٠٤ فى المرجع السابق . - كالنار والماء . الخ - الاربعة العناصر التى يسلم بها أمبيدقل أيضا . - الا اختلاطا وتحللا - تلك هى عبارة أمبيدقل بالنص . ر . قطع أمبيدقل البيتين ١٠٠ و ١٠١ فى المرجع السابق . وان أرسطو يذكر أيضا هذا البيت فى كتاب الكون والقصاد ٢ ب ٦ ف ٦ . - عاميا - عبارة : لنص عند الناس . - قطع أمبيدقل البيت ١٠١

٥ - ومع ذلك فإن أمبيدقل يزعم أن الصيرورة لا تنطبق على الاشياء الازلية وأن ماهو موجود لا يصير . فتلك في نظره محالات واضحة اذ يقول: « كيف يمكن في الحق أن يقال : ان شيئاً يزيد الكل ؟ ومن أين يأتي ذلك الشيء ؟ » « انما هو من اختلاط النار وتركبها ومن جميع العناصر التي تصحبها أن خرج تكثر » « الاشياء » وبانفصال هذه العناصر وتباعده بعضها عن بعض فتعلم الاشياء من جديد . والتكثر يأتي من الاختلاط والتفرق لولو أنه بالطبع لا يوجد الا أربعة عناصر بصرف النظر عن العلل بل عنصر واحد أحد » .

٦ - حتى مسح افتراض أن العناصر لامتناهية منذ الاصل لتكون الاشياء بتركبها وتفسدها بافتراقها كما يدعى أحيانا أنه كذلك كان يفكر أنكساغورس الذي كان يعتبر هذه العناصر الازلية غير المتناهية كمصدر لجميع الاشياء التي تتكون . وقد لا ينتج من هذا أيضا أن الكل هو اذلى بلا استثناء . بل يوجد دائما بعض أشياء قد تاتي وتكون أنت من موجودات متقدمة وتفتنى في جواهر أخرى .

٧ - بل يمكن أيضا ألا يكون الا صورة واحدة للكل كما كان يؤكده أنكسيمندروس وأنكسيميون اذ يؤيدان أحدهما أن الكل هو من الماء والآخر وهو أنكسيمين أن الكل انما هو من الهواء .

٨ - وانما هذه هي أيضا نظرية جميع من يفهمون على هذا النحو

§ ٥ - ومع ذلك فإن أمبيدقل - النص لا يسمى ما هنا أمبيدقل . ولكن كل مايلي يثبت تماما أن القول انما هو بصدده . - الصيرورة - أو التولد . - كيف يمكن في الحق - ليست هذه تماير أمبيدقل بالضبط ولكن المعنى هو معناه . ر . قطعه البيتين ٩٤ و٩٥ في المرجع السابق ذكره . ور . أيضا الطبيعة لارسطو في ٨ ب ١ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . - بصرف النظر عن العلل - عبارة النص : دون العلل ، ومن المحتمل أن أمبيدقل يعنى ما هنا بالعلل العشق والتنافر اللذين يجعلان أو يطلان الاشياء بأن يكونا ويفسدا دوريا السفيروس . ر . الطبيعة لارسطو في ٣ ب ٤ ف ١٣ ص ٩٤ من ترجمتنا .

§ ٦ - بتركبها . . . بافتراقها - على حسب نظريات أمبيدقل . - أنكساغوراس - ر . الطبيعة لارسطو في ٣ ب ٤ ف ٨ ص ٩٠ من ترجمتنا . - بلا استثناء - أضفت هذه الكلمات . - في جواهر أخرى - هذا التعبير يكاد لا يكون أرسطو طالبا . وليس من عادته أن يستعمل لفظ الجوهر في مثل هذا المعنى .

§ ٧ - ألا يكون الا صورة واحدة - هذه الجملة هي الترجمة الصيرورة للنص . لاغريقي ولكن ما يلي يثبت أن المعنى بلفظ « الصورة » هو « العنصر » وإن آراء أنكسيمندروس وأنكسيميون هي معروفة حق المعرفة فإن أحدهما يريد أن يستخرج كل العالم من الماء كما كان يزعم طاليس والآخر يريد أن يستخرج العالم من الهواء .

§ ٨ - كوحدة - أو كواحد . ولقد حفظت أسلوب النص وربما كان أجل من ذلك أن يتكلم على اتحاد المادة وحينئذ يرجع الى مذهب اللذوت كما ستبين فيما بعد بمناسبة =

« الكل » كوحدة . وذلك انما هو تبعا لان « الواحد » يتغير بالصور أو بعدد أكبر أو أصغر وتبعا لانه رقيق قليلا أو كثيرا أو لانه سميك أن الأشياء مهما كانت متعددة ولا متناهية تتوالد . وحينئذ « الواحد » مع بقائه هو هو يكون بقية الأشياء ويشكلها .

٩ - أما ديمقريطس فانه من ناحيته يقول على السواء ان الماء والهواء وكل واحد من الأشياء المختلفة هكذا هي متحدة وانه لا فرق بينها الا في المجرى والتماس والاتجاه . وما المانع أيضا ، في هذا الفرض ، من أن الأشياء المتكثرة تتولد وتنعدم مادام « الواحد » يتغير أبدا من الموجود الى الموجود بالفروق التي ذكرت من غير أن « الكل » في مجموعة يصير بذلك أبدا لا أصغر ولا أكبر ؟

١٠ - وفوق هذا ماذا يمتنع أن أجساما متعددة كما يشاء تتولد من أجسام آخر وتتحلل الى أجسام آخر أيضا بحيث تكون دائما على كمية متساوية في تحللها وبحيث انها تنعدم من جديد .

١١ - لكن حتى مع التسليم بهذا والتسليم بأنه يوجد شيء غير مخلوق فماذا يزيد هذا في اثبات أن الموجود هو لامتناه ؟ على رأى ميليسوس الموجود لا متناه اذا هو يوجد وألا يكون قد ولد البتة . لان الحلود على رآيه هي هنا بداية الكون ونهايته . غير أن الموجود مع أنه غير مخلوق ألا يمكن أن يكون له حدود أخرى غير المذكورة آنفا ؟ فاذا كان اللامتناهي

ديمقريطس . تبعا لان الواحد يتغير بالصور - الجملة طويلة بعض الشيء ولكنها كذلك أيضا في النص الاغريقي فوجب علينا الاحتفاظ بأسلوبها . - يكون . . . ويشكلها - ليس في النص الا فعل واحد .

١٢ - ديمقريطس - هو في طريقته أيضا نصير للوحدة لان ذواته هي على الاطلاق متعاقلة ولا تختلف الا بالعدد وبالصورة وبالاتماس وبالحركة . - الأشياء المختلفة هكذا - كان الاحسن أن يقول يظهر لنا انها مختلفة بهذا القدر لانها في الواقع هي بعضها على حسب ديمقريطس . - في المجرى والتماس والاتجاه - هذه الكلمات الثلاثة مستعارة من ديمقريطس والظاهر أنه واضعها أو على الأقل هو الذي في المجموعة نقلها من معناها العادي . على اني لا أجد هذا المر من هذا الكتاب موجودا في قطع ديمقريطس الاغريقية لفرمقن ديلز . فان المجرى والتماس والاتجاه متعلقة بالذرات اذ تتركب في الحلو بعضها مع بعض . من الموجود الى الموجود - دونان شيئا ما يمكن أن يتولد من العدم وذلك بان الذرات متصورة اذلية ر . كتاب السماء في ٣ ب ٤ ف ٥ ص ٢٥٠ من ترجمتنا .

١٣ - وفوق هذا - هذا يظهر أنه تبع للأفكار النسبية ما هنا الى ديمقريطس ومنه الفقرة لا تكاد تكون الا تكريرا لما سبق . - على كمية متساوية - الكمية والعدد الكل للذرات لا ينقصان ، ويقتط المركبات التي تتركبها تلك الأجزاء التي لا تنجزا هي التي تتعدى منها على عدد أكبر أو أصغر .

١٤ - أن الموجود هو لا متناه - ليس النص على هذا القدر من الضيق واللفظ الذي استعمله هو غير محدد . - على رأى ميليسوس - هذا يتعلق بميليسوس لا =

قد خلق فلا بد من أن يكون له على رأى ميليسوس هذه البداية التى منها يخرج ليكون .

١٢ - فماذا يمنع إذا - حتى بدون أن يكون قد كون - أن يكون

له بالاكل بداية ؟ لا البداية التى منها اتى - اذا شئت - بل بداية اخرى .
وأن الاشياء مع كونها أزلية يتحدد بعضها ببعض على طريق التكافؤ

١٣ بل ماذا يمنع أن « الكل » الذى يكون غير مخلوق أن يكون لامتناهيا وأن جميع الاشياء التى هى فيه تكون متناهية باعتبار أن لها بالبساطة بداية ونهاية فى كونها .

١٤ - ألا يمكن أيضا كما يبغي برمينيد أن « الكل » مع أنه واحد وغير مخلوق يكون متناهيا . بأن يكون من جميع الجهات مشابها لكتلة كرة مضبوطة الشكل وأن يكون متساوى الأبعاد من المركز من غير حاجة أصلا الى أن يكون فى الجزء الفلانى أو الفلانى أكبر أو أجمد مما هو ؟ .

١٥ - ولما أن له وسطا وأطرافا فله حد مهما كان غير مخلوق مادام أن « الكل » مع أنه واحد كما يعترف به ميليسوس نفسه فإنه ، من حيث كونه جسما ، كل أجزائه بلا استثناء مشابها بعضها لبعض . ومن هذه

= بديمقريطس ولكن النص قد وضع الفعل مطابقا لصير الغائب من غير أن يعين بالاسم الفيلسوف الذى يقصد تعيينه . - اذا هو يوجد - ر . ما سبق ف ١ - . والا يكون قد ولد البتة - ان لا نهاية الوجود - تنتج ، على رأى ميليسوس ، من أزليته .

بداية الكون - أو عبارة اخرى « بداية نفس الموجود » . لان الموجود بما هو ازل يمكن أن يصير غير ما هو ، يتحول ولكنه لا يولد على الحقيقة . - حدود اخرى غير المذكورة آنفا - يعنى ابتداء التغيرات التى يمكن أن يعانيتها ونهايتها . - على رأى ميليسوس - أضفت هذه الكلمات التى تستنتج من سياق الكلام ومن التعبير الذى يستعمله المؤلف ر . فما سوف يلى القطعة ٢ من قطع ميليسوس .

§ ١٢ - حتى يبدو أن يكون قد كون - أعنى مع بقائه أزليا . - بل بداية اخرى - هذا لا ينطبق الا على التغير الذى يصير الموجود غير ما هو ويجعله من غير أن ينزع شيئا من ازلته . - يتحدد بعضها ببعض - بأن تتوالد على طريقة التكافؤ .

§ ١٣ - متناهية - بالكم دون أن تكونه بالعدد وأن يكون بعضها بعضا بتسلسل مؤبد . - بالبساطة - زدت هذه الكلمة التى تفهم من القرينة فيما يظهر لى .

§ ١٤ - كما يبغي برمينيد - يظهر على حسب هذه الفقرة أن رسالتنا الصغيرة هذه مع انطباقها على ميليسوس واكسينوفان على وجه الخصوص قد تكون انتقادا عما للدرسة ايليا . ر . قطع برمينيد البيت ١٠٢ وما بعده فى القطع الفلسفية الاغريقية لفرمين ديدو ص ١٢٤ .

§ ١٥ . ميليسوس نفسه - ليس فى النص الاسم الظاهر بل هو استخدم ضمير الغائب كما هو الحال فى كل موطن . - هو يقرر - أى ميليسوس ولكن هذا يمكن على =

الجهة إنما هو يقرر التشابه المطلق « للكل » ولا يقول كما يقول فلاسفة آخرون ان « الكل » مشابه لشيء آخر غير ذاته . تلك هي النظرية التي يبطلها أنكساغوراس بقوله : اذا كان اللا متناهي مشابها من جهة أن يكون مشابها لمغاير له فمن ثم هما اثنان بل أكثر . وحينئذ لا يوجد بعد لا واحد » ولا لامتناه .

١٦ - ولكن قد يمكن أن ميليسوس يعنى هو أيضا أن اللا متناهي مشابه اضافيا لذاته أو يقول بعبارة أخرى ان « الكل » هو متشابه لان أجزائه متشابهة بما أن هذا « الكل » هو مع ذلك من الماء أو من الأرض أو من شيء آخر .

١٧ - من انبين أن ميليسوس مع تسليمه هكذا بالوحدة يرى أن كل جزء من الاجزاء هو نفسه جسم لا يمكن ان يكون لا متناهي . لان « الكل » هو وحده لامتناه . وبالنتيجة أن هذه الاجزاء التي ليست مخلوقة أيضا يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ .

١٨ - ولكن اذا كان « الكل » أزليا ولا متناهي فكيف يمكن أن يكون واحدا » مع كونه جسما ؟ ثم اذا كان مركبا من أجزاء متغايرة فاذا يعترف ميليسوس نفسه بأن « الكل » هو كثير ومتعدد . ومع التسليم بأنه من

= سواء أيضا ان ينطبق على منذهب برمينيد كما يرى فى الايات التى ذكرت آنفا . - التى يبطلها أنكساغوراس - قد يمكن أن يفهم منه أيضا كما فهم م . ملاخ « التى يؤيدها أنكساغوراس » . وعلى ذلك يكون أنكساغوراس من رأى ميليسوس وبرمينيد ، عوضا عن أنه يبطل رأى الفلاسفة الذين يقررون أن الكل هو مشابه لآخر غيره وهذا فى الواقع شيء واحد . ر . قطع أنكساغوراس لساويخ ص ١٠١ . ولكن نظرية أنكساغوراس يظهر أنها ترجع فقط الى العقل لا الى العالم . فان العقل الاعلى لا يمكن فى الحق أن يتغير فاته دائما مشابه لذاته ولا يمكن أن يكون شبيها لى ما كان .

١٦ § - ميليسوس - التنبيه السابق . أى أن ميليسوس ليس مسمى هاما أيضا - اضافيا لذاته - النص أقل ضبطا : « هل يعنى الشبيه نسبيا اليه » .
١٧ § - ميليسوس - كررت ما هنا أيضا اسم ميليسوس كما فعلت فيما سبق ولو لم يكن مذكورا فى النص . - كل جزء من الاجزاء هو نفسه جسم ر . ماسوف
يل من قطع ميليسوس القطعة ١٦ .

- هو وحده لا متناه - زدت كلمة « وحده » لبيان الفكرة . - يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ ر . ما سبق ف ١٢ .

١٨ § - مع كونه جسما - أى أنه بالنتيجة ذو أجزاء مختلفة . - ميليسوس نفسه - اسم ميليسوس ليس مذكورا فى النص الذى ليس فيه دائما الا ضمير غائب . - كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت - أن ذكر زينون هنا يسمح لنا أن نقدر وسالتنا الصغيرة هذه كان ينبغي أن تعرض أيضا للمهبة على حدة . ر . التحقيق الذى سبق .

الماء أو من الأرض أو من أى عنصر آخر فحينئذ يكون للموجود عدة أجزاء كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت أن « الكل » يجب أن يكون له أجزاء كثيرة إذا كان هو واحدا على الوجه الذى يدعون .

١٩ - ومتى كانت أجزاؤه متعددة لزم أن يكون بعضها أصغر وبعضها أكبر اعنى مختلفة جد الاختلاف حتى بدون أن يأتى التخالف من زيادة جسم ما أو فقد جسم ما . ولكن إذا كان « الكل » ليس له جسم ولا طول ولا عرض فكيف يكون لامتناهيا ؟ وما المانع إذا أن يكون بمجموعه كثرة وواحدا بالعدد ؟ بل ما المانع أن الاشياء مع كونها هكذا متكررة وأكثر من واحد أن تكون على عظم غير متناه ؟

٢٠ - قد يزعم اكسينوفان أن عمق الأرض وعمق الهواء غير متناه . ولكن أمبيدقل يبطل هذه النظرية اذ يبين فى انتقاده المحكم أنه إذا كانت الاشياء كما يزعمون فمن المحال مطلقا ان تكون البتة .

« ان أسس الكرة والاثير غير الملموس التى كثر ما يكلموننا عنها ليست الا كلمات فارغات يكررها لسان الحمقى بلا داع » .

٢١ - لكن العالم يمكن أن يكون واحدا من غير أن يكون هناك سخر فى افتراض أنه ليس متشابهة فى جميع أجزائه . وفى الحق إذا كان العالم كله ماء أو كله نارا أو أى عنصر آخر من هذا القبيل فيمكن جيلنا أن يقال بوجود عدة أشياء ولو أن الموجود يبقى واحدا وأنه يلزم دائما

§ ١٩ - بعضها أصغر - حتى من غير اختلاف الامتدادات يكفى أن توجد عدة أجزاء لتكون متميزة ولو كانت مع ذلك متساوية تمام التساوى . - من زيادة جسم ما - لا يمكن أن تكون زيادة ولا نقص لأى ما ما دام أن المقصود هو « الكل » . - متكررة وأكثر من واحد - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - على عظم غير متناه - عبارة النص بالضبط « غير متناهية فى العظم »

§ ٢٠ - قد يزعم اكسينوفان - رأى اكسينوفان هنا مذكور فى كتابه السماء ك ٢ ب ١٣ ف ٧ ص ١٩٤ من ترجمتنا . فى تلك الفقرة أيضا يذكر أرسطو انتقاد امبيدقل ويستشهد بالبيت عينه الذى استشهد به هنا .

§ ٢١ - أنه ليس متشابهة فى جميع أجزائه - ان تخالف الأجزاء لا يمنع الوحدة بل قد يكون شرطها . - بوجود عدة أشياء - أو بعبارة أخرى أن الموجزات متكررة بما هى موجودات خاصة ، وان هذا غير مانع وحدة المجموع . - لأنه لا يمكن - يتقرر ملاخ ان هذه هى نظرية ميليسوس التى يبطلها المؤلف ولا شىء فى النص يعزى أو يرفض هذا التقدير . - خلو فى باطن المتخلخل - اضطررت لاستخدام هذه الصيغة لتحصيل كل قوة النص الاغريقى . - باق هو ما هو - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - لما أن « الكل » ملء - يمكن أن تقدر هنا هذه العبارة « على رأى ميليسوس » على حسب تقدير ملاخ . ر . القطعة ٥ من قطع ميليسوس .

أن يكون كل واحد من هذه العناصر مشابها للذاته . لأنه لا يمكن أن يكون الجزء الفلاني متخلخلا والآخر كثيفا إلا أن يوجد خلو في باطن المتخلخل . ولكن لاشئ يمنع انه بالنسبة لبعض الاجزاء يوجد في المتخلخل خلو منفصل تماما بحيث انه جزءا بعينه من « الكل » يكون كثيفا وآخر بعينه يكون متخلخلا مع ان الكل مع ذلك باق هو ماهر . ولكن لما ان « الكل » مليء فالتخلخل حينئذ لا يكون أقل امتلاء من الكثيف .

٢٢ - وإذا كان « الكل » غير مخلوق فكيف يمكن ان يستنتج من هذا وحده أنه لا امتناه وأنه لا يمكن أن يوجد أيضا واحد بعينه أو آخر يكون متناهيا مثله ؟ ولماذا يستلزم كونه غير مخلوق التسليم فوق ذلك بأنه واحد وأنه لا امتناه بهذا السبب وحده ؟ وكيف حينئذ يكون اللامتناهي هو ذلك « الكل » الذي يتوهمونه ؟

٢٣ - يقول ميليسوس ان الموجود لا يتحرك اذا كان ليس ثم من خلو . لان الاشياء لا تتحرك البتة الا بأن تتغير بالاین . غير انه بادی بدء كثير من الناس من لا يوافقون على هذه النقطة ومع تسليمهم بوجود الخلو فانهم لا يقبلون أن يكون جسما . يمكن أن يعنى بالاشياء هنا نحو مايعنيه بها هيزيود حين يقول في الحلقة « انما هو انعماء انذى ظهر بادی الامر » مفترضا بذلك أنه كان يلزم قبل كل شئ أن يوجد محل للموجودات هذا هو مايعنى بالخلو الذى يعتبر كنوع آنية تكون خالية من وسطها .

٢٤ - على انه حتى مع عدم وجود خلو فان العالم يمكن ان يتحرك أيضا على السواء . وان انكساغوراس الذى اشتغل أيضا بهذه المسألة

§ ٢٢ - من هذا وحده - يظهر لى أن الرد واضح للغاية وما دام العالم واحدا فيظهر أن من الضرورى أن يكون لا متناهيا . لانه من المحال على عقائنا أن يفترض له حدودا .

- ولماذا يستلزم - هذا ليس فى معظمه الا تكريرا لما سبق . - يتوهمونه - صيغة النص صيغة جمع يمكن أن تعود على ميليسوس واكسينوفان وبرمينيد وزيون .

§ ٢٣ - يقول ميليسوس - « وهذا أيضا ليس ميليسوس مذكورا بالاسم » - بأن تتغير بالاین - تلك هى حركة النقطة . ولكن حركة الاستحالة يمكن أن تحصل من غير تغير فى الاین . هيزيود - ر . ما سبق . ب ١ ف ١٣ فى الحلقة - وأحسن من هذا « فى كون الاشياء » - « العماء الذى ظهر فى بادی الامر - العماء لا يشق بالخلو » . انه ، اذا شئت ، عدم النظام ولكن الاشياء . موجودة ما دام تدخل العقل ضروريا لتنظيمها . - هذا هو ما يعنى بالخلو - هذا متنازع فيه جدا فان العماء لم يكن ليفهم قط على هذا المعنى .

§ ٢٤ - فان العالم يمكن أن يتحرك أيضا على السواء - او « أن ذلك لا يمنع حصول الحركة » - انكساغوراس الذى اشتغل أيضا بهذه المسألة - وفى رواية بعض المخطوطات -

لم يقنع باثبات أنه لا يوجد خلو. بل أثبت فوق ذلك أن الموجودات تتحرك على سواء من غير أن يكون الخلو ضروريا .

٢٥ - وفي هذا المعنى عينه قال أمبيدقل ان الاشياء متى تم تركيبها تحركت طوال الزمان من غير أن يوجد ، على رأيه ، مالا يفيد في « الكل » ولا أن يوجد خلو كذلك . وفي الحق من أين يمكن أن يحدث الخلو ؟ يقول أمبيدقل لان الاشياء متى تركبت في صورة واحدة بطريقة أنها تؤلفه الوحلة :

« فلا شيء يكون خلوا ولا شيء زائد »

اليس يمكن في الواقع أن الاشياء تتحرك بعضها في بعض وأن الكل يكون دائريا مادام أن الشيء يتغير الى آخر وهذا الآخر الى ثالث . ومادام أن شيئا بعينه يتغير دائما آخر الامر الى الاول ؟ .

٢٦ - وفوق ذلك لا ينبغي نسيان تغير الصورة هذا الذي يغير الشيء ولو أنه يبقى في الحيز عينه ، تغير يسميه فلاسفة آخرون وميليسوس نفسه الاستحالة وإذا لا شيء مما قال يدفع ان هذا النوع من الحركة يوجد في الاشياء حينما تمر من الابيض الى الاسود أو من المر الى الخلو لانه ليكن الخلو غير موجود وليكن الملى لا يمكن أن يقبل شيئا فذلك لا يمنع الاستحالة أن تكون ممكنة .

= « الذي اشتغل بهذه المسألة من قبله » . - أنه لا يوجد خلو - . ر . الطبيعة لارسطو ك ٤ ب ٨ ف ٣ ص ١٩٤ من ترجمتنا حيث لا يظهر على ارسطو أنه قدر تقديرا حسنا نظريات انكساغوراس على الخلو كما فعل هنا .

٢٥ § - متى تم تركيبها - بواسطة العشق على حسب أمبيدقل وتم افتراقها بعد ذلك بالتنافر . ر . الطبيعة لارسطو ك ٨ ب ١ ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . - طول الزمان - ليس معنى ذلك أبديا ولكن المقصود هنا هو في مسافة من الزمان فيها السفيرسوس ينسبط أو ينقبض في ذاته (ر . تعليقات كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١ ف ١٠) . - يقول أمبيدقل - ر . قطع أمبيدقل البيتين ٩٤ و ١٦٦ من القطع الفلسفية الاغريقية طيمة فيرمين ديدو . - في صولة واحدة - هذه عبارة النص بعينها . - فلا شيء يكون خلوا البيت ليس مذكورا بتمامه في النص . - وأن الكل يكون دائريا - يظهر جليا أن هذا هو رأى أمبيدقل فان العشق والتنافر بفعلهما على التناوب يؤلفان تماما شكل دائرة .

٢٦ § - وميليسوس نفسه - وليس اسم ميليسوس مذكورا في هذه الفقرة أيضا . ر . ما سبق ب ١ ف ١ . الاستحالة - ر . في الطبيعة ما يختص بحركة الاستحالة ك ٣ ب ١ ف ٨ ص ٧١ من ترجمتنا وكذلك الكون والفساد ك ١ ب ٤ . - الاستحالة أن تكون ممكنة - حركة الاستحالة بما أنها تقع في الشيء ذاته لا حاجة لها بعيز جديد كحركة النقلة بل ولا كحركة النمو ذاتها .

٢٧ - وبالتالي فلا ضرورة لان كلا يكون أزليا وأن كلا يكون واحدا
أو لان « الكل » يكون لامتناهيا . ولا ضرورة أيضا لان يوجد عدة
لامتناهيات ولا وحدة متماثلة في كل مكان ولا وحدة غير متحركة سواء مع
ذلك وجلت الوحدة أو الكثرة .

٢٨ - ومتى سلم هذا لا يرى شيء في نظريات ميليسوس يدفع أن
الموجودات تتغير ترتيبا وكيفاً مادامت الحركة هي هكذا في الوحدة التي
تختلف حينئذ بأكثر وبأقل واتي تستحيل بطرائق شتى بدون أن
ينضم اليها شيء أو اذا انضم اليها شيء فيدون أنه يكون هذا الشيء
جسما وإذا كانت عدة اشياء هي التي تنضم فيدون الا تزيد على أن تمتزج
بعضها ببعض وتنفصل على التكافؤ .

٢٩ - ولكن الاختلاط ليس فيما يظهر هو الجمع أو التركيب المذين
يتكلم عنهما ميليسوس واللذين بدونهما ربما تنعزل الاشياء في الحال
بل بدونهما لا تظهر الاشياء باستقلالها التام الا بعد انه يباعد بين بعضها
وبين البعض الآخر اذ هي تحتاج ، في حين أنه يلزم لوجود اختلاط
حقيقي أن كل أجزاء الشيء المختلط تكون بحيث لا يمكن حل تركيبها

§ ٢٧ - وبالتالي - يظهر أن هذا هو ملخص الاعتراضات السابقة كلها ولكن النتيجة
لا يظهر أنها لازمة . - كلا يكون أزليا - كما يزعم ميليسوس . وهذه الجملة التي
هي معرفة في أكثر المخطوطات هي كما أوديعها الآن في مخطوطة ليبزج وكذلك في
ترجمة فليسيانو كما نبه اليه ملاح .

§ ٢٨ - في نظريات ميليسوس - بدلا من الاسم الظاهر ليس في النص الا ضمير
غير معين والظاهر أنه يكفي قبول حركة الاستحالة لينهزم دفعة واحدة منهج ميليسوس
في وحدة الوجود ولا تحركه . ترتيبا وكيفاً - عبارة النص بالضبط (أن تكون الموجودات
مرتبة على وجه آخر ولا تكون مستحيلة) . - بالأكثر وبالأقل - مثال ذلك أن تكون
أكثر أو أقل بياضا ، أكثر أو أقل سواد لان الكلام هنا هو بصد استحالة بسيطة وليس
مقصودا غيرها حتى ولا النسب . - فيدون أن يكون هذا الشيء جسما - الواقع أن
في الاستحالة ليست هنا اضافة ما من أي نوع كان . فان الاستحالة تقع بحركة للموجود
داخلية بحتة . أن تمتزج بعضها ببعض - كما يمكن الكيوف أن تختلط وأن تنفصل
على التكافؤ في موجود واحد أحد بعينه .

§ ٢٩ - اللذين يتكلم عنهما ميليسوس - الملاحظة ها هنا كالملاحظة السابقة فيما
يتعلق بذكر اسم ميليسوس الذي لم يذكر اسمه هنا أيضا . والظاهر أن العبارتين
المذكورتين في هذا الممر هي من خصائص لغة ميليسوس الفلسفية . - بدونهما - جملة
النص فيها من التحير والتردد ما في الترجمة وهاك شرحا يمكن أن يثير الفكرة : « لا يفهم
ميليسوس حق الفهم ما من الاختلاط اذ يسميه جمعا وتركيبا . وهو يظن أنه في الخليط
يمكن عند الإرادة عزل الاشياء من جديد في الحال أو على الأقل عزلها تماما بعد تنقية بها
يظهر كل واحد منها على الحالة الخاصة به . وليس الاختلاط هو ذلك أبدا . ولأجل أن
يكون حقيقيا يلزم أن تكون الاجزاء فيه مركبة تماما بحيث لا يمكن حل ذلك التركيب »

بعد . لكن بشرط أن كل واحد من الأجزاء المخلوطة يكون على وفاق تام مع مجموع الخليط لأنه بما أنه لا يوجد جواهر فردة فينتج من ذلك أن كل جزء هو مختلط مع كل جزء كيفما اتفق مشابه مطلقا لكل *

= وان كل جزء يكون مشابها مطلقا لكل الذي هو منه . لا يوجد جواهر فردة ومن ثم كل جزء من الخليط هو بالضرورة مشابه لكل الذي هو منه جزء كيفما اتفق « . -
لوجود اختلاط حقيقي - ر . على نظرية الاختلاط ما سبق في كتاب الكون والقسميات
ك ١ ب ١٠ . - بما أنه لا يوجد جواهر فردة - قد أبطل دائما أرسطو منهج الجزء
الذي لا يتجزأ لديمقريطس . ر . الطبيعة المرجع المذكور قبلا .

مذاهب إكسينوفان

الباب الثالث

نظرية اكسينوفان في حق الله - الازلية - القدرة - احدثية الله - يجب ان يتصور
كانه فلك الله منزعه عن الحركة والسكون ومنزعه عن ان يكون متناهيا ولا لا متناهيا .

١ - هو يقول ان يوجد من شيء فمحال ان هذا الشيء كان مخلوقا
مطبقا هذا في حق الله مادام انه يلزم بالضرورة ان كل ماهو كائن يتكون
من الشبيه او من اللاشبيه . وكلا الامرين غير ممكن ، فانه يادى بدء
ليس تولد الشبيه من الشبيه اولى من انه يلد الشبيه نفسه لان هذا يخالف
التضاييف المتكافى الذى بين المتساوين والاشياء . وثانيا ليس من الممكن
ان غير الشبيه يخرج من غير المشبيه . فاذا كان ، في الحق ، الاقوى
يخرج من الاضعف واذا كان الاكبر يأتى من الاصغر والاحسن من الاقبح
او بالعكس الاقبح من الاحسن فيكون حينئذ الموجود يأتى من اللاموجود
وهذا محال قطعا .

٢ - اذا يلزم ان يستنتج من كل هذا ان الله ازل . اذا كان الله
هو سيد الموجودات فيلزم ، على رأى اكسينوفان ، ان يكون ايضا أحدا لانه

§ ب ٣ مذاهب اكسينوفان - لا ريب في صحة هذا العنوان فان أربعة المخطوطات
مخطوطة سان مارك ومخطوطة الفاتيكان ومخطوطة أوربين ومخطوطة باريس تذكره بغاية
الوضوح - وبعض مخطوطات أخرى فيها هذا العنوان الخطأ : « في زينون » . وان بحث
النظريات مثبت قطعا ان الكلام انما هو يصدد اكسينوفان ر . ما منبق في «التحقيق» .

§ ١ - هو يقول ليس اكسينوفان مذكورا بالاسم هنا كما كان الامر في
ميليسوس ر . ما منبق ب ١ ف ١ . ولم أشأ ان أذكر اسمه في الجملة الاولى من هذه
الرسالة ولكنى سأفعل فيما بعد حتى تكون الفكرة اشد جلاء . ان يوجد من شيء - هنا
الشك ، فيما يرى « برنديس » مضاد لآراء اكسينوفان (Commentationes Elladicac)
ص ٢٧ ف ١ فهو يرى خطأ ان بداية هذا الباب تكرير لبداية الباب الاول على ميليسوس .
مطبقا هذا في حق الله - لا على العالم كما يفعل ميليسوس فيما يظهر . - تولد ...
يلد - هذا التكرير هو في النص . - بين المتساوين - بالكلم - والاشياء . - بالكيف .
- ولائيا - أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان .

§ ٢ - ان الله ازل - ان اسم الازل هو الاسم الخاص لله في كثير من الاحوال فان
الله هو الوجود بذاته والذي كان موجودا دائما كما انه يوجد دائما . جاء في التوراة «انا
الموجود» . وان فكرة اكسينوفان هي ما هنا تلك الفكرة بعينها . - على رأى اكسينوفان =

لو كان فيه اثنان أو عدة فمن ثم لا يكون اذا سيد جميع الموجودات ولا أكبرها مادام من ثم أن كل واحد من هذه الموجودات المتكثرة قد يكون مطلقا مشابها له تماما . ان ما يحقق الله في الواقع والقدرة الالهية انما هو أن يتسلط على وجه السيادة ولا يكون مسلطا عليه . أن يكون سيد الجميع وأقربهم . وبالنسبة مادام أنه ليس الاقلر فانه يفقد بنسبة ذلك شيئا من ألوهيته . وان كانوا عدة وكان بعضهم أعلى أو أدنى من الآخرين من بعض الوجوه فأولئك ليسوا آلهة بعد . لان ماهية الاله ألا يعلو عليه أحد . وان كانوا عدة متساوين فمن ثم ليس هذا بعد طبع الاله الذي هو أن يكون الاحسن لان المساوى ليس بالبداة أقبح ولا أحسن من مساويه .

٣ - ولما كان الله هو حينئذ كما ذكر آنفا لزم ضرورة أن يكون واحدا والا لا يمكن أن ينفذ كل مايشاء . لا يمكنه ذلك مادام فيه آلهة أخر . فيلزم حينئذ أن يكون أحدا

٤ - ولانه أحد فهو مشابه لذاته على الاطلاق . يرى من كل جهة ويسمع من كل جهة وعنده جميع الجهات على مقياس واحد . والا لزم أن بعض اجزاء الاله تكون حاكمه ومحكومة على التناوب . وهذا ممتنع بين الامتناع .

٥ - ولما كان الله مشابها لذاته مطلقا ومن كل وجه لزم أن يكون فلكيا لانه ليس كذلك في جزء بعينه دون أن يكونه في أى جزء أخر لكنه كذلك في جميع الاجزاء بلا استثناء .

= لم يذكر النص اسم أكسينوفان وليس هنا الا اسم اشارة غير معين . ر . ماسيق ف ١ - أكبرها - عبارة النص بالضبط « أحسنها » . ويلزم أن يلاحظ أن تدليل أكسينوفان هذا متين متانة وجلي جلاء . وقد تقسم بنحو قرن مذاهب سقراط وأفلاطون ويجب الاعتقاد بأنه رشح لتلك المذاهب . وكثيرا ما اتهم أكسينوفان بالشرك ولكن هذا الشرك لا أثر له هنا . لذا كان الله مدمجا في العالم فلا محل للقول بأنه المولى والقادر على كل شيء . - لان ماهية الاله - كما يستطيع عقل الانسان أن يفهمها .

٢ - لزم ضرورة أن يكون واحدا - الادلة اللاحقة ليست أقل في قوتها من السابقة . فان قدرة الله الكاملة تستتبع وحدانيته . وان الذي حصل هنا هو فكرة أكسينوفان دون عبارته . وقد حاول مللاج أن يقوم الابيات في هذا الموطن وقد قوم ثلاث منها ولم يذكرها طبعا في قطع أكسينوفان .

٤ - يرى من كل جهة - كان يمكن المؤلف أن يذكر بيت :أكسينوفان بنصه الذي حفظه لنا أيضا « سكستوس أميريكوس » . Adversus mathenoticos Physicos . ك ٩ ف ١١٤ ص ٥٩٦ طبعة ١٨٤٢ ينتقد سكستوس أميريكوس وصف الاله هذا ويرى أنه لا ينبغي أن يسند اليه الا حاسة واحدة البصر مثلا .

٥ - أن يكون فلكيا - تلك هي استعارة جاء بها أكسينوفان بعد أن عاب هو نفسه الصور الباطلة التي بها يحاول الضعف الانساني أن يتمثل بها الله . الله هو الفلك الذي =

٦ - ومادام الله أزليا أحدا فلكيا فينتج منه أنه لا يمكن أن يكون لا متناهيا ولا أن يكون متناهيا . فأنما الالموجود هو اللامتناهي ما دام ليس له أول ولا وسط ولا آخر ولا أى جزء آخر . وهذا هو اللامتناهي . ولكن الموجود ليس كالالموجود والموجودات مادامت متكررة فانها يحد بعضها بعضا على التبادل . فالأحد لا يمكن أن يشبه لا بالالموجود ولا بالموجودات المتكررة مادام الأحد لا يحده شيء .

٧ - الأحد - الذى اكسينوفان يسميه الله - لما كان كذلك لا يمكن أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركا . فان الالموجود هو فى الحق لا متحرك لانه لا موجود يأتي فيه ولا هو يمكن أن يذهب فى موجود آخر . ولا حركة الا متى كانت الموجودات أكثر من واحد لأن من الضروري للحركة أن واحدا يتحرك فى الآخر . ولا يمكن أن يتحرك شيء فى الالموجود مادام أن الالموجود لا يحد مطلقا فى أية جهة . وإذا كانت الأشياء تتغير بعضها الى بعض فحينئذ يكون الموجود أكثر من واحد .

= م كزه هو كـ . مكان والذى محطه ليس فى أى مكان . أفكار باسكال طبعه م . ٥ . هـ . ص ٣ سنة ١٨٥٢ . - بلا استثناء - قد أضفت هذا القيد . ويذكر ملاحظ بحق بقية مشابهة لهذه تماما فى كتاب السماء ك ١ ب ١ ف ٥ ص ٥ من ترجمتنا

٨ ٦ - لا متناهيا . . . متناهيا - يظهر على الضد أن معنى اللانهاية يمتشى تماما مع معنى الله فإن الأزلى معناه غير لمتناهي فى الزمان . والقدير معناه غير المتناهي فى القدرة . فأنما الالموجود هو اللامتناهي - انما يكون بمجرد سوء الاستعمال للألفاظ أن يخلط بين الالموجود واللامتناهي فان الالموجود ليس الا الالامتنين . وفى اللغة الدوائية المعنيان متساويان فى كلمة واحدة . - ولا أى جزء آخر - كل هذا هو من البداية يمكن ما دام أن الالموجود غير موجود . - يحد بعضها بعضا على التبادل - أو « هى متناهية بعضها بالنسبة للبعض الآخر » . - فالأحد لا يمكن أن يشبه - الا بنفسه . انه الموجود ما دام انه الكل وليس هو فى الكثرة ما دام انه الوحدة عندها .

٩ ٧ - الذى اكسينوفان يسميه الله - ليس اكسينوفان مذكورا هنا كما انه ليس مذكورا فى الفقرة الاولى . وقد يكون هذا الرأى هو سبب اتهام اكسينوفان بالشرك . لكن الله يمكن أن يكون أحدا مع تميزه عن العالم . - أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركا فى الواقع أن من العسير تصور أن الله لا متحرك كما هو من العسير أن يتصور فى حركة . أما عند أرسطو فانه المحرك غير المتحرك الذى يعطى الحركة للطبيعة بأسرها التى يجذبها اليه وهو باق هو نفسه فى سكون أبدى غير متجزئ ، ليس له أجزاء لا جسماني الخ ر . ك ٨ من الطبيعة الباب الاخير وما بعد الطبيعة ك ١٢ ب ٥ وراجع أيضا قطع اكسينوفان المقطوعة الرابعة التى حفظها « سمبليسيوس » و « تفسير الطبيعة لارسطو » الورقة ٦ *Fragmenta a philosophorum grecorum* طبعه فيرمي

ديلو ص ١٠١ . - فان الالموجود هو فى الحق لا متحرك - هذا هو تابع لنظريات اكسينوفان كما يدل عليه صوغ الجملة الاغريقية . - لانه لا موجود يأتي فيه - ما دام أن الالموجود هو غير موجود . - ولا حركة - عبارة النص ليست على هذا القدر من الضبط . - لان من الضروري للحركة - أضفت هذه الكلمات اذ ظهر لى أنها ضرورية =

٨ - فانظر كيف يزعم اكسينوفان أنه يلزم شيئان على الأقل أو أكثر من واحد لكن توجد الحركة ، وأن الاشياء هو في سكون ولا متحرك ، وأن الاحد على ضد ذلك لا يمكن أن يكون في سكون ولا أن يكون في حركة لانه لا يشبه الالاموجود ولا الموجودات المتكثرة .

٩ - ومن كل هذه الوجوه فهذا - على رأى اكسينوفان - هو الله أزلى أحد متشابه من كل جهة وفلكي لا لا متناه ولا محتناه لا هو في سكون ولا هو في حركة .

= في الا موجود - عبارة النص بالضبط « نحو الا موجود » . وهو ما يظهر لى قليل الضبط .

§ ٨ فانظر كيف يزعم اكسينوفان - عبارة النص غير معينة وليس هنا اسم اشارة ولكن صوغ الجملة بصيغة الحال يستتبع أن العبارة هي تحصيل فكرة اكسينوفان . - على الأقل - أضفت هاتين الكلمتين - الاشياء - هذا هو لفظ النص بعينه . - لانه لا يشبه ... - قد يكون الدليل غير قوى فيما يظهر بل يمكن أن يعلو الموجودات الى الا نهاية من غير أن يشبهها بوجه ما .

§ ٩ - على رأى اكسينوفان - الملاحظة عنها التي أبديت في الفقرة السابقة . فان اكسينوفان لم يسم هنا أيضا ولكن لا شك في أن الامر بصدده .

الباب الرابع

ابطال نظريات اكسينوفان - استشهاد من ميليسوس - كيف يلزم أن يعنى بقدرة الله - الله ليس فلكيا - أنه لا متناه - وحدانية الله ليست متافية لكونه متناهية - فى نفى الحركة عن الله فى الحركة التى يمكن أن تصورهما فى حق الله استشهاد من زينون .

١ - ننبه تنبيهها أولا ، وهو أن اكسينوفان كميليسوس يفترض أن كل مايولد ويصير يتولد من الموجود . ومع ذلك فماذا يمنع من أن مايولد لا يولد لا من الشئيه ولا من اللاشئيه بل يولد من اللاموجود ؟ ولكن الله ليس لا مخلوقا أكثر من الباقي اذا كانت كل الاشياء آتية من الشئيه أو من اللاشئيه . ذلك هو مالا يمكن . وبالنتيجة إما أنه لا شئ خارج عن الله وإما أن يكون سائر الاشياء هى أيضا أزلية .

٢ - ولكن اكسينوفان يقبل فوق ذلك أن الله هو المولى . يريد بذلك أن يقول انه الاقدر والاحسن . ليس هذا مايعتقده العامة وانهم ليقبلون أن الآلهة فى كثير من الاشياء أعلى بعضها من بعض . على ذلك لم يستعز اكسينوفان هذا الرأى الجرىء من اجماع العامة . ولكن متى قيل ان الله هو القادر على كل شئ فليس معناه أن هذا هو طبع الله بالنسبة لواحد آخر بل هذا هو شأنه الخاص بالنسبة لذاته . أما فى علاقته مع الغير فمن الجائز تماما أن الله لا يقدر عليه بعلوه وقوته التى ليس لها من شئيه بل بضعف الاغيار . وأنه لا أخذ يعنى على هذا الوجه قدرة الله بل

§ ١ - كميليسوس - ما هنا ميليسوس مذكور بالاسم وهذا دليل آخر على أن الجزء الاول من هذه الرسالة خاص به و . ما سبق به ١ ف ١ والتحقيق . - يفترض - عبارة النص هى على هذا المقدار من لقوة . يولد ويصير - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - ولا من اللا شئيه - هذه الكلمات التى ليست فى المخطوطات قد وضعها مللاج تبعاً لترجمة فيليسيانو . - ولكن الله ليس لا مخلوقا - يظهر أن هذا هو رد من أرسطو على مذهب اكسينوفان . ولكن من الجائز أيضا أن يكون ردا من اكسينوفان موجها للنظريات المضادة لنظرياته . - لا شئيه خارج عن الله - هذا الرأى هو من الآراء التى يمكن انها سببت اتهام اكسينوفان بالشرك . « خارج عن الله » هى رواية مخطوطة لبيزج وقد كانت موجودة فى ترجمة فيليسيانو كما نبه اليه مللاج بحق .

§ ٢ - اكسينوفان يقبل - كذلك ليس هنا اسم اكسينوفان أيضا . ما يعتقده العامة - أو « ما يجب أن يكون معتقدا طبقا للقانون » . أعلى بعضها من بعض - كذلك الآله « مارس » هو أشد الآلهة حربا وأشجعهم و « زهرة » أجمل الآلهات و « ميثرة » أحكمهم و « أبلاون » أعلمهم . . الخ . - لم يستعز اكسينوفان - لم يذكر هنا أيضا اسم اكسينوفان ولكن هنا ملح جميل للمذهب وللحجته . فانه كان ضد الآراء الشائعة فى زمانه . =

يفهم الناس أن الله له بذاته كل ما يوجد من الاحسن وأنه منزّه عن النقص
أيا كان ، وإن له كل ما هو طيب وجميل . وبهذه الكمالات كلها فله أيضا
كمال القدرة الكاملة .

٣ - حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم بوجود آلهة متعددة موصوفة
بالصفات عينها جامعة بين أكبر الكمالات الممكنة مادام أنها أكبر قدرة من
سائر الموجودات دون أن يكون بعضها أقوى من البعض الآخر ولكنه يوجد
أيضا على ما يظهر موجودات أخرى غيره .

٤ - في الحق هو يزعم أن الله هو القدير ، ويلزم ضرورة أن يكون
أقدر من بعض الموجودات . ولكن بهذا السبب وهو أن الله هو الاحد
لا يليق أن يقال أنه يبصر من كل ناحية ويسمع من كل ناحية لأنه ليس
لأنه قد لا يبصر من الجزء الفلاني أو الفلاني أنه لا يحسن البصر بل فقط
أنه لا يبصر من ذلك الجزء بعينه . بل ربما أيضا حينما يقرر أن الله يحس
من كل جهة كان معنى ذلك بالبساطة أنه بهذه الطريقة يكون أيضا أكمل
مادام أنه متشابه في جميع أجزائه .

٥ - إذا كان الأمر كما قرر آنفا فلماذا يعطى صورة ذلك ؟ لماذا لا
يكون أولى به شكل آخر مادام أنه يسمع من كل جهة ويرى من كل جهة؟
لأنه كما أننا حين نقول ان الأسبيداج أبيض في كل نواحيه لا نريد أن

= - بالنسبة لواحد آخر - كل هذا التدليل غاية في التعمق ويعطى فكرة متامة عن
عقد أكسينوفان . - التي ليس لها من شبه أضفت هذه الكلمات . - فله. أيضا
كمال القدرة الكاملة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . فإن عبارته فيها ما فيها
من الابهام . ولكن المعنى لا ريب فيه .

٥ ٣ - حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم - هذه هي بالتقريب كالملاحظة هومروس
ولو أن آلهة ذلك الشعاع بينها بعض التبعة فإن المشتري هو الأكبر والأقوى بينهم جميعا .
- موجودات أخرى غيره - أو « موجودات أخرى غيرهم » وقد أثبت تلقاء تردد النص أن
أرحم الضمير إلى الله عوضا عن الآلهة .

٥ ٤ - هو يزعم - حافظت على صيغة النص عوضا عن أن أكرر اسم أكسينوفان .
- من بعض الموجودات - هذا هو اصلاح من عند ملاح وهذا الاصلاح ضروري ، فيما
يظهر ، ولو أنه لا تميزه أية مخطوطات . ولكن فيليسيانو في ترجمته كان لديه رواية من
هذا القبيل قيمة يظهر . أن الله هو الاحد - كما يلعب أكسينوفان . - من الجزء الفلاني
أو الفلاني - ليس للنص على هذا القدر من الضبط .
- متشابه في جميع أجزائه - لا شك في أن أكسينوفان يريد أن يقول بالبساطة
أن الله شاهد في كل مكان .

٥ ٥ - كما قرر آنفا - على حسب نظرية أكسينوفان . - صورة ذلك - هذا في
الحق مذهب مضاد لأراء الفيلسوف الذي يعيب الصفات والصور التي يستند العاقل إلى

نعني شيئا آخر الا أن يكون البياض منتشرا في جميع أجزائه ، كذلك ما الذي يمنع حينما يقال ان الله يرى ويسمع ويتسلط من كل مكان أن يفهم أن أى جزء من الله كيفما اتفق ، له دائما هذه الصفات ؟ ولا يلزم لذلك بعد أن يكون الله فلكيا كما لا يلزم أن يكونه الاسبيداج .

٦ - وفوق ذلك كيف يمكن أن الله من حيث هو جسم ومن حيث ان له عظميا لا يكونا متناهيا ولا لامتناهيا مادام اللامتناهية انما يقع على ما ليس له حد مع قابليته لأن يكون له حد ؟ فاما الله فيجب أن يقع على العظم وعلى العدد وعلى كل كمية . . . ايا كانت بحيث ان عظميا لاحد له هو يسمى لامتناهيا .

٧ - ومتى جعل الله فلكيا فمن الضروري أن يكون له حد لان له نهايات مادام أن له مركزا على أبعد مسافة ممكنة من الحد . وإذا لابد له من مركز مادام فلكيا ، اذ أنه يعنى بفلكي ماله مركز على مسافة متساوية من النهايات . ولا فرق بين أن يقال ان للجسم حداً وأن له نهايات .

٨ - اذا كان اللاموجود لا متناهيا فام لا يكون الوجود لامتناهيا كذلك ؟ ما المانع أن يكون للموجود وللماوجود بعض كيوف مشتركة

= الالهة . ذلك هو أيضا قليل الشبه بالمقول كمنهيب المشبهة المعروف . - يسمع من كل جهة - الفلك هو الوحدة وهذا التصوير لا يتفق ومعنى أن الله لا متناه . - ان الاسبيداج ابيض في كل نواحيه - هذا التشبيه بالاسبيداج ليس متقادا ويظهر عليه نوع من التسلط . - أى جزء من الله كيفما اتفق - هذه النظريات ينبغي أن تظهر اشد ارتقاء عن الزمان الذي كان يقرضا فيه اكسينوفان . ولا يمكن الشك في انها نظرياته مع الشهادات التي نقلها لنا :لزم القديم أجمع . - أن يكونه الاسبيداج - راجع ملاحظتنا على التشبيه بالاسبيداج . ومع ذلك فان الفكرة صحيحة في موضوعها ولو كان في شكلها شئ من الشذوذ .

§ ٦ - وفوق ذلك - رد جديد من المؤلف على نظريات اكسينوفان . - متناهيا ولا لا متناهيا - في الحق من المحال على عقلنا أن يفهم الله الا على جهة اللامتناهية . - ما ليس له حد - هذا حق ولكن ماسيل ليس كذلك حقا فان ما هو قابل لان يكون له حدود لا يمكن أن يكون ابدا لا متناهيا حتى ولو لم يكن له حدود . وهذا ليس الا اللامحدد واللامعين . - عظميا لا حد له هو يسمى لا متناهيا - وربما كان الاولى أن يقال « كما » وحينئذ يكون التعبير أعم .

§ ٧ - ومتى جعل الله فلكيا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - فمن الضروري أن يكون له حد - هذا يناقض فكرة لا نهاية الله ، والرد شديد القوة . - اذ أنه يعنى بفلكي - هذا في الواقع هو تعريف الفلك كما هو تعريف الدائرة على السواء بفارق واحد هو ما بين الجسم وبين السطح . - حدا . . . نهايات - هذا التماثل موجود في اللغة الفرنسية كما هو في اللغة الاغريقية لانه في الاثنون دون أن يكون في اللفظ فقط .

§ ٨ - اذا كان اللاموجود لا متناهيا - هذه الرواية هي التي كانت عند فيليسيانو كما تدل عليه ترجمته وهي الوحيدة التي يمكن قبولها بالنظر الى سياق النص وان كانت =

ومتماثلة ؟ فانه لا يمكن فعلا أن يحس اللاموجود . وكيف يحس مالميس موجودا . وكذلك يمكن تماما ألا يحس فعلا ماهو موجود . يمكن قول الاثنين معا ونصورهما معا اللاموجود ليس أبيض ولكن هل ينتج من ذلك وجوب القول بأن كل الموجودات بيض حتى لايسند شيء واحد الى الموجود والى اللاموجود ؟ أو لا يمكن أن يوجد بين الموجودات واحد لا يكون أبيض ؟ وإذا كان الامر هكذا على تقيض القاعدة العتيقة أن الموجود لا ينحصر في أن يكون له أكثر منه في ألا يكون له فاللامتناهى قد يقبل أيضا سلبا ثانيا . وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لامتناهيا أو أن يكون له حد .

٩ - ولكن ربما يكون من غير المعقول أن تلزق اللانهاية باللاموجود . فانه لا يمكن أن يقال على كل شيء انه لامتناه لا لشيء الا لانه ليس له حد ، كما أنه لا يقال مثلا على اللاموجود انه غير متساو .

١٠ - ولكن بما أن الله واحد فلماذا لا يكون له حد ؟ لا شك في

= لا توجد في المخطوطات . - بعض كيف - « أو حالات » عبارة النص غير محجرة . - يحس ما ليس موجودا - ظننت واجبا على أن أضيف هذه الجملة . فان هذا التكرير ليس في النص . - الاثنين - اللذين ينطبقان على السواء على الموجود وعلى اللا موجود . وفي الحق أن مالا يحس ومالا يدرك بوجه ما هو بالنسبة لنا كأنه لا موجود ولو كان موجودا انه بالنسبة لنا هو اللا موجود ولو لم يكنه في الواقع . - وجوب القول - ليس النص على هذا القدر من السعة .

- لا يكون أبيض - كما أن اللا موجود لا يكون كذلك . - سلبا ثانيا - ليس المعنى بين الظهور لأن اللا متناهي ليس هو ذاته سلبا . فانه لا سلبه الا في الإل محدود واللامعني . وقد يمكن التدليل من جهات نظر شتى على أن اللا متناهي أقوى وجودا من المتناهي أو بالأولى هو الموجود الحقيقي الوحيد . من هذا ترى كيف أن الله هو لا متناه من أية ناحية يعتبره عقلنا الضعيف سواء في الزمان وفي المكان وفي القدرة وفي العدل وفي الرحمة ... الخ . - القاعدة العتيقة - لا أعرف مؤلفا آخر قد ذكر هذه القاعدة . وربما كان لهذا المعنى آخر غير المعنى الذي اخترته وقد يعنى به بالبساطة « على ضد ما ذكر آنفا » . وكنت أختار هذا المعنى اذا كانت هذه العبارة كررت ولو بجزئها فيما تقدم . ولكني لا أراها جلية فيه . - وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لا متناهيا - لا يظهر أن هذه النتيجة لازمة ولكن الفكرة صادقة . فانما الموجود في الواقع هو اللا متناهي في حين أن اللا موجود لا يمكن أن يسمى بهذا الاسم الا بالنسبة للموجود الذي هو سلب له .

§ ٩ - أن تلزق - يظهر لي أن هذا النوع من الابتذال موجود أيضا في النص . - اللا نهاية - والاحسن : « معنى اللا نهاية » . - لا لشيء الا لانه ليس له حد - بين أن الفرق كبير جدا بين اللا متناهي واللا محدود . - مثلا - أضفت هذه الكلمة . § ١٠ - لا شك في ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد . - ليست عبارة النص على هذا المقدار من البيان ولكن الفكرة بيّنة فيما يظهر ولو أن المخطوطات ليست متفقة =

ذلك ولكن لا يمكن ان يكون له حد . تلقاء اله آخر . اذا كان الله واحدا كله
فيأزم أن تكون جميع أجزاء الله لا تكون أيضا الا وحدة محضة . لانه
لا يفهم ، اذا كانت الاشياء المتكثرة يحد بعضها بعضا بالتبادل ، أنه يلزم
على ذلك أن الأحد يكون لا حد له . لان الكثرة والوحدة لهما غدة محمولات
متشابهة تماما والموجود مشترك بين احدهما وبين الاخرى . فقد يكون
من الغريب ان يذهب الى انكار وجود الله ، مادام وجود الكثرة امرا مسلما
حتى لا يشبه الله الاشياء في هذا المعنى .

١٦ - لماذا الله مع كونه واحدا لا يكون متناهيا ولا يكون له حدود
كما يقوله برمينيد وهو يعترف لله بالوحدانية حين يشبهه

وبالفلك المستدير تماما والمتساوي في جميع النقط ابتداء من المركز . . .
في الواقع أن شيئا يمكن أن يكون له بالضرورة حد من غير أن
يكو ذلك بالاضافة الى شيء ما . كما انه ليس من الضروري أن
ماله حد يكون له حد اضافي كالتناهي بالنسبة لغير المتناهي الذي يليه .
أن يكون متناهيا انما هو أن يكون له نهايات ، ولكن ماله نهايات ليست
له بالضرورة بالنسبة الى شيء ما . بل يوجد بعض أشياء تكون مع متناهية
وملامسة شيئا ما ، ولكن من الاشياء أيضا ماهي متناهية وليست كذلك
بالاضافة الى شيء ما .

= الرواية . - تلقاء له آخر - عبارة النص « تلقاء اله » ومع ذلك فان كل هذا الموطن قد
اصحح تبعا لما ارتأى « براندين » وتبرره ترجمة فيليسيانو .

- وحدة محضة - في هذا ما في الملاحظة السابقة . - الأحد يكون لا حد له -
ليس ما هنا رواية أخرى ولكن الفكرة ليست جلية البيان ولو أن العبارة ذاتها جلية
فان الموجود مفهوما على جهة الوحدة التي تشمل الكل هو بالضرورة لا متناه . - الكثرة
والوحدة - ر : ما سبق ب ٨ حيث الموجود واللا موجود مقارنان أيضا في هذا المعنى .
- وجود الله . . . وجود الكثرة - هذا التكرار هو في النص . - في هذا المعنى - عبارة
النص هي كذلك مبهمة . والتناقض المشار اليه ما هنا قد تكرر في نظريات الاسكتلنديين
وقد ذهبوا فيه الى حد انكار الوجود على الأحد كما كانوا يتصورونه مع اثباتهم الوجود
للأشياء الجزئية .

١٦ ك - كما يقوله برمينيد - هذا البيت قد ذكره أرسطو بجزئه في الطبيعة
د ٣ ب ٩ ف ٤ ص ١٢٦ من ترجمتنا . ر . أيضا مقطوعات برمينيد البيتين ١٠٣
و ١٠٤ طبعة فيرمين ديدو . - ابتداء من المركز - أو « من مركزه » هذا هو تعريف
الفلك كما تعطيه الهندسة - من غير أن يكون ذلك بالاضافة الى شيء ما - الظاهر على
حد ذلك أن معنى الحد يستتبع ضرورة معنى الاضافة . - حد اضافي - أو بالاضافة الى
شيء ما . - وملامسة شيء ما - هنا هو معنى المتناهي بعينه . - وليست كذلك بالاضافة
الى شيء ما - كان ينبغي أن يذكر المؤلف هذه الاشياء على نحو أضبط من هذا .

§ ١٢ - ومن جهة نظر أخرى القول بأن الموجود والاحد ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك بحجة ان اللاموجود لا يتحرك انما هو قول من الغرابة بمكان ماسبقه على الاقل . انه لا تماثل قطعاً ، كما قد يمكن ان يظن ، بين ان يقال ان شيئاً لا يتحرك وبين ان يقال انه لا يتحرك . فمن جهة انما هذا هو سلب للحركة على جهة ما يقال على شيء انه لا يكون مساوياً وهذا يمكن ان يصدق حتى على اللاموجود ، في حين انه من جهة اخرى يقال على شيء انه لا يتحرك لانه فعلاً على حال ما ، كما انه يقال على شيء انه لا مساو ، فهنا السكون هو ضد الحركة كما ان على العموم جميع السلوب المكونة من همزة الازالة تنطبق على اضداد . حتى ان يقال على اللاموجود انه لا يتحرك ولكنه ليس حقاً ان يقال على اللاموجود انه في سكون . كما انه لا ينبغي ان يقال انه لا يتحرك وهذا ماله المدلول بعينه . ولكن اكسينوفان يستعمل في حق اللاموجود لفظ السكون ويقول ان اللاموجود هو في سكون لانه لانقله له .

§ ١٣ - وكما قلنا آنفاً قد يكون من الخطأ الجزم - لا لشيء سوى ان محمولاً يصلح حمله على المعلوم - بأن هذا القول لا يكون صالحاً بعد لتحمل على الموجود خصوصاً اذا كانت الكلمة التي تستعمل لذلك ليست الا سلباً نحو قولهم : لا يتحرك ولا ينتقل ؛ فاني اكرر انه كثيراً من

§ ١٢ - ليسا متحركين ولا يتحركان مع ذلك - ر . ما سبق ب ٣ ف ٧ وربما كان يلزم وضع صيغة المفرد موضع صيغة المثنى فان الموجود والواحد متحلمان كلاهما . - ان شيئاً لا يتحرك وبين ان يقال انه لا يتحرك - في اللغة العادية لا فرق بين هذين التمييزين . ولكنه يمكن أيضاً تمييزهما كما قد كان ما هنا . فمتى يقال على شيء انه لا يتحرك فذلك بان في طبيعته امكان التحرك ومتى يقال على ضد ذلك : انه لا يتحرك فذلك بما انه ممتنع الحركة على الاطلاق . - وهذا يمكن ان يصدق حتى على اللا موجود - ولو ان اللا موجود بكونه لا شيئاً يمكن ان يوصف بكل كيف او ان يسلب كل كيف على السواء . - لانه فعلاً على حال ما - العبارة مبهمة ولم اشأ ان احررها . - كما ان على العموم جميع السلوب المكونة - ربما لم يكن هذا الا تديلاً اضافته بعض المفسرين . - انه لا يتحرك - يعنى انه دائماً ينبغي ان يتكلم على اللاموجود بالصيغة السلبية . ومتى يقال على ضد من ذلك «موجود مساكن» «موجود لا يتحرك» فتلك ايجابيات لا يحتملها اللا موجود . وكل ذلك غرض دقيق . وهذا ماله المدلول بعينه - باعتبار ان لا فرق الا في شكل العبارة بعض الشيء . - اكسينوفان - عبارة النص هي «هذه ر . ب ٣ ف ١ وبه اف ا»

§ ١٣ - وكما قلنا آنفاً - ر . ما سبق ف ٨ وف ١٢ - ليست الا سلباً - سلباً له بالنتيجة علاقة باللا موجود أكثر منها بالموجود - اكرر - ر . ما سبق ف ٧ و ٨ - أيضاً على الموجودات التي يمكن حملها على اللا موجود - ليست أحاداً - أي لا تكون وحدة . وكل الاشياء الشخصية هي في هذه الحالة . تنتج الاضداد فيما يظهر - قد كان ينبغي ان يقال « الاضداد أعينها » كما يظهر ان ذلك ينتج من الامثلة المضروبة . - اما حركة واما

المجمولات ما يجوز حمله أيضا على الموجودات لأنه يوجد أشياء كثيرة لا يصدق عليها القول بأنها ليست آحادا بحجة أن المدوم ليس واحدا .
ثم انه يوجد اشياء فيها السلوب بعينها تنتج الازدواج فيما يظهر . فمثلا من الضروري أن يوجد اما مساواة واما لا مساواة ما دام هناك كم ؛ وانه كذلك يوجد اما زوج واما فرد مادام هناك عدد . وكذلك ايضا يلزم ان يوجد اما حركة واما سكون ما دام هناك جسم .

§ ١٤ - غير أنه اذا قيل ان الله والاحد لا يتحرك البتة لان الاشياء المتكثرة تتحرك بعضها نحو البعض الآخر ، فما الذي يمنع ايضا أن الله يتحرك بأن يسعى نحو شيء آخر ؟ هذا قطعاً ليس لانه ليس الا الله بل لانه لا واحد احد الا الله . واذا لم يتحرك هو ذاته فما المانع ان اجزاء الله يتحركها بعضها نحو بعض أن يكون الله هو أيضا له حركة دائرية ؟

§ ١٥ - لكن على هذا لا يكون بعد واحدا كما يعنى زينون انما هو متعدد كما قد نبه اليه ، لان زينوناً يقرر أن الله جسم سواء جعله هو الكل الذي نرى أو سماه باسم آخر . واذا كان الله لا جسمانيا فكيف يكون في الواقع فلكيا ؟ ويلزم أن يكون لا جسمانيا أعني لم يكن أصلا لكي لا يكون له حركة ولا سكون . واذا كان جسمنا فما المانع أن يتحرك كما قد قيل ؟

= سكون - هذه النتيجة ليست أقل ضرورة من الاثنتين الاخرين . غير أن المقابلة الصريحة لا توجد الا في المثل الاول حيث المساواة والا مساواة معبر عنها بكلمتين اصلهما واحد ولا تختلفان الا بالسلب وفي المثل الثاني والثالث والكلمات مختلفة ولها جميعا صورة الايجاب ولم أستطع في لغتنا « الفرنسية » أن أحصل هذه الفروق مع شدة رغبتى فيها .

§ ١٤ - لا يتحرك البتة - قد حفظت صيغة المفرد لأن الله والاحد متحدثان . - بأن يسعى نحو شيء آخر - قد حافظت على تردد النص ولكن الفكرة ليست صحيحة لأن الله بأنه في كل مكان لا يمكن أن يتحرك كالموجات الجزئية نحو مكان لم يكن فيه . ليس الا الله - الفكرة تبقى غامضة كالعبارة خصوصا متى اذكر ان اكسينوفان فيما سبق قد جعل الله على كل شيء قديرا .

اجزاء الله - هذا فيما يظهر ادماج الله والعالم كما قد اتهم به اكسينوفان . - له حركة دائرية - باعتبار ان الحركة الدائرية هي وحدها التي يمكن ان تكون لا متناهية وأزلية .
الطبيعة ٨٥ ب ١٢ ص ٥٢٩ من ترجمتنا .

§ ١٥ - زينون - ان ذكر زينون بالصراحة يجيز الاعتقاد ، فيما يظهر ، بأن هذه الرسالة يجب ان يكون لها جزء رابع فيه الكلام على زينون كما ان الكلام في الثلاثة الاخر على ملبسوس واكسينوفان وغريباس ر . ما سبق في التحقيق - انما هو متعدد - الترجمة الحرفية للنص هي « كثير من الاشياء » - الذي نرى - ليس النص على هذا القدر من الضبط يكون في الواقع فلكيا - كما فيما سبق في ١١ في بيت برمينيد - ان يكون لا جسمانيا - هذا هو بالضبط ما يؤيده ارسطو في الباب الاخير من الطبيعة ٢٦٦ ص ٥٦٩ من ترجمتنا
كما قد قيل - او « كما قد قلت آتاه » .

مذاهب غريغاس

الباب الخامس

النظريات الثلاث الاصلية لغريغاس : على الوجود وعلى امتناع العلم وعلى نقل العلم
- على النظرية الاولى يجمع غريغاس بين الآراء السابقة - ميليسوس وزينون - بسط
مذهب غريغاس في امتناع الوجود والمعلوم على السواء .

§ ١ - هو يقرر ان لا شيء بموجود حقيقة ، وانه ان يوجد من شيء فهذا
الشيء يبقى مجهولا عندنا ، وانه انما يوجد شيء ويمكن لامرء العلم به
فانه لا يمكن التعبير عنه للاغيار .

§ ٢ - فيما يتعلق بهذا القول الاول الذى هو أن لا شيء بموجود
حقيقة يؤلف غريغاس بين نظريات فلاسفة آخرين ، اذ يقررون افكارا
متناقضة في أمر الحقيقة كما تظهر لنا . اعتقدوا : هؤلاء أنه لا شيء الا
الوحدة وان الكثرة ممتنعة ؛ وأولئك ، على ضد ذلك ، أن الكثرة وحدها
هى الحقيقية وان الوحدة ليست حقيقية . ذلك بأن بعضهم يرون الاشياء
غير مخلوقة والآخرين يرونها مخلوقة .

§ ٣ - يؤلف غريغاس بين هذين الرأيين ليدلل هكذا ، « يقول انه
يلزم ضرورة ان كان شيء موجودا أن يكون هذا الشيء لا واحدا ولا كثره ،
وأن تكون الاشياء لا غير مخلوقة ولا مخلوقة » . وحينئذ لا شيء بموجود .
وإذا كان في الواقع شيء فيلزم أن يكونا اما احدهما واما الآخر » . فاما

§ ١ - هو يقرر - ر . ما سبق ب ١ ف ٣ وب ٣ ف ١ . غريغاس ليس مذكورا
هنا وشانه في ذلك شأن ميليسوس واكسينوفان . ولكن بخطوطة ليبزج عنوان هذا الجزء
من الكتاب : « فى ارسطو طاليس على غريغاس » ولا يمكن أن يكون ها هنا اقل شك فى
أمر الفيلسوف الذى يخصه هذا التحليل ر . لا شيء بموجود حقيقة - ر . فيما سبق ب ١
ما يتعلق بميليسوس وفما بعد تحليل سكستوس امپيريكوس لمذهب غريغاس .

§ ٢ - غريغاس - فى هذه الفقرة ايضا لم يسم غريغاس وليس بها الا فعل مستدال
ضمنير الغائب . كما تظهر لنا - او « كما تظهر لهم » . يرونها مخلوقة - ر . كتاب
السماء ك ١ ب ١٠ ص ٨٢ من ترجمتنا .

§ ٣ - يؤلف غريغاس - كذلك هنا لم يسم غريغاس . يقول ... لا واحدا ولا
كثرة - ر . ما سبق . تحليل سكستوس امپيريكوس فى اوله . ان يكون اما احدهما واما
الآخر قد حفظت عبارة النص فى تردها كله . وبعبارة اخرى « يلزم أن يكون ما كان

انه لا وحدة ولا كثرة وان الاشياء ليست لا مخلوقة ولا غير مخلوقة فانه يحاول ايضا ذلك اما كميليسوس واما كزينون بعد برهانه الخاص به اذ اثبت على طريقته ان الموجود واللاموجود لا يوجدان لاحدهما ولا الاخر .

§ ٤ - فعنده انه اذا كان ممكنا ان اللاموجود يكون اللاموجود فيكون اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود . لان هذا اللاموجود يكون اللاموجود ، كما ان الموجود يكون الموجود ، بحيث انه لا يمكن ان يقال على الاشياء انها تكون بأقوى من ان يقال عليها انها لا تكون .

§ ٥ - يقول غريغاس : « اذا كان اللاموجود موجودا فمن ثم لا يكون الموجود معه . مقابلة لانه اذا اللاموجود يكون قيلزم ان الموجود لا يكون . وبالنتيجة انه لا شيء بموجود ؛ الا ان يكون الموجود واللاموجود شيئا واحدا بعينه . ولكن انما هما في الواقع شيء واحد ومن ثم لا يوجد شيء . لان اللاموجود ليس يكون ، فالموجود ليس يكون كذلك ما دام انه مماثل للاموجود » . هذا هو تدليل غريغاس حرفا بحرف .

اما واحد او كثرة . ويلزم ان يكون اما مخلوقا واما لا مخلوقا » . اما كميليسوس واما كزينون - من هذه الفقرة التي قد ذكر فيها ميلسوس وزينون بالاسم يمكن استنتاج هاتين النتيجةين : اولا ان الجزء الاول من هذا الكتاب يتعلق تماما بميليسوس ، وثانيا ان هذا الكتاب ناقص منه جزء كان فيه تحليل آراء زينون كما حللت آراء ميليسوس واكسينوفان وغريغاس . ر . التحقيق . ان الموجود واللاموجود - عبارة النص حرفيا هي « ان الموجود واللاموجود لا يكونان » .

§ ٤ - ان اللاموجود يكون اللاموجود - كل السفسطة تعتمد على فعل « الكون » مسندا الى اللاموجود . وما دام انه يقال على اللاموجود انه كائن فيمكن ان يستنتج منه انه هو والموجود شيان . وتلك هي دقائق غير جدية . وقد احسن افلاطون وسقراط في انهما سخرا بهذه السفسطة . ان يقال على - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٥ - يقول غريغاس - ليس في النص الا ان الفعل مسند الى ضمير الغائب ولم يسم غريغاس ولكن اضطررت لظهاره لبيان الفكرة في الترجمة . مقابلة لفظة المقابلة اعم من التضاد . ر - المقولات ب ١٠ ص ١٠٩ من ترجمتنا . شيئا واحدا بعينه . ويظن غريغاس انه قد برهن على انها متماثلان . - ومن ثم لا يوجد شيء - قد يمكن ايضا ان يستنتج منه ان الكل موجود الموجود واللاموجود على السواء . وتكون هذه النتيجة صحيحة كالاخرى . - حرفا بصحرف - اضفت هذا القيد لاحصل قوة النص الانغريقي .

الباب السادس

نقش نظرية غريغاس الأولى - شاهد من ميليسوس وزيونون - الوجود والا موجود لا يشتهان . والحركة هي ممكنة - شاهد من مقالات لوكيس - نقش نظرية غريغاس الثانية على امتناع العلم . ونقش النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعينه كسبه - ايلان بان نظريات الفلاسفة القدماء مستدرس بعد دراسة خاصة .

§ ١ - لا ينتج البتة من ادلة غريغاس ان لا شيء يوجد . لانك ترى كيف يدل على الاشياء التي يحول اثباتها . اذا كان الالموجود يوجد او بعبارة اعم لو ان الاشياء يوجد فالموجود هو كذلك الالموجود على السواء .

§ ٢ - ولكن لا يظهر البتة ان الامر هكذا ولا انه هناك ادنى ضرورة لان يوجد الالموجود . كما يكون الحال في شيئين أحدهما يكون حقيقة والاخر لا يزيد على ان يظهر . فيلزم بالضرورة ان يكون أحدهما حقا والاخر ليس كذلك . كذلك من ان الالموجود لا يوجد لا ينتج ان الاثنين أو أحدهما يجب ان يكونا أو ألا يكونا . يقول غريغاس : لان الالموجود ليس بأقل وجودا من الوجود اذا كان « ليس يكون » هو أيضا شيئاً ما . لذلك لا يقال البتة ان الوجود يكون البتة بأى وجه كان فاذا كان الالموجود هو في حالة الوجود فحينئذ لا يكون الالموجود على النحو الذي يكون عليه الموجود لانه ليس الا في حالة الوجود بخلاف الموجود فانه موجود فعلا .

§ ١ - ادلة غريغاس - هنا أيضا ليس غريغاس مسمى . وليس في النص كما قد سبق الافعل مسند الى ضمير الغائب . يحاول اثباتها - عبارة النص بالقبض : « التي يبرهن عليها » . وقد ظهر لي ان أسلوب عبارتي أفضل . لو ان الاشياء يوجد - هذه عبارة النص نفسها وربما كان الاحسن ان يقال « اذا لم يوجد شيء » . فالموجود هو كذلك الالموجود على السواء - يعنى ان الموجود هو الالموجود كما هو الموجود على السواء .

§ ٢ - أدنى ضرورة - أدنى ضرورة للبرهان الذي يلجئ الى الاستنتاج الموجه لجهة او لاخرى . - لايزيد على ان يظهر - عبارة النص هي فقط « يظهر » - من ان الالموجود لا يوجد - عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . - يقول غريغاس - اسم غريغاس ليس مذكورا . - اذا كان « ليس يكون » هو أيضا شيئاً ما - التناقض بين بيان حتى في الالفاظ . ولكن السفسطائي ما كان لينظر في الامر عن كثب هكذا . - لا يقال البتة لا أحد الا السفسطائيين كغريغاس والاخرين يعنى البتة بان يؤتى الالموجود اقل حقيقة ولا ادنى وجود . - في حالة الوجود - انما يدور الاتهام على صيغة المصدر مادام ان الالموجود هو الالموجود فانه موجود في الحقيقة كالوجود سواء بسواء . - على النحو الذي يكون عليه الموجود الجواب ليس قاطعا .

§ ٣ - إذا كان حقا أن الوجود قد وجد بطريقة مطلقة فيكون على الأقل عجيبا أن يقال أن الوجود موجود . ولكن إذا كان هذا . هكذا بالمصادفة فكيف إذا يكون الحال أبدا بالنسبة للأشياء التي يرجع في أمرها أن تكون على ألا تكون ؟ لأنه يظهر أن النقيض نفسه قد يمكن أن يكون حقيقيا أيضا .

§ ٤ إذا كان الوجود يكون وكان الموجود يكون أيضا ، إذا فإلعل موجود مادام أن كل ما هو موجود وكل ما ليس بوجود كلاهما كائن من غير فرق ، وأنه ليس من الضروري البتة إذا كان الموجود كائنا أن يكون الموجود غير كائن . عبثا يقال أن الوجود يكون والموجود لا يكون فان ذلك لم يؤثر شيئا في أن جميع الأشياء موجودة ما دام أننا لو صدقنا ذلك القول لأصبحت الأشياء التي لا تكون كائنة

§ ٥ - ولكن إذا كان « يكون ولا يكون » شيئا واحدا فمن ثم لا يمكن أن يقال بعد على شيء أنه يكون كما لا يمكن كذلك أن يقال عليه أنه لا يكون لأنه كما أن غريغاس يقرر أنه إذا كان الوجود والموجود هما شيئا واحدا ، فالموجود ليس يكون بأشد وجودا من الوجود بحيث ينتج أن لا شيء بموجود . كذلك يمكن أن يؤيد العكس أن الكل موجود لأنه لما أن الوجود هو كالموجود تماما فيستنتج منه أن الكل موجود بالحقيقة .

§ ٢ - قد وجد بطريقة مطلقة - أي على حد سواء هو والموجود ذاته - عجيبا ربما كان في الأسلوب الإغريقي نوع من التحكم يناسب في الواقع كل المناسبة الرد على هذه الدقائق في أمرها أن تكون على ألا تكون - هذا بين بذاته ولكن غريغاس إذا ينال الظفر وقد استنتج منه أن لا شيء بموجود . فالليل حينئذ مزدوج الغاية فانه يمكن أن يستنتج منه الوجود كما يستنتج منه الوجود سواء بسواء - النقيض نفسه - يعني « نقيض ما يقال هو أيضا حقيقيا كالذي يقال » .

§ ٤ - الوجود يكون - كما يزعم غريغاس - كلاهما كائن - احتفظت بمعبارة النص أن لم تكن قطعية فان الوجود حقيقة كالموجود فان السلب صادق كالإيجاب سواء بسواء . - من غير فوق - أضفت هذه العبارة التي تؤخذ من أسلوب النص . ليس من الضروري البتة - من حيث أن في نظريات غريغاس ، المتناقضات صادقة على السواء وإن الأمر وضله يمكن إقامة الدليل عليهما أحدهما كالآخر - لو صدقنا ذلك القول عبارة النص هي « على حسب تدليل هذا يعني غريغاس » .

§ ٥ - شيئا واحدا - يعني في النظرية التي يعنى المؤلف بإبطالها - أن يقال بعد ليس النص على هذا القدر من الصراحة . كما أن غريغاس يقرر - عبارة النص هي « وهذا إذا كان الوجود والموجود هما شيئا واحدا بعينه - هذا هو أساس مبنية غريغاس . - أن لا شيء » . بموجود - وبعبارة أخرى أن لا شيء موجود لا صادقا ولا كاذبا . - العكس - أو بعبارة أخرى « بعكس القضية » - أن الكل موجود بالحقيقة - النص ليس على هذا القدر من السمة . ر . ما سئل في تحليل سكستوس أمبريكوس .

§ ٦ - بعد هذا الدليل هو يقيم دليلا آخر يقول : ان يوجد من شيء . فاما ان يكون هذا الشيء لا مخلوقا واما ان يكون مخلوقا . فاذا كان لا مخلوقا فهو لامتناه ، على ما يفترض غريغاس بحسب مبادئ ميليسوس ولكن اللامتناهى ليس فى مكان ما ، ما دام انه ليس فى نفسه ولا فى غيره . وحينئذ يكون اذا لا متناهيان أو عدة لا متناهيات هذا الذى فى الآخر وذلك الذى الآخر فيه . ولما لم يكن فى مكان ما فهو لا شيء ، على حسب أدلة زينون على حيز الموجودات . وبهذه الأدلة يستنتج غريغاس أن الموجود لا مخلوق .

§ ٧ - ولكن الموجود لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق . فانه لا يمكن فى الواقع أنه يكون قد خرج من الموجود ولا من المعلوم . لانه اذا كان الموجود يسقط وهو مخلوق فلم يكن اذا الموجود ، كما ان اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود من وقت ان يصير شيئا ما . ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن أيضا ان يأتى من اللاموجود ، لانه اذا كان اللاموجود لا يكون فممتنع من ثم أن يكون يتولد من لا شيء . واذا كان بالمصادفة اللاموجود يوجد فان الاسباب التى تجعل الموجود لا يأتى من الموجود هى عينها تجعله لا يأتى أيضا من اللاموجود الذى هو كائن .

§ ٨ - فاذا كان حينئذ من الضروري ، ما دام أن شيئا ما موجود ، أن هذا الشيء يكون لامخلوقا أو مخلوقا وأن كلا الأمرين ممتنع ، فينتج منه أنه ممتنع أيضا ان يوجد أى شيء ما .

§ ٦ - على ما يفترض غريغاس - كذلك هاهنا ليس غريغاس مذكورا بالاسم - ميليسوس - ميليسوس مذكور بالاسم صراحة ر . ما سبق به ف٢ والتحقق السابق . ولكن اللامتناهى ليس فى محل ما - وبما هو ليس فى مكان فيستنتج منه انه ليس موجودا البتة كما سيذكر فيما سيلي . زينون ر . ما سبق به ف٣ - على حيز الموجودات - زدت المضاف اليه الاخير . راجع فيما يتعلق بنظرية زينون الطبيعة لارسطو ك٤ ب٣ ف٦ ص ١٤٦ من ترجمتنا وبه ف١٠ ص ١٦١ - يستنتج غريغاس - ليس غريغاس مذكورا بالاسم والنص ليس على هذا القدر من البيان ر . ما سيلي تحليل سكستوس امبريكوس حيث هذا الدليل على بسطة من البيان .

§ ٧ - لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق - أو « أنه قد صار » هذا هو الجزء الثانى من تدليل غريغاس - فانه لا يمكن فى الواقع - على حسب تدليل غريغاس - يسقط - هذه هى عبارة النص بعينها ، فان الموجود ليصير يجب أن يفقد كرامة الوجود ويبتدىء فى ألا يكون بعد ليصير شيئا ما . - اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود - ولكن يظهر هاهنا ان اللاموجود عوضا عن أن يسقط فهو يسمو بوجه ما ليصير شيئا ما . وذلك ذقائن لقطبة . أيا كان يتولد من لا شيء - هذا هو مبدأ ميليسوس ر . ب١ ف١ - بالمصادفة - أضفت هذه الكلمة .

§ ٨ - لا مخلوقا أو مخلوقا - ر . ما سبق ف٦ وقد اضطررت الى استعمال لا مخلوق ومخلوق لأنى لم اجد خيرا منهما فى لغتنا (الفرنسية) ولكنهما لا تحصلان بالضبط معنى الكلمات اليونانية . فان شيئا اذا صار فذلك بانه ليس أزليا وبالأقل من جهة أن يصير وأن

§ ٩ - يقول غريغاس : رد على هذا انه اذا شئ يوجد فليزِم ان يكون هذا الشئ واحدا او كثرة . فاذا لم يكن لا واحداً ولا كثرة فينتج منه الا يوجد شئ . ذلك الشئ لا يمكن ان يكون واحداً ، لان « الواحد » يجب ان يكن لا جسمانياً واللاجسماني هو لا شئ ، كما يقول غريغاس متبعاً في ذلك رأياً يقرب كثيراً من رأى زينون . وبما ان الموجود لا واحداً ؛ فانه ليس ايضاً كثرة من باب اولى . ولكن الموجود بما هو لا واحد ولا كثرة فهو غير موجود البتة . وبالنتيجة يقول غريغاس ايضاً : اذا كان كذلك فما هو الا لاشئ . وفي الواقع اذا لم يكن لا واحداً ولا كثرة فانما هو ليس اياً كان .

§ ١٠ - يزيد على ذلك : لكن لا شئ ليس في حركة ، لانه اذا كان الموجود في حركة فلا يكون بعد هو . ما هو . وحينئذ الموجود لا يكون بعد واللاموجود يصير شيئاً . وفوق ذلك بما أن الموجود يتحرك وينقطع عن ان يكون متصلاً بانتقاله فعلى هذا المعنى هو لا يكون بعد . وبالنتيجة اذا كان متحركاً في جميع اجزائه فهو منقسم في جميعها على الاطلاق ، واذا كان هكذا فليس موجوداً البتة . وفي هذا الصدد يقول غريغاس : أن الموجود هو

يتغير بالنتيجة . فاذا كان على الضد ازيل ما كان ليصير بل يبقى هو ما هو . - ممتنع . . . ممتنع . هذا التكرير هو في النص . ر . فمباً سبيل هذا التدليل مبسوطاً بأكثر من ذلك في تحليل سكستوس امبريكوس .

§ ٩ - يقول غريغاس - النص لا يذكر غريغاس بالاسم وليس به الا فعل مسند الى ضمير الغائب . ر . فيما يتعلق بهذا الدليل الجديد تحليل سكستوس امبريكوس . - يقول غريغاس - ليس في النص اسم غريغاس . رأى زينون . - ما سبق آتفاً ٦ وبه ٣ - . يقول غريغاس ايضاً - لم يسم هنا ايضاً .

§ ١٠ - لا شئ ليس في حركة - هذا الجزء من تدليل غريغاس ليس موجوداً في تحليل سكستوس امبريكوس . وربما كانت هذه الادلة ضد الحركة متعلقة بزينون اكثر من سملها غريغاس . ولكن لا شئ في النص يدل على أنه يلزم نسبتها هنا الى زينون . - فلا يكون بعد هو ماضٍ - لأن الحركة تقتضي دائماً تغيراً . وحينئذ الموجود لا يكون بعد اذا كان الموجود لا يتعدم بأكمله فبالاقل يفقد منه جزء ويكون هو الذي يصير غير ما كان . - وينقطع عن أن يكون متصلاً - لا يرى لاشئ يمكن أن يكون هذا لازماً فان الموجود يمكن الا يفقد شيئاً من اتصاله بنقلته . في جميع اجزائه - عبارة النص ليست بينة جد البيان . يقول غريغاس - ليس في النص هنا ايضاً اسم غريغاس . - لوكيس فيميسى بمقالاته - يظهر أن المؤلف ، كما نبه اليه مللاخ ليس هنا واقفاً من كتاب لوكيس . و . قطع ديمقريطس للملاخ ص ٣٧٤ ، يقول ديوجين اللايرني ٩ ف ٤٦ طبعة فيرمين ديدو ص ٢٢٨ ان تيوقراسط كان ينسب الى لوكيس كتاباً معنوناً «نظام العالم الكبير» الذي كان المعتقد دائماً انه لديقريطس . ر . ايضاً فيما سبق آراء لوكيس على الحل في كتاب الكون والفساد ١ ب ٨ ص ٨٩ وقد يظهر جلياً على حسب هذه الفقرة الاخيرة أن لوكيس كان قد كتب بعض مؤلفات يظهر ان المؤلف قد استخلص منها ما يقوله .

ناقص من جهة ما هو منقسم - وهو يتكلم على التجربة عرضيا عن أن يتكلم على الخلو كما كتبه لوكييس فيما يسمى بمقالاته .

§ ١١ - يظن غريغاس انه في هذا قد وفي البيان حقه . يقول : اذا ثبت حينئذ ان لا شيء فالكل حينئذ يعزب عن علمنا . فليحسب بعد من ثم الا ما يتصور . واللاموجود ما دام انه غير كائن فلا يمكن البتة تصوره . ومتى كان هذا كذا من المحال ، على رأى غريغاس ، الا يكون هناك شيء باطل بل لا يكون خطأ ان يقال مثلا : ان العربات تدرج على امواج البحر لان كل هذا حق كما اننا نقيضه حق .

§ ١٢ - ولكن كيف توجد الاشياء التى ترى أو التى تسمح بهذا السبب وحده وهو ان يتصور كل واحد منها ! فاذا لم يكن ذلك هو السبب الذى يجعلها تكون ، واذا كانت الاشياء التى نتصورها لا توجد من أجل ذلك أيضا ، فهل للاشياء التى نشاهدها وجود أدخل في باب الحقيقة والفعل من الاشياء التى نتصورها ؟ .

§ ١٣ - فى الواقع ، كما أنه ممكن جدا أن كثيرا من الناس يشاهد الاشياء فكذلك من جهة أخرى كثير من الناس يتصورها أيضا . فالاشياء الذهنية هي اذا على الاطلاق مثل الاشياء الخارجية . ولكنه لا يدري أى الفريقين هو الحقيقى . وبالنسبة ان يوجد من شيء فمن المحال ان تكون الاشياء معلومة لنا .

§ ١١ - غريغاس - ليس غريغاس مذكورا هنا أيضا بالاسم . فالكل حينئذ يعزب عن علمنا - هذه هي النظرية الثانية لغريغاس . ما سبق به فى ١ وتحليل سكستوس أميريكوس . فلم يبق من بعد من ثم - ليس النص على هذا القدر من البيان . فلا يمكن البتة تصوره - وغريغاس مع ذلك يتصور اللاموجود مادام انه يتكلم عنه . وكل هذا مبسوط فى تحليل سكستوس أميريكوس . على رأى غريغاس - كذلك لم يسم هنا . العربات تدرج على امواج البحر . فيما سبيل تحليل سكستوس أميريكوس حيث هذا المثل مذكور ومضاف الى مثل غيره .

§ ١٢ - ولكن كيف - قد احتفظت بصيغة النص . ولكن من البين ان الجملة هنا غاية فى الاجاز وان الفكرة ليست مبسطة البسط الكافى . وتحليل سكستوس افضل فى هذا الوطن . لا توجد من أجل ذلك أيضا - لاننا نبصرها وفى هذه مجاوزة بالادوية الى مدى بعيد . ولكن تلك كانت هي عادة السفسطانيين اذ يلزم لهم ان يقتحموا الذوق العام .

§ ١٣ - هي اذا على الاطلاق مثل الاشياء الخارجية - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . والتعبير الاغريقى اعم ولكن المعنى بين الجلاء . ولكنه لا يدري - تلك سفطة محضة لانه فى هذا الخصوص ، اللادري لا يتردد أكثر من العامى ويستقد حقيقة ادراكاته . وبالنسبة - النتيجة ليست لازمة . وفى تحليل سكستوس هذا الدليل اقوى واعتن دون ان يكون بالغا حد القوة .

§ ٦٤ - يقول غريغاس : حتى مع التسليم بأنها معلومة لنا فهل يمكننا أن ننقل التعبير عنها الى الغير ؟ كيف يمكن الانسان ان يعلم غيره بطريق الكلام ما قد شاهده هو بالنظر ؟ وكيف يمكن الانسان لمجرد سماعه شيئا ان يفهمه جليا اذا لم يكن قد رآه ؟ وفي الواقع كما ان النظر لا يترك الأصوات كذلك السمع لا يسمع الألوان ولا يسمع آلا الاصوات ، فالذي يتكلم يتكلم كلاما ولا يتكلم لونا ولا أى شيء آخر ايا كان .

§ ٦٥ لكن كيف يمكن أن يلمس المرء في كلام الغير شيئا لم يكن هو نفسه قد تصوره ؟ هل يتفق بالمصادفة ان توجد دلالة اخرى ، تعطيك فكرة الشيء ان لم يكن لونه حينما يرى وصوته حينما يسمع ؟ لانك لمبدأ هاهنا على رأى غريغاس ليس هو لا الصوت ولا اللون بل هو مجرد الكلام . فلا يفكر الانسان لونا بل يراه ولا يفكر صوتا بل يسمعه .

§ ٦٦ - لنفترض ، اذا شئت ، أن ذلك ممكن وأن الذى يتكلم يعلم الشيء وعند الحاجة يمكنه ان يعرفه كيف أن الذى يسمع الكلام يكون موقنا بأنه يفهم الشيء بعينه على هذا النحو ؟ لانه ليس ممكنا أن يكون الشيء بعينه في آن واحد في كائنات عدة وفي كائنات منفصلة لانه حينئذ يكون الشيء الواحد عدة . يقول غريغاس : ولكن شيئا واحدا ولو كان في آن واحد في عدة أذهان وكان فيها هو بعينه فلا شيء يمنع أنه يظهر متماثلا عند جميع الاشخاص الذين هم انفسهم ليسوا متماثلين في الظاهر والذين هم ليسوا على استعداد واحد بعينه .

§ ٦٤ - حتى مع التسليم - مناقشة النقطة الثالثة - ما سبق به فـ ، وتحليل سكستوس امبيريكوس . - يقول غريغاس - ليس في النص الا فعل مسند الى ضمير الغائب . - لا يترك الاصوات - قد كان الاحسن ان يقال : « لا يدعى الاصوات » ولكن اتبعت النص الذى يتخذ تعبيرا عاما كالذى اتخذته . - فالذى يتكلم يتكلم كلاما - هذا التكرير في النص .

§ ٦٥ - ان يلمس - هذه هي عبارة النص بعينها . - بالمصادفة - أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة - دلالة اخرى - ليس النص ، على هذا القدر من الضيق . - على رأى غريغاس ليس غريغاس مذكورا بالاسم هنا . وان المعنى الذى اختاره في ترجمتي هو الاحسن فيما يظهر لي . ولكن يمكن أن تفهم هذه النقطة على وجه آخر : « الذى يتكلم لا يتكلم لا الصوت ولا اللون انه لا يتكلم الا الكلام » ولا يكون هذا الا تكريرا لما قيل آنفا . وهذا هو الذى حملنى على اتخاذ المعنى الذى اخترته .

§ ٦٦ - وعند الحاجة - أضفت هذه العبارة . - ان يعرفه - « أن يقرأ » متى كان مكتوبا . - يكون موقنا - عبارة النص « يفهمه » . - أن يكون الشيء بعينه في آن واحد - هذا يقتضى أن يكون الشيء حقيقيا في النهن كما هو في الخارج وهذا ما قد ذكر فيما سبق وعلى حسب هذه النظرية يمكن أن يقال على الشيء انه محال لا لشيء الا لانه مما في عدة أحيار أو موجودات . ومع ذلك ففي الفكرة شطط . - الشيء الواحد - عبارة النص « الواحد » . - يقول غريغاس - لم يذكر في النص اسمه . - في الظاهر - زدت هذه العبارة . - على استعداد واحد بعينه - عبارة النص غير محددة .

§ ١٧ - لنسلم أيضا أنهم في استبعاد واحد أفلا يكونون إذا اثنين بالاقول أو عدة ؟ ولكن الشخص بعينه ليس له في الوقت الواحد احساسات متشابهة فان سمعه وبصره يعطيان احساسات مختلفة ، والاحساسات التي به في الحال هي مغايرة لاحساسات سابقة . فباطل اذا أن تظن أن غيرك يمكن أن يكون له ادراكات شبيهة بادراكاتك في اى شيء كان .

§ ١٨ - على هذا لا يمكن العلم بشيء ما مع التسليم بوجود شيء ما . خصوصا انه لا يمكن البتة للانسان ان يعلم غيره ما يعلم هو ، لان الاشياء ليست اقوالا وانه لا شخص يمكنه البتة أن يفهم بالضبط ما يفهمه شخص آخر .

§ ١٩ - كل هذه المسائل المحيرة قد اثارها فلاسفة آخرون أقدم عهدا . وسندرس هذه النظريات عندنا البحث الذي سنعقده لمذاهبهم المختلفة .

§ ١٧ - أفلا يكونون إذا اثنين - ليس احتى بيتنا وقد حاولت أن أبينها بوضاعة كلمة « بالاقول » . ومع ذلك يظهر لى أنه يمكن قبول سلسلة هذه المعاني التي هي مؤلفة النتائج بعضها مع بعض . في الوقت الواحد - عبارة النص هي كالمباراة المذكورة في الفقرة السابقة ولكنه يكملها بأن اضاف اليها كلمة الوقت التي ربما يلزم أن تكون مقدرة في الفقرة السابقة .

§ ١٨ - على هذا لا يمكن العلم بشيء ما - ملخص نظرية غريغياس . ما سبق به ١٦ - مع التسليم بوجود شيء ما - النقطة الاولى التي كان يتكرها غريغياس الذي هو من التبصر والا أدريه بمكان .

§ ١٩ - أقدم عهدا - من غريغياس . وربما عنى هيرقليدس الاتفيزوسى - الذى سنعقده ليس النص على هذا القدر من الصراحة ولكن يظهر أنه يعد بكتاب آخر بعد هذا .

قطع من ميليسوس

١

قال سمبليسيوس في شرحه كتاب الطبيعة لارسطو (الورقة ٢٢) :
فلننظر اذا الى أدلة ميليسوس وهو الاول الذى انجى عليه أرسطو . ان
ميليسوس معتمدا على مبادئ الطبيعيين (١) في كون الاشياء وفسادها ؛
يبدأ كتابه بالعبارات الاتية :

« ان لم يوجد شيء كيف يمكن باى حال اعتبار هذا الاشياء كأنه
شيء ما ؟ » ان كان يوجد شيء ما فهذا الشيء اما مولود واما ازل . فان كان
مولودا وكان قد كون فهو لا يمكن أن يأتى الا من الموجود أو من اللاموجود
وتكن ليس ممكنا أنه ما ليس شيئا ، وبالأولى ما هو موجود على الإطلاق ،
يمكن البتة ان يأتى مما ليس موجودا . كما لا يمكن ايضا ان يأتى مما هو
موجود لان الموجود حينئذ يكون قد وجد ولم يكن به من حاجة الى ان يصير
وان يوجد . اذا الموجود لا يمكن أن يصير واذا فهو ازل . ومن جهة
اخرى الموجود لا يمكن ان يفسد ، لانه ليس ممكنا أن الموجود يتغير الى
لا موجود . وتلك هى نقطة يوافق عليها الطبيعيون . ليس ممكنا أيضا
أن الموجود يتغير الى اللاموجود لانه بهذه الطريقة أيضا الموجود يبقى ولا
يفسد . على ذلك فالموجود ما كان ليتمكن أن يولدا وانه لن ينعدم ، فقد كان
وسيكون أبدا . »

٢

سمبليسيوس . المرجع السابق

« لكن اذا كان ما قد ولد له أول فالذى لم يولد ليس له أول .
فاذا كان الوجود ليس مولودا فلا يمكن ان يكون له أول كذلك . ويمكن
أن يزاد على ذلك ان ما قد فسد له آخر ، ولكن اذا كان شيء غير قابل
للفساد فليس له آخر ممكن . اذا فالموجود بما هو غير قابل للفساد ليس
له من آخر . وما ليس له لا أول ولا آخر هو بهذا عينه لا متناه . واذا
فالموجود لامتناه . »

(١) الطبيعيون . هم فلاسفة مدرسة يونيا . ر . الطبيعة لارسطو ١٣ ب ٢ ٩٠ ص
٤٣٢ من ترجمتنا .

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا كان الموجود لا متناهيًا فهو واحد • لأنه اذا كان موجودا فلا يمكن ان يكونا لا متناهيين مادام انهما يحدان بعضهما بعضا • وبما ان الموجود هو لا متناه فالوجودات لا يمكن ان تكون كثرة • واذا فالوجود هو واحد » •

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا كنن الموجود واحدا فهو بالتبع لا متحرك • لان الموجود بما هو واحد هو على اللوام مشبه لذاته • الموجود بما هو باق على اللوام شبيها لذاته لا يمكن أن ينعدم ولا أن ينمو ولا ان يتغير ولا انه يتأثر ولا ان يضمحل • فاذا كان يعاني أدنى واحد من تلك التأثيرات فلا يكون بعد واحدا • لان موجودا يعاني حركة من أى جنس كان يتغير من حالة ما الى اخرى • والموجود لا يمكن ان يكون شيئا الا الموجود • وبالنتيجة الموجود لا يمكن أن يكون له حركة » •

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« ومن جهة اخرى لا شيء من الموجود يمكن ان يكون خلوا لان الخلو ليس شيئا • والاشيء لا يمكن أن يكون • واذا فالوجود لا يتحرك • لانه ما دام انه لا خلوا فلا مكان فيه يمكنه أن يتحيز • ولكن ليس ممكنا أن يخل الموجود في ذاته ما دام أنه يلزم على ذلك اذا أن يكون اكثر تخلخلا او اكثر كثافة مما هو • وهذا ممتنع لانا ان نتخلخل لا يمكن أن يكون مليئا كالكتيف وما هو متخلخل هو اشد خلوا مما يمكن الكثيف ان يكونه • اذا الخلوا لا يوجد • للحكم على الموجود أهو مليء أم لا فذلك يمكن معرفته بأن ينظر هل هو يمكنه او لا يمكنه ان يقبل في ذاته شيئا ما • فان لم يقبل فذلك بأنه مليء • وان يقبل فذلك بأنه ليس مليئا • لكن اذا لم يكن خلوا فمن ثم كل شيء مليء • واذا كان الكل مليئا فلا حركة بعد • لانه ليس ممكنا أن تقع الحركة في المليء كما نقوله حين نتكلم على الاجسام • واخيرا

فالموجود الذى هو الكل لا يمكن أن يتحرك فى الموجود ما دام أنه لا شيء خارج عنه ، ولا فى الالموجود ما دام الالموجود ليس موجوداً .

٦

مبيليسيوس • الورقة ٣٤

« لاثبات ان الموجود لا يمكن ان يكون قد خلق يعتمد ميليسوس على هذه القاعدة العامة : ما قد كان قد كان دائماً ويكون دائماً . لانه اذا كان قد ولد فى لحظة ما ، فيلزم انه لم يكن شيئاً قبل أن يولد . فاذا لم يكن شيئاً حينئذ فقد كان من « المتع أن شيئاً يولد من لا شيء » .

٧

مبيليسيوس • الورقة ٧ ، ٩ ، ٢٣

« قد وجه نقد الى ميليسوس هو ان لفظ البداية متعبد المعانى . فعوضاً عن أن يأخذ البداية بالاضافة الى الزمان الخاص بالموجود الدائن أخذ البداية بالاضافة الى الشيء تلك البداية التى لا يمكن ان تنطبق على الاشياء التى تتغير دفعة واحدة . فلفظ رأى ميليسوس ، حتى قبل ارسطوطاليس ، ان كل جسم متناه مع انه اذن ليس له الا قوة متناهية وان هذا الجسم معتبرا فى ذاته فهو دائماً على حد الزمان » بحيث انه بما ان له من جهة العظم بداية ونهاية يجب ان تكونا كلتاهما له على السواء بالاضافة الى الزمان . وعلى التكافؤ : ما له بداية ونهاية بالاضافة الى الزمان لا يمكن معاً ان يكون الكل . ومن أجل ذلك يسند ميليسوس برهانه الى البداية والنهاية مطبقتين فقط على الزمان . ولا يسمى بلا بداية وبلا نهاية ما ليس الكل . يعنى ما ليس معاً العالم اجمع . وهذا لا ينطبق الا على الاشياء التى لا اجزاء لها وغير المتناهية فى وجودها ، وينطبق على الخصوص على الموجود المطلق ما دام الموجود المطلق هو بالضبط الكل . وهاك مع ذلك أقوال ميليسوس اعينها :

على ذلك مالم يكن قد كون فهو كائن دائماً وقد كان دائماً وحيثكون دائماً ، فليس له أول ولا آخر ، ولكنه لامتناه . فاذا كان قد كون فيكون له اول لانه يكون قد بدأ يصير فى حين ما ، ويكون له ايضاً آخر لانه يكون قد انقطع ايضاً عن ان يصير . فاذا لم يكن قد بدأ قط واذا لم يكن قد انتهى قط فذلك بأنه قد كان دائماً ويكون دائماً بما انه ليس له لا اول ولا آخر لان ما ليس الكل لا يمكن أن يضل الى أنه يكونه .

كما أن الموجود أزلى كذلك يلزم أن يكون عظمة أبدية لا متناهية .

« ما له أول وآخر لا يمكن البتة أن يكون أزليا ولا لا متناهيا » .

« إذا لم يكن هو أحد فهو يعد آخر » .

إن لغة ميليسيوس نفسه يمكن أن تكون قديمة ولكنها ليست غامضة .
وقد يمكننا أن نضع تحت الانظار هذه المؤلفات العتيقة حتى يتها للذين
يقرونها أن يكونوا قضاة يحسنون الحكم في ايضاحات اضط وافي .
وهناك اذا ما يقول ميليسيوس ملخصا ما قد بسطه في الماضي ومتابعا نظريته
على الحركة :

« على هذا اذا فالعالم ، الكل ، هو ازلي لامتناه واحد ومتشابه . انه
لا يمكن ان يفنى ولا يمكن ان ينمو ولا يمكن ان تتغير صورته ولا يمكن
أن يقبل ولا يمكن أن يضمحل . فاذا هو غاني شيئا من ذلك فلا يكون
واحدا . وفي الحق انه اذا صار الموجود غيرا فيلزم ضرورة الا يكون متشابهها
وان الموجود الاول يفنى وانما الالموجود يصير . ولو اقتضى الكل ثلاثين
الف عام ليصير غيرا لانه يأن يفنى في كل ما يلي من الزمان » .

« ولكن لا يمكن ان تتغير صورته ، لان النظام المتقدم للعالم لا يتعدم
والنظام الذي لم يكن بعد لا يتكون . ولكن ما دام انه لا شيء يولد من

جديد وما دام انه لا شيء ينعدم وما دام انه لا شيء يتغير كيف يمكن ان
 شيء موجود اتفق يمكن ان تتغير صورته ؟ انه يكون قد تحول من قبل
 اذا كان يمكن ان يصير غير ما هو .

١٣

سمبليسيوس • المرجع السابق :

• انه لا يفعل لان الكل لا يمكن ان يفعل ما دام انه لا يمكن ان
 شيئاً قابلاً يكون ازلياً . ومن ثم لن يكون له بعد قوة شيء يكون في كمال
 الصحة . وكذلك هو لا يكون متشابها اذا كان يفعل . انه لا يمكن
 ان يفعل الا اذا فقد او كسب شيئاً . وبهذا وحده ينقطع عن ان يكون
 متشابها . كذلك ليس من الممكن ان شيئاً صحيحاً يفعل بأي ما كان
 لانه حينئذ الموجود وهذا الصحيح ينعدم واللاوجود يكون . والدليل
 عينه الذي ينطبق على الانفعال ينطبق ايضا على أي اضمحلال مالموجود .

١٤

سمبليسيوس • القطعة ٩ و ١٧ و ٢٤ :

• لا شيء من الخلو بموجود ، لان الخلو ليس شيئاً . وبما هو لا شيء
 لا يمكن ان يكون . الموجود لا يتحرك لانه لا محل يمكنه ان يستقر فيه
 ولكن الكل هو ملء . اذا كان خلو فالموجود يتحيز في الخلو . ولكن ما
 دام انه لا خلو فلا محل يستقر فيه . ما دام الكل ملئاً فلا حركة . كذلك
 لا يكون لا كثيفاً ولا متخللاً لانه ليس ممكناً ان يكون المتخلل مليئاً
 كالكثيف سواء بسواء . والمتخلل هو أخل من الكثيف . اليك كيف
 يلزم الحكم في الملء والخلو .

واذا كان شيء يتحيز او يقبل شيئاً ما فذلك بانه ليس مليئاً . فاذا
 لم يتحيز او اذا لم يقبل فذلك بانه مليء . اذا ليس الا الملء اذا لم يكن
 خلو . اذا كان اذا الكل هو ملئاً فلا حركة ممكنة .

١٥

سمبليسيوس • المرجع السابق الورقة ٢٤ :

• اذا تجزأ الموجود تحرك ، ولكن حينئذ لا يتحرك كله معا .

سمبليسيوس • ما سبق الورقة ١٩ :

« وإذا كان الموجود يوجد فيلزم ان يكون واحدا • وبما هو واحد يلزم في آن واحد الا يكون جسما • لانه اذا كان له سمك كان له ايضا اجزاء ولا يكون بعد واحدا » •

سمبليسيوس • شرح كتاب السماء • الورقة ١٧٣ :

« او سيب وهو يستشهد أرسطوقلس (Preparation Evangélique XV) هذا هو اذا الدليل الاقوى على اثبات وحدة الموجود • ولكن هاك من جهة أخرى أدلة تثبتها ايضا • ان كان موجودات متكررة فيلزم ان يكون كل واحد منها كالموجود الذى اثبتت وحدته • اذا كان الارض والنار ، واذا كان الهواء والحديد ، والذهب والنار اذا كان الحى والميت ، اذا كان الابيض والاسود وسائر الاشياء التى يعتبرها الناس حقائق ، هى موجودة فى الواقع كما يقال ، فيلزم ان يكون كل شيء على الحقيقة هو ما قد ظهر لنا بأدى الامر ، وانه لا يتغير حاله ، وانه لا يصير غيرا بل يبقى دائما هو ما هو • ولكننا نعتقد فى حالة الاشياء الراهنة اننا نحسن رؤيتها ونحسن استماعها ونحسن ادراكها • فالخار يظهر لنا انه يصير بنردا والبارد يصير حارا والصلب يصير لينا واللين يصير صلبا والحى يظهر لنا أنه يموت ويتولد ثانيا مما ليس حيا بعد ، فالكل بلا استثناء يظهر لنا انه يصير غيرا • ولا شيء يظهر بأنه يبقى فى الحالة بعينها التى كان فيها والتى هو فيها • الحديد نفسه مهما كان صلبا ينبرى بملامسة الاصبع • والذهب والحجر وأى جسم آخر مما يظهر لنا صلبا هكذا تاتى من الماء كما ياتى منه الارض والحجر • وبالنتيجة يمكن ان يقال اننا لانرى ولا نعرف الموجودات فى حقائقها • على ذلك فكل ذلك ابعد من أن يتطابق • اننا نقول حقا على بعض الاشياء انها أزلية ومع ذلك نرى صورها كلها وخواصها كلها تتغير تحت اعيننا وتنقطع عن ان تكون على ما قد كنا رأيناها عليه فى كل حالة خاصة • اذا يلزم التسليم بأننا لا نحسن رؤية الاشياء وان ظهور الاشياء لنا متكررة انما هو خطأ • لانها لو كانت حقيقية ماتغيرات ولكنها تكون على ما يظهر لنا كل واحد منها انه موجود ، ما دام انه لا شيء فوق الموجود الحقيقى • ففى التغير قد هلك الموجود ، وهذا الذى يتكون هو الالموجود • حينئذ مرة ثانية اذا كانت الاشياء متكررة كما يقال فيلزم انها كانت على الاطلاق كما يكون الموجود الواحد » •

تحليل نظرية غرياس

لسكستوس أميريكوس

(Adversus Mathematicos Logicos)

د ك ٧ ، ص ٣٨٥ ، طبعة ١٨٤٢

قال سكستوس بعدان أثنى على فروطاغوراس وأوتيديم وريونيسودور
الذين لم يعترفوا بالموجود وبالحقيقة إلا في الإضافي :

« غرياس الليونتيومي قد تبوأ مكانا أيضا في طائفة الفلاسفة
الذين انكروا ملكة الحكم . ولكنه لم يتخذ في هجماته الطريقة التي اتخذها
فروطاغوراس . فانه في كتابه المعنون « في اللاموجود او في الطبيعي »
يقرر النقط الثلاث الآتية : أولا انه لا شيء بموجود . وثانيا انه اذا كان
شيء موجودا فذلك الشيء هو غير قابل لان يدركه الانسان . واخيرا وثالثا
ان هذا الشيء لو كان قابلا لادراكنا لما أمكن التعبير عنه ولا تفهيمه الغير .

« واليك كيف يثبت النقطة الاولى وهي ان لا شيء بموجود . اذا
كان شيء موجودا فانما هو الموجود او اللاموجود او الموجود واللاموجود
معا . ولكن الموجود ليس موجودا كما سييسطه . واللاموجود كذلك
ليس موجودا كما سيبينه . واخيرا ما هو معا موجود ولا موجود لا
يوجد كما سيبينه . اذا لا شيء بموجود . بديهى ان اللاموجود غير
موجود . لانه اذا كان اللاموجود موجودا فينتج منه انه يوجد ولا يوجد
معا . لانه من جهة أنه متصور لا موجودا فلن يوجد ، ومن جهة انه
اللاموجود فهو سيوجد من جديد وعلى العكس . ولكن من السخف ان
شيئا يكون ولا يكون معا . اذا اللاموجود غير موجود البتة . أضف الى
ذلك انه من جهة نظر أخرى اذا كان اللاموجود موجودا فالوجود حينئذ لا
يوجد لانهما على التكافؤ ضدان احدهما للآخر ، واذا كان الموجود يصل
الى اللاموجود فاللاموجود يصل الى الموجود .»

ولكن ما دام الموجود ليس موجودا فاللاموجود ليس موجودا من باب
اولى . على هذا اقول : ان الموجود ليس موجودا . لانه اذا كان الموجود
موجودا فانما ان يكون أزليا واما ان يكون مخلوقا واما ان يكون معا أزليا
ومخلوقا . ولكن ، كما سنبرهنه ، الموجود ليس لا أزليا ولا مخلوقا ولا
كليهما معا . اقول : اذا ان الموجود لا يكون . لانه اذا كان الموجود أزليا

مادام انه يجب الابتداء بذلك ، فليس له اول وكل ما يولد له اول . والازل
 بما هو لم يخلق لا يمكن ان يكون له اول ما . وبما هو ليس له اول
 فهو لامتناه . وبما هو لامتناه فليس في اى مكان ما . وفي الحق انه اذا
 كان في مكان ما فيلزم انه كان موجود آخر غيره وفيه يوجد . واذا كان
 الموجود محوبا هكذا في شيء ما فلا يكون بعد لامتناهيا ما دام ان الحوى
 هو اكبر من المحوى . ولا يمكن ان يكون شيء اكبر من اللامتناهى . اذا
 اللامتناهى ليس في حيز ما .

ولكن اللامتناهى لا يمكن ان يكون كذلك محويا في ذاته لانه اذا
 يكون المحل . والحال يشبهان ويصير الموجود اثنين : المحل اولا ثم الجسم .
 فان ما فيه الجسم هو الحيز وما في الحيز هو الجسم . ولكن هذا سخت .
 وبالنتيجة فالموجود ليس كذلك حالا في ذاته . وبالنتيجة ايضا اذا كان
 الموجود أزليا فهو لا متناه . وبما هو لا متناه فهو ليس في اى حيز .
 وبما هو ليس في حيز فهو غير موجود . اذا كان اذا الموجود أزليا فلا
 يمكن ان يكون له كذلك اول .

ومن جهة اخرى الموجود لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق . فاذا
 كان بالمصادفة قد ولد فيجب ان يكون قد أتى من الموجود او من اللاموجود .
 ولكنه لا يمكن ان يكون قد أتى من الموجود لانه اذا كان الموجود موجودا
 فذلك بأنه لم يكن قد ولد وانه موجود من قبل . ولا من اللاموجود مادام
 اللاموجود لا يمكن ان يكون شيئا ما ايا كان مادام ان ماهو قادر على ان
 يكون شيئا يجب بالضرورة ان يكون قد شارك في الوجود . اذا فالموجود
 لا يمكن ان يكون قد خلق .

وقد يثبت بالأدلة عينها ان الموجود لا يمكن ان يكون الاثنين معا .
 أعني أزليا ومخلوقا معا . وفي الحق أن هذين المعنيين يتفاسدان . واذا
 كان الموجود أزليا فهو لم يولد . واذا ولد فليس أزليا . حينئذ مبررة
 أخرى ، الموجود بما هو لا أزلي ولا مخلوق ولا الاثنين معا فذلك بأنه لا
 يوجد البتة .

دليل آخر : اذا كان للوجود يوجد فهو واحد أو كثرة . ولكن
 الموجود ليس واحدا ولا متكررا كما معترى ذلك . ومن ثم فالموجود ليس
 البتة . فاذا افترض واحدا فهو اما كم واما متصل واما عظم ما واما جسم .
 ولكن ماهو في اى ما من هذه الأحوال ليس بعد واحدا . وفي الحق
 انه اذا كان الموجود كما فيكون منقسما . واذا كان متصلا فيمكن فصله .
 واذا افترض له في الذهن عظم فلا يكون بعد غير منقسم . واذا ذهب
 الى حد ان يجعل جسما فاذا يكون له الأبعاد الثلاثة ، وبعبارة أخرى

يكون له طول وعرض وعمق • ويكون مما لا يستطيع تأييده ان يلعن
ان الموجود ليس على الاطلاق شيئا من ذلك كله • واذا فالموجود ليس
واحدا •

اقول : ان الموجود ليس كذلك متكررا لانه ما دام ليس واحدا لا
يمكن بعد ان يكون كثرة • وفي الحق ان كثرة لا تتألف الا من تركيب
الوحدات • نعمتي نفيت الوحدة انتفتت الكثرة حتما •

حينئذ على ما تقدم كله يرى جليا ان الموجود ليس اكثر وجودا من
اللاموجود • ويمكن ان يستنتج منه ان الموجود ليس كذلك الموجود
واللاموجود معا • اذا كان الموجد ، في الحق ، هو مايوجد ومالا يوجد
فحينئذ اللاموجود يتحد مع الموجود في أمر الوجود • ومن ثم لا يوجد
لا احدهما ولا الآخر • فاما ان اللاموجود لا يوجد فهذا موضع اتفاق
جميع الناس • ولكن قد قرر آنفا ان الموجود يتماثل مع اللاموجود •
فالموجود اذا ليس يوجد كذلك • ولكن اذا كان الموجود مماثلا للاموجود
فلا يمكن ان يكون الاثنين معا • فاذا كان الاثنين معا فلا يكون مماثلا
واذا كان مماثلا فلا يكون الاثنين • وينتج منه أن الموجود هو لا شيء •
لانه اذا لم يكن لا الموجود ولا اللاموجود ولا كليهما ، ولا شيء وراء ذلك •
فذلك بأن الموجود ليس شيئا •

الآن يلزمنا ان نوضح انه ان كان من شيء فذلك الشيء غير معروف
للانسان وان عقله لا يمكن ان يفهمه • يقول غريغاس : اذا كانت تصورات
عقلنا ليست موجودات فالموجود لا يمكن أن يتصور • وذلك بسيط
كل البساطة • وفي الحق ، كما انه اذا كانت الاشياء التي تتصورها بيضاء
هي في الحقيقة متصورة بيضاء فكذلك الاشياء المتصورة ليست موجودات •
فينتج منه بالضرورة الحتمية أنه لا يمكن ان تتصور موجودات حقيقية •
وهذا دليل صحيح تام الصحة ومنتج جد الانتاج • فاذا كانت الاشياء
المتصورة ليست موجودات فالموجود لا يمكن ان يتصور الاشياء
المتصورة ليست موجودات كما منقره • وذلك فرض اول ينبغي التسليم
به • اذا الموجود ليس متصورا • فاما ان الاشياء المتصورة ليست
موجودات فذلك ما هو بين بذاته • لانه اذا كانت التصورات هي الحقائق
فحينئذ كل ما يتصور يوجد وعلى الوجه الذي تصور به ايا كان هذا
الوجه • وهذا هو سخييف بالبداهة وافترضه غير معقول بالمرّة • مثال
ذلك : اذا شاء المرء ان يفترض انسانا يطير في الاجواء وعربات تلج
على الامواج ، فلا ينتج من ذلك وجهه ان الانسان يستطيع ان يطير والعربات
تلدج على امواج البحر • على هذا فالتصورات التي تتصور ليست حقائق •

يلزم ان يزداد على هذا انه اذا كانت الاشياء المتصورة موجودات فينتج منه ان الاشياء التي ليست موجودة لا يمكن ان تتصور . لان الحواص المتضادة تتعلق بالاضداد . واللاموجود هو نقيض الموجود . فاذا كان اذا الموجود يمكن ان يتصور كما قد يعتقد فينتج منه ان اللاموجود لا يمكن ان يتصور . وهذا سخف . لان الانسان يتصور «سيعلا» و«الشيمير» واشياء شتى اخرى ليس لها وجود ما . اذا الموجود ليس متصورا . وكما ان الاشياء المراتية هي بذلك يقال عليها انها قابلة لان ترى وان الاشياء المسموعة يمكن ان يقال عليها انها قابلة لان تسمع لان الانسان يسمعها وان المرء لا ينكر الاشياء المراتية لانه لا يسمعها كما انه لا ينكر الاشياء القابلة لان تسمع بحجة انه لا يراها فان كل واحد من هذه الاشياء يجب ان يحكم عليه بحاسته الخاصة لا بحاسة اجنبية ، كذلك الامر في الاشياء المتصورة لانه لا يمكن ان ترى بالنظر ولا ان تسمع بالسمع ما دام انها مدركة بالحاسة الخاصة بها . وبالتبع اذا كان امرؤ يتصور العربات تدرج على المياه ولا يراها فلا يلزم منه انكار ان العربات تدرج على الماء . ولكن هذا سخف . واذا فالوجود ليس متصورا ولا يمكن ان يفهم .

ولكن بافتراض انه يفهم فلا يمكن نقله الى الغير . وفي الحق ان الموجودات التي يمكن للمرء ان يراها ويسمعها وعلى وجه العموم ان يحسها هي مفروضة خارجة عنا ومن بينها المراتيات مدركة بالنظر وما يمكن سماعها مدركة بالسمع دون ان يكون البتة عكس ممكن ، فكيف يمكن حينئذ التعبير عنها للغير . وفي الواقع ان طريقة الايضاح التي عندنا هي الكلام ، والكلام ليس هو الاشياء نفسها ولا الموجودات . اذا ليست الموجودات هي التي نعبر عنها للغير بل هو الكلام وحده الذي هو على الاطلاق خلاف الحقائق اعينها . واذا فكما ان المرئي لا يمكن ان يصير قابلا لان يسمع وعلى التكافؤ ، فكذلك الموجود المفروض انه خارج عنا لا يمكن ان يصير هو كلامنا . وبما ان الكلام ليس موجودا فليس من الممكن التعبير عن شيء ما للغير . وفي الواقع ان المقالة - كما يقول غريغياس - لا تتألف الا من اشياء خارجية تأتي فتقع في ذهننا اعنى اشياء تدركها حواسنا . وعلى هذا فعلى اثر تسلط ذوق ما في الاشياء المنقوة يتكون عندنا الكلام الذي نعبر به عن هذا الكيف الخاص . وتبعا لتدخل اللون يتكون الكلام الذي نعبر به عنه . فاذا كان هذا هكذا فليس الكلام هو الذي يمثل ما هو في الخارج بل هو الشيء الخارجي الذي يعين الكلام . لا يمكن ان يقال : ان الكلام هو على الوجه الذي عليه الاشياء المراتية او المسموعة بحيث ان الكلام بافتراضه يمكن ان يستلزم به على الموجودات والموضوعات الخارجية . يقول غريغياس : لانه اذا كان الكلام هو ايضا موضوعا فهو يختلف بالاقل عن جميع الموضوعات الاخرى . ومثال ذلك

أية مسافة لا تكون بين الأشياء المرئية وبين الكلمات التي تعبر عنها ؟
وفي الحق انه انما يختصك العضو الذي تدرك به الأشياء المرئية والذي
يدرك به الكلام الذي يعبر عنها . وعلى ذلك فالكلام لا يمكن ان يبين
الجزء الاعظم للأشياء الخارجية بذواتها ، كما ان اكثر الأشياء لا يمكن على
التبادل ان يبين بعضها طبع البعض الآخر .

تلك هي ادلة غريغياس التي هي على قدر قيمتها تفسد كل مقياس
للحق ، لانه ليس بعد من مقياس ما دام ان الموجود ليس موجودا ، وانه
لا يمكن ان يعلم ، وانه ليس قابلا لأن ينقل علمه الى الغير .

راجع أيضا Hypotyposes Pyrrhoniennes ك ٢ ب ٦ ف
٥٧ و ٥٩ و ٦٤ - ص ١٣٤ و ١٣٦ من طبعة سنة ١٨٤٢

فهرس

كتاب الكون والفساد

مقدمة المترجم

بارتلى سانتيلير

(اصول الفلسفة الاغريقية)

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفر هما حملة مدرسة ايليا التي هي من اقدم مدارس الفلسفة اليونانية - مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفياتورث واكسينوفان ٥٥ الف ، وسابقوهم الحقيقيون بالاعجاب : هوميروس وسافو ٥٥٠ الف - علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ٥٥٠ الف - الاختراعات الثلاثة: الايوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب - جملة الحوادث الكبرى التي تدخل في امرها الفلاسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد - حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس - الوسائل المادية التي كانت عند الاغريق لكتابة المؤلفات - الكتب من طاليس الى زمن ارسطو طاليس - شهادات هيرودوت وعلوكوديمس واكسينوفان واللاطون وارسطو - الاستعمال العام لورق البردي المصري - صنع الورق على قول بلاين - رسائل شيشرون - ايفساح هذه الحوادث - ورق البردي المحفوظ في دور الارلار عندنا (فرنسا) - معابر والقلام الكتب التي يرجع تلويثها على الاقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا - اولية الفلسفة اليونانية - كونها لا تدين بشيء للشرق - المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية - خلاصة القول على مدرسة ايليا - المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة

الكون والفساد

الكتاب الأول

صفحة

الباب الأول - الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات أنكساغوراس ولوكيبيس وديمقريطس - نقض تجانس المنصب أمبيدقل - الاستشهاد ببعض آيائه - المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الأشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للمناصر الأولية ٨٩

الباب الثاني - عدم كفاية نظرية أفلاطون - عود على نظرية ديمقريطس ولوكيبيس - نظرية جديدة على كون الأشياء وفسادها - النمط المتبحر - أهمية مسألة النواتج - رأى ديمقريطس ولوكيبيس - رأى أفلاطون في كتابه طيمائوس - خطأ هؤلاء وهؤلاء - وجوب الأخذ بملاحظة الاحداث على الاخص - فضل ديمقريطس من هذه الجهة - أفكار في قابلية الأشياء للقسمه - يمكن افتراض القسمه لامتناهيه - صعوبات هذه النظرية - صعوبات ليست أقل خطراً من نظرية النواتج - نقض هذه النظرية - المعنى العام الذي يحمل عليه كون الأشياء ٩٥

الباب الثالث - في الكون المطلق وفي فساد الأشياء - صعوبة هذه المسألة - الكون والفساد الإضافيان - النمط الذي يتخذ في هذا البحث - شواهد من كتاب الحركة - أبديّة الكائنات وتماقبتها المستمر - تبادل الكون والفساد - تمييز مغلبي مهم - استشهاد بريمينيدي - الفرق بين الكون المطلق والكون الإضافي - فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين - الرأى العام في هذا الموضوع - في أن شهادة الحواس تغطي أكثر مما تستحق - توضيحات مختلفة - طريقة فهم أبديّة الظواهر ١٠٥

الباب الرابع - فصول الكون والاستحالة - تمييز الموضوع ومحوّل الموضوع - حد الاستحالة - أمثلة مختلفة - حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة - آخر المقارنة بين الكون والاستحالة ١١٥

الباب الخامس - نظرية النمو - الفروق بينه وبين الكون والاستحالة - سواء في موضوع النمو أم في الكيفية التي يحصل بها النمو - نقلة الشيء النامي غير المحسوسة صعوبة ادراك من أين يأتي النمو في الجسم - كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة الشروط الأصلية للنمو ثلاثة - المقارنة بين النمو والاستحالة - نظرية جديدة للنمو - تمييز ما بالفضل من ما بالقوة - يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجب النمو - علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم النامي ١١٨

الباب السادس - الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض - في اختلاطها - رأى ديوجين الاپلوني - لأجل ادراك أن العناصر تفعل أن تنفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتماصها - المعاني المختلفة لهذه الكلمة - الفرق بين الحركة والفعل - المحرك غير المتحرك لا حاجة به ضرورة الى مس الشيء الذي يحركه - الشيء المحرك يمكن ألا يمس شيئاً هو أيضاً في نوبته - آخر نظرية التماس ١٢١

الباب السابع - نظرية الفعل والانفعال - آراء الفلاسفة - ديمقريطس هو الذى ايجاد فهم هذا الموضوع - سبب خطأ الفلاسفة - الشبهة لا يمكن أن يقبل أى فعل من الشبهة - العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل - الشبه والفرق بينهما - توفيق رأيين متعارضين فى تمييز لفظي - المشابهة بين الحركة وبين ظاهرتي الفعل والانفعال - المحرك الاول يمكن أن يكون غير متحرك - الفاعل الاول يمكن أن يكون كذلك لا منفعلا - ختام نظرية الفعل والانفعال ١٢٧

الباب الثامن - نقض النظرية التى تعرض أن الفعل والانفعال يحدثان فى الجواهر المادية بالمسام - رأى الفلاسفة القنماء - استشهاد من امبيدقل - لوكيس وديمقريطس هما اقرب الى الحق - وحدة الوجود محال وكذلك نباته - غرائب ضلالات الفلاسفة القنماء - سرس نظرية لوكيس - عرض نظرية امبيدقل - مواطن الاتفاق والاختلاف بينها وبين نظرية لوكيس - استشهاد من طيماوس افلاطون - مقارنة بين افلاطون ولوكيس - اعتراضات على نظرية افلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية الذرات - استحالة قبول وجود الذرات وفهم من اين جاءت الحركة - الرؤية من خلال الاوساط تصير غير قابلة للايضاح - خاتمة نقض النظرية التى تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال فى الاشياء ١٤٤

الباب التاسع - تفاصيل جديدة على نظرية كون الاشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة الافعال التى تحصل عند التماس وعلى بعد - توضيح ديمقريطس غير الكافي - تحول أشكال الاجسام اذ تتغير بالحوال دون أن تتغير بالمكان - خاتمة نظرية الفصل والانفعال ١٥٥

الباب العاشر - نظرية الاختلاط - من الفلاسفة من انكر ان الاشياء امكنها ان تختلط فيما بينها - ابطال هذه النظرية - المعنى العام لشروط الاختلاط - الطبع المختلف للاجسام المختلطة - الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق - لكى يوجد اختلاط بين الاشياء يلزم أن يوجد بينها تجانس بل شيء من التناسب - النقطة من التبيد فى كمية من الماء - سهولة الاختلاط أو صعوبته تبعاً للتخالف فى طبع الاشياء وصورتها - خاتمة نظرية الاختلاط ١٥٩

الكتاب الثاني

صفحة

الباب الاول - نظرية عناصر الاجسام - عددها - شاهد من أميديل - المادة ليست منفصلة عن الاجسام كما هو في طيماوس افلاطون فيما يظهر - نقض هذه النظرية انها حقة بجزئها باطله بالجزء الآخر - شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة - نظرية جديدة على المبادئ العنصرية للاجسام - طبعها وعددها ١٦٦

الباب الثاني - حد الجسم - كما تعرفه لنا حكمة اللبس - تعديد الاضداد الاصولية التي يعرضها الجسم المحسوس جال للبس - فصول هذه الاضداد - الفعل المتباين للبارد والحر والجاف والرطب - علاقة جميع الفصول الاخرى بهذه الفصول الاربعة الاصولية ١٧٠

الباب الثالث - تراكيب العناصر بين بعضها والبعض - ليس منها الا اربعة لان الاضداد خارجة عنها - نظريات سابقة على عدد العناصر - برمينيد - افلاطون خاميديل طبع العناصر المختلفة - الامكنة المختلفة التي تشتملها في الاذن ١٧٤

الباب الرابع - نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض - فصول العناصر فيما يتجهل يمكن ان تكون اكثر او اقل عدده - سهولة التبدل وصعوبته - امثلة مختلفة بحسب تجاوز العناصر في البعد بينها في النظام الذي هي مركبة به وبحسب تماثل كيفيات العناصر أو تقابلها - خاتمة الجزء الاول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر ... ١٧٨

الباب الخامس - بقية نظرية تبدل العناصر من المحال الا يوجد الا عنصر واحد منه تأتي كل العناصر الاخرى - في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيقي للعناصر المختلفة - شاهد من طيماوس افلاطون - عرض جديد للطريقة التي بها تتغير العناصر بعضها الى بعض يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك - نسبة العناصر الاطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الاوساط - الحدود الضرورية لهذا التحول - لا يمكن التمشي الى اللانهاية في اى واحدة من الجهتين - البيان الحرفي لهذا المبدأ ١٨٣

الباب السادس - ابطال نظرية أميديل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة الى الكم أم بالنسبة الى الاثر والتناسب - في مذهب أميديل نمو الاشياء يرجع الى مجرد جمع - انه لا يفسر أيضا كون الاشياء بل أخضعه لسلطان المصادفة - ولا علة الحركة الاصولية ولا طبع النفس الحقيقي - شواهد مختلفة من شعر أميديل ١٨٩

الباب السابع - بقية مذهب أميديل - متى أنكر ان العناصر يمكن ان تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العضوية المختلفة - شاهد من أميديل - صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست أقل عظمًا متى سلم بأحادية المادة - تعيين نظرية جديدة فيها تكون الاضداد هي التي بفعلها المتكافئ تكون جميع الطبيعة ١٩٥

الباب الثامن - التركيب العام للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضد العنصرين الآخرين - ظاهرة التغذية التي يستشهد بها سندنا لهذه النظرية كيف أن النار هي "العنصر الوحيد" من العناصر البسيطة ، الذي يغذي نفسه ١٩٩

الباب التاسع - الهيولى والصورة - المبادئ الأولى للأشياء - ضرورة مبدأ ثالث وهو المادة المحركة - إبطال نظرية المثل على نحو ما عرضها أفلاطون في الفيلون أن المثل لا يمكن أن تفسر كون الأشياء - أنها لا تكون - يرى أن طاقة من الأشياء تكون تحت أعيننا بعلم أخرى - إبطال النظرية التي تفسر كون الأشياء بحركة المادة - المادة قابلة للأفاعلة - أمثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن ٢٠٢

الباب العاشر - كون الأشياء وفسادها هما متصلان بالحركة ويتعلقان بالنقلة الدائرية للعالم - ضرورة حركتين - النقلة الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة - انتظام الكون والفساد الطبيعيين - المدة الدورية للكائنات - فعل الله - القوانين الثابتة التي وضعها في أبدية الأشياء - النظام العجيب للعالم - تغير الأجسام أما هو الذي يحفظ مدتها - المحرك الأول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية - اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك ٢٠٦

الباب الحادى عشر - نظرية تعاقب الأشياء الأبدى المنتظم - على أى مقدار يكون تدخل الوجوب - الأشياء الواجبة والأشياء الممكنة - الوجوب المطلق - الوجوب الإضافى - علاقة الواجب والأزلى - كون الأشياء لا يمكن أن يكون أبدى إلا إذا كان دائريا - ترتيب الأشياء العجيب - الحركة الدائرية للفلك الأعلى تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل المركبات الأخرى - أبدية الأنواع - فناء الأشخاص المتعاقب - أزلية بعض الجواهر - خاتمة الكتاب ٢١٢

تحقيق - على كتاب الموسوم في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غزغياس ... ٢١٨

في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غريغاس

مذاهب ميليسوس

صفحة

الباب الاول - الموجود هو ازل غير متناه واحد ولا متحرك - اركان الوجود
وتتألف من - الاختلاط - ظاهري الاشياء هو ضد الوحدة - الحذر الذي ينبغي اخذ
من شهادة الحواس - ردود على نظرية الوحدة وعلى الالات - الآراء
المضادة لهذا المنصب - شواهد من هيزيود وبعض فلاسفة آخرين ... ٢٣٤

الباب الثاني - تمتة تفنيد ميليسوس - ردود على مبدأ انه ليس شيء ياتي من
لا شيء - تولد الاشياء وكونها بعض من بعض على التكافؤ - نظريات امبيدكل
وانكساغوراس وديمقريطس وبرجيتيد وزينون - شواهد من شعر امبيدكل
وهيزيود - الموجود ليس ضرورة واحدا اذ لا متناهيا ... ٢٤٠

مذاهب اكسينوفان

الباب الثالث - نظرية اكسينوفان في حق الله - الازلية - القدرة - احدية الله -
يجب ان يتصور كانه فلك - الله متحرك عن الحركة والسكون ومنزه عن ان
يكون متناهيا او لا متناهيا ... ٢٥١

الباب الرابع - ابطال نظرية اكسينوفان - استشهد من ميليسوس - كيف ينبغي
ان يعنى بقدرة الله - الله ليس فلكيا - انه لا متناوحدانية الله ليست منافية
لكونه متناهيا - في نفى الحركة عن الله - في الحركة التي يمكن تصورها في حق
الله - استشهد من زينون ... ٢٥٥

مذاهب غريغاس

الباب الخامس - النظريات الثلاث الاصلية لغريغاس : على الوجود ، وعلى امتناع
العلم ، وعلى نقل العلم - على النظرية الاولى يجع غريغاس بين الآراء السابقة -
ميليسوس وزينون - بسط منهج غريغاس في امتناع الوجود والمعلوم على
السواء ... ٢٦٣

الباب السادس - نقض نظرية غريغاس الاولى - شاهد من ميليسوس وزينون - الموجود
واللاوجود لا يشتهان - والحركة هي ممكنة - شاهد من مقالات لوكييس - نقض
نظرية غريغاس الثانية على امتناع العلم - ونقض النظرية الثالثة على امتناع نقل
العلم بعد كسبه - ايدان بان نظريات الفلاسفة القدماء مستدرس بعد دراسة
خاصة ... ٢٦٤

قطع من ميليسوس ... ٢٧١

تحليل نظرية غريغاس لسكسوس اميريكوس ... ٢٧٧

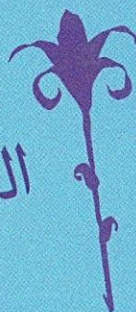
الإشراف اللغوى : عبد الرحمن حجازى

الإشراف الفنى : حسن كامل

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة



أرسطو طاليس الكون والفساد



إن العالم الإغريقى قد أنتج الآداب والعلوم والفنون التى تنسج الآن على منوالها، وشاطر بحظ عظيم فى تقدم المدنية المسيحية حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن، فى حين أن العالم الهندى ما أنتج إلا البرهمانية والبوذية؛ فهو نازل عن العالم الإغريقى بمراحل على الرغم من المزايا المتعددة التى يكون من الظلم عدم الاعتراف له بها. بين العالم الإغريقى وبين العالم الهندى تأتى بلاد فارس التى توسطت بين العالمين فى المكان كما هى فى الزمان، ولكنهما لم تشغلا مركزاً يذكر لها ولم يستفد منها الإغريق إلا المجد الخالد الذى أحرزه أمثال ملتياد وليونيداس وطيمستوكل والإسكندر.

